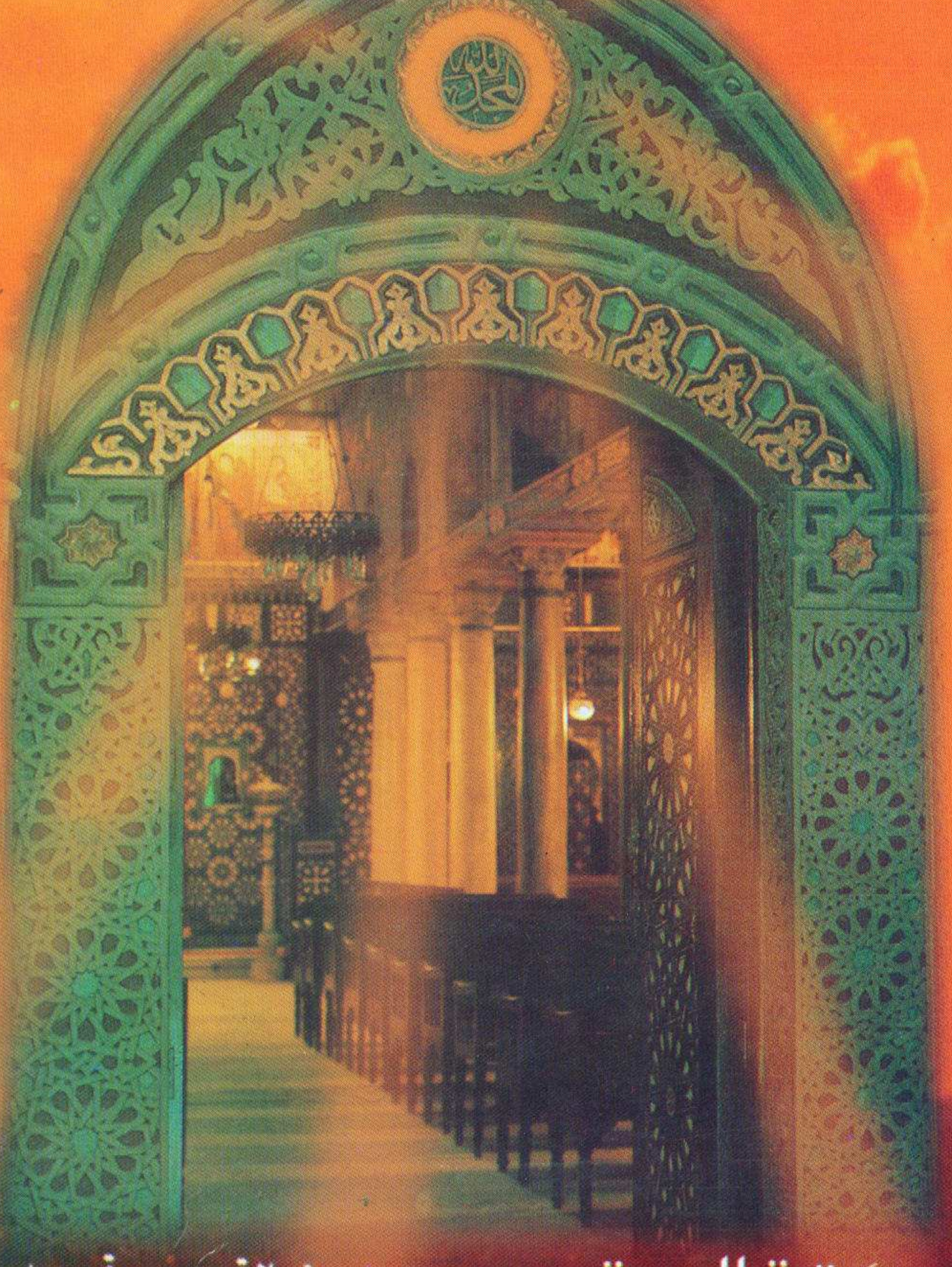
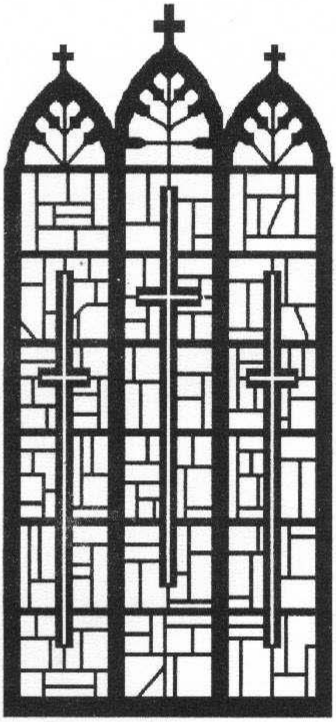
تاريخ الكنيسة

تأليف يوسابيوس القيصرى



ترجمة القمص مرقس داود

مكتبة المحبة



تاريخ الكنيسة

تأليف

يوسابيوس القيصرى

تعريب

القمص مرقس داود

مكتبة المحبة



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد · آمين

مقدمة المعرّب

من أمسّ ما يحتـاجه قرّاء اللغة العربية فى الناحـية التاريخية هو تاريخ عـام للكنيسة فى عصـورها الأولى · ولعلهم يجدون – لسد هذا الفـراغ – هذا الكتاب الذى وضعه مـؤرخ عاش فى تلك العصور الأولى (٢٦٤ - ٣٤٠م)، هو يوسابيوس القيصرى الذى يعتبر من أقدر المؤرخين وأسبقهم، والذى يرجع إليه الكثيرون من المؤرخـين قديما وحديثا كحجة فى التـاريخ، والذى قد يكون أقدم مؤرخ وصلت إلينا كل كتاباته كاملة ·

وبالرغم من مقدرته الفـائقة كمؤرخ، كمـا يشهد بذلك جميـع المؤرخين فى كل العصور، إلا أنه تأثر إلى حد كبير بالآراء الآريـوسية التى كانت شائعة فى عصره، بل انحرف عـن الإيمان المستقيم، الأمر الذى نراه ظاهرا فى كتابه هذا عن تاريخ الكنيسة، ولا سيما عند التحدث عن لاهوت المسيح ·

فإنه لما ظهـرت بدعة آريوس فى الإسكندرية حـوالى سنة ٣١٨م، وجدت لهـا بعض المؤيدين فى الشرق، وكان على رأس هؤلاء المؤيدين يوسابيوس أسقف نيقـوميديا الذى كان رفيقا لآريوس فى التلمذة على لوسيان المعلم فى أنطاكية، والذى نادى بأن الابن مخلوق، وأنه ليس مساويا للآب فى الأزلية ·

وكان يوسابـيوس أسقف قيصـرية (مؤلف هذا الكتاب) مـعاصرا ليوسابـيوس أسقف نيقـوميديا، ومعاصرا لآريوس نفـسه · ومع أنه لم يكن مؤيدا لآراء آريوس مثل سميّه يوسابيوس النـيقوميدى، إلا أنه فى حقيقته كان يعرج بين الآريوسية وبين التعاليم المستقيمة، بل كان أكثر ميلا إلى الآريوسية، حتى حسبه بعض آباء الكنيسة مشـايعا بكليته لآريوس · قال عنه چيروم : «لقد مدحت يوســابيوس إذ كتب كتابه عن تاريخ الكنيســة وكتبـه الأخـرى · وهـل مـعنى هذا أننى آريوسى لأن يوسابيـوس الذى كتب هذه الكتب آريوسى؟» (انظر مقدمة هذا الكتاب فى ترجمته الإنكليزية، ص ٥٩، المطبوع سنة ١٩٥٢) ·

ومن أبرز ما يتسم به هذا المؤلف إشادته بذكر كنيسة الإسكندرية والتحدث عن الأدوار الهامة التى لعلبتهـا على مسرح التاريخ، سـيما عند ذكر المشـاكل الكثيرة التى واجهت الكنيـسة العامة، فـمثلا عند التحـدث عن عقـد مجـمع للنظر فى هرطقة بولس الســميساطى يقول إنـهم «توسلوا إلى ديونيسـيوس

الإسكندرى ليحضر المجمع . وأنه لما لم يتمكن من الحضور بسبب تقدمه فى السن وضعف جسمه، أعطى رأيه فى الموضوع برسالة أرسلها إليهم» (٧ : ٢٧) .

أما عن آباء كنيسة الإسكندرية، فقد تحدث بتوسع لم يراعه فى أية مناسبة أخرى. فمثلا تراه يكاد يخصص كل الكتاب السادس فى الحديث عن أوريجانوس، وكل الكتاب السابع وجزءا من السادس عن ديونيسيوس بابا الإسكندرية الرابع عشر .

كذلك تحدث بإعجاب شديد عن شهداء الأقباط وجرأتهم وبسالتهم. استمع إلى أحد أوصافه الكثيرة عنهم :

«وشاهدنا الحماسة العجيبة جدا والنشاط والغيرة التى أبدوها، لأنه حالما كان يصدر الحكم على أول شخص، كان الباقون يندفعون الواحد تلو الآخر إلى كرسى القضاء ويعترفون بأنهم مسيحيون. وكانوا لا يبالون بأشد أنواع التعذيب فيعترفون بكل جرأة وبسالة بديانة إله الكون. وكانوا يتقبلون حكم الموت النهائى بفرح وضحك وبشاشة. لذلك كانوا يرنمون ويتهللون ويقدمون التسابيح والتشكرات لإله الكون إلى النفس الأخير» (٨ : ٩ : ٥) .

وإننى إذ أقدم هذا السفر النفيس إلى القراء، أرجو أن أكون قد قدمت إليهم خدمة نافعة، وأرجو أن يجدوا فى الشخصيات الكثيرة التى دُوِّنت سيرتهم فى السفر أمثلة رائعة يُحتذى بها فى الإيمان والبسالة والتضحية وإنكار الذات والثبات على المبدأ والدفاع عن الحق، سيما فى هذه الأيام التى يسهل على الكثيرين فيها أن يدوسوا على أقدس المبادىء وأسماها فى سبيل مصالحهم الشخصية أو كرامتهم الذاتية أو الخوف من البشر .

بين يديك يا إلهى نضع كل جهودنا ومواهبنا التى جدت بها علينا، ونتوسل إليك أن تعيننا على أن نكون لك خداما أمناء إلى النفس الأخير .

القاهـــرة فى ٢٠ مايو ١٩٦٠
الطبعة الثانية ٢٠ مايو ١٩٧٩
الطبعة الثالثة ١ مارس ١٩٩٨

القمص مرقس داود



الكتاب الأول

الفصل الأول

الغاية من الكتابة

(١) إن غايتى هى كتابة وصف لتاريخ الرسل القديسين، والحقبات التى مضت من أيام مخلّصنا إلى أيامنا هذه، وسرد الحوادث الكثيرة الهامة التى حدثت فى تاريخ الكنيسة، وذكر أولئك الذين تولوا إدارة ورئاسة الكنيسة فى أهم الأبروشيات، والذين أذاعوا الكلمة الإلهية فى كل جيل سواء شفويا أو كتابة.

(٢) وغايتى أيضا أن أذكر أسماء وعدد وأزمان أولئك الذين، حبا فى ابتداع الجديد، ارتكبوا أشد الأخطاء، والذين، إذ نادوا بأنفسهم أنهم مكتشفو العلم الكاذب الاسم،[١] أتلفوا رعية المسيح بلا رحمة كذئاب مفترسة.

(٣) وعلاوة على هذا، فإن قصدى أيضا وصف المصائب التى حلّت عاجلا بكل الأمة اليهودية نتيجة لمؤامراتهم ضد مخلّصنا، ووصف الطرق والأوقات التى فيها هوجمت الكلمة الإلهية من الأمم، ووصف أخلاق وصفات من ناضلوا عنها فى حقبات مختلفة فى وجه الدماء والتعذيب، وكذلك الاعترافات التى قيلت فى أيامنا، وأخيرا المساعدات الرحيمة الكريمة التى قدمها مخلّصنا لجميعهم.

وطالما كنت أبغى الكتابة عن كل هذه الأمور، فإننى سأبدأ عملى ببداية عهد مخلّصنا وربنا يسوع المسيح.

(٤) على أننى فى البداية ألتمس لعملى معذرة الحكماء، لأننى أعرف بأنه فوق طاقتى أن أقدم تاريخا وافيا كاملا. وطالما كنت أنا أول من يلج هذا الباب، فسأحاول اجتياز هذا الطريق الموحش الذى لم يطرقه أحد قبلى.[٢] وإننى أبتهل إلى الله أن يكون لى مرشدا، وأن تكون قوة الرب عونا لى، طالما كنت غير قادر أن أتبيّن حتى مجرد آثار خطوات من سلكوا الطريق قبلى سوى بعض لمحات تاريخية موجزة نقل إلينا فيها البعض بإحدى الطرق، والآخرون بطريقة أخرى، وصفا خاصا للأوقات التى عاشوا فيها. وهؤلاء يرفعون أصواتهم من بعيد كالمشاعل، ويصرخون كما من برج عال ظاهر، مقدمين إلينا النصيحة أين نسلك وكيف نوجّه طريق عملنا بثبات وأمان.

---

(١) ١ تى ٦ : ٢٠

(٢) يلقب البعض يوسابيوس «أب التاريخ الكنسى» على أساس أنه لم يسبقه من كتب تاريخا شاملا للكنيسة. ومع ذلك، فقد كتب من قبله الكثيرون عن بعض الحقائق التاريخية التى استخدمها هو فى تأريخه كما يخبرنا.

(٥) لذلك، فإذ جمعنا من المواد التى ذكروها هنا وهناك رأيناه ضروريا لعملنا الحالى، وإذ اقتطفنا كزهور من حقل بعض الفقرات المناسبة من الكتّاب الأقدمين،[٣] فسنحاول أن نجمع الكل فى سجل تاريخى، ويكفينا الاحتفاظ بذكريات رسل مخلّصنا، إن لم يكن جميعهم، فعلى الأقل أشهرهم فى أشهر الكنائس التى لا تزال إلى الوقت الحاضر محتفظة بمجدها.

(٦) ويبدو لى أن لهذا العمل أهمية خاصة، لأننى لا أعرف كاتبا كنسيا تخصص فى هذا الموضوع، وأرجو أن يبدو نافعا جدا للشغوفين بالأبحاث التاريخية.

(٧) لقد سبق أن قدمت خلاصة لهذه الأمور فى الأبحاث التاريخية التى كتبتها، على أننى رغم ذلك اعتزمت فى هذا الكتاب تدوين تفصيل واف عنها على قدر استطاعتى.

(٨) ويبدأ عملى، كما قدمت، بعهد المخلّص المسيح الذى هو أسمى وأجل من الإدراك البشرى، وببحث عن لاهوته.

(٩) طالما كنا نستمد حتى اسمنا من المسيح، فمن الضرورى لكل من يشرع فى كتابة تاريخه عن الكنيسة أن يبدأ بأصل عهد المسيح، العهد الذى هو أكثر روحانية مما يظن الكثيرون.



(٣) مما يجعل لتاريخ يوسابيوس أهميته العظمى اقتباساته من المؤرخين الكنسيين السابقين. لقد ضاعت كتابات الكثيرين منهم ولا نعرف منها شيئا سوى ما اقتبسه يوسابيوس. وهذه الحقيقة وحدها كافية بأن تعطى لتاريخه أهمية عظمى.

الفصل الثانى

خلاصة لفكرة لاهوتية مخلّصنا وربنا يسوع المسيح وأزليته

(١) طالما كانت فى المسيح طبيعة مزدوجة،[١] الواحدة تمثله - على أساس أنه إله - كرأس الجسد، والأخرى يمكن تشبيهها بالقدمين، باعتبار أنه من أجل خلاصنا أخذ طبيعة بشرية وصار تحت الآلام مثلنا. لذلك، فإن هذا السفر التاريخى لا يصير كاملا إلا إذا بدأناه بأهم حوادث تاريخه. وبهذه الطريقة تتبين أقدمية وروحانية المسيحية لمن يفترضون أنها حديثة العهد وأنها من أصل غريب، ويتوهمون أنها لم تظهر سوى بالأمس.

(٢) ولا يمكن أن توجد لغة كافية للتعبير عن أصل المسيح وقيمته، وعن كيانه وطبيعته. لهذا يقول الروح القدس فى النبوات : «وجيله من يخبر به».[٢] لأنه : «ليس أحد يعرف الآب إلا الابن، ولا أحد يعرف الابن معرفة كاملة إلا الآب وحده الذى ولده».[٣]

(٣) لأنه مَن غير الآب يستطيع أن يفهم بوضوح ذلك النور الذى كان قبل العالم، والحكمة الأساسية العقلية الكائنة قبل الدهور، والكلمة الحى الكائن مع الآب من البدء الذى هو الله، المولود الأول والوحيد من الله الكائن قبل كل خليقة، قبل المخلوقات المنظورة وغير المنظورة، قائد الجند السماويين العاقلين الخالدين، رسول المشورة العظمى، متمم إرادة الآب غير المنطوق بها، خالق كل الأشياء مع الآب، باعث كل الكون بعد الآب، ابن الله الوحيد بالحق، رب وإله وملك كل المخلوقات، الذى قبل من الآب سلطانا وقوة مع اللاهوت نفسه، وقبل أيضا قدرة وكرامة. كما قيل عنه فى الفقرات الغامضة من الكتاب المقدس التى تتحدث عن لاهوته : «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»[٤] «كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان»[٥].

(٤) هذا أيضا ما نادى به موسى العظيم عندما وصف - كأقدم جميع الأنبياء - بإلهام الروح القدس خلقة الكون وترتيبه، فإنه يعلن أن بارىء العالم وخالق جميع الأشياء سلّم أمر خلقة الأشياء الأدنى[٦] للمسيح نفسه، لا لشخص آخر سوى كلمته الإلهى الوحيد، وتشاور معه عن خلقة الإنسان، إذ يقول (أى موسى) : «لأن الله قال نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا».[٧]

---

(١) لقد كان يوسابيوس متأثرا بالهرطقة الآريوسية الخاصة بطبيعة المسيح. انظر المقدمة. (٢) إش ٥٣ : ٨

(٣) مت ١١ : ٢٧ (٤) يو ١ : ١ (٥) يو ١ : ٣ (٦) انظر المقدمة (٧) تك ١ : ٢٦

(٥) وأيد هذا القول نبى آخر إذ تحدث عن الله فى مزاميره قائلا : «لأنه قال فكان. هو أمر فصار». [٨]

وهو هنا يبيّن أن الآب الخالق هو مدبر الكل، يأمر بمجرد إشارة ملكيّة، وأن الكلمة الإلهى ثانيه، ليس سوى ما نعلنه نحن، منفذا أوامر الآب. [٩]

(٦) وكل الذين قيل عنهم بأنهم سموا فى البر والتقوى منذ خلقة الإنسان، أى موسى الخادم العظيم، وقبله في المكان الأول إبراهيم وبنوه، والكثيرون من الأبرار والأنبياء الذين ظهروا فيما بعد - هؤلاء جميعا تطلعوا إليه بعيون الذهن النقية، واعترفوا بأنه هو ابن الله، وقدموا إليه العبادة اللائقة به كابن الله.

(٧) أما هو - فإذ لم يغفل التوقير الواجب للآب - فقد أقيم لتعليم معرفة الآب لهم جميعا. فمثلا، قيل أن الرب الإله ظهر كإنسان عادى لإبراهيم إذ كان جالسا عند بلّوطة ممرا[١٠]. على أنه خرّ على وجهه فى الحال، رغم أنه لم ير بعينيه سوى إنسان وسجد له كإله، وذبح له كربّ، واعترف له بأنه لا يجهل شخصيته، وذلك عندما نطق بهذه الكلمات : « أيها الرب ديّان كل الأرض ألا تصنع عدلا». [١١]

(٨) لأنه إن لم يكن معقولا الافتراض بأنه جوهر الله الكلى القدرة، غير المولود، وغير المتغير، قد تغير إلى هيئة إنسان، أو أنه خدع عيون الناظرين بالظهور فى شكل مخلوق، وإن كان غير معقول من الناحية الأخرى الافتراض بأن الكتاب قد ابتدع أو لفق أمورا كهذه عندما رؤى فى شكل إنسان ذلك الإله والرب ديّان كل الأرض ومُجرِى الدينونة، فمن ذا الذى يمكن أن يُدعَى مبدع كل الأشياء سوى كلمته[١٢] الكائن منذ الأزل لو لم يكن شرعيا أن يُدعَى كذلك. من ذا الذى قيل عنه فى المزامير : «أرسل كلمته فشفاهم ونجاهم من تهلكتهم». [١٣]

(٩) وموسى يعلن بكل وضوح أنه رب ثان بعد الآب[١٤] حين يقول : «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب». [١٥] والكتب الإلهية تدعوه أيضا إلها عندما ظهر ثانية ليعقوب فى هيئة إنسان وقال ليعقوب : «لا يُدعَى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت

---

(٨) مز ٣٣ : ٩ ، أو «فإنه قال فكان الخلق وأمر فوُجد» حسب ترجمة اليسوعيين، أو «إنه قال فصارت، وأمر فخُلقت» حسب الترجمة السبعينية. (٩) انظر المقدمة (١٠) تك ١٨ : ١ إلخ (١١) تك ١٨ : ٢٥

(١٢) يسلم يوسابيوس بأن ظهور الله للإنسان فى العهد القديم كان فى ظهور المسيح، أى ظهور الأقنوم الثانى فى الثالوث. وقد ظهر رأى آخر قال بأن الأسفار المقدسة نفسها تعلّم بأن الذى ظهر فى العهد القديم فى مناسبات مختلفة لم يكن هو الكلمة بل ملاك. (١٣) مز ١٠٧ : ٢٠ (١٤) انظر المقدمة (١٥) تك ١٩ : ٢٤

مع الله وقدرت»[١٦] من أجل هذا أيضا دعا يعقوب ذلك المكان «رؤية الله»[١٧] قائلا : «لأننى نظرت الله وجها لوجه ونَجِيَت نفسى».

(١٠) كذلك لا يُقبل الافتراض بأن الظهورات الإلهية كانت ظهورات ملائكة خاضعة أو خدام الله، لأنه فى كل مرة ظهر أحد هؤلاء للبشر لم يخف الكتاب المقدس الحقيقة، بل دعاهم بالاسم، فلم يدْعُ أحد منهم إلها أو ربا، بل ملائكة، كما يسهل البرهان على ذلك بشهادات لا حصر لها.

(١١) ويشوع أيضا، خلف موسى، يدعوه قائدا للملائكة السماوية ورؤساء الملائكة والقوات العلوية، ووكيل الآب أعطيت له الدرجة الثانية[١٨] من السلطة على الكل «رئيس جند الرب»، مع أنه لم يره إلا فى شكل ومظهر إنسان.

(١٢) لأنه مكتوب[١٩] «وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده. فسار يشوع إليه وقال له هل لنا أنت أو لأعدائنا فقال له : كرئيس جند الرب الآن أتيت. فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وقال له : يارب بماذا تأمر عبدك. فقال رئيس جند الرب ليشوع : اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدّس».

(١٣) ومن هذه الكلمات ترون أيضا أن هذا لم يكن سوى ذاك الذى تكلم مع موسى[٢٠] لأن الكتاب يقول فى نفس الكلمات مشيرا إلى نفس الشخص : فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الرب من وسط العليقة وقال له : موسى موسى. فقال : هأنذا. فقال : لا تقترب إلى هنا. اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة. ثم قال له : أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب»[٢١]

(١٤) أما عن وجود شخصية معيّنة كانت عائشة وكائنة قبل العالم، وكانت تخدم الآب[٢٢] وإله الكون لتكوين كل المخلوقات، وهى التى تُدعَى كلمة الله وحكمته، فيمكن إقامة براهين أخرى عليها علاوة على ما سبق اقتباسه، ويمكن أن نتعلم ذلك من فم «الحكمة» نفسها التى تعلن بكل وضوح - على لسان سليمان - الأسرار التالية عن نفسها : «أنا الحكمة سكنت مع الذكاء والمعرفة، وقد بعثت فهما. بى تملك الملوك وتقضى العظماء عدلا. بى يتعالى العظماء، وبى يملك الملوك الأرض».[٢٣]

---

(١٦) تك ٣٢ : ٢٨ (١٧) «فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل» (تك ٣٢ : ٣٠)، ومعنى فنيئيل «وجه الله».

(١٨) انظر المقدمة (١٩) يش ٥ : ١٣ - ١٥

(٢٠) يتفق يوسابيوس مع غيره من الآباء السابقين، سيما يوستينوس الشهيد وأوريجانوس، فى الاعتقاد بأن من ظهر ليشوع هو نفسه الذى ظهر لموسى، على أساس أن نفس الكلمات استُعملَت فى كل من المناسبتين. على أن الكثيرين من الآباء الذين أتوا بعد ذلك يعتقدون بأن من ظهر ليشوع هو رئيس الملائكة ميخائيل الذى وصفه دانيال (١٠ : ٢١ ، ١٢ : ١) بأنه يدافع عن شعب الله. (٢١) خر ٣ : ٤-٦ (٢٢) انظر المقدمة (٢٣) أم ٧ : ١٢ و ١٥ و ١٦

(١٥) وإلى ذلك تضيف : «الرب قنانى أول طريقه من أجل أعماله. قبل العالم أنشأنى. منذ البدء. قبل أن خلق الأرض. قبل أن خلق القمر. قبل أن تقررت الجبال. قبل التلال ولدنى. لما أعد السموات كنت حاضرا معه. ولما وضع أساسات البقاع تحت السماء كنت عنده صانعا. كنت لذته. كل يوم فرحت قدامه كل الأوقات لما فرح بإكمال العالم». [٢٤]

(١٦) وهكذا بيّنا بإيجاز أن الكلمة الإلهى كائن منذ الأزل، وظهر للبعض إن لم يكن للجميع.

(١٧) أما لماذا لم يُكرَز بالإنجيل في العصور القديمة لجميع البشر ولجميع الأمم، كما هو الحال الآن، فسوف يتضح من التأملات التالية.

(١٨) فإن حياة القدماء لم تكن من النوع الذى يسمح لهم بقبول تعاليم المسيح كلية الحكمة وكلية الفضيلة. لأن الإنسان الأول فى البدء مباشرة، بعد حياته الأصلية حياة البركة، احتقر وصية الله، وتردّى إلى هذه الحالة الفانية البائدة، واستبدل نعيمه الأول المعطى من الله بهذه الأرض المثقلة باللعنة. وإذ ملأت ذريته أرضنا برهنوا على أنهم أردأ جدا، سوى واحد هنا وآخر هناك، وعاشوا حياة وحشية لا تطاق.

(١٩) ولم يفكروا فى مدينة أو مملكة، لا فى الفنون ولا فى العلوم. وجهلوا حتى مجرد اسم القوانين أو العدالة أو الفضيلة أو الفسلفة، وقضوا حياتهم فى البرارى كالبدو، وكالحيوانات البرية المفترسة أبادوا العقل الطبيعى فى الإنسان، وبذور التفكير والتربية المغروسة فى النفس البشرية، وذلك بتماديهم فى الشر الاختيارى. وأسلموا أنفسهم كلية لجميع أنواع النجاسة، فكانوا أحيانا يهتكون أعراض بعضهم بعضا، وأحيانا يقتلون بعضهم بعضا، وأحيانا يأكلون اللحوم البشرية، وأحيانا يتجاسرون على إشهار الحرب مع الآلهة والاشتراك فى مواقع الجبابرة الحربية التى يمارسها الجميع، وأحيانا يحاولون تحصين الأرض ضد السماء، وفى جنون الكبرياء الجامح يعدّون هجوما على إله الجميع نفسه. [٢٥]

(٢٠) وبسبب هذه الأمور، عندما سلكوا هذا السبيل، أنزل عليهم الله، المطلع على كل الأشياء، طوفانات ونيرانا، كأنها على غابة برية منتشرة على كل الأرض. وحصدهم بالمجاعات والأوبئة والحروب المستمرة والصواعق من السماء، كأنه قد أراد صد بعض أمراض النفوس المروعة المستعصية بتأديبات أشد قسوة.

---

(٢٤) أم ٨ : ٢٢-٢٥ و ٢٨ و ٣٠ و ٣١

(٢٥) يبدو أنه يشير هنا إلى برج بابل (تك ١١ : ١ - ٩).

(٢١) وبعد هذا، عندما كاد التمادى فى الشر يسود كل الجنس البشرى كنوبة سُكْرٍ شديدة، وغيّم على عقول البشر وأظلمها، فإن حكمة الله، بكر كل خليقة، الكلمة نفسه الكائن منذ الأزل، من فرط حبه للبشر، ظهر لعبيده، أحيانا فى صورة ملائكة، وأحينا أخرى ظهر بشخصه - كقوة الله المخلّصة - لهذا أو ذاك من أولئك الأقدمين الذين تمتعوا بنعمة الله. وعلى أى حال، فإنه لم يظهر إلا فى هيئة إنسان، إذ كان مستحيلا ظهوره بأية طريقة أخرى.

(٢٢) وكما أنه بواسطتهم غُرِسَت بذور التقوى بين عدد وفير من البشر، وبين الأمة بأكملها المنحدرة من العبرانيين، والذين كرّسوا أنفسهم بصفة مستمرة لعبادة الله، فإنه قدّم إليهم بواسطة النبى موسى - كما إلى جماعات لا تزال مدنسة بممارساتها القديمة - صورا ورموزا عن السبت الرمزى وعن الختان، وأمورا أولية عن مبادىء روحية أخرى، ولكنه لم يعطهم معرفة كاملة عن الأسرار نفسها.

(٢٣) وعندما انتشر ناموسهم، وذاع - كرائحة طيبة - بين كل البشر، لانت طباع أغلبية الوثنيين نتيجة لتأثيرهم، وذلك بواسطة المشرعين والفلاسفة الذين قاموا فى كل ناحية، وتبدلت وحشيتهم العنيفة القاسية إلى وداعة، حتى أنهم تمتعوا بالسلام العميق والصداقة والمعاملات الاجتماعية.[٢٦] وأخيرا، عند بدء تكوين الإمبراطورية الرومانية، ظهر مرة أخرى لكل الناس والأمم فى كل العالم الذى كان قد قُدّمَت إليه المساعدة من قبل، والذى كان وقتئذ قد تهيأ لتلقى معرفة الآب، نفس معلم الفضيلة، خادم الآب فى كل الصالحات، كلمة الله السماوى، فى جسد بشرى لا يختلف فى مادته بأى حال عن جسدنا. وقد تمم وتحمل الأمور السابق التنبؤ عنها. لأنه سبق التنبؤ بأنه ينبغى أن يأتى ويسكن فى العالم شخص هو إنسان وإله فى وقت واحد، ويتمم أعمالا عجيبة، ويُظهِر نفسه معلما لكل الأمم عن صلاح الآب. وقد تُنُبِّىءَ أيضا عن طبيعة ميلاده العجيبة، وعن تعليمه الجديد، وعن أعماله العجيبة، وكذا عن كيفية موته، وقيامته من الأموات، وأخيرا عن صعوده الإلهى إلى السماء.

(٢٤) فمثلا إذ رأى دانيال النبى - تحت تأثير روح الله - ملكوته فى نهاية الزمن، أوحى إليه أن يصف الرؤيا الإلهية فى لغة خليقة بالفهم البشرى. فهو يقول : «لأننى رأيت حتى وُضِعَت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدة. نهر نار فاض من قدامه. ألوف ألوف خدمته وربوات ربوات وقفت قدامه. فحدد دينونة وفُتِحَت الأسفار».[٢٧]

---

(٢٦) كان من رأى يوسابيوس، بالاشتراك مع أغلب الآباء، أن فلاسفة اليونان والمشرعين والشعراء استمدوا حكمتهم من قدماء العبرانيين. وقد تمسك الكثيرون بهذه الحقيقة للبرهان على أقدمية المسيحية، سيما فى حالة أفلاطون وفيثاغورس اللذين قيل عنهما أنهما درسا كتب العبرانيين لدى رحلتهما إلى مصر.

(٢٧) دا ٧ : ٩ و ١٠

(٢٥) وأيضـا يقول : «نظرت ورأيت وإذا مـثل ابن إنسـان أتى مع سحب السـماء وأسـرع إلى القديم الأيام فأُحضِرَ فى حـضرته · فأُعطِىَ السلطان والمجد والملكوت · وتتعبد له كل الشـعوب والقبائل والألسنة · سلطانه سلطان أبدى لن يزول وملكوته لا ينقرض» · [٢٨]

(٢٦) وواضح أن هذه الكلمات لا يمكن أن تشير إلا إلى مـخلّصنا، الله الكلمة الذى على البدء كان عند الله، والذى دُعِىَ ابن الإنسان بسبب ظهوره الأخير فى الجسد ·

(٢٧) ولكن طالما كنا قد جـمعنا فى كتب مسـتقلة مختـارات من الأنبياء تتـعلق بمخلّصنا يسوع المسيح، ورتبنا فى شكل منطقى تلك الأمور التى أُعلنَت عنه، فإن ما قيل يكفى فى الوقت الحاضر ·



(٢٨) دا ٧ : ١٣ و ١٤

الفصل الثالث

كان الاسم «يسوع» ، والاسم «المسيح» معروفين من البدء ، ومكرّمين من الأنبياء الملهمين

(١) وهذا هو الآن الموضع المناسب لنبيّن أن الاسم «يسوع»، وأيضا الاسم «المسيح» كانا مكرّمين من الأنبياء الأقدمين محبوبى الله.

(٢) فموسى كان أول من عرّفنا باسم المسيح كاسم جليل مجيد، إذ عندما سلّم رموزا ورسوما عن السماويات، وصورا سرية، وفقا للأقوال الحية التى قالت له : «انظر لكى تصنع كل الأشياء حسب المثال الذى أُظهِرَ لك فى الجبل»[١] فإنه كرّس إنسانا رئيس كهنة لله، حسبما كان ذلك ممكنا، وهذا دعاه مسيحا.[٢] فلهذا المقام الرفيع، مقام رئاسة الكهنوت، الذى بحسب رأيه فاق أجل المراكز بين البشر، أضاف اسم المسيح من أجل المجد والكرامة.

(٣) وتيقّن أنه كانت هنالك ناحية إلهية فى المسيح. ونفس هذا الشخص، إذ سبق فرأى بتأثير روح الله اسم يسوع عظّمه أيضا بامتياز مميز خاص. لأن اسم يسوع الذى لم يُنطَق به قط بين البشر قبل عصر موسى، طبّقه أولا وأخيرا على الشخص الذى عرف أنه مزمع أن يتسلم القيادة العليا بعد موته كرمز ومثال أيضا.

(٤) لذلك دعا خلفه باسم يسوع،[٣] خالعا عليه هذا الاسم كمنحة كريمة أسمى جدا من أى تاج ملكى، مع أنه إلى ذلك الوقت لم يكن يحمل اسم يسوع، بل كان يُدعَى باسم آخر «هوشع» أطلقه عليه أبواه. لأن يسوع نفسه ابن نون كان يحمل رمزا لمخلّصنا على أساس أنه هو وحده، بعد موسى وبعد إكمال العبادة الرمزية التى أعطيت على يديه، سلمت إليه إدارة الديانة الحقيقية النقية.

(٥) وهكذا منح موسى اسم مخلّصنا، يسوع المسيح - علامة على أسمى كرامة - للرجلين اللذين فاقا فى عصرهما سائر الشعب فى الفضيلة والمجد، أى لرئيس الكهنة ولخلفه فى الإدارة.

(٦) ثم أن الأنبياء الذين جاءوا بعده أيضا تنبأوا بوضوح عن المسيح بالاسم، متنبئين فى نفس الوقت عن المؤامرات التى كان الشعب اليهودى سوف يحيكها له، وعن دعوة الأمم بواسطته. فمثلا، يتحدث إرميا هكذا : «قد أخذ الروح، المسيح الرب، من أمام وجهنا لخرابهم، الذى قلنا عنه فى ظله نعيش بين الأمم»[٤] ويقول داود فى حيرة : «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعب فى الباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه»[٥] ثم يضيف إلى ذلك على لسان المسيح نفسه :

---

(١) خر ٢٥ : ٤٠ (٢) كان ماثلا فى ذهن يوسابيوس هنا ما ورد فى لا ٤ : ٥ و ١٦ ، ٦ : ٢٢ حيث وردت هذه العبارة «الكاهن الممسوح». (٣) عد ١٣ : ١٦ (٤) مراثى ٤ : ٢٠ (٥) مز ٢ : ١ و ٢

«الرب قال لى أنت ابنى. أنا اليوم ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأمم ملكا لك». [٦]

(٧) ولم يتوج باسم المسيح بين العبرانيين أولئك فقط الذين تشرفوا برتبة رئاسة الكهنوت، والذين من أجل الرمز كانوا يُمسحون بزيت معد إعدادا خاصا لهذا الغرض، بل الملوك الذين كان الأنبياء يمسحونهم تحت تأثير روح الله، وكأنهم مسحاء مثاليين. لأنهم هم أيضا حملوا فى أشخاصهم رموزا عن السلطة الملكية السامية التى للمسيح الحقيقى الواحد، الكلمة الإلهى مدبّر الكل.

(٨) وقيل لنا أيضا بأن أنبياء معيّنين صاروا هم أنفسهم، بفعل المسحة، مسحاء رمزيين. وهكذا كان جميع هؤلاء يشيرون إلى المسيح الحقيقى الكلمة الإلهى السماوى، الذى هو رئيس كهنة الجميع الوحيد، والملك الوحيد على كل خليقته، ونبى الأنبياء العظيم الوحيد الذى للآب.

(٩) والدليل على ذلك أنه لم يوجد أى واحد من هؤلاء الذين مُسحوا فى القديم مسحة رمزية، سواء كانوا كهنة أو ملكا أو أنبياء، من كانت له سلطة عظيمة لِبَثّ الفضيلة كما ظهر فى مخلّصنا وربنا يسوع المسيح الحقيقى الوحيد.

(١٠) لم يوجد واحد فيهم على الأقل، مهما سمت رفعتهم وكرامتهم أجيالا عديدة بين شعبهم، من أعطى أتباعه اسم المسيحيين نسبة لاسم المسيح الذى تسموا به، ولا أعطيَت كرامة إلهية لأى واحد منهم من رعيته. ولا وُجد أتباعهم بعد موتهم مستعدين للموت من أجل من كرموه. ولا قامت ثورة بين كل أمم الأرض إجلالا لأى واحد فى ذلك العصر. لأن مجرد الرمز لم يكن ممكنا أن يعمل بينهم بمثل تلك القدرة مثل الحق نفسه الذى ظهر فى مخلّصنا.

(١١) أما هو، فرغما عن أنه لم يستلم أية رموز أو أمثلة لرئاسة الكهنوت من أى شخص، ورغم أنه لم يولد من جنس كهنوتى، ورغم أنه لم يُرفَع إلى المُلْك بحراس حربيين، ورغم أنه لم يكن نبيا كأنبياء القِدَم، ورغم أنه لم ينل كرامة أو رفعة بين اليهود، ورغم كل ذلك، فإنه كُلّل من الآب بكل شىء، وإن لم يكن قد كُلّل بالرموز فقد كُلّل بالحق نفسه.

(١٢) بالرغم من أنه لم ينل كرامة بين أولئك السابق ذكرهم، فقد دُعى مسيحا أكثر منهم جميعا. وكمسيح الله الحقيقى الوحيد ملأ كل الأرض بذلك الاسم السامى المقدس الجليل الشأن «مسيحيين»، ولم يعد يعطى أتباعه مجرد رموز وأمثلة، بل الفضائل الجليلة نفسها، وحياة سماوية فى نفس تعاليم الحق.

(٦) مز ٢ : ٧ و ٨

(١٣) ولم يُمسَح بزيت معد من مواد مادية، بل بروح الله نفسه، كما يليق باللاهوت، وذلك بالاشتراك فى لاهوت الآب غير المولود، وهذا ما نادى به أيضا إشعياء، الذى يصرخ كما بلسان المسيح نفسه : «روح الرب علىّ، لذلك مسحنى· أرسلنى لأكرز بالإنجيل للمساكين لأنادى للمساكين بالعتق وللعمى بالبصر»·[٧]

(١٤) وليس إشعياء فقط، بل هو ذا داود أيضا يخاطبه قائلا : «كرسيك ياالله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب مُلكك· أحببت البر وأبغضت الإثم· من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك»[٨] وهنا يدعوه الكتاب إلها فى الآية الأولى، وفى الثانية يكرّمه بقضيب ملكى·

(١٥) وبعد ذلك بقليل، بعد السلطة الإلهية والملكية، يمثله ثالثة بأنه أصبح مسيحا إذ مُسح، لا بزيت مصنوع من مواد مادية، بل بدهن الابتهاج الإلهى· وهكذا يوضح كرامته الخاصة التى تسمو جدا وتختلف عن كرامة أولئك الذين، كرموز، مُسحوا قديما بطريقة مادية·

(١٦) وفى موضع آخر يتحدث عنه نفس الكتاب كما يلى : «قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك»[٩] وأيضا : «من الرحم قبل كوكب الصبح ولدتك أقسم الرب ولن يندم· أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق»·[١٠]

(١٧) أما ملكى صادق هذا فقد برز فى الكتب المقدسة ككاهن الله العلىّ،[١١] لم يُمسَح بأى زيت معد إعدادا خاصا، ولا يتصل فى نسبه بكهنوت اليهود· لذلك فعلى رتبته، لا على رتبة الآخرين الذين نالوا الأمثلة والرموز، نودى بمخلّصنا باسم مسيحا وكاهنا·

(١٨) والتاريخ لا يروى لنا أن اليهود مسحوه بطريقة مادية منظورة،أو أنه كان من سلالة الكهنة· بل إنه أتى إلى الوجود من قِبَلِ الله نفسه، كوكب الصبح، أى قبل تكوين العالم، وأنه نال كهنوتا لا يفنى ولا يضمحل إلى الأجيال الدهرية·

---

(٧) إش ٦١ : ١ ، يتبع يوسابيوس كعادته الترجمة السبعينية التى تختلف اختلافا بسيطا فى هذه الآية عن الترجمات العادية·

(٨) مز ٤٥ : ٦ و ٧ (٩) مز ١١٠ : ١ (١٠) مز ١١٠ : ٣ و ٤

(١١) انظر تك ١٤ : ٨ ؛ عب ٥ : ٦ و ١٠ ، ٦ : ٢٠ ؛ قض ٧

(١٩) وإنه لَبُرهان قوى مـقنع على مسحته الإلهية غـير المنظورة أنه هو وحده من جـميع الذين وُجدوا الذى لا يزال إلى اليوم يُدعَى مسيحا بواسطة جميع البشر فى كل العالم، ويعترف ويشهد له بهذا الاسم، ويحيى ذكره كل من اليـونانيين والبرابرة، وإلى اليوم يكَرّم كملك بواسطة أتبـاعه فى كل العالم، ويُعجَب به كأفضل من نبى، ويُمـجّد كرئيس كهنة الله الحقيقى الوحيد،[١٢] وفـضلا عن كل هذا، فقد نال كرامة سامية جدا من الآب ككلمة الله الأزلى الوجود، الكائن قبل كل الدهور، وهو يُعبَد كإله.

(٢٠) والأعـجـب من كل هـذا أننا نحن الذيـن كرّسنا ذواتنا له نـكرّمه، ليس فـقط بأصـواتنا وبالكلام، بل أيضا بسمو الروح الكامل، حتى إننا نفضل الشهادة له عن الاحتفاظ بحياتنا.

(٢١) كان لزاما علىّ التمهيد لتـأريخى بهذه الأمور لكى لا يتوهم أحد - من مجرد الحكم على تاريخ تجسده - أن مخلّصنا وربنا يسوع المسيح، لم يأت إلى الوجود إلا حديثا.



(١٢) هنا يتحدث يوسابيوس عن وظائف المسيح الثلاثة.

الفصل الرابع

لم تكن الديانة التى نادى بها لكل الأمم جديدة أو غريبة

(١) ولكى لا يتوهم أحد أن تعاليمه جديدة أوغريبة، كأنها من صنع إنسان نشأ حديثا ولا يختلف عن سائر البشر، فلنتأمل بإيجاز فى هذه النقطة أيضا.

(٢) من المسلم به أنه فى الأزمنة الحديثة، لما أصبح ظهور مخلّصنا يسوع المسيح معروفا لكل البشر، ظهرت فى الحال أمة جديدة، أمة نعترف أنها ليست صغيرة، ولا تعيش فى زاوية مجهولة من الأرض، بل أوفر كل الأمم عددا وأشد تقوى، غير قابلة للفناء، ولا يمكن أن تُقهر، لأنها تنال العون دوما من الله. وهذه الأمة التى ظهرت هكذا بغتة فى الوقت المحدد بمشورة الله غير المفحوصة، هى التى يكرّمها الجميع باسم المسيح.

(٣) وعندما رأى مقدما أحد الأنبياء، بعين روح الله، ما كان ينبغى أن يكون، ذُهل منه حتى أنه صرخ : «من سمع مثل هذا. من تكلم مثل هذا. هل وُلدت الأرض فى يوم واحد. أو تولد أمة دفعة واحدة».[١] ونفس النبى يعطى فكرة أيضا عن الاسم الذى كان ينبغى أن تسمى به الأمة عندما يقول : «ويسمى عبيدى اسما جديدا سيكون مباركا على الأرض».[٢]

(٤) وبالرغم من أنه واضح أننا حديثون، وأن هذا الاسم الجديد للمسيحيين لم يُعرَف فعلا بين كل الأمم إلا حديثا، فإن حياتنا وتصرفاتنا وتعاليم ديانتنا لم تُخترَع حديثا بواسطتنا، بل أُسِّسَت منذ أول خلقة الإنسان بالذهن الطبيعى الذى لرجال القدم محبوبى الله. وسنبين حقيقة هذا الأمر بالطرق التالية.

(٥) من المعروف للجميع أن أمة العبرانيين ليست جديدة، بل هى مكرّمة من الجميع على أساس قدَمِها. فكُتُب وكتابات هذا الشعب تتضمن أوصافا عن قدماء البشر. صحيح أنهم نادرون وقليلو العدد، ولكنهم رغم ذلك يتميزون بالتقوى والبر وكل فضيلة أخرى. من هؤلاء عاش بعض الأفاضل قبل الطوفان، وغيرهم من أبناء وذرية نوح عاشوا بعد الطوفان، من ضمنهم إبراهيم الذى يعترف به العبرانيون بأنه مؤسسهم وجدهم.

(٦) إن أكد أحد بأن كل الذين تمتعوا بشهادة البر - من إبراهيم نفسه فصاعدا إلى الإنسان الأول - كانوا مسيحيين بالفعل إن لم يكن بالاسم فإنه لا يكون قد تعدى الحقيقة.[٣]

---

(١) إش ٦٦ : ٨ (٢) إش ٦٥ : ١٥ و ١٦ (٣) قارن ذلك بما ورد فى احتجاجات يوستينوس الشهيد ٥٠ : ٤٦

(٧) لأن مدلول الاسم أن المسيحى، بسبب معرفة وتعليم المسيح، يتميز بالاعتدال والبر، بالصبر فى الحياة وفضيلة الرجولة، وبتقوى الواحد الوحيد إله الكل - كل هذا مارسوه بغيرة ليست أقل منا.

(٨) فإنهم لم يهتموا بختان الجسد، كذلك نحن أيضا. ولم يهتموا بحفظ السبت، كذلك نحن أيضا. ولم يتجنبوا أنواعا معيّنة من الطعام، ولا راعوا الحواجز الأخرى التى سلمها موسى أولا لذريتهم لحفظها كرموز، كذلك لا يبالى مسيحيو اليوم الحاضر بمثل هذه الأمور. ثم إنهم أيضا عرفوا بوضوح مسيح الله ذاته، لأنه.قد تبيّن فعلا أنه لإبراهيم، وأعلن لإسحق رؤى، وتحدث مع يعقوب، وناجى موسى وتكلم مع الأنبياء الذين جاءوا بعده.

(٩) من ثم ترون أن أولئك الأشخاص محبوبى الله قد أُكرِموا باسم المسيح طبقا للفقرة التى تقول عنهم : «لا تمسوا مسحائى ولا تؤذوا أنبيائى». [٤]

(١٠) من ذلك يتضح أنه من الضرورى أن نفهم بأن الديانة التى كُرِّز بها أخيرا لكل الأمم بتعاليم المسيح هى أول وأقدم كل الديانات، وهى التى اكتشفها أولئك الرجال محبوبو الله فى عصر إبراهيم.

(١١) فإن قيل بأن إبراهيم بعد ذلك بحقبة طويلة قد أُعطِىَ وصية الختان، أجبنا بأنه بالرغم من هذا قد أعلن من قبل بأنه نال شهادة التبرير بالإيمان، كما تقول الكلمة الإلهية : «فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا». [٥]

(١٢) والواقع أن الله (المسيح ذاته كلمة الله) الذى أعلن ذاته لإبراهيم، الذى كان قبل ختانه مبرّرا، أعطاه نبوة عن الذين يتبررون فى العصور التالية بنفس الطريقة التى تبرر بها هو. وكانت النبوة فى هذه الكلمات : «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض». [٦] وأيضا : يكون أمة عظيمة وكثيرة العدد. ويتبارك به جميع أمم الأرض». [٧]

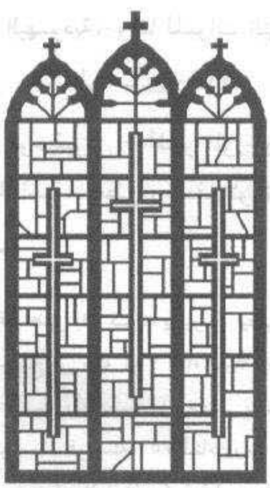
(١٣) ويحق لنا أن نفهم بأن هذه تمت فينا. لأنه إذ ترك خرافات آبائه، وغلطة حياته السابقة، واعترف بإله الكل الواحد، وعبده بأعمال الفضيلة لا بخدمة الناموس الذى أُعْطِىَ فيما بعد على يد موسى، فإنه تبرر بالإيمان بالمسيح كلمة الله الذى ظهر له؛إذ قيل لمن اتشح بهذه الصفات أن فيه تتبارك جميع قبائل وأمم الأرض.

---

(٤) ١ أى ١٦ : ٢٢ ؛ مز ١٠٥ : ١٥ (٥) تك ١٥ : ٦ (٦) تك ١٢ : ٣ (٧) تك ١٨ : ١٨

(١٤) على أن نفس ديانة إبراهيم هذه ظهرت مرة أخرى فى العصر الحاضر، متمّمة بالأعمال، وهى أكثر فاعلية من الكلام، بواسطة المسيحيين وحدهم فى كل العالم.

(١٥) فما الذى يمنعنا إذن من الاعتراف بأننا، نحن الذين للمسيح، نحيا نفس حياة رجال القِدَم محبوبى الله ونحتفظ بنفس ديانتهم؟ ومن ذلك يتضح بأن الديانة الكاملة المسلّمة إلينا بتعاليم المسيح ليست جديدة ولا غريبة، بل - إن كان لابد من إظهار الحق - هى الديانة الأولى الحقيقية. ولعل فى هذا القدر الكفاية فى هذا الصدد.



الفصل الخامس

وقت ظهوره بين البشر

(١) والآن، وبعد هذه المقدمة الضرورية لمؤلفنا التاريخى، الذى شرعنا فى كتابته عن الكنيسة، نستطيع البدء فى رحلتنا، مبتدئين بظهور مخلّصنا فى الجسد. ونحن نلجأ إلى الله، أبى الكلمة، وإلى من كنا نتحدث عنه، يسوع المسيح نفسه مخلّصنا وربنا، كلمة الله السماوى، كمعين لنا وعامل معنا فى سرد الحق.

(٢) كان فى السنة الثانية والأربعين من حكم أوغسطس،[١] وفى السنة الثانية والعشرين، بعد إخضاع مصر وموت أنطونيوس وكليوباترا، اللذين انتهت بموتهما أسرة البطالسة فى مصر، أن مخلّصنا وربنا يسوع المسيح ولد فى بيت لحم اليهودية، وفقا للنبوات التى تحدثت عنه.[٢] وقد تمت ولادته أثناء الإحصائية الأولى، إذ كان كيرينيوس واليا على سورية.[٣]

(٣) ويذكر أيضا فلافيوس يوسيفيوس - أشهر المؤرخين العبرانيين - هذه الإحصائية التى تمت مدة حكم كيرينيوس. وفى نفس المناسبة، يعطى وصفا لثورة الجليليين التى حدثت فى ذلك الوقت،

---

(١) يفترض يوسابيوس هنا أن حكم أوغسطس بدأ بموت يوليوس قيصر كما يقرر يوسيفوس فى فصل ٩ : ١ من هذا الكتاب. لذا فهو يحدد تاريخ ميلاد المسيح فى سنة ٧٥٢ لبناء مدينة رومية (أى سنة ٢ ق.م.)، وهذا يتفق مع ما قرره أكليمنضس الإسكندرى الذى قال بأن المسيح ولد بعد غزو مصر بثمانية وعشرين سنة، ومع أبيفانيوس أيضا. أما إيريناوس وترتليانوس فيقرران بأن المسيح ولد فى سنة ٧٥١ لبناء رومية (أى سنة ٣ ق.م.). وعلى أى حال، فقد كثر النزاع حول تحديد تاريخ ميلاد المسيح. ولكنه لابد أن يكون قبل موت هيرودس الذى حدث فى ربيع سنة ٧٥٠ لبناء رومية (أى سنة ٤ ق.م.). ويرجح البعض أنه ولد سنة ٧ ق.م.
ويحدد بعض مؤرخى الكنيسة القبطية يوم الميلاد بأنه تم فى يوم ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) الموافق ٢٨ كيهك (الخريدة النفيسة، ص ١٦).

(٢) مى ٥ : ٢

(٣) لو ٢ : ٢ - يظن البعض أن فى رواية لوقا صعوبة تاريخية على أساس أن كيرينيوس أقيم واليا على سورية سنة ٦م، وفى عهده أجرى إحصاء ذكره يوسيفوس (١٧ : ١٣ و ١٨ : ١). وهذا الإحصاء أو الاكتتاب هو المشار إليه فى (أع ٥ : ٣٧)، وهو الذى تم بعد ولادة المسيح بنحو عشر سنوات، وأنه ليس هو الذى أشار إليه لوقا فى إنجيله (٢ : ٢). على أن العالمين «زَمْبت» Zumpt و «مومّسين» Mommsen أثبتا أنه قد وُلّىَ الحكم على سورية واليان باسم كيرينيوس الأول فى خريف سنة ٤ ق.م. حتى سنة ١ ق.م.

والتى يرويها أيضا من كتّابنا لوقا فى سفر الأعمال فى الكلمات التالية : «بعد هذا الرجل قام يهوذا الجليلى فى أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعبا غفيرا. فذلك أيضا هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا».[٤]

(٤) أما المؤلف المشار إليه بعاليه فإنه، فى الكتاب الثامن عشر من «الآثار القديمة»، يضيف العبارة التالية التى تتفق تماما مع ما تقدم، والتى نثبتها هنا بدقة : «إن كيرينيوس، وهو عضو مجلس الشيوخ، وتقلد مناصب أخرى حتى وصل إلى وظيفة القنصلية، وهو أيضا رجل جليل القدر من نواح أخرى، هذا جاء إلى سورية مع حاشية قليلة إذ أرسله قيصر ليكون قاضيا للأمة وليعمل تقديرا لأملاكهم.[٥]

(٥) وبعد قليل يقول : «ولكن يهوذا الجولونى[٦] وكان من مدينة تدعى جمالا (Gamala)، إذ أخذ معه صادوخوس الفريسى - حرض الشعب على الثورة، وقال كلاهما إن دفع الضرائب لا يعنى إلا العبودية الصريحة، حاثين الأمة للدفاع عن الحرية».

(٦) وفى كتابه الثانى عن «تاريخ حرب اليهود»، كتب ما يلى عن نفس الشخص : «فى هذا الوقت قام شخص جليلى يدعى يهوذا، وأقنه شعبه ليثوروا، معلنا بأنهم إن قبلوا دفع الجزية للرومانيين، وإن احتملوا أسيادا فانيين من دون الله دلوا على أنهم جبناء». هذا ما دونه يوسيفوس.[٧]



(٤) أع ٥ : ٣٧

(٥) يوسيفوس : آثار : ١٨ : ١ : ١ . انظر كتاب ٣ فصل ٩ من هذا الكتاب لتعرف أكثر عن يوسيفوس وكتاباته .

(٦) Gaulonite دعى «يهوذا الجليلى» فى (أع ٥ : ٣٧) ويوسيفوس «حروب اليهود» ٢ : ٨ : ١ ، أما هنا فيلقبه يوسيفوس بلقبه الكامل. وكانت جولونيا Gaulonitis تقع شرق الأردن تجاه الجليل، وكان الاسم الذى اشتهر به هو «يهوذا الجليلى»، إما لأن الثورة التى قام بها نشأت فى الجليل، أو لأن القسم الشمالى من المملكة كان يطلق عليه اسم «الجليل». وكان شخصية فذة التف حوله عدد غفير، وقد أعلن باسم الدين رفضه دفع الجزية إلى روما، كما رفض كل خضوع لأى نير أجنبى. وانتشرت الثورة بكل سرعة، وسادت الفوضى كل البلاد، ولكن الرومانيين كانوا أقوى منه فهلك، والذين انقادوا إليه تشتتوا. ولقد كان تأثير يهوذا قويا جدا واستمر طويلا حتى أن يوسيفوس دعا نزعته «فلسفة اليهود الرابعة» بعد تعاليم الفريسيين والصدوقيين والإسينيين. وكان مميز هذه النزعة حب الحرية .

(٧) «حروب اليهود» ٢ : ٨ : ١ .

الفصل السادس

حوالى عصر المسيح بطل عهد الحكام الذين حكموا الأمة اليهودية بالتتابع منذ القدم، وذلك وفقا للنبوة ، وملك هيرودس، وهو أول أجنبى

(١) لما ملك هيرودس،[١] وهو أول حاكم من دم أجنبى، تمت نبوة موسى، التى بموجبها «لا ينعدم رئيس من يهوذا ولا حاكم من بين رجليه حتى يأتى ذاك الذى قد حفظ له».[٢] ويبين أيضا أن هذا الأخير كان هو انتظار الأمم.

(٢) بقيت هذه النبوة بغير إتمام طالما كان مسموحا لهم بأن يعيشوا تحت حكم ولاة من أمتهم، أى من وقت موسى إلى حكم أوغسطس. وتحت حكم الأخير أعطى لهيرودس، أول أجنبى حكم مملكة اليهود من قبل الرومانيين، وقد كان، كما يروى يوسيفوس، أدوميا[٣] من جهة أبيه، وعربيا من جهة أمه. ولكن أفريكانوس،[٤] الذى كان أيضا كاتبا ممتازا، يقول إن الذين كانت لديهم عنه معلومات أدق يقررون بأنه كان ابن أنتيباتر، وهذا الأخير هو ابن شخص يدعى هيرودس من أهالى أشقلون[٥] وأحد المدعوين خداما فى هيكل أبولّو.

---

(١) هيرودس العظيم ابن انتيباتر، وهو أدومى. وقد عُين واليا على اليهودية من قِبل قيصر سنة ٤٧ ق.م. وفى سنة ٤٠ ق.م. عينه مجلس الشيوخ حاكما على الجليل وملكا على اليهودية.

(٢) تك ٤٩ : ١٠ وهنا تختلف الترجمة السبعينية، التى يقتبس منها يوسابيوس كعادته، عن سائر الترجمات.

(٣) الأدوميون هم سلالة عيسو، وسكنوا شبه جزيرة سيناء جنوب البحر الميت. وكانت أهم وأقوى مدينة لهم هى المدينة الصخرية «بترا». وكانوا أعداء لليهود بصفة مستمرة. فقد رفضوا أن يسمحوا لهم باجتياز أرضهم (عد ٢٠ : ٢٠) وتغلب عليهم شاول وداود، ولكنهم استردوا استقلالهم إلى أن أخضعوا خضوعا كاملا نهائيا بواسطة يوحنا هيركانوس الذى ترك لهم امتلاك أرضهم ولكنه اضطرهم أن يختتنوا ويقبلوا الناموس اليهودى. انظر يوسيفوس «آثار» ١٣ : ٩ : ١، ١٥ : ٧ : ٩ ، «تاريخ حروب اليهود» ٤ : ٥.

(٤) بخصوص أفريكانوس: انظر كتاب ٦ فصل ٣١ من هذا الكتاب. وقد ورد هذا الوصف فى رسالة أفريكانوس إلى اريستيدس واقتبسه يوسابيوس فى الفصل التالى.

(٥) إحدى مدن الفلسطينيين الخمسة، وطالما ذُكرت فى العهد القديم، وتقع على البحر الأبيض المتوسط بين غزة ويافا. وقد جملها هيرودس رغم أنها لم تكن تابعة له، وبعد موته صارت مقرا لاخته سالوما.

(٣) أما أنتيباتر هذا فإنه لما كان ولدا أسره بعض لصوص أدوميين وعاش معهم، لأن أباه عجز عن دفع فدية عنه لفقره. وإذ شب على عوائدهم، صار فيما بعد صديقا لهيركانوس[٦] رئيس كهنة اليهود، وكان هيروس هذا - الذى عاش فى أيام مخلّصنا - ابنا له.

(٤) ولما آلت مملكة اليهود إلى شخص كهذا، كان رجاء الأمم قد اقترب وفقا للنبوة. لأنه بملكه وضع حدا لرؤسائهم وحكامهم الذين حكموا بتتابع مستمر منذ أيام موسى.

(٥) فإنهم قبل سبيهم ونقلهم إلى بابل، كان يحكمهم شاول أولا ثم داود، وقبل الملوك كان يحكمهم قادة يدعون قضاة، وهم الذين أتوا بعد موسى ويشوع خلفه.

(٦) وبعد عودتهم من السبى استمروا محتفظين بلا انقطاع بنوع أرستقراطى من الحكم مع حكم الأعيان، لأن الكهنة كانوا يديرون الشئون حتى احتل بومبى القائد الرومانى أورشليم بالقوة، ودنس الأماكن المقدسة بدخوله قدس أقداس الهيكل الداخلى.[٧] وأرسل أرستوبولس - الذى بحسب حق الخلافة القديمة كان إلى ذلك الوقت ملكا ورئيس كهنة مع أولاده إلى رومية فى سلاسل، وأعطى هيركانوس أخ ارستوبولس رئاسة الكهنوت، بينما صارت كل أمة اليهود تحت حكم الرومانيين منذ ذلك الوقت.[٨]

(٧) على أن هيركانوس، الذى كان آخر سلالة رؤساء الكهنة الشرعيين، سرعان ما أسره بعد ذلك البرثيون،[٩] وصار هيرودس - أول أجنبى كما قدمت - ملكا على الأمة اليهودية بواسطة مجلس الشيوخ وبواسطة أوغسطس.

---

(٦) هيركانوس الثانى، الابن الاكبر للملك إسكندريانوس من عائلة المكابيين، صار رئيس كهنة لدى موت أبيه سنة ٧٨ق.م.. وعند موت أمه سنة ٦٩ ق.م. اعتلى العرش. ولكنه تنازل عن الملك لأخيه الأصغر أرسطوبولس سنة ٦٦ ق.م.. وبتأثير أنتيباتر الأدومى حاول استرداده، وبعد حرب طويلة مع أخيه أقامه بومبيوس فى سنة ٦٣ ق.م. كرئيس كهنة ووال لا كملك. وقد احتفظ بمركزه حتى سنة ٤٠ ق.م. حيث طرده ابن أخته أنتيجونس. وفى سنة ٣٠ ق.م. قُتل بأمر هيرودس الكبير الذى تزوج حفيدته مريمن. وقد كان رجلا ضعيفا، ظل تحت نفوذ خادمه أنتيباتر طول مدة حكمه.

(٧) سنة ٦٣ ق.م.. حينما دفع حب الاستطلاع بومبى للتهجم على قدس الأقداس. وقد أثرت فيه جدا بساطته، وخرج دون أن يمس نفائسه، متعجبا من تلك الديانة التى ليس لها إله منظور.

(٨) بطل فعلا الاستقلال الحقيقى لليهود فى ذلك الوقت، ولم تصر أورشليم مستقلة عن روما إلا ثلاث سنوات (٤٠-٣٧ ق.م.) ولكن سرعان ما استعادها هيرودس الكبير، فصارت من ذلك الوقت فى خضوع تام للرومانيين.

(٩) أى فى سنة ٤٠ ق.م. عندما أخذ انتيجونس أورشليم بمساعدة البرثيين وأقام نفسه ملكا عليها إلى أن قهره هيرودس سنة ٣٧ ق.م.. وقد عاد هيركانوس إلى أورشليم سنة ٣٦ ق.م.. ولكنه لم يبق بعد رئيس كهنة.

(٨) فى عهـده ظهر المسيح فى شكـل جسدى، وتبع ذلك خـلاص الأمم المنتظر ودعوتها وفـقا للنبوة. [١٠] من ذلك الوقت انتـهى زمن رؤساء وحكام يهوذا، أعنى الأمـة اليهودية، وكنتيـجة طبيعـية تسربت الفوضى[١١] فى الحال إلى وظيـفة رئاسة الكهنوت التى استمرت فى خلافة مـتتابعة بكل انتظام من جيل إلى جيل منذ القديم.

(٩) يشهد بهذا أيضا يوسيفوس، الذى يبين بأنه عندما أقام الرومانيون هيرودس ملكا لم يعد بعد يعين رؤساء الكهنة من السلالة القديمة، بل أعطى الوظيفة لبـعض أشخاص خاملى الذكر، وقد سار على تقليد هيرودس فى تعيين الكهنة ابنه ارخيلاوس[١٢] والرومانيون من بعده الذين تولوا الحكم. [١٣]

(١٠) ويبين نفس الكاتب أن هيـرودس كان أول من أغلق على رداء رئيس الكهنة بختـمه، ولم يسـمح لرؤساء الكهنة أن يحـتفظوا بـه لأنفسـهم. ونفس التقليـد اتبعـه أرخيـلاوس من بعده، وبـعد أرخيلاوس الرومانيون.

(١١) هذه الأمور سجلناها لنبين أنه بظهور مخلّصنا يسـوع المسيح تمت نبوة أخرى، لأن الكتاب المقدس فى سفر دانيال[١٤] بعد أن ذكر بصراحة عددا معينا من الأسابيع حتى مجىء المسيح، الأمر الذى عالجناه فى كتب أخرى، تنبأ بكل وضوح أنه بعد إكمال هـذه الأسابيع تتلاشى المسحة بين اليهود نهائيا. وقد بيّنا بوضوح تام أن هذا ما تم وقت ولادة مخلّصنا يسوع المسيح.

وكان لزاما علينا أن نأتى بهذه المقدمة المنطقية كبرهان على صحة الأزمنة.

(١٠) (انظر اش ٩ : ٢ ؛ ٤٢ : ٦ ؛ ٤٩ : ٦ الخ).

(١١) إن ما قرره يوسابيوس صحيح جدا. فإن رئاسة الكهنوت ظلت مـحتفظة بدقة تسلسلها حتى هيركانوس الثانى؛ وهو آخر واحد فـى السلسلة الشرعية. وبعـد ذلك أصبح رئيس الكهنة يعين حسـبما كان يحسـن فى نظر الولاة. وقد بدأ هيرودس الكبير بعادة عزل رئيس الكهنة فى حياته، وفى مدته عيّن ما لا يقل عن ستة رؤساء كهنة.

(١٢) أرخيلاوس هو ابن هيرودس الكبير من مالتاكة امرأة سامـرية، والأخ الأصغر لهيرودس انتيباس. وعند موت أبيه سنة ٤ ق.م. ولّىَ حكم أدومية والسامرة واليهودية.

(١٣) بعد موت أرخيـلاوس سنة ٧م أصبحت اليهودية ولاية رومانيـة يحكمها حاكم فرعى إلى أن جـاء هيرودس أغريباس الأول سنة ٣٧م، انظر الكتاب التالى فصل ٤ فـيما يلى. وكان تغيير رؤساء الكهنة فى هذه الفتـرة سريعا جدا، حتى لقد أقيم ١٩ رئيس كهنة على الأقل بين موت أرخيلاوس وسقوط أورشليم.

(١٤) دا ٩ : ٢٦.

الفصل السابع

التناقض المزعوم فى الأناجيل بصدد نَسَب المسيح

(١) لقد أعطانا متى ولوقا فى إنجيلَيْهما نَسَب المسيح، كل منهما بطريقة مختلفة، ويتوهم الكثيرون أنهما يتناقضان مع بعضهما. وحيث أنه نتج عن ذلك أن كل مؤمن، وهو يجهل الحق، قد تحمس لابتداع تفسير يوفق بين الروايتين، فاسمحوا لنا أن نذيّل الوصف الذى وصل إلينا والذى قدمه أفريكانوس، السابق ذكره فيما تقدم، فى رسالته إلى أريستيديس[١] حيث يبين توافق سلسلتى النسب الواردتين فى الإنجيلين. وبعد دحض آراء الآخرين كآراء مزورة ومضللة، يقدم الوصف الذى تلقاه من التقليد[٢] فى هذه الكلمات :

(٢) «ونظرا لأن أسماء الأنساب كانت تراعَى فى إسرائيل إما وفقا للطبيعة، أو وفقا للناموس - وفقا للطبيعة بتعاقب الذرية الشرعية، ووفقا للناموس كلما أقام شخص آخر نسلا لاسم أخيه الذى مات بلا نسل.[٣] لأنه إذ لم يكن قد أُعْطِىَ بعد رجاء واضح عن قيامة الأموات، فقد مثلوا وعد المستقبل بنوع من القيامة البشرية لكى يستمر أسم الشخص المائت.

(٣) «ونظرا لأن بعض الذين أُدرِجوا فى قائمة النسب هذه تسلسلوا بحسب النسل الطبيعى، الابن من الأب، أما الآخرون فبالرغم من ولادتهم من أب معيّن قد نُسِبوا إلى غيره، فقد ذكر هذا وذاك، ذكر الآباء الفعليون كما ذكر الآباء الاسميون.

---

(٢) بخصوص أفريكانوس: انظر كتاب ٦ فصل ٣١. ولعل محاولة أفريكانوس كانت هى أول مجهود للتوفيق بين نَسَبىّ المسيح. وفى اعتقاده أن النسبين هما ليوسف، وكان هذا هو الرأى السائد على جميع الآباء فى القديم، ولو أن التناقض الظاهرى أمكن إيجاد أسبابه كما يقول. أما السبب الذى قدمه أفريكانوس فهو ناشىء عن ناموس الزواج بزوجة الأخ بعد موته.

وإن صح ان كلا النسبين يتصلان بيوسف، فأن أحسن تعليل لهذا هو أن السلسلة التى ذكرها متى تمثل السلالة للخلفاء الشرعيين لعرش داود، أما لوقا فيبين سلسلة التناسل الفعلى، وهنالك رأى آخر هو أن لوقا يبين نسب مريم. ولزيادة الإيضاح يمكن الرجوع إلى التفاسير المختلفة عن نسب المسيح.

(٢) لعل يوسابيوس أخطأ فى قوله أن أفريكانوس تلقى التفسير التالى من التقليد. لأن أفريكانوس نفسه يقول صراحة فى الفقرة (١٥) التالية أن تفسيره لا تدعمه الشهادة.

(٣) هذا الناموس مفصل فى (تث ٢٥ : ٥ الخ).

(٤) «لذلك لا يمكن نسبة أى خطأ لأحد الإنجيليين، لأن الواحد نظر إلى التناسل بالطبيعة والآخر بالناموس. فسلسلة التناسل من سليمان وسلسلة التناسل من ناثان[٤] مشتبكتان فى بعضهما بسبب أقامة نسل لمن لا نسل له وبسبب الزيجة الثانية حتى أن نفس الأشخاص يعتبرون بحق تابعين لواحد فى أحد الأوقات وللآخر فى وقت آخر، أى فى أحد الأوقات للآباء الاسميين وفى وقت آخر للآباء الفعليين.

«ولذلك فان كلتا هاتين الروايتين صحيحتان جدا، وتتصلان بيوسف وان كان فيهما شيء من التعقيد فعلا إلا أنهما فى منتهى الدقة.

(٥) «ولتوضيح ما قلته سأفسر تعاقب الأجيال. إذا أحصينا الأجيال من داود عن طريق سليمان وجدنا الثالث قبل الأخير هو متان الذى ولد يعقوب أبا يوسف. أما إذا أحصيناها مع لوقا من ناثان بن داود وجدنا أيضا الثالث قبل الأخير هو ملكى[٥] الذى كان ابنه هالى أبا يوسف. لأن يوسف هو ابن هالى بن ملكى.

(٦) «ولأن يوسف هو العنصر الرئيسى أمامنا وجب أن نوضح كيف دوّن أن كلا منهما أبوه، أى يعقوب الذى تناسل من سليمان، وهالى الذى تناسل من ناثان، أولا كيف كان هذان الأثنان يعقوب وهالى أخين، وثانيا كيف كان أبواهما متان وملكى جدين ليوسف وإن كانا من عشيرتين مختلفتين.

(٧) «فإن متان وملكى إذ تزوجا امرأة واحدة على التعاقب ولدا ولدين كانا أخوين من جهة الأم. لأن الناموس لم يحرم على الأرملة - سواء كانت أرملة بالطلاق أو بموت بعلها - التزوج بآخر.

(٨) «أذن فمن أستا[٦] (لأن هذا هو اسم المرأة وفقا للتقليد) ولد متان (وهو من سلالة سليمان) أولا يعقوب. وعندمات مات متان فإن ملكى (الذى من سلالة ناثان) إذ كان من نفس السبط، ولكن من عشيرة أخرى، تزوجها كما قيل من قبل، وولد ابنا هو هالى.

---

(٤) ناثان ابن لداود وبتشبع. ولذا فهو أخ شقيق لسليمان (٢ صم ٥ : ١٤ ، ١ أى ٣ : ٥ ، ١٤ : ٤).

(٥) ملكى هذا هو الخامس من الآخر فى النسخة التى بين أيدينا لانجيل لوقا ٣ : ٢٤. ويتوسط متثات ولاوى بين ملكى وهالى. والأرجح أن النسخة التى رجع إليها أفريكانوس حذفت اسمى متثات ولاوى.

(٦) Estha لا نعرف عنها شيئا أكثر من هذا. والأرجح أن أفريكانوس يشير إلى التقليد الذى وصل من أقرباء المسيح الذين كما يقول احتفظوا بسلسلة النسب التى تتفق مع ما ورد فى الأنجيلين. وهو يميز هنا بين ما وصل إليه من التقليد وبين تفسيره الخاص للخلافات الواردة بين الأنجيلين.

(٩) «وهكذا نرى أن الاثنين (يعقوب وهالى) من أم واحدة، وإن كانا من عشيرتين مختلفتين. وهذان عندما توفى احدهما، هالى، بلا نسل تزوج يعقوب أخوه امرأته وولد منها ابنا هو يوسف ابنه بحسب الطبيعة وبالتالى بحسب المنطق. لذلك أيضا كتب «ويعقوب ولد يوسف[٧] ». أما بحسب الناموس فقد كان ابن هالى، لأن يعقوب إذ كان أخا للأخير أقام له نسلا.

(١٠) «وذلك لكى لا تعتبر باطلة سلسلة النسل منه التى يذكرها متى الإنجيلى هكذا «ويعقوب ولد يوسف». أما لوقا فإنه من الناحية الأخرى يقول «وهو على ما كان يظن (وهذه العبارة يضيفها من أجل هذا الغرض) ابن يوسف بن هالى بن ملكى، لأنه لم يستطع أن يذكر النسب حسب الناموس بصراحة أوفر. ثم إنه حذف هذه الكلمة «ولد» فى قائمته إلى النهاية، ووصل بالنسب إلى آدم ابن الله.

(١١) أما هذا التعليل فليس مما يتعذر معه أقامة الدليل، ولا هو مجرد تخمين وهمى. لأن أقرباء ربنا حسب الجسد قد سلموا الرواية التالية، وسواء كان ذلك للرغبة فى الأفتخار أو لمجرد الرغبة فى ذكر الأمر الواقع، فإنهم فى كلتا الحالتين صادقون. أما الرواية المذكورة فهى كما يلى: إن بعض اللصوص الأدوميين سطوا على اشقلون، وهنى مدينة فى فلسطين، وحملوا من هيكل أبولو، القائم بجانب الأسوار، عدا الغنائم الأخرى، أنتيباتر ابن أحد خدام الهيكل اسمه هيرودس، ولأن الكاهن لم يستطع أن يدفع فدية عن ابنه حمل أنتيباتر إلى جمارك الأدوميين، وبعد ذلك صادقه هيركانوس رئيس كهنة اليهود.

(١٢) «وإذ أرسله هيركانوس فى مهمة إلى بومبى، وإذ أعاد إليه المملكة التى كان قد غزاها أخوه أرسطوبولس، فقد أسعده الحظ أن يدعى واليا على فلسطين[٨] . ولكن إذ قتل أنتيباتر بواسطة من حسدوه من أجل حظة الطيب فقد خلفه ابنه هيرودس الذى صار فيما بعد ملك اليهود أيام أنطونيوس وأوغسطس، وذلك بناء على قرار أصدره مجلس الأعيان. أما أولاده فكانوا هيرودس وبقية الولاة الأربعة[٩] . وهذه الرواية تتفق أيضا مع رواية اليونانيين.

(١٣) ولكن لأنه كانت قد حفظت فى السجلات إلى ذلك الوقت أنساب العبرانيين، وكذا أنساب الدخلاء أمثال أخيور[١٠] العمونى وراعوث المؤابية، الذين اختلطوا بالإسرائيليين وخرجوا من مصر معهم، فإن هيرودس إذ رأى أن أنساب الإسرائيليين لا يوجد فيها شىء فى مصلحته، ولأنه كان

---

(٧) (مت ١ : ٦). (٨) كأمر يوليوس قيصر فى سنة ٤٧ ق . م . انظر الملاحظة (١) صفحة ٣٠ .

(٩) أرخيلاوس وهيرودس انتيباس وهيرودس فيلبس الثانى .

(١٠) كان قائدا عمونيا (يهوديت ٥ : ٥) فى جيش هولوفرنس الذى بحسب سفر يهوديت كان قائدا لنبوخذ نصر ملك الأشوريين وقتله البطلة اليهودية يهوديت. وقد انضم فيما بعد إلى شعب اليهود وأصبح دخيلا يهوديا (يهوديت ١٤ : ٦).

دائما تنغصه خساسة أصله، فقد حرق كل سجلات الأنساب، ظنا منه بأنه قد يبدو من أصل شريف إن لم يوجد غيره من يستطيع أن يثبت من السجلات العامة أنه كان ينتمى للآباء البطاركة الأولين أو الدخلاء أو الذين اختلطوا بهم الذين كانوا يسمون «جورى»[١١] .

(١٤) «ومع ذلك فإن عددا قليلا من الحريصين، إذ حصلوا على سجلات خاصة ملك لهم، إما بتذكر الأسماء أو بالحصول عليها بطريقة أخرى من السجلات، فإنهم يفخرون بحفظ تذكار أصلهم النبيل ومن ضمنهم أولئك السابق ذكرهم الذين يسمون «دسبوسينى»[١٢] بسبب علاقتهم بعائلة المخلّص، استقوا سلسلة النسب هذه من الذاكرة، ومن سفر السجلات اليومية، بمنتهى ما يمكن من الأمانة.

(١٥) «وفى أعتقادى، وفى أعتقاد كل مخلص أمين، يوجد تفسير أوضح لبيان صحة هذا الموقف. ولنكتف بهذا القدر، لأننا وإن كنا لا نستطيع أن نبرز أية شهادة لتدعيمه[١٣] فاننا ليس لدينا شىء أفضل أو أصح لتقديمه. وعلى أى الحالات فإن الإنجيل يقرر الحق».

(١٦) وفى نهاية نفس الرسالة يضيف هذه الكلمات «ومتان، الذى انحدر من سليمان، ولد يعقوب. وعندما مات يعقوب فإن ملكى، الذى انحدر من ناثان، ولد هالى من نفس المرأة. وهكذا كان هالى ويعقوب اخوين من أم واحدة. وإذ مات هالى بلا نسل أقام له يعقوب نسلا وولد يوسف ابنه بالطبيعة، ولكن ابن هالى بالناموس. وهكذا كان يوسف ابنا لكليهما». إلى هنا انتهت أقوال أفريكانوس.

(١٧) وإذ تتبعنا نسب يوسف هكذا فإنه يتبين فعلا أن مريم أيضا من نفس سبطه، لأنه، طبقا لناموس موسى، لم يكن مسموحا الزواج من سبط آخر[١٤] ، فالأمر الصادر هو أن يتزوج المرء من نفس العشيرة ومن نفس السلالة، لكى لا ينتقل الميراث من سبط إلى سبط. ولعل فى هذا الكفاية الآن.

---

(١١) وردت هذه الكلمة فى (خر ١٢ : ١٩) «الغريب» وترجمت فى ترجمة اليسوعيين «الدخيل»، وترجمت فى الترجمة السبعينية «محتل الأرض»، ويشير أفريكانوس هنا إلى الخارجين من مصر مع الأسرائيليين سواء كانوا من المصريين الوطنيين أو الغرباء المقيمين بمصر. ويحدثنا الكتاب فى (خر ١٢ : ٣٨) أنه صعد مع بنى إسرائيل «لفيف كثير» (أى خليط).

(١٢) Desposyni هم السابق تسميتهم فى الفقرة ١١ من هذا الفصل أقرباء المخلص حسب الجسد، أما الكلمة اليونانية فمعناها «متصل بسيد».

(١٣) قارن هذا بما ورد فى الملاحظة (٢) صفحة (٣٤). هنا يقرر أفريكانوس صراحة بأنه لا يستند فى تفسيره لنسب المسيح إلى شهادة أقرباء المسيح بل كان التفسير نتيجة دراسته للكتاب.

(١٤) الناموس الذى يشير إليه يوسابيوس هو الوارد فى (عد ٣٦ : ٦ و ٧). ولكن التحريم الوارد به لم يكن مطلقا بل كان يخص الوارثات اللاتى لم يكن مسموحا لهن التزوج من غير أسباطهن لئلا يخسرن ميراثهن. وعلى أى حال فقد جرى العرف العام بين اليهود أن لا يتم الزواج إلا أن كان من نفس السبط.

الفصل الثامن

قسوة هيرودس نحو الأطفال، وكيفية موته

(١) لما ولد المسيح فى بيت لحم اليهودية، وفقا للنبوات، فى الوقت السابق توضيحه، اشتد انزعاج هيرودس بسبب سؤال المجوس الذين أتوا من المشرق سائلين أين هو المولود ملك اليهود. لأنهم رأوا نجمه، وكان هذا هو الدافع لهم للقيام برحلة طويلة كهذه، إذ كانوا متحمسين للسجود للطفل كاله. توهم هيرودس أن مملكته ستتعوض للخطر، لذلك سأل علماء الناموس فى الأمة اليهودية أين توقعوا أن يولد المسيح؟ وعندما علم أن نبوة ميخا[١] أعلنت بأن بيت لحم كان يجب أن تكون محل ميلاده أصدر مرسوما بقتل جميع أطفال بيت لحم وما حولها الذكور من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس، ظنا منه بأن يسوع - كما كان محتملا فعلا - سوف يشترك مع سائر الأطفال الذين فى سنه فى نفس المصير.

(٢) ولكن الطفل نجا من الفخ إذ حمله أبواه إلى مصر بعد أن أعلمهما، بما كان مزمعا أن يحدث، ملاك ظهر لهما. وهذه الأمور سجلها الكتاب المقدس فى الإنجيل.[٢]

(٣) ومما هو جدير بالذكر فضلا عن هذا أن نلاحظ الجزاء الذى لقيه هيرودس بسبب جريمته التى تجاسر على أرتكابها ضد المسيح وسائر الأطفال من نفس السن. لأن الانتقام الإلهى حل به مباشرة. ومن دون أقل أبطاء، بينما كان لا يزال حيا، وجعله يتذوق مقدما ما كان مزمعا أن يلقاه بعد الموت.

(٤) ولا يمكن أن نروى هنا كيف إنه عتم هناءة حكمه المزعومة بالمصائب المتتالية فى عائلته، بقتله زوجته وأطفاله، وغيرهم من أقرب أقربائه وأعز أصدقائه. أما الوصف الذى يغطى على كل الفواجع الأخرى فتراه مدونا بالتفصيل فى تواريخ يوسيفوس.

---

(١) مت ٢

(٢) كان حكم هيرودس ناجحا وموفقا جدا ولم تزعجه الحوادث الخارجية فى معظم الأوقات، ولكن حياته العائليه كانت مريرة بسبب الفواجع المستمرة التى نتجت عن غيرة زوجاته العشر وأولادهن. وفى أوائل حكمه قتل هيركانوس جد أحب زوجاته مريم بسبب شكه فى التآمر عليه وبعد ذلك بقليل قتل مريم نفسها. وفى سنة ٦ ق . م . قتل ابنيها اسكندر وارسطوبولس.

وفى سنة ٤ ق . م . قتل أنتيباتر ابنه الأكبر. وقد أقترنت حوادث القتل هذه أيضا بقتل الكثيرين من الأصدقاء والأقارب الذين كان يتهمهم بالخيانة.

(٥) وأما كيف دفعه قصاص الله إلى الموت بعد جريمته ضد مخلّصنا وسائر الأطفال مباشرة فيمكن أن نراه بأكثر تفصيل فى كلمات ذلك المؤرخ الذى كتب ما يلى عن نهايته فى الكتاب السابع عشر من تاريخه عن اليهود:

(٦) «على أن مرض هيرودس أزداد شناعة لأن الله أوقع عليه القصاص بسبب جرائمه. لأن نارا بطيئة اشتعلت فى داخله لم تظهر لمن كان يلمسه، بل زادت أحزانه الداخلية. إذ كانت له رغبة ملحة للطعام لم يكن ممكنا له مقاومتها. وأصيب أيضا بقروح فى الأمعاء، وأصيب بصفة خاصة بآلام فى القولون، كما أصيب بأورام مائية فى قدميه.

(٧) «وكان يشكو أيضا من تعب مماثل فى بطنه. والأكثر من هذا ان عضوه السرى تحجر وكانت تخرج منه الديدان. وكان أيضا يجد صعوبة شديدة فى التنفس، بل كان نفسه كريها بسبب الرائحة الكريهة وسرعة التنفس. وأصيب أيضا بتقلص فى كل أطرافه، الأمر الذى أدى إلى عدم تمالك قواه.

(٨) «وقد قال فعلا أولئك الذين أعطيت إليهم قوة العرافة والحكمة لتفسير مثل هذه الحوادث أن الله أوقع هذا القصاص على الملك بسبب شره المستطير وعدم تقواه».

(٩) هذا ما رواه الكاتب المذكور فى الكتاب المشار إليه. وفى الكتاب الثانى من تاريخه يعطى وصفا مشابها عن نفس الشخص (هيرودس) كما يلى:

«وعندئذ استحكم المرض فى كل جسمه، وسبب له آلاما منوعة. لأنه أصيب بحمى بطيئة، وكان جرب الجلد فى كل جسمه لا يطاق. وكان يشكو أيضا من آلام مستمرة فى القولون، وكانت هناك أورام فى قدميه كتلك التى تحل بشخص مصاب بمرض الاستسقاء. أما بطنه فكانت ملتهبة، وتحجر عضوه السرى وكانت تخرج منه الديدان. وعلاوة على هذا فلم يكن ممكنا له أن يتنفس إلا إن كان مستقيما، وفى هذه الحالة كان لا يتنفس إلا بصعوبة، وتقلصت جميع أطرافه، حتى قال العرافون إن أمراضه كانت قصاصا.

(١٠) «ورغم صراعه ضد الام كهذه فإنه تشبث بالحياة، وكان يرجو السلامة، ودبر خططا للشفاء. فمثلا إذ كان يعبر الأردن كان يستعمل الحمامات الساخنة فى كاليرو[٣] التى كانت تفيض فى بحيرة الأسفلت[٤]، ولكنها فى حد ذاتها كانت عذبة للشرب.

---

(٣) مدينة كانت شرق البحر الميت.

(٤) هذا هو الاسم الذى طالما أطلقه يوسيفوس على البحر الميت.

(١١) «وهنا ظن أطباؤه أنهم يستطيعون تدفئة كل جسمه بالزيت الدافيء ولكنهم عندما وضعوه في برميل مملوء بالزيت ضعفت عيناه وارتفعتا إلى فوق كعيني شخص ميت. وعندما رفع خدامه أصواتهم صارخين أفاق بسبب الصوت. وإذ يئس أخيرا من الشفاء أمر بتوزيع خمسين درهما على الجند، واعطاء مبالغ كبيرة لقواده وأصدقائه.

(١٢) «وبعد ذلك إذ رجع أتى إلى أريحا حيث تملكته حالة نفسية سويداوية، فدبر ارتكاب عمل فاحش كأنه أراد تحدى الموت نفسه. لأنه جمع من كل مدينة أبرز رجال كل اليهودية، وأمر بأن يغلق عليهم فى المكان المسمى بسباق الخيل.

(١٣) «ثم استدعى سالومة[٥] أخته والأسكندر[٦] زوجها وقال: أنا أعلم أن اليهود سيفرحون بموتى. ولكن قد ينتحب على الآخرون ويقام لى جناز رائع إن كنتما مستعدين لإتمام أوامرى. عندما أموت فأمرا بأن يحوط الجند بأسرع ما يمكن هؤلاء الرجال المحفوظين الآن تحت الحراسة، واقتلاهم لكى تبكى على كل اليهودية وكل بيت حتى رغم أرادتهم.[٧]

(١٤) وبعد قليل قال يوسيفوس «ثم إنه كان معذبا بسبب طلبه المستمر للطعام، ومن سعال تشنجى، لدرجة أنه إذ يئس من آلامه فكر فى التعجيل على مصيره المحتم وإذ أخذ تفاحة طلب أيضا سكينا، لأنه كان متعودا تقطيع التفاح وأكله. ثم تلفت حوله ليتأكد من عدم وجود شخص يمنعه، ورفع يمينه كأنه يريد أن يطعن نفسه».[٨]

(١٥) وعلاوة على هذه الأمور يخبرنا نفس الكاتب إنه قتل ابنا آخر[٩] من أبنائه قبل موته. وقتل الثالث بناء على أمره، وبعد ذلك مباشرة لفظ أنفاسه الأخيرة بآلام مبرحة.

---

(٥) أخت هيرودس الكبير وكانت زوجة على التوالى لكل من يوسف وكوستاباروس والكساس. وكانت فى منتهى القسوة مثل أخيها، وسببت أغلب الفواجع التى حدثت فى عائلته وذلك بعامل غيرتها وحسدها.

(٦) زوج سالومة الثالث وكان يوسيفوس يدعوه «الكساس» دواما.

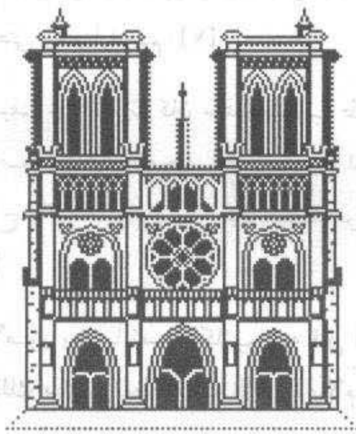
(٧) هذه الرواية على عهدة يوسيفوس إذ لم يروها أحد سواه. وعلى أى حال فانها ليست مستبعدة على هيرودس، على أن أوامر هيرودس لم تتم إذ أطلقت سالومة سراح أولئك الرجال بعد موت هيرودس.

(٨) أن محاولة هيرودس الانتحار قد أحبطها ابن عمه أخيابوس كما يخبرنا يوسيفوس فى نفس المناسبة.

(٩) كان هيرودس قد اعتزم أن يخلفه فى الملك أنتيباتر ابنه من زوجته الأولى دوريس ولكنه قطع رأسه قبل موت هيرودس بخمسة أيام للتآمر على أبيه. وقد استحق جزاءه بعدل.

(١٦) هكذا كانت نهاية هيرودس الذى نال قصاصا عادلا بسبب قتله أطفال بيت لحم[١٠] الأمر الذى نتج من مؤامراته على مخلّصنا·

(١٧) بعد هذا ظهر ملاك فى حلم إلى يوسف فى مصـر وأمره بالذهاب إلى اليهودية مع الطفل وأمه، معلنا أن الذين كانوا يطلبون نفس الطبى قـد ماتوا·[١١] وإلى هذا يضيف الإنجيلى هذه الكلمات «ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك عوضـا عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك· ولكن إذ حذره الله فى حلم انصرف إلى نواحى الجليل»·[١٢]



(١٠) يبين يوسابيوس هنا تعليله لآلام هيرودس بحسب عرف الكنيسة· أمـا يوسيفوس فلم يتعرض مطلقا لذكر جريمة ذبح الأطفال الأبرياء· ولا نعلم أن كان ذلك لأنه كان يجـهلها أو لعدم أهمية هذه الفاجعة بالنسبـة للجرائم الوحشية التى اتسم بها عهد هيرودس·

(١١) انظر (مت ٢ : ١٩ و ٢٠)·

(١٢) (مت ٢ : ٢٣)·

الفصل التاسع

عصر پيلاطس

(١) يتفق المؤرخ السابق ذكره مع الإنجيل فيما يتعلق بأن أرخيلاوس[١] تولى الحكم بعد هيرودس. وقد روى الطريقة التى حصل بها على مملكة اليهود بوصية أبيه هيرودس وأمر أوغسطس قيصر، وكيف أنه بعد أن حكم عشر سنوات أضاع ملكه. أما أخواه فيلبس[٢] وهيرودس الأصغر[٣] مع ليسانيوس[٤] فقد استمروا فى حكم ولايتهم. ويقول نفس الكاتب فى كتابه الثامن عشر من «الآثار» أنه حوالى السنة الثانية عشر من ملك طيباريوس[٥] الذى اعتلى الأمبراطورية بعد أن حكم أوغسطس سبعا وخمسين سنة[٦] عهد إلى پيلاطس البنطى حكم اليهودية، فلبث فيها عشر سنوات كاملة حتى موت طيباريوس تقريبا.

---

(١) كان أرخيلاوس ابنا لهيرودس الكبير وأخا شقيقا لهيرودس انتيباس الذى تربى معه فى روما. وبعد موت أنتيباتر مباشرة أوصى أبوه بأن يخلفه فى الحكم وأيد أوغسطس الوصية ولكنه أعطاه فقط لقب وال. وكان حكمه يشمل أدومية واليهودية والسامرة ومدن الشاطىء، أى نصف مملكة أبيه. أما النصف الآخر فقد قسم بين هيرودس انتيباس وفيلبس. وقد كان قاسيا جدا ومكروها من أغلب رعاياه. وفى السنة العاشرة من حكمه شكاه اخوته ورعاياه بسبب قسوته فنفى إلى فينا حيث يرجح أنه مات هناك. وبعد خلع أرخيلاوس أصبحت اليهودية ولاية رومانية وألحقت بسورية وأرسل كوبونيوس أول وال عليها.

(٢) ابن هيرودس الكبير من زوجته كليوباترة. وكان واليا على باتانيا وتراخونيتس وأورينيتس الخ من سنة ٤ ق. م. إلى سنة ٣٤م. وقد تميز بالعدل والاعتدال. ولم يذكر فى العهد الجديد سوى مرة واحدة (لو ٣ : ١) كرئيس ربع (وال) على الابلية.

(٣) هيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير من زوجته ملثاكا. وكان واليا على الجليل وبيرية من سنة ٤ ق. م. إلى سنة ٣٩م. وهو الذى قطع رأس المعمدان، وهو أيضا الذى أرسل إليه الرب يسوع بواسطة پيلاطس. وفى العهد الجديد ما يكفى لأظهار أخلاقه.

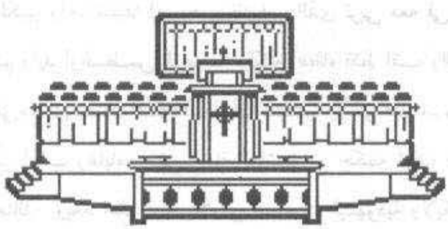
(٤) ذكر ليسانيوس هذا فى (لو ٣ : ١) كرئيس ربع (وال) على الابلية.

(٥) أى من موت أوغسطس سنة ٤١ م حيث صار طيباريوس الامبراطور الوحيد. وقد عين پيلاطس واليا سنة ٢٦م وسحب سنة ٣٦م.

(٦) يعبتر يوسيفوس أن حكم أوغسطس بدأ من موت يوليوس قيصر كما يعتقد يوسابيوس أيضا (٥ : ٢) ويدعوه الأمبراطور الثانى. ولكن أوغسطس لم يصر امبراطورا إلا فى سنة ٣١ ق. م. بعد موقعة اكثيوم.

(٢) من ذلك يتضح جليا كذب من أشاعوا أخيرا أعمالا ضد مخلّصنا[٧] لأن التاريخ الذى تتضمنه يبين ضلال مخترعيها.

(٣) فالأمور التى تجرأوا على ذكرها عن آلام المخلّص نسبوها إلى القنصلية الرابعة لطيباريوس التى تمت فى السنة السابعة من ملكه، وواضح أن پيلاطس لم يكن يحكم اليهودية بعد فى ذلك الوقت، إن قبلت شهادة يوسيفوس الذى بين بكل وضوح فيما تقدم أن پيلاطس أقامه طيباريوس واليا على اليهودية فى السنة الثانية عشرة من ملكه.



(٧) إن يوسابيوس لا يشير هنا إلى «أعمال پيلاطس» التى كتبها بعض المسيحيين والتى لا يزال الكثير منها باقيا إلى الآن بل إلى التى زورها الأعداء بموافقة الأمبراطور مكسيمانوس (أنظر كتاب ٩ فصل ٥).

الفصل العاشر

رؤساء كهنة اليهود الذين عاصروا المسيح

(١) فى السنة الخامسة عشر من حكم طيباريوس، وفقا لما قرره الإنجيلى،[١] والسنة الرابعة من ولاية پيلاطس البنطى، إذ كان هيرودس وليسانيوس وفيلبس يحكمون باقى اليهودية،[٢] أتى مخلّصنا وربنا يسوع، مسيح الله - إذ كان ابن نحو ثلاثين سنة - إلى يوحنا المعمدان، وبدأ ينشر الإنجيل.

(٢) وعلاوة على هذا يقول الكتاب المقدس الإلهى أنه قضى كل وقت خدمته فى عهد رئيسى الكهنة حنان وقيافا،[٣] مبينا أنه فى وقت كهنوت هذين الشخصين تمت كل فترة تعليمه. وطالما كان قد بدأ عمله فى عهد كهنوت حنان، وعلم حتى تولى المركز قيافا، فان المدة كلها لا تستغرق أربع سنوات.

(٣) لأن طقوس الناموس إذ كانت قد بطلت منذ ذلك الوقت فان العادات التى كانت مرعية فيما يتعلق بعبادة الله، والتى بمقتضاها كان رئيس الكهنة يحصل على وظيفته بالوراثة ويشغلها طول الحياة، بطلت أيضا، فصار الولاة الرومانيون يعينون لرئاسة الكهنوت واحدا الآن. وبعد ذلك آخر، وكان الواحد لا يستمر فى وظيفته أكثر من سنة واحدة.[٤]

(٤) ويقرر يوسيفوس إنه كان هنالك أربعة رؤساء كهنة بالتتابع من حنان إلى قيافا. ففى نفس كتاب الآثار كتب الآتى:

«إن فاليروس جراتوس[٥] إذ وضع حدا لكهنوت حنان[٦] عين اسماعيل بن فابى رئيسا للكهنة، وبعد قليل عزله وعين اليعازر[٧] بن حنان رئيس الكهنة فى نفس الوظيفة ثم عزله أيضا بعد سنة وأعطى

---

(١) لو ٣ : ١ (٢) انظر الفصل السابق (٣) لو ٣ : ٢ بالمقارنة مع يو ١١ : ٤٩ و ٥١ ، ١٨ : ١٣

(٤) صحيح أن رؤساء الكهنة كانوا دائمى التغيير فى عهد الولاة الرومانيين (انظر ما تقدم فصل ٦ ملاحظة ٤ صفحة ٣٩) ولكنه لم تكن هنالك مدة محددة، وقد لبث البعض عدة سنوات فمثلا استمر قيافا أكثر من عشر سنوات.

(٥) عينه طيباريوس واليا بعد اعتلائه العرش مباشرة، وحكم نحو احدى عشرة سنة خلفه بعدها پيلاطس سنة ٢٦م.

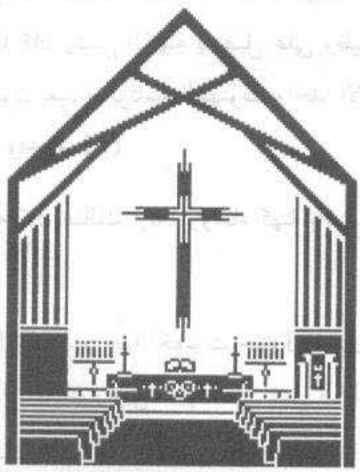
(٦) عين حنان رئيسا للكهنة بمعرفة كيرينيوس والى سوريا سنة ٦ أو ٧ م وبقى فى مركزه حتى سنة ١٤ أو ١٥م حيث عزله فالتريوس جراتوس.

(٧) ذكر يوسيفوس (آثار ٢٠ : ٩ : ١) أن خمسة من أبناء حنان أقيموا رؤساء كهنة.

رئاسة الكهنوت لسمعان بن كميثوس. ولكن هذا أيضا لم يحظ بهذا الشرف أكثر من سنة، حيث خلفه يوسيفوس الذى يدعى أيضا قيافا». [٨]

من هذا يتضح أن كل فترة خدمة مخلّصنا لا تبلغ أربع سنوات كاملة، إذ أن أربعة رؤساء كهنة - من حنان إلى تعيين قيافا - تولوا المنصب، وكانت مدة كل منهم سنة. أذن فقد كان صحيحا ما قرره الإنجيل من أن قيافا هو رئيس الكهنة الذى تألم المخلّص فى عهده. ومن ذلك ترى أيضا أن وقت خدمة مخلّصنا لا يتناقض مع البحث السابق.

(٥) وقد دعا مخلّصنا وربنا الرسل الأثنى عشر[٩] بعد بدء خدمته بقليل، وهؤلاء وحدهم - دون جميع تلاميذه - دعاهم رسلا. كإكرام خاص، ثم عين أيضا سبعين آخرين أرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل موضع ومدينة حيث كان هو مزمعا أن يأتى. [١٠]



(٨) ان يوسف قيافا زوج ابنة حنان شخصية معروفة فى الكتاب.

(٩) انظر (مت ١٠ : ١ - ٤ ، مر ٣ : ١٤ - ١٩ ، لو ٦ : ١٣ - ١٦).

(١٠) لو ١٠ : ١.

الفصل الحادي عشر

شهادات عن يوحنا المعمدان والمسيح

(١) بعد هذا بقليل قطع هيرودس الأصغر[١] رأس يوحنا المعمدان كما هو مدون فى الأناجيل ·[٢] وقد دون يوسيفوس أيضا نفس الحادث،[٣] ذاكرا هيروديا[٤] بالاسم، ومقررا بأنها، وإن كانت زوجة أخيه، فإنه (هيرودس) اتخذها لنفسه زوجة بعد أن طلق زوجته السابقة الشرعية ابنة أريتاس[٥] ملك بترا، وفصل هيروديا عن زوجها وهو لا يزال حيا·

(٢) وبسببها أيضا قتل يوحنا، وأشهر حربا على أريتاس بسبب العار الذى لحق بابنة الأخير· ويروى يوسيفوس إنه فى هذه الحرب لما اشتبكوا معا باد جيش هيرودس عن آخره،[٦] وحلت به هذه النكبة بسبب جريمته ضد يوحنا·

(٣) ويشهد نفس يوسيفوس فى هذه المناسبة أن يوحنا المعمدان كان رجلا بارا لدرجة فائقة الحد، وهذا يتفق مع ما دون عنه فى الأناجيل· وشهد أيضا أن هيرودس أضاع ملكه بسبب هيروديا هذه، وأنه نفى معها، وحكم عليه أن يعيش فى فينا ببلاد الغال·

(٤) هذه الأمور رواها فى الكتاب الثامن عشر من «الآثار» حيث كتب عن يوحنا الكلمات التالية «بدا لبعض اليهود أن جيش هيرودس أباده الله الذى انتقم بعدل ليوحنا المدعو المعمدان·

---

(١) هيرودس أنتيباس · (٢) (مت ١٤ : ١ - ١٢ · مر ٦ : ١٧ الخ) · (٣) يوسيفوس (آثار ١٨ : ٥ : ٢)

(٤) هيروديا ابنة أرسطوبولس وحفيدة هيرودس الكبير· تزوجت أولا هيرودس فيلبس (الذى يدعوه يوسيفيوس هيرودس وتدعوه الأناجيل فيلبس) أن هيرودس الكبير وبالتالى عمها· وبعد ذلك إذ تركته أثناء حياته تزوجت عما آخر هو هيرودس انتيباس رئيس الربع· ولما نفى زوجها انتيباس إلى بلاد الغال شاركته فى نفيه اختيارا وماتت هناك· أما أخلاقها فواضحة مما دون عنها فى الأناجيل·

(٥) هو نفس اريتاس (وترجم فى ترجمة بيروت «والى الحارث» ولكنه فى الترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين «اريتاس») الوارد ذكره فى ٢ كو ١١ : ٣٢)·

(٦) وفى هذه المناسبة لجأ هيرودس إلى طيباريوس الذى كان يعزه، فأصدر الأمبراطور أمره إلى فيتيليوس والى سوريا باسعافه ولكن حال دون ذلك موت طيباريوس· وفى عهد كاليجولا صار أريتاس صديقا للرومانيين·

(٥) «لأن هيرودس قتله، وقد كان رجلا صالحا، نصح لليهود أن يأتوا وينالوا المعمودية، ويتدربوا على الفضيلة، ويمارسوا البر والعدل نحو بعضهم بعضا ونحو الله، لأن المعمودية تبدو مقبولة فى نظر الله إن استخدموها، لا لمغفرة خطايا معينة، بل لتطهير الجسد كما تطهرت النفس فعلا بالبر.

(٦) «وعندما حوله آخرون - إذ وجدوا سرورا عظيما فى الإصغاء لكلماته - خشى هيرودس أن يؤدى نفوذه العظيم إلى فتنة، لأنهم أظهروا استعدادهم ليفعلوا كل ما ينصح به. ولذا وجد إنه من الأفضل أن يسبق فيقتله قبل أن يجد أى شىء بتأثير يوحنا، ذلك أولى ما أن يندم بعد حدوث الثورة إذ يجد نفسه وسط المتاعب. وبسبب شكوك هيرودس وهواجسه أرسل يوحنا مقيدا إلى الحصن السابق ذكره (ماكيرا)،[٧] وهناك قتل».

(٧) وبعد أن ذكر هذه الأمور عن يوحنا تحدث عن مخلّصنا فى نفس الكتاب بالكلمات التالية «وهنالك عاش فى ذلك الوقت يسوع، إنسان حكيم، إن كان مْن اللائق حقا أن يدعى إنسانا. لأنه صنع أعمالا عجيبة، وعلم الناس فقبلوا الحق بفرح. وقد ضم إليه الكثيرين من اليهود، والكثيرين من اليونانيين أيضا. كان هو المسيح.

(٨) «وعندما حكم عليه بيلاطس بالصلب بسبب اتهام رجالنا المبرزين إياه، ظل يحبه من أحبوه من البداءة. لأنه ظهر لهم حيا ثانية فى اليوم الثالث. وقد سبق أن أنبأ الأنبياء المباركون بهذه الأمور عنه، وبأمور أخرى عجيبة لا حصر لها. وفضلا عن هذا فإن جنس المسيحيين الذين سموا باسمه لا يزالون باقين إلى اليوم الحاضر».

(٩) وإن كان مؤرخ من العبرانيين أنفسهم قد سجل فى كتابه هذه الأمور عن يوحنا المعمدان وعن مخلّصنا فأى عذر قد بقى لعدم توبيخ أولئك الخالين من كل حياء، الذين زوروا الأعمال ضدهما.[٨] ولكن ليكف هذا القدر هنا.

(٧) ماكيرا حصن مشهور كان يقع شرقى الطرف الشمالى للبحر الميت. وفيه اعتزلت ابنة اريتاس عندما اعتزم هيرودس التزوج بهيروديا.

(٨) انظر ف ٩ ملاحظة (٢) صفحة ٥١.

الفصل الثانى عشر

تلاميذ مخلّصنا

(١) إن أسماء تلاميذ مخلّصنا يمكن لكل واحد معرفتها من الأناجيل.[١] على أنه لا يوجد أى بيان عن أسماء التلاميذ السبعين.[٢] ويقال أن برنابا كان فعلا واحدا منهم. وقد تحدث عنه سفر أعمال الرسل فى عدة مواضع[٣] سيمابولس فى رسالته إلى أهل غلاطية.[٤] ويقولون أيضا أن سوستانيس الذى كتب إلى أهل كورنثوس مع بولس كان واحدا منهم.[٥]

(٢) هذه هى رواية أكليمنضس[٦] فى الكتاب الخامس من مؤلفه «وصف المناظر» الذى فيه يقول أيضا إن «صفا» كان أحد السبعين تلميذا، وهو رجل حمل نفس اسم الرسول بطرس، وهو الذى قال عنه بولس «لما أتى صفا إلى انطاكية قاومته مواجهة».[٧]

(٣) ويقال أيضا إن متياس الذى حُسِبَ مع الرسل بدلا من يهوذا، وكذا الشخص الذى تشرف بأن يكون مرشحا معه،[٨] حسبا مستأهلين لنفس الدعوة مع السبعين. ويقولون إن تداوس أيضا كان

---

(١) انظر (مت ١٠ : ٢ - ٤ ، لو ٦ : ١٣ - ١٦ ، مر ٤ : ١٤ - ١٩).

(٢) انظر (لو ١٠ : ١ - ٢٠).

(٣) انظر (أع ٤ : ٣٦ ، ١٣ : ١ الخ). وقد قرر أكليمنضس الأسكندرى أن برنابا كان أحد السبعين.

(٤) (غل ٢ : ١ و ٩ و ١٣).

(٥) ذكر سوستانيس فى (١كو ١ : ١). ولا ندرى من أين استقى يوسابيوس هذه الحقيقة. وفى (اع ١٨ : ١٧) ورد ذكر شخص اسمه سوستانيس رئيس مجمع اليهود فى كورنثوس. ويقول البعض أنه هو نفس الشخص الوارد اسمه فى (١كو ١ : ١)، على أساس أنه أعتنق المسيحية فيما بعد. وفى هذه الحالة لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون أحد السبعين.

(٦) بخصوص اكليمنضس وكتاباته انظر كتاب ٥ فصل ١١ وكتاب ٦ فصل ١٣.

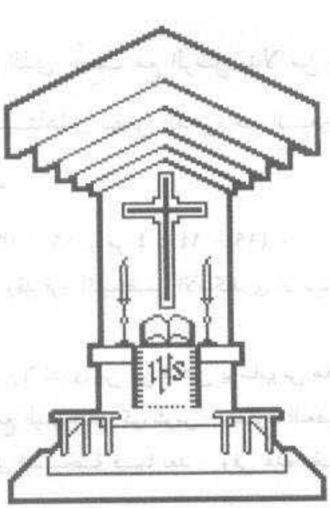
(٧) (غل ٢ : ١١ وردت هذه العبارة فى ترجمة بيروت «لما أتى بطرس» ولكنها فى ترجمة اليسوعيين وفى الترجمة الأنكيزية المنقحة «لما أتى كيفا (أو صفا)».

أن أكليمنضس هو أول من زعم بأنه كان بين السبعين من دعى باسم صفا، وأول من زعم بأن الشخص الذى قاومه بولس مواجهة لم يكن هو بطرس الرسول. وغريب أن نرى هذا الرأى بالرغم من اجماع كل الكنائس -وضمنها الكنيسة البابوية- على أن المقصود باللوم هنا هو بطرس الرسول.

(٨) يوسف الذى يدعى بارسابا الملقب يوستس.

واحد منهم وسأقص عنه قريبا رواية وصلت إلينا.[٩] ولدى التأمل تجدون أن مخلّصنا كان له أكثر من سبعين تلميذا حسب شهادة بولس الذي يقول أنه بعد قيامته من الأموات ظهر أولا لصفا ثم للأثنى عشر، وبعدهم ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ بعضهم قد رقدوا[١٠] ولكن أغلبهم كانوا لا يزالون عائشين وقت أن كتب.

(٤) وبعد ذلك يقول إنه ظهر ليعقوب أحد الذين قيل عنهم أخوة المخلّص. ولكن لأنه كان يوجد، علاوة على هؤلاء، كثيرون آخرون يدعون رسلا كالأثنى عشر مثل بولس نفسه، أضاف العبارة التالية «بعد ذلك ظهر للرسل أجمعين». إلى هنا نكتفي بالحديث عن هؤلاء الأشخاص. أما الرواية الخاصة بتداوس فهي كما يلي:



(٩) انظر الفصل التالي.

(١٠) انظر (١كو ١٥ : ٥ - ٧).

الفصل الثالث عشر

رواية عن ملك الإديسيين

(١) لما ذاعت أنباء لاهوت ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح فى الخارج بين كل البشر بسبب قوته الصانعة العجائب جذب أشخاصا لا حصر لهم من الممالك الأجنبية البعيدة عن اليهودية ممن كانوا يرجون الشفاء من أمراضهم ومن كل أنواع الآلام.

(٢) فمثلا الملك أبجارا[١] - الذى حكم الأمم التى وراء نهر الفرات بمجد عظيم - إذ إصيب بمرض مروع عجزت عن شفائه كل حكمة بشرية، وسمع باسم يسوع ومعجزاته التى شهد بها الجميع بلا استثناء، أرسل إليه رسالة مع مخصوص، ورجاه أن يشفيه من مرضه.

(٣) على أنه فى ذلك الوقت لم يجبه إلى طلبه، ومع ذلك حسبه مستحقا أن ترسل إليه رسالة شخصية قال فيها إنه سيرسل أحد تلاميذه لشفائه من مرضه، وفى نفس الوقت وعده بالخلاص لنفسه ولكل بيته.

(٤) ولم يمض وقت طويل حتى تحقق وعده. لأنه بعد قيامته من الأموات وصعوده إلى السماء أرشد الوحى توما[٢] - أحد الرسل الأثنى عشر - فأرسل تداوس، الذى كان أيضا ضمن تلاميذ المسيح السبعين، إلى أدسا[٣] ليكرز ويبشر بتعاليم المسيح. وعلى يديه تم كل ما وعد به مخلّصنا.

(٥) ولديكم الدليل - المكتوب - على هذه الأمور مستمدا من سجلات أدسا، التى كانت فى ذلك الوقت مدينة ملكية، لأنه قد وجدت تلك الأمور محفوظة إلى الوقت الحاضر فى السجلات العامة الرسمية المتضمنة بيانات عن العصور الغابرة وعن أعمال أبجارا. وليس شىء أفضل من أن تسمعوا الرسائل نفسها التى أخذناها من السجلات الرسمية، وترجمناها حرفياً من اللغة السريانية على النحو التالى.

---

(١) ملك أدسا Edessa وكان معاصرا للمسيح. حكم من سنة ١٣ - ٥٠م. أما «أدسا» فهو الأسم اليونانى لمدينة قديمة شمال غرب ما بين النهرين (انظر الملاحظة ٢ فى الصفحة التالية).

(٢) انظر كتاب ٣ فصل ١ بخصوص التقليد الذى تواتر عن توما. انظر أيضا (٤) صفحة ٥٧.

(٣) Edessa عاصمة ملك آيجارا، وكانت مدينة شمال غرب ما بين النهرين قريبة من نهر الفرات، ويظن البعض أنها كانت فى موقع «أور» الكلدانيين وطن إبراهيم. وقد لعبت دورا هاما فى التاريخ المسيحى. وفيها أسس افرام السريانى مدرسة لاهوتية فى القرن الرابع غير أنها وقعت فى أيدى الأريوسيين بعد موته.

صورة رسالة كتبها أبجارا الحاكم

إلى يسوع

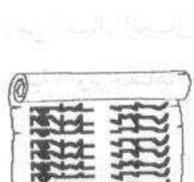
وأرسلها إليه فى أورشليم

على يد حنانيا[٣] الساعى الخفيف الحركة

(٦) السلام من أبجارا حاكم أدسا إلى يسوع المخلّص السامى، الذى ظهر فى مملكة أورشليم. لقد سمعت أنباءك وأنباء آيات الشفاء التى صنعتها بدون أدوية أو عقاقير. لأنه يقال إنك تجعل العمى يبصرون والعرج يمشون، وإنك تطهر البرص وتخرج الأرواح النجسة والشياطين، وتشفى المصابين بأمراض مستعصية وتقيم الموتى.

(٧) «وإذ سمعت كل هذه الأمور عنك استنتجت إنه لابد أن يكون أحد الأمرين صحيحا، إما أن تكون أنت الله، وإذ نزلت من السماء فإنك تصنع هذه الأمور، أو تكون أنت ابن الله إذ تصنع هذه الأمور.

(٨) «لذلك كتبت إليك لأطلب أن تكلف نفسك مؤونة التعب لتأتى إلى وتشفينى من المرض الذى أعانيه. لأننى سمعت أن اليهود يتذمرون عليك ويتآمرون لايذائك. ولكننى لدى مدينة جميلة جدا مع صغرها، وهى تتسع لكلينا».



---

(٣) يقول الناشرون للترجمة الأنكليزية أن حنانيا هذا كان فنانا وقد حاول رسم صورة للمسيح ولكن طلعته بهرته، على أن المسيح إذ غسل وجهه ومسحه بمنشفة انطبعت صورته عليها، فأخذت هذه الصورة إلى أدسا وحفظت المدينة من أعدائها.

إجابة يسوع على الحاكم أبجارا
على يد الساعى حنانيا

(٩) «طوباك يا من آمنت بى دون أن ترانى.[٤] لأنه مكتوب عنى أن الذين رأونى لا يؤمنون بى أما الذين لم يرونى فيؤمنون ويخلصون.[٥] أما بخصوص ما كتبت إلى عنه لكى آتى إليك فيلزمنى أن أتم هنا كل الأشياء التى من أجلها أرسلت، وبعد اتمامها أصعد ثانية إلى من أرسلنى. ولكننى بعد صعودى أرسل إليك أحد تلاميذى ليشفيك من مرضك ويعطى حياة لك ولمن لك».

(١٠) وقد أضيف لهاتين الرسالتين الوصف التالى باللغة السريانية. «وبعد صعود يسوع فإن يهوذا،[٦] الذى يدعى أيضا توما، أرسل إليه تداوس الرسول[٧] أحد السبعين. ولما أتى سكن مع طوبيا[٨] بن طوبيا. ولما ذاع خبره قيل لأبجارا أن أحد رسل يسوع أتى كما سبق أن كتب إليه.

(١١) «عندئذ بدأ تداوس يشفى كل مرض وكل ضعف بقوة الله، حتى تعجب الجميع. ولما سمع أبجارا بالأعمال العظيمة التى صنعها، وآيات الشفاء التى أجراها، بدأ يشتبه بأنه هو الذى كتب إليه عنه يسوع قائلا: بعد صعودى أرسل إليك أحد تلاميذى ليشفيك.

(١٢) «لذلك استدعى طوبيا الذى كان يسكن معه تداوس وقال: قد سمعت أن شخصا ذا سلطان أتى وهو يسكن فى بيتك. أحضره إلى. فأتى طوبيا إلى تداوس وقال له: استدعانى الحاكم أبجارا وأخبرنى أن آخذك إليه لكى تشفيه. فقال تداوس سأذهب لأننى أرسلت إليه بسلطان.

(١٣) «ومن ثم قام طوبيا مبكرا فى اليوم التالى، وأخذ تداوس وأتى إلى أبجارا. ولما أتى كان الأشراف حاضرين وقائمين حول أبجارا. وحالما دخل ظهرت رؤيا عظيمة لابجارا فى وجه الرسول تداوس. ولما رآها أبجارا انطرح أمام تداوس، بينما تعجب كل الواقفين، لأنهم لم يروا الرؤيا التى ظهرت لابجارا وحده.

(١٤) «ثم استعلم من تداوس ان كان هو حقا تلميذا ليسوع ابن الله الذى قال له سأرسل إليك

---

(٤) انظر (يو ٢٠ : ٢٩).

(٥) انظر (إش ٦ : ٩، آر ٥ : ٢١، حز ١٢ : ٢، مت ١٣ : ١٤، مر ٤ : ١٢ سيما اع ٢٨ : ٢٦ - ٢٨، رو ١١ : ٧ الخ).

(٦) لم يعرف توما باسم يهوذا. على أنه قد دعى باسم «يهوذا توما» فى «أعمال توما» وفى كتاب «تعاليم الرسل» السريانى.

(٧) قيل بأنه لم يحصر لقب الرسول فى الأثنى عشر بل كان يستعمل فى مدى أوسع.

(٨) لعله كان يهوديا.

أحد تلاميذى ليشفيك ويعطيك الحياة. فقال تداوس: لأنك آمنت بمن أرسلنى إيمانا قويا فقد أرسلت إليك. وأكثر من هذا إن كنت تؤمن به يمنح لك سؤل قلبك حسب إيمانك.

(١٥) «فقال له أبجارا: لقد آمنت به حتى أننى وددت أن أجرد جيشا وأهلك أولئك اليهود الذين صلبوه لو لم يؤخرنى عن ذلك سلطان الرومانيين. فقال تداوس: لقد تمم ربنا ارادة أبيه، وإذ تممها أصعد إلى أبيه. فأجاب أبجارا: وأنا أيضا آمنت به وبأبيه.

(١٦) «فقال له تداوس: ولذلك أضع يدى عليك باسمه. ولما فعل ذلك شفى أبجارا فى الحال من المرض والآلام كان يعانيها.

(١٧) «فذهل أبجارا لأنه كما سمع عن يسوع هكذا نال بالفعل على يدى تلميذه تداوس الذى شفاه بدون دواء أو عقاقير، وليس هو وحده بل أيضا أبدوس بن أبدوس الذى كان مصابا بالنقرس (داء المفاصل)، والذى أتى هو أيضا إليه وسقط عند قدميه، فشفى إذ نال البركة بوضع يديه. ولقد شفى تداوس هذا نفسه أيضا الكثيرين من سكان المدينة وصنع عجائب وأعمالا مدهشة وكرز بكلمة الله.

(١٨) «وبعد ذلك قال أبجارا: أنت يا تداوس تصنع هذه الأمور بقوة الله ونحن نتعجب. ولكننى علاوة على هذه أتوسل إليك أن تخبرنى عن مجىء يسوع، كيف ولد، وعن قوته، وبأية قوة كان يجرى تلك الأعمال التى سمعت عنها.

(١٩) «فقال تداوس: الآن سألتزم الصمت فعلا طالما كنت قد أرسلت لإذاعة الكلمة جهارا. ولكن غدا أجمع إلى كل مواطنيك فأكرز فى حضورهم وأغرس بينهم كلمة الله من مجىء يسوع كيف ولد وعن ارساليته، ولأية غاية أرسل من قبل الآب، وعن قوة أعماله والأسرار التى أذاعها فى العالم وبأية قوة عمل هذه الأمور، وعن تعليمه الجديد وانكاره لذاته وتواضعه، وكيف تنازل ومات وحجب لاهوته وصلب ونزل إلى الجحيم وحطم المتاريس التى لم تكن قد تحطمت منذ الأزل، وأقام الموتى، لأنه نزل وحده ولكنه قام مع كثيرين، وهكذا صعد إلى أبيه.

(٢٠) «وعلى ذلك أمر أبجارا مواطنيه للاجتماع فى الصباح الباكر لسماع كرازة تداوس، وبعد ذلك أمر بأن يعطى فضة وذهبا. ولنه رفض قائلا: إن كنا قد تركنا ما هو ملك لنا فكيف نأخذ ما هو لغيرنا؟

«هذه الأمور تمت فى السنة الثلاثمائة والأربعين». [٩]

وقد دونتها هنا فى موضعها المناسب منقولة عن السريانية حرفيا، وأرجو أن تؤدى خدمة نافعة.

(٩) من بدء تكوين مملكة أدسا التى كان أبجارا ملكا عليها. وقد بدأت سنة ١٧٠٦ من عهد إبراهيم (توافق ٣١٠ ق.م.)، فتكون السنة ٣٤٠ موافقة ٢٠٤٦ من عهد إبراهيم (أى ٣٠م). وبحساب يوسابيوس يكون صلب المسيح قد تم السنة التاسعة عشرة من حكم طيباريوس أى سنة ٢٠٤٨ من عهد إبراهيم أو ٣٢م.

الكتاب الثانى

مقدمة

(١) بحثنا فى الكتاب السابق تلك المواضيع فى التاريخ الكنسى التى كان لازما معالجتها كأمر تمهيدى وأرفقناها ببراهين وجيزة، وذلك مثل لاهوت الكلمة المخلص، وأقدمية التعاليم التى نعلم بها، وكذلك الحياة التبشيرية التى يحياها المسيحيون، والحوادث التى تمت بمناسبة ظهور المسيح الذى تم حديثا، وبمناسبة آلامه واختيار الرسل.

(٢) وفى هذا الكتاب لنبحث تلك الحوادث التى تمت بعد صعوده، مؤيدين بعضها، من الكتب الألهية، والبعض الآخر من الكتابات التى سنشير إليها من وقت لآخر.

الفصل الأول

الطريق الذى سلكه الرسل بعد صعود المسيح

(١) أذن فأول كل شيء أختير للرسولية -عوضا عن يهوذا الخائن- مقياس[١] الذى كان أيضا أحد السبعين كما بينا[٢] ومن أجل خدمة الشعب عين للشموسية بالصلاة ووضع أيدى الرسل رجال مشهود لهم، عددهم سبعة، كان استفانوس أحدهم. وهو أول من رجم حتى الموت بعد الرب، وذلك فى وقت رسامته وبواسطة قاتلى الرب، كأنه قد رقى لنفس هذا الغرض. وهكذا كان هو أول من نال الأكليل -وفقا لأسمه[٣] الذى يمتلكه شهداء المسيح الذين هم أهل لجزاء النصر.

(٢) وبعد ذلك دون عن يعقوب -الذى لقبه الأقدمون بالبار[٤] بسبب سموه فى الفضيلة- أنه صار أسقفا لكنيسة أورشليم. ويعقوب هذا كان يدعى أخو الرب لأن المعروف عنه أنه كان ابنا ليوسف، كان يظن أن يوسف أبو المسيح، لأن العذراء إذ كانت مخطوبة له قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس كما تبين رواية الأناجيل.[٥]

---

(١) انظر (اع ١ : ٢٣ - ٢٦). (٢) كتاب ١ فصل ١٢ : ٢. (٣) كلمة استفانوس فى اليونانية معناها اكليل.

(٤) هذا ما دعى به منذ عصر المسيح بسبب شدة تقواه. وقد عرف بهذا الاسم فى كل التاريخ. (٥) (مت ١ : ١٨).

(٣) ولكن اكليمنضس فى الكتاب السادس من مؤلفه «وصف المناظر»[٦] كتب هكذا «ويقال أن بطرس ويعقوب ويوحنا بعد صعود مخلصنا- كأشخاص ميزهم ربنا- لم يسعوا وراء الكرامة بل أختاروا يعقوب البار أسقفا لأورشليم».

(٤) ويروى عنه نفس الكاتب فى الكتاب السابع من نفس المؤلف الأمور التالية أيضا «أن الرب بعد قيامته وهب معرفة ليعقوب البار وليوحنا وبطرس، وهؤلاء أعطوها لباقى الرسل، وباقى الرسل أعطوها للسبعين الذين كان برنابا أحدهم.[٧] وقد كان هنالك أثنان باسم يعقوب. أحدهما يدعى البار، وهو الذى طرح من فوق جناح الهيكل، وضربه قصار[٨] حتى الموت بعصى غليظة، والآخر قطع رأسه».[٩] وقد ذكر بولس أيضا يعقوب البار هذا حينما كتب «لكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب».[١٠]

(٥) وفى ذلك الوقت أيضا تحقق وعد مخلصنا لملك الأوسرهونيين[١١] لان توما بارشاد الهى أرسل تداوس إلى أدسا ككارز ومبشر بديانة المسيح، كما سبق أن أوضحنا، قبل ذلك بقليل، من المستندات التى وجدت هناك.[١٢]

(٦) ولما أتى إلى ذلك المكان شفى أبجار بكلمة المسيح. وبعد أن نقل بأعماله كل الشعب هناك إلى العقل الراجح، وأرشدهم لتقدير قوة المسيح، تلمذهم لتعاليم المخلص. ومن ذلك الوقت إلى الآن كرست كل مدينة الأدسيين لاسم المسيح،[١٣] مقدمة برهانا غير عادى على احسان مخلصنا نحوهم أيضا.

(٧) ولقد استقيت هذه الأمور من الروايات القديمة. ولكن لنرجع الآن إلى الكتب الألهية. عندما أثار اليهود أول وأعظم اضطهاد على كنيسة أورشليم على أثر استشهاد استفانوس، وعندما تشتت

---

(٦) بخصوص هذا المؤلف انظر كتاب ٦ فصل ١٣. (٧) انظر كتاب ١ فصل ١٢ ملاحظة ٣ صفحة ٥٢.

(٨) قصار أى منظف الأقمشة أو مبيضها. ويقول يوسيفوس (أثار ٢٠ : ٩ : ١) أنه رجم حتى الموت. ولكن رواية اكليمنضس تتفق مع رواية هيجيسبوس التى أقتبسها يوسابيوس فيما بعد فى الفصل ٢٣.

(٩) هو يعقوب بن زبدى الذى قطع رأسه هيرودس أغريباس الأول سنه ٤٤م. انظر (أع ١٢ : ٢) والفصل التاسع من هذا الكتاب. (١٠) (غل ١ : ١٩).

(١١) Osrhoenians شعب أوسرهونيا وهى مقاطعة شمال غرب ما بين النهرين عاصمتها أدسا Edessa.

(١٢) انظر كتاب ١ فصل ١٣

(١٣) لا يعلم تاريخ دخول المسيحية إلى أدسا (انظر كتاب ١ فصل١٣) ولكنها كانت مركزا للاسقفية فى القرن الثالث، وفى عصر يوسابيوس كانت مكتظة بالكنائس الفخمة والأديرة الكثيرة.

كل التلاميذ -عدا الأثنى عشر- فى كل اليهودية والسامرة،[١٤] ذهب البعض كما تقول الكتب الألهية حتى فينيقية وقبرص وأنطاكية، ولكنهم إلى ذلك الوقت لم يجسروا على تقديم كلمة الأيمان إلى الأمم، ولذلك كرزوا بها لليهود فقط.[١٥]

(٨) وفى ذلك الوقت كان بولس لا يزال يضطهد الكنيسة، وإذ كان يدخل بيوت المؤمنين فأنه كان يجر الرجال والنساء ويودعهم فى السجن.[١٦]

(٩) وفيلبس أيضا، وهو أحد الذين رسموا شمامسة مع استفانوس، كان ضمن الذين تشتتوا ونزل إلى السامرة.[١٧] وبعد أن امتلأ قوة الهية كرز بالكلمة أولا إلى سكان تلك البلاد. وعملت معه النعمة الألهية بقوة حتى جذبت كلماته سيمون الساحر نفسه وآخرين كثيرين.[١٨]

(١٠) وكان سيمون وقتئذ قد اشتهر جدا، وحصل بشعوذته على نفوذ عظيم على من خدعهم، حتى ظن أنه هو قوة الله العظيمة.[١٩] لكنه فى هذا الوقت إذ بهرته الأعمال العجيبة التى صنعها فيلبس بالقوة الألهية، تظاهر بالأيمان وزيفه، وذهب إلى مدى أبعد لدرجة أنه قبل المعمودية.

(١١) والمدهش أن الذين يتبعون هرطقته الدنسة لا يزالون إلى اليوم ينسجون على منواله لأنهم اقتداء بأبيهم ينسلون إلى الكنيسة كمرض وبائى أو برص، وينقلون عدواهم لمن يستطيعون أن ينفثوا فيهم السم المروع القاتل المختفى فيهم. وقد طرد أغلب هؤلاء حالما أخذوا فى شرهم كما نال سيمون نفسه جزاءه العادل لما فضح بطرس أمره.

(١٢) ولما كانت الكرازة بانجيل المخلص تتقدم كل يوم فأن العناية دفعت من أرض الأثيوبيين ضابطا لملكة تلك البلاد، لأن أثيوبيا لا زالت حتى اليوم تحكمها امرأة حسب عادة الأجداد. فكان هو الأول بين الوثنيين الذى قبل أسرار الكلمة الألهية من فيلبس نتيجة رؤيا، وصار باكورة المؤمنين فى كل العالم. ويقال أنه لدى رجوعه لبلاده كان أول من نادى بمعرفة إله الكون والحلول المحيى لمخلصنا بين البشر. وهكذا عن طريقة تمت بالحق تلك النبوة التى تعلن أن «أثيوبيا تبسط يديها إلى الله».[٢٠]

(١٣) وعلاوة على هؤلاء فأن بولس، ذلك «الأناء المختار»[٢١] لا من الناس ولا بالناس بل باعلان يسوع المسيح نفسه والله الآب الذى أقامه من الأموات[٢٢] عين رسولا، إذ جعل أهلا للدعوة برؤيا وبصوت تكلم بأعلان من السماء.[٢٣]

---

(١٤) (اع ٨ : ١) (١٥) (اع ١١ : ١٩) (١٦) (اع ٨ : ٣) (١٧) (اع ٨ : ٥)
(١٨) (اع ٨ : ٥ الخ) . بخصوص سيمون انظر ف ١٣ التالى . (١٩) (اع ٨ : ١٠) (٢٠) (مز ٦٨ : ٣١)
(٢١) (اع ٩ : ١٥) (٢٢) (غل ١ : ١) (٢٣) انظر (اع ٩ : ٣ الخ)

الفصل الثانى

كيف تأثر طيباريوس لما أعلمه بيلاطس عن المسيح

(١) ولما ذاع فى الخارج خبر قيامة مخلصنا العجيبة وصعوده، فأنه جريا على العادة القديمة التى سرت بين حكام المقاطعات نحو أرسال تقرير للأمبراطور عن كل الحوادث الجديدة التى تحدث فيها لكى لا يخفى عليه شىء جريا على هذه العادة بعث بيلاطس البنطى إلى طيباريوس[١] بالأنباء التى ذاعت فى الخارج فى كل أرجاء فلسطين المتعلقة بقيامة مخلصنا يسوع من الأموات.

(٢) وقد أعطى وصفا أيضا عن عجائب أخرى عرفها منه، وكيف أنه بعد موته إذ قام من الأموات أعتقد الكثيرون أنه إلى. ويقال أن طيباريوس أحال الأمر إلى مجلس الأعيان، ولكنهم رفضوه، وكانت العلة الظاهرة أنهم لم يفحصوه أولا (إذ كان يوجد قانون قديم يقضى بأنه لا يجوز للرومانيين أن يؤلهوا أحدا إلا بعد أخذ رأى وقرار مجلس الأعيان)، ولكن كانت العلة الحقيقية أن التعليم المخلص للأنجيل الألهى لم يكن فى حاجة إلى تأييد البشر أو توصيتهم.

(٣) ورغم أن مجلس أعيان الرومانيين رفض الأقتراح المقدم عن مخلصنا فأن طيباريوس بقى متمسكا برأيه الذى سبق أن كونه، ولم يفكر فى أية إجراءات عدائية ضد المسيح.

(٤) هذه الأمور دونها ترتوليانوس،[٢] وهو رجل خبير بقوانين الرومانيين، وذو شهرة عظيمة فى نواح أخرى، وأحد الرجال الأفذاذ فى روما، وفى احتجاجه[٣] عن المسيحيين الذى كتبه باللغة اللاتينية وترجم إلى اليونانية كتب ما يلى:

(٥) «ولكى نقدم وصفا عن هذه القوانين من مصدرها نقول أنه كان هنالك أمر عال قديم بأن لا يؤله الأمبراطور أحدا قبل أن يعطى مجلس الأعيان موافقته. هذا ما فعله مرقس أوريليوس بصدد وثن معين يدعى البورنوس. وهذه نقطة فى مصلحة تعاليمنا أن الكرامة الألهية لا توهب بينكم إلا بأوامر

---

(١) قرر ترتوليانوس أيضا أن بيلاطس أرسل إلى طيباريوس تقريرا رسميا.

(٢) ولد ترتوليانوس فى قرطاجنة حوالى سنة ١٦٠م. وكان أبوه قائد مائة رومانيا أما هو فأشتغل كمحام فى روما. ولكنه اعتنق المسيحية حوالى سنة ١٨٠ أو ١٩٠م. وصار قسا حسب رأى جيروم. وقد كتب عدة كتب.

(٣) يعتبر كتاب احتجاجاته من أشهر ما كتب.

عالية بـشرية· فأن كان أى إله لا يرضى أنسـانا ما فإنه لا يؤله· وهكذا نرى بمقتـضى هذه العادة أنه فى الضرورى للأنسان أن يكون كريما من نحو الله·

(٦) «لذلك فأن طيباريوس –الذى فى عهـده دخل اسم المسيح إلى العالم– عندما وصل إليه هذا التعلـيم من فلسطين التى بدأ فيـها أولا، اتصل بمجلس الأعـيان، وبين لهم بكل وضـوح أعجـابه بهذا التعليم· ولكن مجلس الأعيان رفضه لأنه لم يفصحه بنفسه· أما طيباريوس فأنه ظل متمسكا برأيه وهدد بالموت متهمى المسيحيين»·

ولقد وضـعت العناية السمـاوية هذا بحكمة فى عـقله لكى لا يعاق تعليم الأنجـيل فى بداءته بل ينتشر فى كل أرجاء العالم»·



الفصل الثالث

لقد انتشر تعليم المسيح بسرعة فى كل العالم

(١) وهكذا تحت تأثير القوة السماوية، وبتعاون إلهى، أنار تعليم المخلص كل العالم بسرعة كأشعة الشمس، وللحال خرج صوت الأنجيليين والرسل الملهمين إلى كل الأرض وإلى أقصى المسكونة كلماتهم.[١]

(٢) وسرعان ما تأسست الكنائس فى كل مدينة وقرية، وامتلأت بجماهير الشعب كبيدر ملىء بالحنطة. والذين كبلت عقولهم بقيود خرافات مرض الوثنية القديم نتيجة الأخطاء التى تحدرت إليهم من أبائهم وأجدادهم تحرروا بقوة المسيح العاملة فى تعليم تلاميذه وأعمالهم العجيبة، كأنهم قد تحرروا من أسياد قساة، وأطلق سراحهم من أقسى أنواع العبودية. واستقبحوا كل أنواع العبادة الوثنية الشيطانية القائلة بتعدد الألهة وجحدوها، واعترفوا بأنه يوجد إله واحد فقط، خالق كل الأشياء، وأكرموه برسوم التقوى الحقيقية بواسطة العبادة الموحى بها المعقولة التى غرسها مخلصنا بين البشر.

(٣) وإذ أنسكبت النعمة الألهية الأن بين سائر الأمم، فأن كرنيليوس الذى من قيصرية فلسطين، قبل أولا الأيمان بالمسيح مع كل بنيه بواسطة رؤيا إلهية وعلى يدى بطرس.[٢] وبعده جمهور من يونانيين أخرين فى انطاكية،[٣] بشرهم بالأنجيل أولئك الذين تشتتوا بسبب اضطهاد استفانوس. ولما بدأت كنيسة انطاكية تزداد وتتكاثر، وقدم إليها أنبياء كثيرون من أورشليم،[٤] من بينهم برنابا وبولس، وأخوة كثيرون آخرون، فأن اسم «المسيحيين» بزغ هناك أولا[٥] كما من ينبوع عذب محيى.

(٤) ،نطق أغابيوس -واحد من الأنبياء كان معهم- بنبوة عن المجاعة التى كانت مزمعة أن تحصل، فأرسل بولس وبرنابا لسد احتياجات الأخوة.[٦]

---

(١) (مز ١٩ : ٤) (٢) (اع ١٠) (٣) (اع ١١ : ٢٠ و ٢١) (٤) انظر (اع ١١ : ٢٢ إلخ)

(٥) (اع ١١ : ٢٦) اطلق هذا الاسم على التلاميذ أولا بواسطة وثنى أنطاكية لا بواسطة اليهود ولا بواسطة الرسل أنفسهم يرن الكلمة يندر أن نجدها فى العهد الجديد. (٦) (اع ١١ : ٢٨ - ٣٠)

الفصل الرابع

بعد موت طيباريوس عيّن كايوس أغريبّاس ملكا على اليهود بعد أن عاقب هيرودس بنفى مؤبد

(١) ومات طيباريوس بعد أن حكم نحو اثنتين وعشرين سنة[١] وخلفه على الأمبراطورية كايوس.[٢] وللحال أعطى حكم اليهود لأغريباس،[٣] جاعلا أياه ملكا على ولايتى فيلبس وليسانيوس، وعلاوة عليهما -بعد ذلك بوقت قصير- منحه ولاية هيرودس، إذ عاقب هيرودس[٤] (الذى تألم المسيح فى أيامه[٥] وامرأته هيروديا بنفى مؤبد بسبب جرائم متعددة. ويشهد بهذه الحقائق يوسيفوس.[٦]

(٢) وفى عهد هذا الأمبراطور اشتهر فيلو،[٧] وهو رجل كان معروفا جدا لا بين الكثيرين من بنى جنسنا فقط بل أيضا بين الكثيرين من العلماء خارج الكنيسة. لقد كان عبرانيا بالمولد، ولكنه لم يكن أدنى ممن اعتلوا أسمى المراكز فى الأسكندرية. أما كيف تعب كثيرا فى الكتب المقدسة وفى دراسات أمته فهذا واضح للجميع من العمل الذى أتمه. وليس من الضرورى أن نبين كيف أنه كان خبيرا بالفلسفة والدراسات الحرة للأمم الأجنبية طالما عرف عنه أنه فاق كل معاصريه فى دراسة الفلسفة الأفلاطونية والفيثاغورية التى كرس لها جهوده بصفة خاصة.

✣ † ✣

---

(١) من ٢٩ أغسطس سنة ١٤م إلى ١٦ مارس سنة ٣٧م.

(٢) حكم كايوس من موت طيباريوس إلى ٢٤ يناير سنة ٤١م.

(٣) هيرودس أغريباس الأول، وكان ابن أرسطوبولس وحفيد هيرودس الكبير وقد تعلم فى روما وكسب صداقة كايوس الذى حالما أرتقى العرش جعله ملكا على ولايتى فيلبس وايسانيوس. وفى سنة ٣٩م أعطاه ولاية الجليل وبيريه التى كان يحكمها هيرودس انتباس. وبعد موت كايوس عينه كلوديوس خلفه ملكا أيضا على ولاية اليهودية والسامرة الأمر الذى جعله ملكا على كل فلسطين. وهذا ملك مترامى الأطراف كملك هيرودس الكبير. وكان محافظا على الناموس اليهودى ولذا نجح فى كسب محبة اليهود. وهو الذى قطع رأس يعقوب الكبير وسجن بطرس اع ١٢. ومات بمرض مسروع فى سنة ٤٤م. انظر الفصل العاشر فيما بعد.

(٤) هيرودس انتيباس.

(٥) انظر لو ٢٣ : ٧ - ١١

(٦) آثار ١٨ : ٦ و ٧ وتاريخ اليهود ٢ : ٩ ، ٦

(٧) كان يهوديا اسكندريا من عائلة رفيعة.

الفصل الخامس

إرسالية فيلو إلى كايوس نيابة عن اليهود

(١) لقد أعطانا فيلو -فى خمسة كتب- وصفا عن مصائب اليهود فى عهد كايوس. وفى نفس الوقت وصف جنون كايوس: كيف دعا نفسه إلها، وأجرى -كامبراطور- مظالم لا حصر لها. ثم وصف بعد ذلك بلايا اليهود فى عهده، وقدم بيانا عن الأرسالية التى أرسل فيها هو نفسه إلى روما نيابة عن شعبه فى الأسكندرية، وكيف أنه عندما ظهر أمام كايوس دفاعا عن شرائع آبائه لم يلق إلا الضحك والسخرية، معرضا حياته للخطر.

(٢) ويذكر يوسيفوس أيضا هذه الأمور فى الكتاب الثامن عشر من مؤلفه «الآثار» فى الكلمات التالية.[١]

«إذ قامت فتنة فى الأسكندرية بين اليهود الساكنين هناك واليونانيين[٢] أختير ثلاثة مندوبين من كل طرف وذهبوا إلى كايوس.

(٣) كان «أبيون» [٣] أحد مندوبى الأسكندرية. وقد تفوه بشتائم كثيرة ضد اليهود، وضمن ما قاله أنهم تغافلوا عن الأكرام الواجب لقيصر. لأنه بينما أقام كل رعايا روما مذابح وهياكل إلى كايوس، وعاملوه فى كل النواحى الأخرى معاملة الإلهة، فأنهم وحدهم أعتبروه أمرا مشينا أن يكرموه بأقامة التماثيل ويحلفوا باسمه.

(٤) «وعندما وجه أبيون تهما قاسية كثيرة كان يرجو أن يهيج بها كابوس كما كان منتظرا فعلا، فأن فيلو رئيس وفد اليهود، وهو رجل محترم من كل وجه، وأخ اسكندر الأبارك،[٤] ومقتدر فى الفلسفة، كان مستعدا للدفاع ردا على تهمه.

---

(١) آثار ١٨ : ٨ : ١

(٢) بدأت هذه الفتنة سنة ٣٨م بعد اعتلاء كايوس العرش مباشرة.

(٣) رئيس المندوبين اليونانيين، وكان كاتبا قديرا وعالما يونانيا كما من ألد أعداء اليهود.

(٤) رئيس قضاة اليهود فى الأسكندرية، وكان غنيا جدا وذا نفوذ واسع.

(٥) «ولكن كايوس منعه وأمره بمغادرة المكان٠ وإذ تهيج جدا كان واضحا أنه يفكر فى اتخاذ بعض أجراءات قاسية ضدهم٠ وغادر فيلو المكان تغطية الأهانة، وقال لليهود المرافقين له أن يتشجعوا، لأنه بينما كان كايوس ثائرا ضدهم كان هو فى الواقع يجاهد مع الله» ٠ إلى هنا تنتهى رواية يوسيفوس٠

(٦) أما فيلو نفسه، فى مؤلفة عن «الأرسالية» الذى كتبه، فإنه يصف بدقة وتفصيل كل ما فعله فى ذلك الوقت٠ ولكننى سأتغاضى عن معظم هذا، وأدون فقط تلك الأمور التى توضح بجلاء للقارىء أن مصائب اليهود حلت بهم بعد وقت وحيز من أعمالهم الجرئية ضد المسيح وبسببها٠

(٧) ففى بادىء الأمر يروى أنه فى روما، وفى وقت حكم طيباريوس، بذل سيجانوس -الذى كان وقتئذ يحظى بنفوذ عظيم لدى الأمبراطور- كل جهد لأبادة الأمة اليهودية عن آخرها٠[٥] وفى اليهودية حاول بيلاطس -الذى أرتكبت فى عهده الجرائم ضد المخلص- أتخاذ إجراء مخالف للناموس اليهودى من ناحية الهيكل الذى كان لا يزال وقتئذ قائما فى أورشليم، مما هيج اليهود وفعهم لأحداث شغب عظيم٠[٦]



(٥) كان اليهود يحظون بعطف أوغسطس قيصر٠ ولكن طيباريوس ثار ضدهم٠ ثم طردوا من روما وحلت بهم مظالم كثيرة٠

(٦) برهن بيلاطس على قسوة متناهية فى اضطهاد اليهود بطرق متنوعة ووسائل شتى فى كل مدة حكمه٠

الفصل السادس

المصائب التى حلت باليهود بعد وقاحتهم على المسيح

(١) بعد موت طيباريوس سلمت مقاليد الأمبراطورية إلى كايوس، وبجانب المظالم التى لا حصر لها التى أرتكبها ضد شعوب كثيرين، بطش بصفة خاصة بكل أمة اليهود. وهذه أمور نتعلمها بإيجاز من كلمات فيلو الذى كتب ما يلى.

(٢) «كان شذوذ كايوس فى تصرفاته نحو الجميع شديدا جدا، سيما نحو أمة اليهود. وقد بلغت كراهيته لهؤلاد الأخيرين أشدها، حتى أنه أتخذ لنفسه أماكن عبادتهم فى المدن الأخرى وبدأ بالأسكندرية فملأ هذه الأماكن، بتماثيل وصور لشخصه (لأنه إذ سمح للأخرين بأقامتها فكأنه أقامها هو بنفسه). أما الهيكل فى المدينة المقدسة، الذى كان لم يمس إلى ذلك الوقت، وكان معتبرا مكانا لا تنتهك حرمته، فأنه غيره وحوله إلى هيكل لنفسه ليدعى إلى هيكل جوبتر «المشترى» المنظور، كايوس الأصغر».

(٣) وفى مؤلف آخر لنفس الكاتب دعاه «الفضائل» دون مصائب أخرى مروعة، لا تحصى ولا يمكن أ توصف، حلت باليهود فى الأسكندرية أثناء حكم نفس الأمبراطور. ويتفق معه أيضا يوسيفوس الذى يوضح كذلك أن مصائب كل الأمة بدأت فى عهد بيلاطس وعقب جرائمهم الجريئة ضد المخلص.

(٤) استمع إلى ما يقوله فى الكتاب الثانى من مؤلفه عن «حرب اليهود» حيث يكتب الأتى:

«لما أرسل بيلاطس إلى اليهودية كوال من قبل طيباريوس حمل إلى أورشليم ليلا تماثيل للأمبراطور مقنعة، دعيت رموزاً. وفى اليوم التالى أحدث هذاأعظم اضطراب بين اليهود. لأن القريبين اضطربوا من المنظر لما رأوا أن نواميسهم تداس بالأقدام. فهم لا يسمحون بأقامة أى تمثال فى مدينتهم».

(٥) وبمقارنة هذا بكتابات الأنجليين ترى أنه لم يمض وقت طويل حتى حل بهم القصاص من أجل صراخهم فى عهد بيلاطس نفسه عندما صرخوا قائلين أنهم ليس لهم ملك إلا قيصر.[١]

(٦) وقرر نفس الكاتب فيما بعد أنه حلت بهم بعد ذلك مصيبة أخرى، فكتب الآتى: «بعد هذا أثار فتنة أخرى باستخدام الأموال المقدسة التى تدعى «قربان» لانشاء قناة ماء طويلها ثلاثمائة ستاديا.[٢]

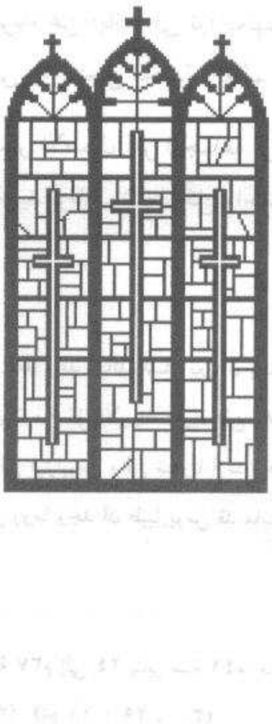
---

(١) (يو ١٩ : ١٥).

(٢) مقياس طوله نحو ٢٠٠ مترا.

(٧) «أما الجماهير فاستاؤوا من الأمر جدا . ولما جاء بيلاطس إلى أورشليم أحاطوا عرشه، وقدموا شكاويهم بصوت عال . أما هو فإذ أحس مقدما بالشغب وزع بين الجماهير جنودا مسلحين متخفين فى زى مدنيين، ومنعهم من استعمال السيف، بل أمرهم بأن يضربوا بهراوة كل من يرفع صوته صائحا، وعندئذ أعطاهم الأشارة السابق الأتفاق عليها . وإذ ضرب اليهود هلك الكثيرون منهم نتيجة الضرف، بينما ديس آخرون كثيرون تحت أقدام مواطنيهم لدى هربهم، وهكذا قتلوا . على أن الجماهير إذ أشتد خوفهم بسبب ما رأوه من مصير الذين قتلوا خلدوا إلى الهدوء» .

(٨) وعلاوة على هذه سجل نفس الكاتب أخبار فتنات أخرى كثيرة ثارت فى أورشليم نفسها، وبين كيف تتابعت بسرعة الفتنات والحروب والمؤامرات الدنيئة منذ ذلك الوقت، ولم تبطل قط فى المدينة وفى كل اليهود إلا بعد أن أطبق علهيم أخيرا حصار فسبسيان . وهكذا نرى أن الأنتقام الإلهى حل باليهود بسبب الجرائم التى تجاسروا على أرتكابها ضد المسيح .



الفصل السابع

انتحار بيلاطس

ومما يجدر بالملاحظة أن بيلاطس نفسه، الذى كان حاكما فى أيام مخلصنا، قيل عنه أنه حلت به بعض المصائب فى عهد كايوس، الذى نتحدث الآن عن عهده، حتى أنه أضطر إلى أن يصير قاتل نفسه ومنفذ القتل.[١] وهكذا لم يبطىء الأنتقام الألهى فى الأقتصاص منه. هذا ما رواه المؤرخون اليونانيون الذين كتبوا الأولومبياده ودونوا الحوادث المتتابعة التى حدثت فى كل فترة.

الفصل الثامن

المجاعة التى حدثت في عصر كلوديوس

(١) لم يتم كايوس فى الحكم أربع سنوات حتى خلفه الأمبراطور كلوديوس.[١] وفى عهده حلت بالعالم مجاعة رواها الكتاب الغرباء عن ديانتنا فى تواريخهم. وهكذا تمت نبوة أغابوس المدونة فى سفر أعمال الرسل[٢] التى كانت تقضى بأنه ستحل مجاعة بالعالم كله:

(٢) وبعد أن ذكر لوقا فى سفر الأعمال أمر المجاعة فى أيام كلوديوس، وروى أن الأخوة فى أنطاكية أرسلوا إلى الأخوة فى اليهودية بيد برنابا وشاول كل واحد منهم حسب مقدرته[٣] أضاف الرواية التالية:

---

(١) كان سقوط بيلاطس على هذا الوجه: لقد وعد قائد السامريين أن يكشف عن الكنوز المقدسة التى قيل أن موسى أخفاها فى جبل جرزيم. فتجمع السامريون من كل الأرجاء. وإذ ظن بيلاطس أن هذا التجمع فتنة جرد جيشا ضدهم فقتل منهم كثيرين. ولما شكا السامريون إلى فيتيليوس والى سوريا أرسل هذا الوالى بيلاطس إلى روما سنة ٣٦م ليجيب عن التهم الموجهة إليه. ولدى وصوله إلى روما وجد أن طيباريوس قد مات وجلس على العرش مكانه كايوس الذى نفاه إلى فينا حيث أنتحر هناك.

---

(١) ظل كايوس فى الحكم من ١٨ مارس سنة ٣٧م إلى ٢٤ يناير سنة ٤١م حتى خلفه عمه كلوديوس.

(٢) (اع ١١ : ٢٨)

(٣) (اع ١١ : ٢٩ و ٣٠)

الفصل التاسع

استشهاد يعقوب الرسول

(١) «وفى ذلك الوقت[١] (واضح أنه يشير إلى وقت كلوديوس) مد هيرودس الملك[٢] يدية ليسىء إلى أناس من الكنيسة. فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف».

(٢) أما بخصوص يعقوب هذا فأن أكليمنضس فى الكتاب السابع من مؤلفه «وصف المناظر» يروى رواية جديرة بالذكر، ناقلا أياها كما وصلت إليه ممن عاصروه. فيقول أن الشخص الذى قاد يعقوب إلى المحاكمة تأثر عندما رآه حاملا شهادته، واعترف أنه هو أيضا مسيحى.

(٣) ثم يقول أن كليهما أقتيدا معا إلى الخارج، وفى الطريق توسل إلى يعقوب أن يسامحه. أما هو فبعد تفكير قصير قال «سلام معك» وقبله. وهكذا قطعت رأس كليهما فى وقت واحد.

(٤) وبعد ذلك -حسب رواية الكتب الألهية- إذ رأى هيرودس، بعد موت يعقوب، أن ذلك يرضى اليهود، هجم على بطرس أيضا وأودعه السجن، وأراد قتله لولا أنه أطلق سراحه من وثقه بكيفية عجيبة، وحرر لخدمة الأنجيل، وذلك بعد رؤيا إلهية رأى فيها ملاكا أتاه ليلا. هكذا كانت عناية الله ببطرس.

---

(١) (اع ١٢ : ١ و ٢)

(٢) هيمودس أغريباس الأول. انظر الفصل الرابع ملاحظة ٦

الفصل العاشر

إذ اضطهد أغريباس – الذى يدعى أيضا هيرودس – الرسل حل به الانتقام الإلهى فى الحال

(١) لم تتأخر كثيرا نتائج تدبيرات الملك ضد الرسل. ولكن انتقام العدل الألهى حل به بعد مؤامراته ضدهم مباشرة كما يخبرنا سفر الأعمال.[١] لأنه لما سافر إلى قيصرية فى أحد الأعياد المشهورة، ولبس حلة فاخرة ملوكية، ألقى خطابا للشعب من كرسى مرتفع أمام القصر. ولما استحسن كل الجمهور الخطاب، مدعين أن الصوت صوت إله لا صوت إنسان، يروى الكتاب أن ملاك الرب ضربه، وإذ صار يأكله الدود أسلم الروح.

(٢) ونحن لا يسعنا إلا الأعجاب برواية يوسيفوس لأتفاقه مع الكتب الألهية بصدد هذا الحادث العجيب. لأنه يشهد للحق بوضوح فى الكتاب التاسع عشر من مؤلفه «الآثار» حيث يتحدث عن هذه الأعجوبة فى الكلمات التالية.

(٣) «ولما أكمل السنة الثالثة من حكمه على كل اليهودية[٢] جاء إلى قيصرية التى كانت تدعى سابقا حصن ستراتو[٣] وهنالك أقام الألعاب اكراما لقيصر، لعلمه أن هذا عيد يحتفل به تذكارا لنجاة قيصر. وفى هذا العيد أحتشد عدد عظيم جدا من الأشراف وأعيان الولاية.

(٤) «وفى اليوم الثانى من الألعاب تقدم إلى المرسح عند بزوغ النهار لابسا حلة كلها من فضة ونسيج فاخر. وهنالك تلمعت الفضة بانعكاس أشعة الشمس المبكرة، فأضاءت بكيفية خلابة، وأبرقت وضاءت حتى أحدثت نوعا من الرعب والفزع فى قلوب المتطلعين إليها.

(٥) «وللحال رفع متملقوه أصواتهم، الواحد من هنا والآخر من هناك، بكيفية لم تكن فى مصلحته، داعين إياه إلها وقائلين: كن رحيما، أن كنا إلى الآن قد خشيناك كأنسان فأننا من الآن نعترف بأنك أسمى من طبيعة البشر الذين يفنون.

---

(١) (اع ١٢ : ١٩ الخ)

(٢) سنة ٤٤م. فأن أغريباس بدأ يحكم كل المملكة سنة ٤١م انظر ملاحظة ٦.

(٣) تقع قيصرية على البحر الأبيض المتوسط شمال غرب أورشليم. وفى أيام سترابو كانت هنالك مدينة صغيرة تدعى حصن ستراتو. ولكن هيرودس الكبير بنى سنة ١٠ ق م مدينة قيصرية التى سرعان ما أصبحت أهم مدينة رومانية فى فلسطين. وصارت فيما بعد مقرا لمدرسة مسيحية عظيمة، كما لعبت دورا هاما فى تاريخ الكنيسة. وكان يوسابيوس نفسه أسقفا لها.

(٦) «لم يوبخهم الملك، ولا رفض تملقهم الوقح: ولكنه بعد قليل إذ نظر إلى فوق رأى ملاكا جالسا أعلى رأسه، فأدرك فى الحال أن هذا سيكون سبب شر كما كان فى أحدى المرات سبب حظ طيب،[٤] وضرب بألم نافذ إلى قلبه.

(٧) «وللحال حلت بأمعائه آلام بدأت بمنتهى الشدة. وإذ تطلع إلى أصدقائه قال: لقد صدر الأمر الآن لى أنا إلـهكم لمغادرة هذه الحياة، شاء القدر أن يكذب كلمات الخداع التى نطقتم بها عنى الآن. فأن من دعوتموه خالدا يساق الآن إلى الموت. ولكننا يجب أن نقبل مصيرنا كما حدده الله. لأننا لم نقض حياتنا قط فى هوان بل فى مجد، فى تلك العظمة التى يدعونها سعادة:

(٨) «ولما قال هذا تلوى فى آلام مبرحة. فحمل عاجلا إلى القصر، وأنتشرت الأخبار بين الجميع بأن الملك سيموت سريعا لا محالة. أما الجماهير فأنهم مع زوجاتهم وأولادهم جلسوا على المسرح كعادة آبائهم، وتضرعوا إلى الله من أجل الملك، وامتلأ كل مكان بالعويل والدموع.[٥] وإذ كان الملك مضطجعا فى غرفة عالية ورآهم فى أسفل، منبطحين على الأرض، لم يتمالك نفسه من البكاء.

(٩) «وبعد أن ظل خمسة أيام بلا انقطاع يعانى آلاما شديدة فى أمعائه، فارق الحياة فى الرابعة والخمسين من عمره، وفى السابعة من ملكه.[٦] وقد حكم أربع سنوات فى عهد الأمبراطور كايوس. ثلاثا منها على ولاية فيلبس التى أضيفت إليها ولاية هيرودس[٧] فى السنة الرابعة، وثلاث سنوات فى عهد الأمبراطور كلوديوس».

(١٠) وأننى لا تعجب أشد العجب كيف أن يوسيفوس فى هذه الأمور، كما فى غيرها، يتفق تماما مع الكتب الألهية. أما إذا بدا لأى واحد أى اختلاف من جهة اسم الملك، فأن التواريخ والحوادث على الأقل تبين أن نفس الشخص هو المقصود بالذات، سواء حدث تغيير الاسم لسبب خطأ الناسخ أو لأنه كان كالكثيرين يحمل اسمين.[٨]

---

(٤) وردت هذه الفقرة فى تاريخ يوسيفوس هكذا «ولكنه إذ نظر إلى فوق بعد ذلك مباشرة رأى بومة جالسة على جبل أعلى رأسه فأدرك فى الحال أن هذا الطائر نذير بالأخبار السيئة كما كان فى أحدى المرات بشيرا له بالأخبار الطيبة». ويعلل بعض المؤرخين هذا الأختلاف باختلافات فى نسخ تاريخ يوسيفوس.

(٥) هذا يبين مقدار نجاح اغريباس فى استمالة قلوب اليهود، بعكس ما ظهر عند موت جده هيرودس الكبير.

(٦) ولد سنة ١٠ق.م. وبدأ يحكم خلفا لفيلبس وليسانيوس فى سنة ٣٧. انظر ملاحظة ٣ ص ٧١.

(٧) هيرودس انتيباس.

(٨) كان لوقا يطلق على الملك دواما اسم هيرودس وهو اسم العائلة، أما يوسيفوس فيدعوه باسمه اغريباس. وهو المعروف لنا باسم هيرودس اغريباس. وهو المعروف لنا باسم هيرودس اغريباس الأول.

الفصل الحادى عشر

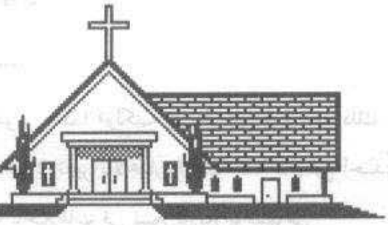
ثوداس المحتال وأتباعه

(١) يحدثنا لوقا فى سفر الأعمال أن غمالائيل قال، فى المشاورة التى تمت بخصوص الرسل، أنه فى الوقت المشار إليه «قام ثوداس مفتخرا بنفسه أنه شيء. الذى قتل. وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا»[١] والآن دعنا نضيف رواية يوسيفوس عن هذا الرجل. فأنه دون فى مؤلفه المشار إليه الظروف التالية:

(٢) «لما كان فادوس[٢] واليا على اليهودية قام شخص محتال يدعى ثوداس وأقنع جمهورا كبيرا جدا بأن يأخذوا ممتلكاتهم ويتبعوه إلى نهر الأردن. لأنه قال أنه نبى وأن النهر سينشق بناء على أمره ويمهد لهم معبرا سهلا. وبهذه الكلمات خدع الكثيرين.

(٣) «غير أن فادوس لم يسمح لهم بالتمادى فى حماقاتهم، بل أرسل فرقة من الخيالة ضدهم، فوقعوا بهم على غير انتظار وقتلوا منهم كثيرين، وألقوا القبض على كثيرين آخرين أحياء، بينما أخذوا ثوداس نفسه أسيرا، وقطعوا رأسه وحملوها إلى أورشليم».

وعلاوة على هذا يذكر أيضا المجاعة التى حدثت فى أيام كلوديوس بالكلمات التالية.



(١) (اع ٥ : ٣٦).

(٢) Fadus حوالى سنة ٤٤م.

الفصل الثانى عشر

هيلانة ملكة الأوسراهينيين[١]

(١) «[٢] وفى هذا الوقت(٣) حدثت فى اليهودية المجاعة العظيمة التى فى أثنائها اشترت الملكة هيلانة(٤) قمحا من مصر بمبالغ طائلة ووزعته على المحتاجين».

(٢) وهذه الحقيقة تجدها أيضا متفقة مع سفر أعمال الرسل، حيث قيل أن التلاميذ فى أنطاكية «حتموا حسبما تيسر لكل منهم أن يرسلوا مساعدة إلى الأخوة الساكنين فى اليهودية. الأمر الذى فعلوه أيضا مرسلين إلى المشايخ بأيدى برنابا وبولس»(٥).

(٣) على أنه لا تزال هنالك آثار عظيمة فى ضواحى المدينة التى تدعى الآن إليا(٦) لهيلانة هذه التى ذكرها المؤرخ. ولكن يقال أنها كانت ملكة الأديابينين.

(١) انظر الملاحظة ٧ صفحة ٦٥.

(٢) يوسيفوس (آثار ٢٠ : ٥ : ٢).

(٣) فى عهد الواليين كوسبيوس فادوس وطيباريوس اسكندر.

(٤) كانت زوجة للملك مونابازوس Monabazus ملك اديابين Adiabene وأما لايزاتس Lzates الذى خلفه. وقد اعتنقت هذه الملكة هى وابنها الديانة اليهودية وقدما خدمات جليلة لليهود حتى أنهما بعد موتهما نقلت جثتاهما إلى أورشليم ودفنا جانب الأسوار مباشرة من الخارج حيث كانت هيلانة قد بنت ثلاثة أهرامات (اثار ٢٠ : ٤ : ٣).

(٥) (اع ١١ : ٢٩ و ٣٠).

(٦) Aelia كانت هى المدينة الوثنية التى بناها هادريان مكان أورشليم (انظر فيما يلى كتاب ٤ فصل ٦).

الفصل الثالث عشر

سيمون الساحر

(١) إذ ذاع الآن الأيمان بمخلصنا وربنا يسوع المسيح بين كل البشر دبر عدو خلاص الأنسان خطة للأستيلاء على المدينة الأمبراطورية · لذلك دفع سيمون السابق ذكره وساعده فى فنونه المضللة، وضلل الكثيرين من سكان روما، وهكذا جعلهم فى سلطانه·

(٢) هذا ما قرره يوستينوس، وهو أحد كتابنا البارزين، عاش بعد عصر الرسل بوقت قصير· وسأتحدث عنه فى المكان المناسب(١) · خذ اقرأ كتابة هذا الرجل الذى فى احتجاجه الأول(٢) الذى ألقاه أمام انطونين دفاعا عن ديانتنا كتب ما يلى(٣) ·

(٣) «وبعد صعود الرب إلى السماء دفعت الشياطين رجالا معينين قالوا أنهم آلهة، ولم يسمحوا لهم فقط بأن يظلوا غير مضطهدين، بل اعتبروا أيضا مستحقين الإكرام· كان أحدهم سيمون، وهو سامرى من قرية جتو(٤) · وفى عهد كلوديوس قيصر أجرى فى مدينتك الأمبراطورية بعض أعمال السحر العجيبة بفضل الشياطين التى كانت تعمل فيه، واعتبر إلها، وكاله أكرمته بتمثال أقيم فى نهر التيبر(٥) بين القنطرتين، ونقشت عليه هذه الكتابة باللاتينية Simoni Des Sancto أى (إلى سيمون الإله القدوس)·

(٤) «وصار كل السامريين تقريبا، وقليلون حتى من الأمم الأخرى، يعترفون به ويعبدونه كالأله الأول· وجالت معه فى ذلك الوقت امرأة تدعى هيلانة(٦) ، كانت سابقا عاهرة فى مدينة صور من أعمال فينيقية، وهم يدعونها الفكرة الأولى التى برزت منه»·

---

(١) كتاب ٤ فصل ٨ و ١١ و ١٦ - ١٨·

(٢) بخصوص احتجاج يوستينوس اقرأ فيما بعد ك ٤ ف ١٨·

(٣) احتجاجات يوستينوس ١ : ٢٦·

(٤) Gitto احدى قرى السامرة ·

(٥) أى فى الجزيرة القائمة وسط نهر التيبر، وهى تحت الفاتيكان بمسافة قصيرة ·

(٦) تحدث عنها بنفس المعنى كل من آيناوس وهيبوليتس وترتليانوس وابيفانيوس إلخ ·

(٥) وقد روى هذه الأمور يوستينوس، وأتفق أيضا إيريناوس فى الكتاب الأول من مؤلفه «ضد الهرطقات»، حيث تحدث عن هذا الرجل وعن تعاليمه الفاسدة. ويعتبر من باب تحصيل الحاصل سرد روايته هنا، لأنه من السهل لمن يريد معرفة أصل المهرطقين الذين اتبعوه وحياتهم وتعاليمهم الكاذبة، ومعرفة العوائد التى مارسوها كلهم، أن يجدها مفصلة فى مؤلف إيريناوس السابق الأشارة إليه.

(٦) ونحن نعلم أن سيمون هو منشىء كل بدعة. ومنذ عصره إلى الوقت الحاضر نرى أن كل الذين اتبعوا هرطقته قد تظاهروا بفلسفة المسيحيين الوقورة المتزنة، المعروفة للجميع بسبب طهارة الحياة التى تنادى بها. على أنهم مع ذلك رجعوا ثانية لخرافات الأوثان التى تظاهروا بأنهم قد نبذوها وصاروا يخرون أمام صور وتماثيل سيمون نفسه، وهيلانة السابق ذكرها التى رافقته، ويتجاسرون على عبادتها بالبخور والذبائح والسكائب.

(٧) على أن تلك الأمور التى يحتفظون بسريتها أكثر من هذه، والتى يقولون عنها أن المرء لدى سماعه عنها لأول مرة يندهش، بل «يرتبك» (حسب العبارات المسجلة كتابة المألوفة بينهم»، هى فى الحقيقة مليئة بالمدهشات، وبالجنون والحماقة، لأنها من النوع الذى يستحيل أيضا على أناس محتشمين مجرد التلفظ بها بشفاههم بسبب انحطاطها المتناهى وفجورها المتزايد.

(٨) لأنه أية سفالة يمكن تصورها أدنى من أسفل السفائل، تلك التى برز فيها أولئك السفلة الذين يلهون ويعبثون بالنساء التعسات اللاتى انغلبن من كل أنواع الرذائل.



الفصل الرابع عشر

كرازة بطرس الرسول فى روما

(١) إن الشرير الذى يبغض كل خير، ويتآمر على خلاص البشر، جعل من سيمون وقتئذ أبا ومنشئا لهذا الشر، كأنه أراد أن يقيم عدوا شديد البأس ضد رسل مخلصنا العظماء الموحى إليهم.

(٢) أما تلك النعمة السماوية الإلهية، التى تتعاون مع خدامها، فسرعان ما أطفأت لهب الشرير المشتعلة وبواسطتهم أذلت وهدمت «كل علو يرتفع ضد معرفة الله»[١].

(٣) لذلك لم تفلح مؤامرات سيمون أو غيره ممن قاموا فى ذلك الوقت بأن تعمل شيئا فى العصر الرسولى. لأن كل شىء قد قهر وأخضع أمام جلال الحق، وأمام الكلمة الإلهية نفسها، التى بدأت مؤخرا تشرق من السماء على البشر، والتى كانت وقتئذ مزدهرة على الأرض، وحالة فى الرسل أنفسهم.

(٤) وللحال ضرب المحتال السابق ذكره فى عينى ذهنه ببريق إلهى، معجزى، وبعد أن كشف بطرس الرسول فى أول الأمر فى اليهودية الأعمال الشريرة التى عملها هرب وقام بسياحة عظيمة عبر البحر من الشرق إلى الغرب، ظانا بأنه يستطيع أن يعيش حسب هواه بهذه الطريقة وحدها.

(٥) وإذ أتى إلى مدينة روما استطاع، بالتعاون مع الشرير الذى كان فى انتظاره هناك، أن ينجح فى تدابيره فى وقت قصير، حتى أن الساكنين هناك أكرموه كاله بإقامة تمثال له.

(٦) على أن هذا لم يستمر طويلا. لأنه فى الحال، فى عهد كلوديوس، ارشدت العناية الإلهية - كلية الصلاح والرحمة الساهرة على كل الأمور - بطرس، أقوى الرسل وأعظمهم، والذى بسبب فضيلته كان يتكلم نائبا عن الباقين، أرشدته إلى روما[٢] ضد هذا المفسد العظيم. أما هو فكقائد نبيل لله متشح

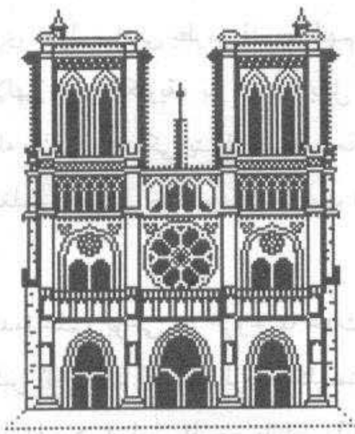
---

(١) (٢كو ١٠ : ٥).

(٢) قال ناشر الطبعة الانكليزية ما يلى:

«مع أننا نستطيع أن نسلم بزيارة بطرس لروما واستشهاده فيها إلا أنه من المؤكد عدم وصوله هناك قبل أواخر حكم نيرون. أما زعم الكنيسة الباباوية بأنه ظل أسقفا على روما ٢٥ سنة وأنه كان فيها فى عصر كلوديوس فلا يتفق مطلقا =

بأسلحه إلهية، نقل من الشرق إلى سكان الغرب بضاعة نور الذهن النفيسة، معلنا النور نفسه، والكلمة التى تأتى بالخلاص إلى النفوس، وكارزا بملكوت الله.



= مع ما نعرفه عن حياة بطرس من العهد الجديد ومن الكتاب الأوائل. لأنه فى سنة ٤٤م كان فى أورشليم (وفقا لما ورد فى اع ١٢ : ٣). وفى سنة ٥١ كان هناك أيضا (وفقا لما هو وارد فى اع ١٥)، وبعد ذلك فى انطاكية (غل ١ : ١١ إلخ). وعلاوة على هذا فقد خدم فى مقاطعات كثيرة من آسيا الصغرى كما نرى ذلك من رسالته الأولى، التى كتبها على الأرجح من بابل التى على نهر الفرات (انظر ف ١٥ ملاحظة ٣ صفحة ٨٥). وعلى أي حال فلا يمكن القول أنه كان فى روما عندما كتب بولس رسالته إلى أهلها حوالى سنة ٥٧ أو ٥٨، لأنه لم يرد أى ذكر لاسمه بين الأخوة الذين بعث إليهم تحياته ولا كان هناك لما كتب بولس من روما أثناء حبسه (من سنة ٦١ أو ٦٢ إلى سنة ٦٣ أو ٦٤). والواقع أننا لا نجد له أى أثر فى روما إلا ما رواه التقليد من أنه استشهد فيها ولهذا فأننا نستنتج أنه لم يذهب إليها إلا قبيل استشهاده. ونظرا لأن أغلب المؤرخين يقررون أن سيمون لم يذهب إلى روما إلا فى حكم نيرون، فأنهم يقررون أيضا أنه ذهب وراء بطرس إليها».

الفصل الخامس عشر

إنجيل مرقس

(١) وهكذا عندما ذات الكلمة الإلهية بينهم[١] انطفأت قوة سيمون وتلاشت كما تلاشى الشخص نفسه. وأضاء جلال التقوى عقول سامعى بطرس لدرجة أنهم لم يكتفوا بأن يسمعوا مرة واحدة فقط، ولم يقنعوا بتعاليم الإنجيل الإلهى غير المكتوبة، بل توسلوا بكل أنواع التوسلات إلى مرقس، أحد تابعى بطرس، والذى لا يزال إنجيله بين أيدينا، لكى يترك لهم أثرا مكتوبا عن التعاليم التى سبق أن وصلتهم شفويا. ولم يكفوا حتى تغلبوا على الرجل، وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذى يحمل اسم مرقس.

(٢) ويقولون أن بطرس عندما علم، بوحى من الروح بما حدث، سرته غيرة هؤلاء الناس، ونال السفر موافقته لاستعماله فى الكنائس.[٢] وقد أيد هذه الرواية اكليمنضس فى الكتاب الثامن من مؤلَّفه «وصف المناظر»، واتفق معه أيضا أسقف هيرابوليس المسمى بابياس.[٣] ثم اننا نرى بطرس يذكر مرقس فى رسالته الأولى التى يقال أنه كتبها فى روما نفسها، كما يوضح هو عندما يدعو المدينة رمزيا «بابل» فى الكلمات التالية «تسلم عليكم الكنيسة التى فى بابل المختارة معكم، ومرقس ابنى».[٤]

---

(١) وقال أيضا ناشر الترجمة الانكليزية ما يلى:

«أن منشأ الكنيسة فى روما يحفه الغموض. فيوسابيوس ينقل العقيدة السائدة على الكنيسة الكاثوليكية أى أن المسيحية دخلت روما على يدى بطرس الذى ذهب إليها فى أيام كلوديوس. ولكن هذه العقيدة يكذبها التاريخ. فأن منشأ الكنيسة يعزى لأشخاص مجهولين، ولو أننا نستطيع أن نستنتج بأنه كان من ضمنهم أندرونكوس ويونياس. المشهوران بين الرسل» (رو ١٦ : ٧).

(٢) قال ناشر الترجمة الانكليزية أن ذكر سرور بطرس وموافقته بصدد أنجيل مرقس لا يتفق مع رواية أكليمنضس الذى يلجأ إليه يوسابيوس هنا كحجة. ففى ك ٦ ف ١٤ يقتبس منه هذه العبارة «الأمر الذى لما علم به بطرس لم يعترض عليه ولا شجعه».

(٣) ك ٣ : ٣٩ : ١٥.

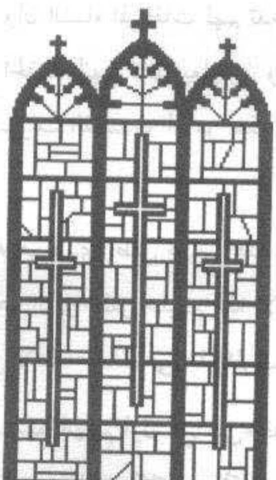
(٤) (١ بط ٥ : ١٣) اختلف المفسرون فيما يختص بمكان كتابة الرسالة. وبينما يزعم الكاثوليك أنها كتبت فى روما يفند الكثيرون هذا الرأى ويقولون أن أكبر دليل على عدم صحة هذا الزعم هو ذكر «بابل».

الفصل السادس عشر

لقد نادى مرقس بالمسيحية أولا لسكان مصر

(١) ويقولون أن مرقس هذا كان أول من أرسل إلى مصر، وأنه نادى بالإنجيل الذى كتبه، وأسس الكنائس فى الأسكندرية أولا.

(٢) وكان جمهور المؤمنين رجالا ونساء، الذين اجتمعوا هناك فى البداية، وعاشوا حياة الزهد الفلسفية المتطرفة، كثيرين جدا، حتى أن فيلو وجده أمرا جديدا بالأهتمام أن يصف جهادهم وأجتماعاتهم وتسلياتهم وكل طرق معيشتهم.[١]



(١) انظر الفصل التالى.

الفصل السابع عشر

وصف فيلو لنساك مصر

(١) ويقال أيضا أن فيلو فى عهد كلوديوس تعرف فى روما ببطرس الذى كان يكرز هناك وقتئذ. وهذا ليس بالأمر المستبعد الحصول، لأن الكتاب الذى سبق أن تحدثنا عنه، والذى ألفه بعد ذلك ببضع سنوات يتضمن بوضوح قوانين الكنيسة المرعية إلى اليوم بيننا.

(٢) ومن حيث أنه يصف بالتدقيق على قدر الأستطاعة حياة نساكنا فواضح أنه لم يعرف فقط رجال زمانه الرسوليين بل كان راضيا عنهم واحترمهم وبجلهم. ويبدو أنهم كانوا من أصل عبرانى، ولذلك كانوا يراعون معظم عوائد الأقدمين حسب طريقة اليهود.

(٣) وفى مؤلفه، الذى سماه «فى حياة التأمل» أو «فى المتضرعين» ، يعد أن أكد بادئ ذى بدء أنه لن يضيف إلى هذه الأشياء التى سوف يسردها أمرا يتناقض مع الحق أو شيئا من اختراعه، قال أن هؤلاء الرجال كانوا يدعون أطباء، وأن النساء المرافقات لهم تدعين طبيبات[١] بعد ذلك أضاف أسباب تسمية كهذه، مفسرا أياها من هذه الحقيقة أنهم كانوا يعالجون ويشفون نفوس الذين كانوا يأتون إليهم، بإسعافهم - كأطباء وإنقاذهم من الشهوات الفاسدة، أو من هذه الحقيقة أنهم كانوا يعبدون الله ويخدمونه بطهارة وأخلاص.

(٤) وسواء كان فيلو نفسه هو الذى أطلق عليهم هذا الاسم، مستعملا لقبا يتفق مع طريقة حياتهم، أو أن أول شخص بينهم هو الذى أطلق عليهم هذا الاسم فى البداية لأن اسم «المسيحيين» لم يكن معروفا فى كل مكان، فلا داعى لاطالة الجدل فى هذا الموضوع هنا.

(٥) وعلى أى حال فهو يشهد أنهم أول كل شئ قد تركوا ممتلكاتهم. ويقول أنهم عندما يبدأون طريقة الحياة الفلسفية يتنازلون عن كل ممتلكاتهم لأقاربهم، وبعد أن ينبذوا كل اهتمامات الحياة يخرجون من المدن، ويقطنون الحقول الموحشة والحدائق، عالمين تماما أن الأختلاط بمن يختلفون عنهم فى المشارب عديم الجدوى ومضر. والمرجح أنهم فعلوا هذا فى ذلك الوقت تحت تأثير إيمان ملتهب مقتدين بسيرة الأنبياء.

---

(١) يحمل الأصل اليونانى لكلمتى «أطباء وطبيبات» معنى العبادة أو الطب.

(٦) لأنه فى سفر أعمال الرسل، وهو سفر معترف بصحته من الجميع، دون أن جميع رفقاء الرسل باعوا أملاكهم ومقتنياتهم ووزعوا على الجميع كما يكون لكل واحد احتياج، وهكذا لم يوجد بينهم أى واحد معتازا لأى شيء. فتقول الرواية أن «كل الذين كانوا أصحاب حقوق أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات، ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج».[٢]

(٧) ويشهد فيلو بحقائق تشبه تماما تلك المدونة هنا، وبعد ذلك يضيف الوصف التالي: «وفى كل مكان فى العالم يوجد هذا الجنس.[٣] لأنه كان لأئقا أن يشترك اليونانيون والبرابرة فيما هو خير محض. على أن هذا الجنس يكثر فى مصر بنوع أخص، فى كل من مديرياتها،[٤] لا سيما نواحى الاسكندرية.

(٨) «وأصبح أفاضل الناس من كل ناحية يهاجرون كما إلى مستعمرة الأطباء، إلى موقع مناسب جدا يشرف على بحيرة مريوط، فوق تل منخفض ممتاز الموقع بسبب توفر الأمن فيه وجودة مناخه».

(٩) وبعد ذلك بقليل، بعد أن يصف نوع بيوتهم، يتحدث كما يلى عن كنائسهم التى كانت منتشرة هنا وهناك «وفى كل بيت يوجد مكان مقدس يدعى قدسا وديرا، وحيث يؤدون أسرار الحياة الدينية فى عزلة تامة، وهم لا يدخلون إليه أى شيء، لا طعام ولا شراب، ولا أى شيء يتصل بحاجيات الجسد، بل الشرائع فقط وأقوال الأنبياء الحية والترانيم وغيرها مما يساعد على كمال معرفتهم وتقواهم».

(١٠) وبعد وصف بعض امور أخرى يقول «وكل الفترة من الصباح إلى المساء هى وقت رياضة لهم. لأنهم يقرأون الكتب المقدسة ويفسرون فلسفة آبائهم بطريقة رمزية، معتبرين الكلمات المكتوبة رموزا لحقائق خفية أعطيت فى صور غامضة.

(١١) «ولديهم أيضا كتابات من القدماء مؤسسى جماعتهم الذين تركوا آثارا كثيرة رمزية. وهؤلاء يتخذونهم قدوة لهم ويقلدون مبادئهم».

(١٢) ويبدو أن هذه الأمور قد رواها شخص سمعهم يفسرون كتاباتهم المقدسة. ولكن المرجح جدا أن مؤلفات القدماء - التى يقول انها كانت عندهم - هى الأناجيل وكتابات الرسل وربما تفسير بعض النبوات القديمة، كما تتضمنه الرسالة إلى العبرانيين والكثير من رسائل بولس.

---

(٢) (اع ٤ : ٣٤ و ٣٥). (٣) أى «الأطباء».

(٤) كانت مصر عدامدينتى الأسكندرية وبتولمايس تنقسم إلى ٣٦ مديرية (محافظة).

(١٣) وأيضا يكتب كما يأتى عن المزامير الجديدة التى صنفوها.

«وهكذا لا يقضون وقتهم فى التأملات فحسب بل أيضا يؤلفون الأغانى والترانيم لله بكل أنواع الأوزان والألحان، ولو أنهم يقسمونها بطبيعة الحال إلى مقاييس مختلفة».

(١٤) ويتضمن نفس الكتاب وصفا لأشياء أخرى كثيرة، ولكننا رأينا أنه من الضرورى اختيار تلك الحقائق التى توضح مميزات الحياة الكنسية.

(١٥) ولكن أن ظن أحد أن ما قيل لا تنفرد به سياسة الانجيل بل يمكن تطبيقها على آخرين غير من ذكرنا، فليقتنع من كلمات نفس المؤلف التالية، التى فيها يجد - أن كان غير متحيز - شهادة عن هذا الموضوع غير قابلة للمناقشة. وهذه هى كلمات فيلو:

(١٦) «وإذ وضعوا الأعتدال كنوع من الأساس فى النفس فأنهم يبنون الفضائل الأخرى فوقه، فلا يتناول أحدهم طعاما أو شرابا قبل غروب الشمس لأنهم يعتبرون التفلسف كعمل خليق بالنور، أما الأهتمام بحاجيات الجسد فلا يتفق إلا مع الظلام، ولذلك يخصصون النهار للأول، أما للثانى فيخصصون جزءا قليلا من الليل.

(١٧) «على أنه يوجد بعض - تتقد فيهم رغبة نحو المعرفة - ينسون أن يأخذوا طعاما مدة ثلاثة أيام. وهنالك آخرون يتلذون بالحكمة ويلتهمونها التهاما، تلك الحكمة المفعمة بالتعاليم بلا حد، حتى أنهم يحجمون عن الطعام ضعف هذه المدة، وقد تعودوا أن لا يتناولوا إلا الكفاف من الطعام بعد ستة أيام».

ونحن نعتبر أن هذه الحقائق التى يرويها فيلو تشير بوضوح وبلا نزاع إلى أبناء شركتنا.

(١٨) أما أن كان بعد هذه الأيضاحات لا يزال يوجد من يصر على أنكار هذه الأشارة فلينبذ شكوكه وليقتنع بأمثلة أقوى لا يمكن أن توجد إلا فى ديانة المسيحيين الأنجيلية.

(١٩) لأنهم يقولون أنه كانت توجد أيضا نساء مع من نتحدث عنهم، وأن أغلبهن كن عذارى متقدمات فى السن حفظن عفافهن، لا عن اضطرار كبعض الكاهنات[٥] بين اليونانيين، بل بالحرى باختيارهن مدفوعات بالغيرة والرغبة فى الحكمة. وفى رغبتهن الملحة للتمسك بالحكمة كرفيق لهن لم يوجهن أى اهتمام للذات الجسد، طالبات لا النسل الفانى بل غير الفانى الذى تستطيع النفس التقية وحدها حمله من تلقاء ذاتها.

---

(٥) كانت هنالك بعض الديانات بين اليونانيين والرومانيين تتطلب البتولية من الكهنة والكاهنات.

(٢٠) وبعـد قليل يضيف الآتى بتـشديد أكـثر : «وهم يفـسرون الكتب المقـدسة رمـزيا بواسطة استعارات. لأن كل النامـوس يبدو لهؤلاء الناس كأنه مجمـوعة أعضاء حية تكون الجسم فـيها الكلمات المقولة، أما المعنى المخـتبيء والمكتنز فى الكلمات فأنه يكون النفس. وهذا المعنى المخـتبيء قد درسه أولا بصفة خاصة هذه الطائفة التى ترى جمال الأفكار الفائق كما فى مرآة من الأسماء».

(٢١) وهل من الضرورى أن نضـيف إلى هذه الأمور أجتمـاعاتهم، وتصرفات الرجـال والنساء أثناء هذه الأجتـماعات، والعادات التى لا نزال نراعـيها إلى اليوم، سيـما تلك التى نجريهـا فى عيد آلام المخلص، مع الصوم وسهر الليل ودرس الكلمة الألهية.

(٢٢) هذه الأمور رواها المـؤلف المشار إليه فى كـتابه، مـوضحـا نوع الحياة التى لا زلـنا وحدنا نحافظ عليها اليوم، ومـدونا بصفة خاصة سهرات الليل التى يمارسونها بمناسـبة العيد العظيم، والرياضة التى كانت تمارس خلال تلك السهرات، والترانيم التى اعتـدنا تلاوتها، ومبينا كيف أنه عندما كان الواحد يرنم فى الوقت المحدد كان الأخرون يصغون فى صمت ولا يـشتركون فى الترانيم إلا فى آخرها، وكيف أنهم فى الأيام المشار إليـها كانوا ينامون على الأرض على فـراش من قش، وحسب تعبـيره، لا يذوقون الخمر على الأطلاق ولا اللحم، بل الماء شرابهم الوحيد، وأطايبهم مع الخبز الملح والأعشاب».

(٢٣) وعلاوة على هذا يصف فـيلو رتب الشرق الكائنة بين الذين يمارسـون خدمات الكنيـسة، ذاكرا رتبة الشماسية ورتبة الأسقفية التى تتقدم على كل ما عداها، وعلى من يريد وصفا أدق لهذه الأمور أن يرجع إلى التاريخ السابق ذكره.

(٢٤) أما أن فيلو عندما كتب هذه الأمور كان واضعا نصب عينيه سفراء الأنجيل الأوائل والعوائد المسلمة منذ البدء من الرسل فهذا أمر واضح لكل واحد.

الفصل الثامن عشر

كتابات فيلو التى وصلت إلينا

(١) لقد أخرج فيلو تفاسير متعددة للأسفار المقدسة بلغته الفياضة، وتفكيره العميق، وارائه السامية عن الكتاب الألهى. فمن الناحية الواحدة يفسر بالترتيب تلك الحوادث المدونة فى سفر التكوين فى الكتب التى أطلق عليها اسم «المجاز فى النواميس المقدسة». ومن الناحية الأخرى يقسم اصحاحات الكتاب المعرضة للبحث إلى أقسام متتابعة، ثم يقيم الأعتراضات وحلولها، وذلك فى الكتاب التى أطلق عليها هذه التسمية المناسبة «أسئلة وأجوبة عن سفرى التكوين والخروج».

(٢) وعدا هذه توجد مؤلفات أخرى كتبها عن مواضيع معينة، كالكتابين اللذين كتبهما عن «الزراعة»، والكتابين الأخرين عن «تعاطى المسكرات»، وكتب أخرى تتميز بعناوين مختلفة تتمشى مع محتويات كل منها مثلا: «الأمور التى يتوق إليها العقل الراجح ويمقتها»، «بلبلة الألسنة»، «الهروب والاستقصاء»، «الاجتماع من أجل التعليم»، «من هو وارث للالهيات؟»، «تقسيم الأشياء إلى متساوية وغير متساوية». وكذلك أيضا «الفضائل الثلاثة التى وصفها موسى مع غيرها».

(٣) وعلاوة على هذه كتب أيضا عن «الذين تغيرت أسماؤهم ولماذا تغيرت». ويقول فيه أنه كتب أيضا كتابين عن «العهود».

(٤) وله أيضا كتاب عن «التغرب». وكتاب عن حياة العاقل الذى تكمل فى البر»، أو «النواميس غير المكتوبة». ثم كتاب آخر عن «الجبابرة»، أو «عدم تغيير الله»، ثم كتاب أول وثان وثالث ورابع وخامس عن «الافتراض بأن الأحلام مرسلة من قبل الله كزعم موسى». هذه هى الكتب التى وصلتنا عن سفر التكوين.

(٥) أما عن سفر الخروج فنحن نعرف الكتاب الأول والثانى والثالث والرابع والخامس عن «أسئلة وأجوبة»، وكذا كتاب «خيمة الأجتماع»، وكتاب «الوصايا العشر»، والكتب الأربعة عن «النواميس التى تشير بصفة خاصة إلى الأقسام الرئيسية فى الوصايا العشر»، وكتاب آخر عن «الحيوانات المخصصة للذبائح»، وآخر عن «أنواع الذبائح»، وآخر عن الجزاء الذى حدده الناموس للصالحين والقصاصات واللعنات التى حددها للأشرار».

(٦) وعلاوة على كل هذه لا يزال يوجد إلى اليـوم بعض كتب فى مجلد واحد من تأليفـه، مثلا كتاب «العناية الألهـية»، والكتاب الذى ألفه عن «اليهود» وآخـر عن «الرجل الأدارى المحنك»، ثم كتاب آخر عن «الأسكندر» أو «وجود عقل للحـيوانات غير العاقلة». وفضلا عن هذه يوجـد كتاب «الأفتراض بأن كل شرير عبد». وقد ألحق به كتاب عن «الأفتراض بأن كل صالح حر».

(٧) وبعد هذه ألف كتابا عن «الحيـاة المتبصرة» أو «المتضرعون». ومنه استقـينا الحقائق عن حياة الرسوليين.[١] وقيل أنه نتيجة دراساته كتب أيضا «تفسير الأسماء العبرية فى الناموس والأنبياء».

(٨) ويقال أنه قرأ فى حضـرة جميع أعضاء مجلس أعيان الرومـانيين فى عهد كلوديوس الكتاب الذى كتبه عندمـا وصل رومية فى عهد كايوس عن بغض كايوس للآلهة، والذى أعطاه اسـما تهكميا إذ دعاه «الفضـائل». ولقد كان الأعجاب بمؤلفـاته شديدا جدا حتى اعتـبرت جديرة بأفساح مـجال لها فى المكتبات.

(٩) فى هذا الوقـت، عندمـا كـان بولس يكـمل رحلتـه «من أورشليم ومـا حـولهـا إلى الليريكون،[٢] طرد كلوديوس اليهود من روما. وإذ ترك أكيلا وبريسكلا رومـا مع غيرهما من اليهود أتيا إلى أسيـا وأقامـا هناك مع بولس الرسول الذى كـان يثبت الكنائس فى تلـك المنطقة التى كـان قد وضع أساساتها حديثا. وينبئنا أيضا عن هذه الأمور السفر المقدس لأعمال الرسل.[٣]

(١) لعله يقصد الرسل.

(٢) (رو ١٥ : ١٩).

(٣) انظر (اع ١٨ : ٢ و ١٨ و ١٩ إلخ).

الفصل التاسع عشر

المصيبة التي حلت باليهود فى أورشليم يوم الفصح

(١) لما كان كلوديوس لا يزال امبراطورا حدثت فتنة شديدة واضطراب عظيم فى أورشليم يوم عيد الفصح ، حتى هلك ثلاثون الفا من اليهود وحدهم، الذين اضطروا للتجمهر معا عند باب الهيكل اذ داس كل واحد الآخـــر تحت الأقدام ١ وهكذا صار العيد فرصة للحزن من كل الأمة ، وكان هناك بكاء فى كل بيت • وقد روى هذه الأمور يوسيفوس حرفيا •

(٢) لكن كلوديوس أقام أغريباس ٢ بن أغريباس ملكا على اليهود ، وأرسل فيلكس ٣ واليا على كل بلاد السامرة والجليل والأرض التى تدعى بيرية وبعد • أن ملك ثلاث عشرة سنة وثمانية أشهر ٤ مات وخلفه على الامبراطورية نيرون •

---

(١) حدث هذا الاضطراب (الذى تكلم عنه يوسيفوس) سنة ٤٨ م لما كان كومانوس واليا على اليهودية • ففى عيد الفصح أحضر الوالى الى أورشليم فرقا من الجند أزيد كعـادته خشية حصول أى اضطراب • ولما اهان أحد الجنود اليهود ثاروا جدا فاضطر الوالى لجمع كل الجنود على الجبل المقام عليه الهيكل • واذ رأى اليهود ذلك ذعروا وحاولوا الفرار فصـــاروا يدوسون بعضهم بعضا •

(٢) هيرودس اغريباس الثانى بن هيرودس الأول • عند موت أبيه سنة ٤٤م كان عمره ١٧ سنة الأمر الذى اضطر كلوديوس الى تأخير تعيينه حتى سنة ٤٩م •

(٣) خلف كومانوس كوال على اليهودية سنة ٥٢ م

(٤) حكم كلوديوس من ٢٤ يناير سنة ٤١م الى ١٣ اكتوبر سنة ٥٤م

الفصل العشرون

الحوادث التى حدثت فى أورشليم أثناء حكم نيرون

(١) ثم إن يوسيفوس أيضا فى الكتاب العشرين من مؤلفه عن «الآثار» يتحدث عن النزاع الذى قام بين الكهنة أثناء حكم نيرون إذ كان فيلكس واليا على اليهودية. وهاك كلماته.[١]

(٢) «لقد قام نزاع بين رؤساء الكهنة من ناحية والكهنة وقادة شعب أورشليم من الناحية الأخرى.[٢] وجمع كل من الطرفين حوله جماعة من أجرأ الرجال وأشدهم بأسا، وتزعمت كل جماعة شعبها، وكلما التقوا رشقوا بعضهم بعضا بالسباب والحجارة. ولم يشأ أحد أن يتدخل بينهما، بل حدثت هذه الأمور كما أرادوا، كأنها حدثت فى مدينة بلا حاكم.

(٣) «وبلغت وقاحة رؤساء الكهنة وجرأتهم حدا بعيدا حتى أنهم تجاسروا على أرسال خدمهم إلى البيادر لأغتصاب العشور المستحقة للكهنة. وهكذا صار الفقراء من الكهنة يتضورون جوعا. وبهذه الطريقة تغلب الظلم على كل عدل».

(٤) ويروى نفس المؤلف أيضا أنه حوالى نفس هذا الوقت ظهر فى أورشليم نوع معين من اللصوص كانوا، كما يقول، «يقتلون كل من لقوه نهارا وفى وسط المدينة».

(٥) لأنهم كانوا يختلطون بالجماهير، سيما فى الأعياد، ويطعنون أعاظم الناس بسيوف قصيرة كانوا يخفونها تحت ملابسهم. فإذا ماسقطوا صار القتلة أنفسهم وسط الذين يظهرون استياءهم. فلا يفتضح أمرهم بسبب الثقة التى نالوها من الجميع.

(٦) وكان أول من قتلوه هو يوناثان رئيس الكهنة. وبعده كان يقتل الكثيرون كل يوم، حتى أصبح الفزع أشد هولا من الشر نفسه، وكان كل واحد يتوقع الموت كل ساعة كأنه فى وسط ساحة الوغى.

---

(١) آثار ٢٠ : ٨ : ٨ لقد أظهر فيلكس نفسه فى كل مدة حكمه بأنه خسيس قاس، وتميز حكمه بالأضطرابات المستمرة.

(٢) قام هذا النزاع أثناء رئاسة كهنوت اسماعيل، ولا يبين يوسيفوس أية علة له.

الفصل الحادى والعشرون

المصرى الذى ذُكِرَ أيضا فى سفر أعمال الرسل

(١) وبعد ذكر أمور أخرى يروى ما يلى:

«على أن اليهود أصيبوا من النبى المصرى الكذاب[١] بضربات أشد من هذه. لأنه ظهر فى الأرض محتال أوحى إلى الناس أن يؤمنوا به كنبى، وجمع نحو ثلاثين ألفا ممن خدعهم، واقتادهم من البرية إلى جبل الزيتون الذى تأهب منه للدخول إلى أورشليم عنوة وتحطيم الحامية الرومانية، والأستيلاء على حكم الشعب، مستخدما من اشتركوا معه فى الهجوم كحرس.

(٢) «ولكن فيلكس سبق فعلم بهجومه، وخرج لملاقاته بالفيالق الرومانية، واشترك فى الدفاع كل الشعب، حتى أن المصرى هرب مع قليل من أتباعه لما نشبت المعركة ولكن الأغلبية هلكت أو أخذت أسرى».

(٣) ويروى يوسيفوس هذه الحوادث فى الكتاب الثانى من تاريخه. ولكن مما يستحق الذكر مقارنة الوصف المذكور هنا عن المصرى بما ورد فى سفر أعمال الرسل. ففى عصر فيلكس قال قائد المئة فى أورشليم لبولس لما أثار جمهور اليهود فتنة ضد الرسل «أفلست أنت المصرى الذى صنع قبل هذه الأيام فتنة وأخرج إلى البرية أربعة الآلاف الرجل من القتلة؟».[٢] هذه هى الحوادث التى حصلت فى أيام فيلكس.

---

(١) هو يهودى مصرى، وهو واحد من السحرة الكثيرين، والأنبياء الكذبة الذين قاموا فى ذلك العصر. وقد تنبأ بأن أورشليم التى جعلت نفسها مدينة وثنية سيبيدها الله، ويهدم أسوارها كما فعل بأسوار أريحا، وعندئذ تصير النصرة له ولأتباعه على الظالمين، ويحكمون العالم. ولأجل هذا الغرض جمع أتباعه على جبل الزيتون لكى يشهدوا منه سقوط الأسوار ويبدأوا الهجوم.

(٢) (اع ٢١ : ٣٨).

الفصل الثاني والعشرون

لما أُرسِلَ بولس موثقا من اليهودية إلى روما قدّم دفاعه وبُرِّىءَ من كل تهمة

(١) لقد أرسل فستوس من قبل نيرون ليكون خليفة لفيلكس. وفى عهده أرسل بولس موثقا إلى روما بعد أن قدم دفاعه.[١] وكان معه ارسترخس الذى دعاه بطبيعة الحال فى رسائله المأسورة معى».[٢] وبعد أن ذكر لوقا - كاتب سفر أعمال الرسل[٣] - ان بولس أقام سنتين كاملتين فى روما، كأسير مطلق السراح كارزا بكلمة الله بلا مانع، ختم حديثه عن تاريخ حياته عند هذه النقطة.[٤]

(٢) ويقال إنه بعد أن قدم الرسول دفاعه أرسل ثانية لخدمة الكرازة،[٥] وأنه لدى مجيئه لنفس المدينة استشهد.[٦] وفى هذا الحبس كتب رسالته الثانية إلى ثيموثاوس التى يذكر فيها دفاعه الأول واقتراب موته.

(٣) لكن استمع إلى شهادته عن هذه الأمور «فى احتياجى الأول لم يقف أحد معى بل الجميع تركونى. وابتهل إلى الله أن لا يحسب هذا عليهم. ولكن الرب وقف معى وقوانى لكى تعرف تماما بى الكرازة ويسمع جميع الأمم. فأنقذت من فم الأسد.[٧]

(٤) فى هذه الكلمات يبين بصراحة أنه فى المناسبة السابقة أنقذ من فم الأسد لكى تكمل به الكرازة، مشيرا بهذا التعبير إلى نيرون بسبب قسوته. ولذلك فأنه فيما بعد لم يضف نفس التعبير «وسينقذنى من فم الأسد» لأنه رأى بالروح أن نهايته لن تتأخر طويلا.

---

(١) (اع ٢٥ الخ). (٢) (كو ٤ : ١٠). (٣) انظر فيما يلى ك ٣ ف ٤. (٤) (اع ٢٨ : ٣٠ و ٣١).

(٥) أن يوسابيوس هو أول من سجل اطلاق سراح بولس من الحبس الأول فى روما واستشهاده فى الحبس الثانى فى روما أيضا. ومما يلاحظ أن يوسابيوس يكثر من كلمة (يقال) مما يدل على أنه استقى معلوماته من التقاليد الشفوية. ولكن الأرجح أنه لم يستق معلوماته هنا من التقالية الشفوية بل من رسائل بولس التى استنتج منها أنه لابد أن يكون قد سجن مرة أخرى. وقد قرر يوسابيوس أن موت بولس تم فى سنة ٦٧م ويؤيده فى هذا الرأى الكثيرون من المؤرخين.

(٦) انظر فيما يلى فصل ٢٥. (٧) (٢ تى ٤ : ١٦ و ١٧).

(٥) من أجل هذا أضاف لعبارة «وأنقذنى من فم الأسد» هذه الكلمات «وسينقذنى الرب من كل عمل ردىء ويحفظنى لملكوته السماوى»[٨] مبينا سرعة اقتراب استشهاده، الذى تنبأ عنه بأكثر وضوح فى نفس الرسالة عندما كتب قائلا «فأنى أنا الأن وشيك أن أقرب ووقت أرتحالى اقترب»٠[٩]

(٦) وفى رسالته الثانية إلى تيموثاوس يبين أيضا أن لوقا كان معه عند كتابتها[١٠] أما دفاعه الأول فلم يكن معه أحد حتى هو[١١] ولذا فالأرجح أن لوقا كتب سفر أعمال الرسل فى ذلك الوقت مدونا تاريخه إلى الفترة التى كان فيها مع بولس٠[١٢]

(٧) وقد أوردنا هذه الأمور لنبين أن استشهاد بولس لم يحدث أثناء أقامته فى روما التى يتحدث عنها لوقا٠

(٨) والمرجح فعلا أن دفاع بولس عن تعاليمه قبل بسهولة نظرًا لأن نيرون كان أكثر ميلا إلى اللطف فى بدء الأمر٠ ولكنه إذ أزداد جرأة على ارتكاب المظالم جعل الرسل وغيرهم الهدف فى هجومه٠



---

(٨) (٢ تى ٤ : ١٨)٠ (٩) (٢ تى ٤ : ٦)٠ (١٠) (٢ تى ٤ : ١١)٠ (١١) (٢ تى ٤ : ١٦)٠

(١٢) هذا هو الرأى الذى يسلم به المفسرون الذين يرون أن هذه هى العلة التى من أجلها لا يذكر لوقا شيئا عن اضطهاد نيرون وموت بولس٠

الفصل الثالث والعشرون

استشهاد يعقوب الذى كان يدعى أخا الرب

(١) وبعد أن أرسل فستوس بولس إلى روما نتيجة التجائه إلى قيصر، ووجد اليهود أنهم فشلوا فى اصطياده فى الفخاخ التى أقاموها له، تحولوا إلى يعقوب أخى الرب الذى أوكل إليه الرسل كرسى أسقفية أورشليم. وأتخذوا ضده الأجراءات الشنيعة التالية.

(٢) فأنهم اقتادوه فى وسطهم وطلبوا منه أن ينكر الأيمان بالمسيح أمام كل الشعب. ولكنه، بعكس ما توقعه الجميع، رفع صوته، وبجرأة أشد مما انتظروا، تكلم أمام كل الجمهور معترفا بأن مخلصنا وربنا يسوع هو ابن الله. ولكنهم لم يطيقوا شهادة ذلك الرجل الذى، بسبب سموه فى الحياة التقشفية والتقوى التى أظهرها فى حياته، كان معتبرا من الجميع بأنه أعظم بار بين البشر، ولذا قتلوه. وقد تهيأت الفرصة لهذا التعسف بسبب الفوضى التى سادت بوفاة فستوس وقتئذ في اليهودية، وبترك الولاية بلا وال أو رأس.

(٣) أما كيفية وفاة يعقوب فقد سبق أيضاحها فى كلمات اكليمنضس السابق ايرادها، إذ قرر أنه قد طرح من فوق جناح الهيكل وضرب بعصى حتى مات. أما هيجسبوس،[١] الذى عاش بعد الرسل مباشرة، فأنه أعطى وصفا أدق فى الكتاب الخامس من مؤلفه عن «سير الأبطال». فقد دون ما يلى:

(٤) «لقد تسلم يعقوب أخو الرب من الرسل ادارة الكنيسة. ولقد لقبه الجميع «بالبار» من وقت مخلصنا إلى اليوم الحالى. لأنه كان يوجد كثيرون يحملون اسم يعقوب.

(٥) «وقد كان مقدسا من بطن أمه. ولم يشرب خمرا ولا مسكرا، ولا أكل لحما، ولم يعل رأسه موسى، ولم يدهن نفسه بالزيت، ولم يستحم.

(٦) «وكان مسموحا له وحده بدخول القدس، لأنه لم يلبس ملابس صوفية بلى كتانية. وكان من عادته دخول الهيكل وحده، وكثيرا ما كان يوجد جاثيا على ركبتيه طالبا الصفح عن الشعب، حتى صارت ركبتاه خشنتين كركب الجمل نتيجة انحنائهما المستمر فى عبادة الله لطلب الصفح عن الشعب.

(٧) «وبسبب بره الزائد دعى «البار» و «أوبلياس» ومعناها فى اليونانية «حصن الشعب» و «العدل» وفق ما صرح به الأنبياء[٢] عنه.

---

(١) Hegesippus انظر فيما يلى ك ٤ ف ٢٢.

(٢) لا يعلم إلى أية فقرة يشير ميجتبوس. ولعله يشير إلى قول أشعياء «قولوا للصديق خير» (اش ٣ : ١٠).

(٨) وقد سـأله بعض الشيع السبع، التى كـانت موجودة بين الشـعب، والتى ذكرتها فى كـتاب «سير الأبطال» قائلين: ما هو باب يسوع. فأجاب بأنه هو المخلص ذاته.

(٩) «وبسبب هذه الكلمـات آمن البعض أن يسوع هـو المسيح. على أن الشيع السـابق ذكرها لم تؤمن لا بالقيامة ولا بمجيء واحد يعطى كـل أنسان حـسـب أعماله. ولكـن الكثيرين الذين آمنوا كان يعزى إيمانهم إلى يعقوب.

(١٠) «ولذلك فـعندما آمن الكثـيرون، حتى مـن الحكام، صار اضطراب بين اليـهود والكتبة والفريسـيين، الذين قالوا أن هنالك خطرا أن يلتف جمـيع الشعب حول يسوع على أسـاس أنه المسيح. ولذلك أتوا إلى يعقوب كتلة واحدة، وقالوا: نتوسل إليك أن تصد الشعب لأنهم ضلوا بصدد يسوع كأنه هو المسيح. نتوسل إليك أن تقنع كل الذين أتوا إلى عيد الفصح من جهة يسوع، لأننا جميعا نثق فيك. فنحن نشهد لك، كما يشهد كل الشعب، أنك بار ولا تحابى بالوجوه.

(١١) «فأقنع اذن الجماهير بأن لا يضلوا من جهة يسوع. لأن كل الشعب، وجميعنا أيضا، يثقون فيك. قف أذن فوق جناح الهـيكل لكى يراك جميع الشعب من ذلك المكان المرتفع ويسمـعوا كلماتك. لأن كل الأسباط مع الأمم أيضا أتت بسبب عيد الفصح.

(١٢) «لهذا وضع الكتبة والفريسيون السابق ذكرهم يعقوب فـوق جناح الهيكل وخرجوا إلـيه قائلين: أيها البار الذى يجب أن نثق فيك أجمعين، مـن حيث أن الشعب ضل وراء يسوع المصلوب بين لنا ما هو باب يسوع.

(١٣) «فأجـاب بصوت مرتفع: لماذا تسـألوننى عن يسوع ابن الأنسان؟ أنه هو نفـسه يجلس فى السماء عن يمين القوة وسوف يأتي على سحاب السماء.[٣]

(١٤) «ولما أقتنع الكثيرون اقـتناعا كليا وافتخروا بشهادة يعـقوب وقالوا: أوصنا لابن داود، قال أولئك الكتبة والفريسيون ثانـية بعضهم لبعض: لقد أسأنا التصرف إذ مهدنا لشـهادة كهذه ليسوع. ولكن لنصعد ونطرحه إلى أسفل لكى يخافوا أن يصدقوه.

(١٥) «فصرخـوا قائلين: آه آه لقد انحرف البار أيضـا. وهكذا تمموا الكتاب القائل فى أشـعيا: لنقطع البار لأنه مزعج لنا. لذلك يأكلون ثمرأعمالهم.[٤]

(٣) (مت ٢٦ : ٦٤ ، مر ١٤ : ٦٢).

(٤) (اش ٣ : ١٠).

(١٦) «فصعدوا وطرحوا البار إلى أسفل وقالوا كل واحد للآخر: لنرجم يعقوب البار» فبدأوا يرجمونه لأنه لم يمت بسبب سقوطه. أما هو فالتفت وجثا على ركبتيه وقال: أتوسل إليك أيها الرب الإله أبونا أن تغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.[٥]

(١٧) «وفيما هم يرجمونه صرخ واحد من الكهنة، من أبناء ركاب ابن الركابيين الذين ذكرهم ارميا[٦] النبي، وقال: كفوا، ماذا تعملون، أن البار يصلى من أجلكم.

(١٨) «وللحال تقدم أحدهم، وكان قصارا، وضرب البار على رأسه بالعصا التى كان يضرب بها الملابس. وهكذا استشهد. فدفنوه فى الحال بجانب الهيكل، ولا يزال قبره بجوار الهيكل. فصار شهادة صادقة لكل من اليهود واليونانيين بأن يسوع هو المسيح. وللحال حاصرهم فاسبسيان».

(١٩) وقد روى هذه الأمور بالتفصيل هيجيسبوس الذى اتفقت روايته مع رواية اكليمنضس.

لقد كان يعقوب شخصا عجيبا جدا، اشتهر بين الجميع ببره، حتى اعتقد الكثيرون من العقلاء، حتى من بين اليهود، أن هذه كانت علة حصار أورشليم الذى حل بهم بعد استشهاده مباشرة لا لسبب آخر سوى عملهم الشنيع الذى ارتكبوه ضده.

(٢٠) ولم يتردد يوسيفوس على الأقل عن الشهادة لهذا فى كتاباته حيث يقول «لقد حلت هذه الأمور باليهود انتقاما لدماء يعقوب البار الذى كان أخا ليسوع الذى يدعى المسيح لأن اليهود قتلوه رغم أنه كان شخصا بارا جدا».

(٢١) وقد دون نفس الكاتب أمر موته فى السفر العشرين من مؤلفه عن الآثار فى هذه الكلمات.

«لما علم الأمبراطور بموت فستوس أرسل البينوس واليا على اليهودية. على أن حنانوس[٧] الصغير، الذى حصل على رئاسة الكهنوت كما قدمنا، كان فى غاية الجرأة عديم الأكثرات. وفضلا عن هذا فقد كان ينتمى إلى طائفة الصدوقين الذين هم أقسى اليهود فى تنفيذ الأحكام كما بينا سابقا.

---

(٥) (لو ٢٣ : ٣٤). (٦) (ار ٣٥).

(٧) هو الأبن الخامس لحنان رئيس الكهنة المذكور فى العهد الجديد. وقد كان أبوه واخوته الأربعة رؤساء كهنة من قبله كما يخبرنا يوسيفوس فى نفس هذه الفقرة. وقد أقامه أى أغريباس الثانى.

(٢٢) «وإذ كانت هذه هي صفات حنانوس، وإذ رأى أن الفرصة مواتية له لأن فستوس كان قد مات، وكان ألبينوس لا يزال فى الطريق، فـأنه جمع السنهدريم ودعـا أمامه يعقوب أخا يسوع المدعو المسيح، مع آخرين، وأتهمهم بنقض الناموس، وحكم عليهم بالرجم.

(٢٣) «على أن المعتدلين فى المدينة الخبيرين بالناموس غضبوا جدا من هذا وأرسلوا إلى الملك سرا طالبين منـه يأمر حنانوس بالكف عن هذه التصرفات. لأنه لم يكن عـادلا حتى فى هذا التصرف الأول. وذهب جماعة منهم أيضا لمقابلة البينوس الذى كان قادما من الأسكندرية، وذكروه بأنه ليس من حق حنان، استدعاء السنهدريم دون علمه.

(٢٤) «أما البينوس فاقتنع بما عرضوه عليـه، وكتب بغضب إلى حنانوس مهددا أياه بالقصاص. ونتيجة لهـذا حرمه الملك أغريباس مـن رئاسة الكهنوت التى كـان قـد تولاها ثلاثة أشـهر، وأقام بدلا عنه يسوع بن دامنيوس».

(٢٥) هذا ما دوّن عن يعقوب كاتب أول رسالة فى الرسائل الجامعة. ومما تجدر ملاحظته أن هذه الرسالة متنازع عليهـا، أو على الأقل أن الكثيرين من الأقدمين لم يذكروها فى كتـاباتهم، كما هو الحال أيضا فى أمر الرسالة التى تحمل اسم يهوذا، التى هى أيضا إحـدى الرسائل الجامعة السبعة. ومع ذلك، فنحن نعلم أن هاتين الرسالتين قُرئتا علنا مع سائر الأسفار فى كنائس كثيرة جدا.

الفصل الرابع والعشرون

إنيانوس
أول أسقف لكنيسة الإسكندرية بعد مرقس الرسول

فى السنة الثامنة من ملك نيرون سلمت إلى أنيانوس أدارة أبروشية الأسكندرية خلفا لمرقس الأنجيلى.

الفصل الخامس والعشرون

الاضطهاد الذى تم فى حكم نيرون والذى أُكرِمَ فيه بولس وبطرس بالاستشهاد فى روما من أجل المسيحية

(١) ولما تثبت حكم نيرون بدأ سلسلة أجراءات قاسية، وتجند لمحاربة ديانة أله الكون.

(٢) ولا يتسع المجال لوصف شناعة فساده، ونظرا لأن الكثيرين قد وصفوا تاريخه باسهاب فيمكن لكل من أراد أن يرجع إلى كتاباتهم ليعرف فظاظة الرجل وشذوذه وجنونه، وكيف أنه بعد أن أباد ربوات كثيرة من الأنفس بلا سبب ارتكب جرائم كثيرة لدرجة أنه لم يشفق حتى على أقرب أقربائه وأعز أصدقائه، بل قتل أمه واخوته وزوجته مع آخرين كثيرين جدا من عائلته، كما قتل أعداءه الخفيين والظاهرين بميتات مختلفة.

(٣) وعلاوة على كل هذه الجرائم فقد كان أول امبراطور أعلن العداء للديانة الألهية.

(٤) يشهد بهذا ترتوليانوس الرومانى أيضا. فقد كتب يقول: «افحصوا سجلاتكم. وفيها تجدون أن نيرون هو أول من قاوم هذه التعاليم. سيما وأنه بعد أن أخضع كل الشرق بدأ ينفث سموم قسوته فى جميع من بروما. واننا لنفتخر أن يكون تعذيبنا على يدى شخص كهذا. لأن كل من يعرفه يستطيع أن يدرك أن نيرون لم يشجب أى شىء إلا إذا كان ساميا جدا».

(٥) وهكذا إذ أعلن جهـارا أنه أول أعداء الله الرئيسيين تقـدم إلى قتل الرسل. لذلك دون بأن بولس قطعت رأسه فى روما نفسـها، وأن بطرس أيضا صلب فى عهـد نيرون. ومما يؤيد هذه الرواية عن بطرس وبولس أن أسميهما لا يزالان باقيين إلى الآن على المقابر فى ذلك المكان.

(٦) يؤيدها أيضا كايوس، أحد أعضاء الكنيسـة، الذى قام فى عهد زفيرينوس[١] أسقف روما. فأنه فى مساجلة مع بروكلوس[٢] مبتـدع الهرطقة الفريجيـة[٣] يذكر ما يأتى عن المواضع المقـدسة التى أودعت فيها جثتا الرسولين السابق ذكرهما.

(٧) «ولكننى أستطيع أن أبين آثار الرسـولين. لأنك أن ذهبت إلى الفـاتيكان[٤] أو إلى طريق لوستيان[٥] وجدت آثار هذين اللذين وضعا أساس هذه الكنيسة». [٦]

(٨) أما أنهما استشهدا فى وقت واحد فيـقرر ذلك ديونيسيوس أسقف كورنثوس فى رسالته إلى أهل روما فى الكلمات التالية:

«انكم بمثل هذه النصائح قد ربطتم معا ما غرسه بطرس وبولس فى روما وكورنثوس. لأن كليهما غرسا وعلمانا فى مدينتنا كورنثوس. وكذلك علما أيضا فى ايطاليا واستشهدا فى وقت واحد».

وقد اقتبست هذه الأقوال لزيادة تأييد الحقائق التاريخية.

---

(١) انظر كتاب ٥ فصل ٢٨ : ٧.

(٢) Proclus.

(٣) انظر ما ورد عن هذه الهرطقة فى كتاب ٤ ف ٢٧ وبنوع خاص فى كتاب ٥ ف ١٦ إلخ.

(٤) يروى التاريخ أن بطرس صلب على جبل بقرب الفاتيكان تقوم عليـه الآن كنيسة القديس بطرس. ولا تزال باقية النقرة التى ركز فيها الصليب.

(٥) قطعت رأس بولس على طريق أوستيان فى المكان الذى يقوم عليه الآن دير الثـلاثة ينابيع. ولا تزال الثلاثة ينابيع التى تفجرت إذ اصطدمت رأس بولس بالأرض ثلاث مرات بعد قطعها. ولا يزال باقيا أيضا العمود الذى قيل أنه ربط عليه.

(٦) قال الناشر للـترجمة الانكليزية: لا يمكن القـول بأن بولس أو بطرس أسسا روما، لأن رسـالة بولس إلى روما تبين أنه كان هنالك جماعة من المؤمنين فيها قبل زيارته لها. أما بطرس فلم يصل إليها إلا بعد وصول بولس بمدة طويلة.

الفصل السادس والعشرون

بعد أن حلّت على اليهود شرور لا تحصى شنوا الحرب الأخيرة على الرومانيين

(١) وبعد أن روى يوسيفوس تفاصيل كثيرة عن المصيبة التى حلت بكل الأمة اليهودية دون- بالأضافة إلى ظروف أخرى كثيرة - أن الكثيرين من أشراف اليهود جلدهم فلورس فى أورشليم نفسها، ثم صلبهم وقد كان واليا على اليهودية عندما بدأت نيران الحرب تشتعل فى السنة الثانية عشرة لنيرون.

(٢) ويقول يوسيفوس أنه فى ذلك الوقت ثارت فتنة مروعة فى كل أرجاء سورية نتيجة لثورة اليهود، وأن هؤلاء أبادهم سكان المدن فى كل مكان بلا رحمة كأعداء «حتى كان المرء يرى المدن مليئة بالجثث التى لم تدفن، وانتشرت جثث الشيوخ مع جثث الأطفال، ولم تجد جثث النساء من يستر عورتها، وامتلأ القطر كله بمصائب لا توصف، وكان الخوف مما هددوا به أشد من الآلام نفسها التى عانوها فى كل مكان».

هذه هى رواية يوسيفوس، وهكذا كانت حال اليهود وقتئذ.



الكتاب الثالث

الفصل الأول

أرجاء العالم التى بشّر فيها الرسل بالمسيح

(١) هكذا كانت حال اليهود· وفى نفس الوقت تشتت تلاميذ مخلصنا ورسله القديسون فى كل أرجاء العالم· فخصصت بارثيا[١] لتوما كحقل يعمل فيه كما يقول التقليد، وسيكيثيا[٢] لأندراوس،[٣] واسيـا[٤] ليوحنا الذى بعـد أن عاش فيـها وقتـا ما مـات فى أفسس· ويبدو أن بطرس كـرز فى بنطس وغلاطية وبيثـينية وكبدوكية وآسـيا[٥] لليهود الذين فى الشتات· وإذ أتى أخيرا إلى روما صلب منكس الرأس، لأنه طلب أن يتألم بهـذه الطريقة· وماذا نقول عن بولس الذى بشر بإنجـيل المسيح من أورشليم إلى الليريكون،[٦] واستشهد بعد ذلك فى روما فى عهد نيرون· ولقد روى أوريجانوس هذه الحقائق فى المجلد الثالث من تفسيره لسفر التكوين·

الفصل الثانى

أول رئيس على كنيسة روما

بعد استشهـاد بولس وبطرس كان لينس أول من نال أسقفية كنيسـة روما· وقد ذكره بولس عند الكتابة إلى بتيموثاوس من روما فى التحية الواردة فى نهاية الرسالة·[٧]

(١) Parthia وكانت مملكة مستقلة فى عصر الرسل· أمتدت من الهند إلى نهر الفرات ومن بحر قزوين إلى خليج العجم·

(٢) Scythia المنطقة الواقعة شمال بحر قزوين والبحر الأسود·

(٣) ولهذا يقول الروس أنه شفيعهم· ويقول اليونانيون أنه شفيعهم إذ صلب فى بلادهم·

(٤) كانت ولاية آسـيا تشـمل فقط شريطا ضيقا مـن آسيا الصغرى على شاطىء البحـر الأبيض المتوسـط وتشمل ميسيا وليدية وكاريا·

(٥) خمس ولايات من آسيا الصغرى ذكرت فى (١ بط ١ : ١)·

(٦) انظر رو ١٥ : ١٩ وكانت الليريكون اقليما رومانيا واقعا على الشاطىء الشرقى لبحر الأدرياتيك·

(٧) ٢ تى ٤ : ٢١·

الفصل الثالث

رسائل الرسل

(١) أن رسالة بطرس الأول معترف بصحتها. وقد استعملها الشيوخ الأقدمون فى كتابتهم كسفر لا يقبل أى نزاع. على أننا علمنا بأن رسالته الثانية الموجودة بين أيدينا الأن ليست ضمن الأسفار القانونية،[١] ولكنها مع ذلك إذ اتضحت نافعة للكثيرين فقد استعملت مع باقى الأسفار.

(٢) أما ما يسمى «أعمال بطرس» «والأنجيل» الذى يحمل اسمه و «الكرازة» و «الرؤيا» - كما سميت - فأننا نعلم أنها لم تقبل من الجميع لأنه لم يقتبس منها أى كاتب حديث أو قديم.

(٣) على أننى سأحرص أن أبين فى مؤلفى التاريخى - علاوة على التسلسل الرسمى[٢] ما اعتاد كتاب الكنيسة اقتباسه من وقت لآخر من الأسفار المتنازع عليها، وما قالوه عن الأسفار القانونية المقبولة، وعن غيرها.

(٤) أما الأسفار التى تحمل أسم بطرس فالذى أعرفه هو أن رسالة واحدة فقط قانونية ومعترف بها من الشيوخ الأقدمين.

(٥) وأما رسائل بولس الأربع عشرة فهى معروفة ولا نزاع عليها، وليس من الأمانة التغاضى عن هذه الحقيقة وهى أن البعض رفضوا رسالة العبرانيين قائلين أن كنيسة روما تشككت فيها على أساس أن بولس لم يكتبها. أما ما قاله الذين سبقونا عن هذه الرسالة فسأفرد له مكانا خاصا فى الموضع المناسب.[٣] وأما عن «أعمال بولس» فلم أجده بين الأسفار غير المتنازع عليها.

---

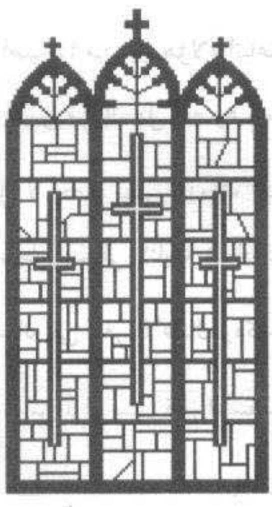
(١) لقد أجمعت كل الكنائس على قانونية هذه الرسالة وقد أشار إليها فرمليان أسقف قيصرية كبدوكية فى القرن الثالث، واكليمنضس الأسكندرى وكثيرون غيرهما.

(٢) أى التسلسل القانونى للأسفار المذكورة.

(٣) انظر كتاب ٦ ف ١٤ و ٢٠ و ٢٥.

(٦) ولكن نظرا لأن نفس الرسـول فى تحيـته الواردة بآخـر رسالة رومـية[٤] ذكر - ضـمن من ذكرهم - هرماس الذى ينسب إليه السـفر المسمى الراعى»[٥] فيجب ملاحظة أن هذا السـفر أيضا متنازع عليه ولا يمكن وضـعه ضمن الأسـفار المعترف بهـا، مع أن البعض يعتـبرونه لا غنى عنه سيـما عند من يريدون تعلم مبادىء الأيمان. وعلى أن حال فنحن نعرف أنه يقرأ فى الكنائس، كما تبينت أن البعض من أقدم الكتاب اقتبسوا منه.

(٧) وهذا يكفى لايضاح الأسفار غير المتنازع عليها والأسفار غير المعترف بها من الجميع.



(٤) انظر (رو ١٦ : ١٤).

(٥) ظهر فى النصف الثانى من القـرن الثانى وأشار إليه ايريناوس واكليمـنضس الأسكندرى وأوريجانوس. وفى فصل ٢٥ من هذا الكتاب يذكر يوسابيوس أنه غير قانونى.

الفصل الرابع

خلفاء الرسل الأولون

(١) واضح مما كتبه بولس[١] - ومما دونه لوقا فى سفر الأعمال[٢] - أنه (أى بولس) بشر الأمم (أى الوثنيين) ووضع أساسا للكنائس «من أورشليم وما حولها إلى الليريكون».

(٢) أما عدد الأقطار التى كرز فيها بطرس بالمسيح ونادى بتعاليم العهد الجديد بين أهل الختان فواضح من رسالته السابق التحدث عنها بأنها غير متنازع عليها. فى هذه الرسالة يكتب عن العبرانيين المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وأسيا وبيثينية.[٣]

(٣) وأما عدد وأسماء الذين أصبحوا من بين هؤلاء أتباعا مخلصين وغيورين للرسل واعتبروا مستحقين للعناية بالكنائس التى أسسوها فليس من السهل حصرهم سوى من ذكرهم بولس فى كتاباته.

(٤) لأنه كا له زملاء فى العمل لا حصر لهم، وزملاء «متجندون معه» كما دعاهم،[٤] وقد أكرم معظمهم بذكريات لا تمحى، لأنه سجل لهم فى كتاباته شهادات دائمة.

(٥) وتحدث لوقا أيضا عن أصدقائه فى سفر الأعمال وذكرهم بالاسم.[٥]

(٦) وكما هو مدون كان تيموثاوس أول من قبل الأسقفية على أبروشية أفسس، وتيطس على كنائس كريت.

(٧) أما لوقا، الذى كان من أبوين أنطاكيين، والذى كان يمتهن الطب[٦] والذى كان صديقا حميما لبولس ومعروفا من سائر الرسل، فقد ترك لنا فى سفرين قانونيين براهين على موهبة الشفاء

---

(١) (رو ١٥ : ١٩). (٢) من ص ٩ فصاعدا. (٣) (١ بط ١ : ١). (٤) (فى ٢ : ٢٥ . فل ٢).

(٥) (اع ٦ : ٥) ويوحنا الملقب مرقس (١٢ : ٢٥ ، ١٣ : ١٣ ، ١٥ : ٣٧) وسيلا (١٥ : ٤٠) وتيموثاوس (١٦ : ١ إلخ) وأكيلا وبريسكلا (١٨) وأرسطوس (١٩ : ٢٢) وغايس واسترخس المكدونيين (١٩ : ٢٩) إلخ.

(٦) (كو ٤ : ١٤).

الروحى التى تعلمها منهم. أما أحد هذين السفرين فهو الإنجيل الذى يشهد بأنه كتبه كما سلمه إليه الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، والذين قد تتبعهم من الأول بالتدقيق كما يقول.[٧] وأما السفر الثانى فهو أعمال الرسل الذى كتبه، لا بناء على رواية الآخرين، بل بناء على ما رآه هو بنفسه.

(٨) ويقال أن بولس كلما قال «بحسب أنجيل[٨]» أنما كان يشير إلى أنجيل لوقا كأنه يتحدث عن أنجيله هو.

(٩) أما عن باقى أتباع بولس فانه يشهد بأن كريسكيس قد أرسل إلى بلاد الغال[٩] أما لينس الذى يذكره فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس[١٠] كرفيقه فى روما فقد خلف بطرس فى أسقفية الكنيسة هناك[١١] كما سبق أن بينا.

(١٠) وكان اكلمنضس[١٢] - الذى أقيم ثالث أسقف على كنيسة روما - زميلا لبولس فى العمل ومتجندا معه كما يشهد بولس نفسه.

(١١) وعلاوة على هؤلاء فأن ذلك الأريوباغى، المسمى ديونيسيوس، الذى كان أول من آمن بعد خطاب بولس للاثينيين فى أريوس باغوس، (كما دونه لوقا فى سفر الأعمال[١٣] فقد ورد ذكره فى كتابات شخص آخر يسمى ديونيسيوس كان كاتبا قديما وراعيا لأبروشية كورنثوس[١٤] قائلا عنه أنه أول أسقف لكنيسة أثينا.

(١٢) أما الحوادث المتعلقة بالخلافة الرسولية فستتحدث عنها فى الوقت المناسب، وفى نفس الوقت لنتابع مجرى تاريخنا.

(٧) (لو ١ : ٢ و ٣). (٨) (رو ٢ : ١٦، ١٦ : ٢٥، ٢ تى ٢ : ٨).

(٩) (٢ تى ٤ : ١٠) وفى هذه الآية لم يذكر بأنه «أرسل» بل «ذهب»، ولم يذكر بأنه ذهب إلى بلاد الغال بل إلى غلاطية.

(١٠) (٢ تى ٤ : ٢١). (١١) انظر ف ٢. (١٢) (فى ٤ : ٣). (١٣) (أع ١٧ : ٣٤).

(١٤) انظر ما ورد فى كتاب ٤ ف ٢٣.

الفصل الخامس

حصار اليهود الأخير بعد المسيح

(١) بعد أن ملك نيرون ثلاث عشرة سنة،[١] وجالبا وأثو[٢] سنة وستة أشهر نودى بفلسبسيان (الذى اشتهر بحملاته على اليهود) ملكا على اليهودية، ونال لقب امبراطور من الجيوش الحالة هناك. وإذ قصد على الفور إلى روما أوكل أمر الحرب ضد اليهود لابنه تيطس.[٣]

(٢) لأن اليهود بعد صعود مخلصنا لم يكتفوا بجريمتهم ضده بل دبروا الكثير من المؤامرات ضد رسله على قدر استطاعتهم. ففى أول الأمر رجموا استفانوس،[٤] وبعده قطعوا رأس يعقوب[٥] بن زبدى أخى يوحنا، وأخيرا مات يعقوب (أول أسقف على كرسى أورشليم بعد صعود مخلصنا) بالطريقة السابق شرحها.[٦] أما سائر الرسل الذين استمرت المؤامرات ضدهم بقصد أبادتهم، وطوردوا من أرض اليهودية، فقد ذهبوا إلى كل الأمم ليكرزوا بالإنجيل معتمدين على قوة المسيح الذى قال لهم «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسمى».[٧]

(٣) أما شعب الكنيسة فى أورشليم فقد صدر لهم الأمر فى رؤيا (ظهرت لأشخاص موثوق بهم هناك قبل الحرب) بأن يتركوا المدينة ويسكنوا فى من مقاطعة بيريه تدعى «بلا»،[٨] وإذ جاء هؤلاء المؤمنون بالمسيح من أورشليم إلى هناك بدا كأن مدينة اليهود الملكية وكل أرض اليهودية قد أقفرت من الرجال المباركين، وحل غضب الله بشدة على من ثاروا ضد المسيح ورسله، فأباد نهائيا ذلك الجيل الشرير.

(٤) على أن عدد المصائب التى حلت بتلك الأمة فى كل مكان، والنكبات الشديدة جدا التى نكب بها سكان اليهودية بصفة خاصة، وآلاف الرجال والنساء والأطفال الذين هلكوا بالسيف وبالمجاعات وألوان أخرى من الموت لا حصر لها – كل هذه الأمور والحصارات الكثيرة التى حصلت بمدن اليهودية،

(١) ملك نيرون من ١٦ أكتوبر سنة ٥٤م إلى ٩ يونية سنة ٦٨م. (٢) Galba Otho.

(٣) قام تيطس بمحاربة اليهود بعد ارتحال أبيه، وأنهى حصار أورشليم فى ٨ سبتمبر سنة ٧٠م. (٤) (اع ٧ : ٨ إلخ).

(٥) (أع ١٢ : ٢٠). (٦) انظر ك ٢ ف ٢٣. (٧) (مت ٢٨ : ١٩).

(٨) Pella مدينة شرق الأردن تقع فى شمال Perea بيريه وكانت تحت سلطة هيرودس أغريباس الثانى.

والالام المفرطة التى عاناها من هربوا إلى أورشليم نفـهسا كأنها مدينة أمينة، وأخيرا الـتيار العام للحرب كلها، وكذا أحداثها تفصيلا، وكيف وقفت أخيرا رجسة الخراب - التى تنبأ عنها الأنبياء [٩] - فى هيكل الله نفســه الذى ذاعت شهرته منذ القديم، الهـيكل الذى كان ينتظر حينذاك خـرابه النهائى الكامل بالنار ... كل هذه يجد وصفها بدقة كل من أراد فى التاريخ الذى كتبه يوسيفوس.

(٥) ولكنه من الضرورى اثبـات أن هــذا الكاتب سجل بأن جمـاهير الذين تجمـعوا مــن كـل اليهودية وقت الفصح، والذين وصل عـددهم إلى ثلاثة مـلايين نفس، أغلق عليهم فى أورشليم «كأنهم فى ســجن» حســب تعبيره.

(٦) لأنه كان عدلا فى نـفس الأيام[١٠] التى سببوا فيـها الآلام للمخلص، المحسن لـلجميع، مسيح الله، يغلق عليهم «كأنهم فى سجن»، ويلقوا الهلاك من يد العدل الألهى.

(٧) وإذا ما تجاوزت عن المصائب الخاصة التى عانوها من الـهجوم عليهم بالسيف وبغيره، أراه من الضرورى التحـدث فقط عن المصائب التى سببتـها المجاعة، لكى يعرف قـارئو كتابى هذا أن الله لم يبطىء فى الأنتقام منهم بسبب شرهم ضد مسيح الله.



(٩) (دا ٩ : ٢٥).

(١٠) أى فى وقت الفصح.

الفصل السادس

المجاعة التى نكبوا بها

(١) وإذا ما تصفحنا السفر الخامس من تاريخ يوسيفوس ثانية وجدنا الفواجع التى حدثت وقتئذ.[١] فأنه يقول:

(٢) «أما عن الأثرياء فقد كان خطرا أيضا أن يبقوا. لأنهم وقد تظاهروا بالرغبة فى هجر الناس فقد قتلوا بسبب ثروتهم. أما جنون الثورة فقد زادته المجاعة. وهكذا ازدادت حدة البؤس والشقاء يوما بعد يوم.

(٣) «ولم يعد الطعام يُرى. وإذ كان الناس يقتحمون المنازل كانوا يفتشونها بدقة، وكلما وجدوا فيها شيئا يؤكل عذبوا أصحابها على أساس أنهم أنكروا أن عندهم شيئا. وأن لم يجدوا فيها شيئا عذبوهم على أساس أنهم خبأوه بمنتهى الدقة والحرص.

(٤) «أما الدليل على أنهم يمتلكون طعاما أو لا يمتلكون فكان يوجد فى أجسام هؤلاء المساكين. فمن كانت مناظرهم حسنة اعتبروا بأنهم يحصلون على كمية كافية من الطعام. أما من كانت مناظرهم هزيلة فقد كانوا يتجاوزون عنهم على أساس أنه من السخافة قتل من هم على وشك الهلاك بسبب الفاقة.

(٥) «ولقد باع الكثيرون ممتلكاتهم سرا للحصول على كيلة من الحنطة أن كانوا من طبقة الأغنياء، أو من الشعير أن كانوا فقراء. وإذ كانوا يختبئون فى مخبئات منازلهم كان البعض يأكلون الحبوب نيئة بسبب شدة حاجتهم، والبعض يطبخونها حسبما كانت تملى عليهم ظروف الحاجة والخوف.

(٦) «لم تعد الموائد تبسط فى أى مكان، بل كانوا يخطفون الطعام قبل أن ينضج وينهشونه.

«ويالشناعة المنظر إذ كان المرء يرى الأقوياء يحصلون على نصيب وافر، أما الضعفاء فكانوا يتضورون جوعا.

---

(١) أى فى وقت الفصح.

(٢) يوسيفيوس ك ٥ ف ١٠ : ٢و٣.

(٧) «يقينا أن المجاعات أشر الشرور. وهى لا تطيح بشىء أكثر من الحياء. لأن ما يستحق الاحترام فى ظروف أخرى يحتقر فى ظروف المجاعة. فالنساء كن يخطفن الطعام من أفواه أزواجهن وأولادهن، ومن آبائهن، والأشر من كل ذلك كانت الأمهات يخطفن من أطفالهن. وبينما كانت تذوى حياة فلذات أكبادهن بين أذرعهن كن لا يخجلن من خطف آخر نقطة تسد رمقهم.

(٨) «وحتى عندما يأكلون بهذه الطريقة كان لابد من افتضاح أمرهم. فالناهبون كانوا يظهرون فى كل مكان لسلبهم حتى من هذه الكميات الضئيلة من الطعام. لأنهم كلما رأوا منزلا مغلقا اعتبروا ذلك علامة على أن الذين بالداخل يأكلون. وللحال كانوا يقتحمون الأبواب ويندفعون ويخطفون ما كانوا يأكلون، وفى كثير من الحالات كانوا ينتزعونه من حلقهم.

(٩) «أما المتقدمون فى السن الذين كانوا يتشبثون بطعامهم فكانوا يضربون. وأن خبأته النسوة فى أيديهن نتفت شعورهن بسبب هذا التصرف. ولم تعد هنالك رأفة لا بالشيوخ ولا بالأطفال، بل كانوا يرفعون الأطفال المتشبثين بلقمة الطعام ويلقون بهم إلى الأرض. أما الذين يحسون بدخولهم ويبلغون ما كانوا يزمعون اختطافه فكانوا يعاملون بقسوة أشد كأنهم قد أساءوا إليهم.

(١٠) «وكانوا يجرون أقسى أنواع التعذيب ليكتشفوا الطعام، فكانوا يتقدمون إلى التعساء المساكين فيغلقون فتحات أجسامهم السرية بالأعشاب المرة، ويثقبون مقاعدهم بقضبان حادة. وكان الناس يعانون آلاما تتقذذ منها الأسماع، وذلك لإلزامهم على الاعتراف بأنهم يملكون ولو رغيفا واحدا، أو لأظهار ولو درهم واحد من الشعير خبأوه.

(١١) «على أن المعذبين أنفسهم لم يكونوا يعانون مرارة الجوع. وكان يمكن أن تبدو تصرفاتهم أقل وحشية لو أنهم قد دفعتهم إليها الحاجة. ولكنهم لجأوا إليها بسبب جنونهم، ولتزويد أنفسهم بالمؤونة التى تلزم للمستقبل.

(١٢) «وأن تسلل أحد من المدينة ليلا ووصل إلى حرس الحدود الرومانيين لجمع بعض الحشائش أو الأعشاب البرية ذهبوا إليه لمقابلته، وبينما يظن أنه قد نجا من العدو يأخذون منه ما قد أتى به، ورغم توسلاته إليهم وحلفه باسم الله العظيم المهوب، وتذلله إليهم ليعطوه جزءا مما خاطر بحياته فى سبيل الحصول عليه، فقد كانوا لا يعيدون إليه شيئا. وكان من حسن حظ الشخص أن لا يقتل بعد أن ينهب».

(١٣) وبعد أن ذكر يوسيفوس أمور أخرى، يضيف إلى هذا الوصف ما يأتى: [٣] «وإذ وضع حد لامكانية الخروج من المدينة[٤] تبدد من أمام اليهود كل أمل للنجاة. واشتدت المجاعة فالتهمت بيوتا وعائلات، وامتلأت الغرف بجثث النساء والأولاد، وطرقات المدينة بجثث المشايخ.

(١٤) «وكان الأولاد والشباب - وقد برحت بهم المجاعة - يتجولون فى الأسواق كأشباح، ويسقطون حيثما باغتهم الموت. وكان المرضى لا يقوون على دفن أقاربهم، أما من كانوا يقوون فقد كانوا يترددون بسبب كثرة الموتى وبسبب شكهم فى مصيرهم. فالكثيرون كانوا يموتون فعلا وهم يدفنون غيرهم، والكثيرون كانوا يعمدون إلى قبورهم قبل أن يأتيهم الموت.

(١٥) «ولم يكن هناك بكاء أو نحيب فى هذه المصائب. لأن المجاعة قست العواطف الطبيعية. وكان الذين يموتون بطيئا ينظرون بعين الحسرة إلى من انتقلوا إلى راحتهم قبلهم. وكان يغمر المدينة صمت رهيب وليل مخيف.

(١٦) «أما اللصوص فقد كانوا أشد رعبا من هذه الأهوال، لأنهم كانوا يقتحمون البيوت التى كانت وقتئذ مجرد قبور، وينهبون الموتى ويجردون أجسامهم من أغطيتها، وينصرفون ضاحكين. وكانوا يجربون أطراف سيوفهم فى الجثث، كما كانوا ينخسون الأجسام الملقاة إلى الأرض التى لا تزال حية ليجربوا أسلحتهم. أما الذين كانوا يتوسلون بأن يسمح لهم باستعمال ذراعهم اليمين متقلدين سيوفهم فقد كانوا يتركونهم باحتقار لتفنيهم المجاعة. وكان كل واحد من هؤلاء يموت مثبت عينيه فى الهيكل. كما كانوا يتركون الثائرين أحياء.

(١٧) «وفى بداية الأمر أعطى هؤلاء الأوامر لدفن الموتى على حساب الخزانة العامة، لأنهم لم يحتملوا الروائح الكريهة. ولكنهم لما عجزوا عن ذلك فيما بعد كانوا يطرحون الجثث من فوق الأسوار إلى الخنادق.

(١٨) «وإذ دار تيطس حول المدينة، ورأى الخنادق مليئة بالموتى، والدم المتجمد طافح من الجثث المتعفنة، تصاعد أنينه، وإذ رفع يديه دعا الله ليشهد بأن هذا لم يكن من صنعه».

---

(٣) نفس الكتاب ف ١٢ : ٣ و ٤.

(٤) كان تيطس وقتئذ قد أكمل بناء سور حول المدينة استحال معه الهروب منها. وقد وصف يوسيفوس هذا السور فى الفصل السابق مباشرة.

(١٩) وبعد أن تحدث يوسيفوس عن أمور أخرى استأنف حديثه قائلا[٥] «أننى لا أتردد فى التعبير عما أشعر به. فأعتقد بأنه لو تأخر الرومانيون فى الهجوم على هؤلاء المجرمين الأشقياء لابتلعت المدينة هوة سحيقة، أو دهمها فيضان، أو دمرتها صاعقة كتلك التى دمرت سدوم. لأنها أخرجت جيلا من البشر أشر ممن عانوا ذلك التأديب. والواقع أنه بسبب جنونهم أبيد كل الشعب».

(٢٠) وفى الكتاب السادس يدون ما يلى:[٦]

«أن من ماتوا من هؤلاء فى المدينة بسبب المجاعة لا يحصى عددهم، والمصائب التى عانوها لا يمكن وصفها. لأنه أن ظهر ولو شبح الطعام فى أى بيت نشبت فيه الحرب، واشتبك أعز الأصدقاء فى الحروب بعضهم مع بعض، وخطفوا من بعضهم أود الحياة مهما كان ضيئلا.

(٢١) «وأبوا أن يصدقوا أنه حتى الذين فى النزع الأخير كانوا بدون طعام، بل كان اللصوص يفتشونهم وهم يلفظون النسمات الأخيرة لئلا يكون هنالك من يدعى الموت وهو يخفى الطعام فى حضنه. وكانوا يتعثرون ككلاب سعرانة وأفواههم مفتوحة من انعدام الطعام، ويضربون الأبواب كأنهم سكارى، وفى وهنهم وضعفهم كانوا يهجمون على البيت الواحد مرتين أو ثلاث مرات فى ساعة واحدة.

(٢٢) «واضطرتهم الحاجة لأكل أى شيء يجدونه. وكانوا يجمعون أشياء لا تليق بأقذر البهائم غير العاقلة ويلتهمونها. وأخيرا لم يتعففوا حتى عن مناطقهم وأحذيتهم، وكانوا يجردون دروعهم من جلودها ويلتهمونها. وأتخذ البعض من القش القديم طعاما، وجمع الآخرون أعقاب الحنطة المتروكة فى الأرض وباعوا أقل كمية بأربعة دراهم.

(٢٣) «ولماذا أتحدث عن المخازى التى تجلت أثناء المجاعة نحو الأشياء غير العاقلة؟ لأننى سأروى حقيقة لم تدون عن اليونانيين أو البرابرة، أروع من أن تروى، وأشنع من أن تصدق. وكان يسرنى أن أتجنب ذكر هذه المصيبة لئلا يظن الأعقاب أننى أروى قصصا خيالية خرافية لولا أننى لدى شهود لا يحصى عددهم معاصرون لى. وفضلا عن ذلك فأن خدمتى لبلادى تعتبر ناقصة أن أنا أحجمت عن وصف الآلام التى تحملتها (بلادى).

(٢٤) «كانت هنالك امرأة تدعى مريم سكنت بعد نهر الأردن، يدعى أبوها اليعازر من قرية بيتزور (ومعناها بيت الزوفا). وكانت هذه المرأة ذات شخصية بارزة بسبب أسرتها وثروتها، وقد هربت مع بقية الجماهير إلى أورشليم، وأغلق عليها معهم أثناء الحصار.

(٥) انظر الكتاب ف ١٣ : ٦.

(٦) ك ٦ ف ٣ : ٣ و ٤.

(٢٥) «أما الطغاة فـقد سلبوها من بقية أمـتعتها التى أحـضرتها معهـا إلى المدينة من بيرية وكان الحرس يهجمون عليها يوميا لخطف بـقية ممتلكاتها وكل ما يمكن أن يرى من الطعام. وقد سبب هذا خنق المرأة، ولذا فأنها بتوبيخاتها المستمرة ولعناتها أهاجت غيظ هؤلاء الأوغاد وحنقهم عليها.

(٢٦) «ولكن لم يشأ أحد أن يقتلها وذلك أما لباعث الأشفاق عليها أو السخط عليها وقد تعبت من أيجاد الطعام للاخرين ليـأكلوا. وأصبحت مهمة البحث عن الطعام شـاقة جدا فى كل مكان وكانت المجاعة تعـض أمعاءها وأحشاءها. وكـانت ثورة الحنق أشد قسـوة من المجاعة نفسهـا. وإذ أتخذت من الغضب والفاقة والحاجة مشيرين لها اعتزمت أن تفعل أمرا شاذا جدا.

(٢٧) «فامسكت طفلهـا – وكان ولدا يرضع ثدييها – وقالت: ما أشقـاك أيها الطفل فى الحرب والمجاعة والفتنة، لماذا أبقى عليك؟ لابد أن يسـتعبدنا الرومانيون حتى لو سمـحوا لنا بأن نعيش. وحتى العبودية سـبقتهـا المجاعة، أما الثوار فـأنهم أقسى من الأثنين. تعالى وكن لى طعـاما، وسخطا[٧] على هؤلاء الثوار، وسخرية للعالم، لأن هذا كل ما بقى لتكملة مصائب اليهود.

(٢٨) «وإذ قالت هذا قـتلت ابنها. ولما طبـخته أكلت نصفه وغـطت النصف الباقى وحـفظته وللحال ظهر الثـوار، ولما شموا الرائحة الكريهة هددوها بالقـتل فى الحال أن لم تقدم إليهم ما طبـخته. فأجابت بأنها حفظت لهم نصيبا وافرا، وعند ذلك كشفت ما تبقى من الطفل.

(٢٩) «وللحال أخذتهم الدهشـة والرعب والفزع، ووقفوا مذهولين أمـام المنظر. ولكنها قالت. الطفل طفلى، وأنا الذى فعلت به هذا. كلـوا لأنى أنا أيضا أكلت. لا تكونوا أكثر شـفقة من المرأة ولا أكثر حنوا من الأم. أما أن بلغت بكم التـقوى إلى الحد فيه تحجمون على ضحـيتى فقد أكلت أنا منها، واتركوا لى الباقى.

(٣٠) «وإذ قالـت هذه الكلمات خـرج الرجال مـرتعدين، وانزعـجوا من هذا الحـادث ولكنهم بصعوبة سلموا هذا الطعام للأم. ومن ثم ذاعت أنباء هذه الجريمة المروعة فى كل المدينة، وإذ صور الجميع هذا العمل الوحشى أمام أعينهم انزعجوا كأنهم هم الذين ارتكبوه.

(٣١) «وتمنى الموت كل من كانوا يعانون آلام المجاعة، وطوبى لمن مـاتوا قبل أن يسمعوا أو يروا أمثال هذه الفواجع».

(٣٢) هكذا كان جزاء اليهود من أجل شرهم وأجرامهم ضد مسيح الله.

(٧) كانت عقيدة القوم وقتئذ أن نفوس المقتولين تعذب قاتليها.

الفصل السابع

نبوات المسيح

(١) وهنا يليق بنا أن نضيف إلى هذا الوصف نبوة مخلصنا الصادقة التى تنبأ عن هذه الحوادث بالذات.[١]

(٢) وهذه هى كلماته:

«ويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام. وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت، لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الأن ولن يكن».

(٣) وإذ أحصى المؤرخ جميع عدد القتلى قال أن مليون ومائة ألف هلكوا من المجاعة والسيف، وأن بقية الثوار واللصوص قتلوا إذ خان أحدهم الآخر بعد أخذ المدينة واستبقى أطول الشبان وأجملهم كعلامة على الانتصار. أما باقى الجماهير فأن من زادت أعمارهم على سبعة عشرة سنة أرسلوا كاسرى ليعملوا فى أعمال مصر،[٢] وتشتت غيرهم أكثر منهم فى الأقطار المختلفة ليلقوا حتفهم فى المشاهد العامة بالسيف والوحوش الكاسرة. أما من كانت تقل أعمارهم عن سبعة عشر سنة فقد اقتيدوا ليباعوا كعبيد، وهؤلاء وحدهم بلغ عددهم تسعين ألفا.

(٤) وقد حدثت هذه الأمور على هذا النحو فى السنة الثانية من ملك فاسبسيان[٣] وفقا لنبوات ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى سبق أن رآها بقوة لاهوته كأنها كانت ماثلة أمام عينيه، وبكى وأكتأب كما يقرر الإنجيليون الذين نقلوا إلينا نفس الكلمات التى نطق بها كأنه يخاطب أورشليم نفسها:[٤]

(٥) «أنك لو علمت أنت أيضا حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك. ولكن الآن قد أخفى عن عينيك، فانه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة. ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة. ويهدمونك إلى الأرض أنت وبنيك».

---

(١) (مت ٢٤ : ١٩ - ٢١).

(٢) المقصود بهذه الأعمال المحاجر حيث كانت تؤخذ منها أحجار رخامية جميلة تستعمل فى المبانى.

(٣) يقرر يوسيفوس (ك ٦ ف ٨ : ٥ ، ف ١٠ : ١) أن الحصار تم فى ٨ سبتمبر وفى الفقرة الثانية يقول أنه تم فى السنة الثانية من ملك فاسبسيان. ولما كان هذا قد نودى به أمبراطورا فى أول يولية سنة ٦٩م لذلك يكون الحصار قد تم فى ٨ سبتمبر سنة ٧٠م.

(٤) (لو ١٩ : ٤٢ - ٤٤).

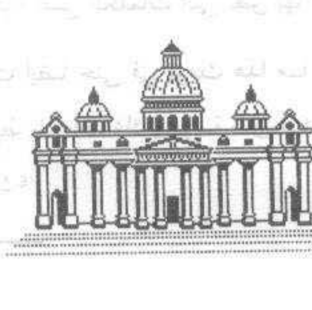
(٦) وبعد ذلك يقول كـأنه يتحدث عن الشعب[٥] «لأنه يكون ضـيق عظيم فى الأرض وسخط على هذا الشعب. ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم. وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم». وأيضـا[٦] «ومتى رأيتم أورشليم مـحاطة بجـيوش فحـينئذ اعلمـوا أنه قد اقـترب خرابها».

(٧) فإن قـارن أحد كلمـات مخلصنا بالوصف الآخـر الذى دونه ذلك المؤرخ عن الحرب كـلها فيكف لا يتعجب معترفا بأن سبق علم مخلصنا ونبواته كانت إلهية حقا وعجيبة جدا.

(٨) أما عن تلك المصائب التى حلت بكل الأمة اليهودية بعد آلام المخلص، وبعد الكلمات التى نطق بها جمـهور اليهود عندما طلبـوا اطلاق اللص القاتل ورفع رئيس الحياة من وسطهم[٧] فـلا يحتاج الأمر لاضافة شيء لرواية المؤرخ.

(٩) ولكن قد يكون من المناسب أن نذكر أيضا تلك الحوادث التى وضحت رحمة العناية الألهية الكلية الصلاح التى أرجـأت خرابهم أربعين سنة كاملة بعد جريمتهم ضـد المسيح. وفى هذه المدة كان لا يزال الكثيرون من الرسل والتلاميذ ويعقوب نفسه أول أسقف هناك، الذى كان يدعى أخا الرب، أحياء، ومقيمين فى أورشليم نفـسها كأضمن حصن للمكان. وهكذا برهنت العناية الإلـهية على طول أناتها من نحوهم، لكى ترى أن كانوا بالندامة على ما ارتكبوه والتوبة ينالون الصفح والخلاص. وعلاوة على طول أناة العناية الألهية فأنها قدمت علامات لما كان مزمعا أن يحل بهم أن لم يتوبوا.

(١٠) وطالما كان المؤرخ السابق الأشارة إليه قد رأى بأن هذه الأمور جديرة بالذكر فأننا لن نفعل شيئا أفضل من اقتباسها لمنفعة قراء هذا المؤلف.



(٥) (لو ٢١ : ٢٣ و ٢٤). (٦) (ع ٢٠).

(٧) (اع ٣ : ١٤ ، مت ١٧ : ٢٠ ، مر ١٥ : ١١ ، لو ٢٢ : ١٨).

الفصل الثامن

العلامات التى سبقت الحرب

(١) وإن رجعت إلى كتاب هذا المؤلف قرأت الآتى فى السفر السادس من تاريخه. وهاك كلماته.[١]

«هكذا كان هذا الشعب البائس فى هذا الوقت فريسة للدجالين والأنبياء الكذبة. ولكنهم لم يصغوا ولم يصدقوا تلك الرؤى والعلامات التى كانت تنبىء باقتراب الخراب، بل بالعكس استخفوا بالأعلانات الألهية كأن البرق قد بهر عيونهم، أو كأنهم قد أصبحوا بلا عقول وبلا فهم.

(٢) «ففى وقت واحد وقف فوق المدينة نجم فى شكل سيف، ومذنب دام سنة كاملة. ثم أنه قبل الثورة، وقبل القلاقل التى أدت إلى الحرب، عندما أجتمع الشعب للاحتفاظ بعيد الفطير[٢] فى الثامن من شهر ذانثيكوس،[٣] وفى الساعة التاسعة من الليل، أضاء نور عظيم فى المذبح والهيكل حتى بدا كأنه نهار منير. ودامت هذه الحالة نصف ساعة. وقد كانت تبدو لرجل الشارع علامة طيبة، أما الكتبة فقد رأوا فيها نذيرا بتلك الحوادث التى حلت بهم بعد ذلك مباشرة.

(٣) «وفى نفس العيد كان رئيس الكهنة يقود بقرة لتقديمها ذبيحة فولدت خروفا فى وسط الهيكل».

(٤) «أما البوابة الشرقية للهيكل الداخلى، وكانت سميكة جدا ومصنوعة من البرونز، وكان يغلقها بصعوبة عشرون رجلا فى المساء، وكانت ترتكز على قضبان حديدية، ومثبتة فى الأرض بعوارض قوية، فقد وجدت تنفتح من تلقاء ذاتها فى الساعة السادسة من الليل.

(٥) «وبعد العيد بأيام قليلة، فى الحادى والعشرين من شهر أرتيميوس[٤] بدت رؤيا عجيبة تفوق التصديق. كان يمكن القول عن هذه الأعجوبة أنها خرافة لولا أنها قد رواها من رأوها، ولو لم تكن المصائب التى تلتها تستحق علامات كهذه. لأنه قبل غروب الشمس ظهرت فى وسط الجو فى كل تلك المنطقة عربات وفرق مسلحة تلف فى السحب وتحيط بالمدن.

---

(١) يوسيفوس ك ٦ ف ٥ : ٣. (٢) أى عيد الفصح. (٣) يقابل شهر أبريل.

(٤) يقابل أواخر مارس وأوائل ابرايل.

(٦) «وفى العيـد الذى يدعى عيـد الخمسين، عندمـا دخل الكهنة الهيكل ليـلا كعـادتهم لتأدية الخدمة، قـالوا أنهم فى بداية الأمر أحسوا بحـركة وجلبة، وبعد ذلك سـمعوا صوتا كأنه صـوت جموع كبيرة قائلا: فلنغادر هذا المكان.

(٧) «على أن ما يأتى أشد رعبا، لأن شخصا يدعى يسوع بن حنايا، وهو شخص قروى عادى، أتى - قبل الحرب بأربع سنوات إذ كانت المدينة فى سلام - إلى العيد،[٥] وكانت عادة الجميع أن يقيموا مظالا فى الهـيكل اكراما للـه، وبدأ يصرخ فجـأة: صوت من الشـرق، صوت من الغـرب، صوت من الأربعة الرياح، صـوت ضد أورشليم والهـيكل، صوت ضد العـريس وضد العروس، صـوت ضد كل الشعب:

(٨) «وكان يجول فى كل الطرقـات يصرخ كهذا نهارا وليلا. ولكن بعض أعيـان المدينة أغتاظوا من هذه النداءات المنذرة بالشؤم، وألقوا القبض عليـه، وضربوه بجلدات كثيرة. ولكنه دون أن ينطق بأية كلمة دفاعا عن نفسه، أو يقول شيئا خاصا للحاضرين، استمر يصرخ بنفس الكلمات كالسابق.

(٩) «أما الحكام فإذ ظنوا - وكانوا صادقين فى ظنهم - أن الرجل تحـفزه قوة علوية، قدموه أمام الوالى الرومانى.[٦] ورغم أنه جلد جلدا مـبرحا وصل إلى العظام فأنه لم يتـوسل بأن يعفى من الجلد، ولا ذرف دمعة، ولكـنه غير لهجة صـوته إلى لهجة أسيـفة جدا وكان بعـد كل جلدة يقول: ويل، ويل لأورشليم».

(١٠) ويسجل نفس المؤرخ حـادثة أشد غرابة مـن هذه. إذ يقـول أن قولا وجد فى كـتاباتهم المقدسة معلنا بأن شخصا معينا يخرج مـن بلادهم فى ذلك الوقـت ليحكم العالم. وقد ظن المؤرخ أن هذا تم فى فسبسيان.

(١١) على أن فسـبسيـان لم يحكم كل العالم، بل الجزء الذى كـان خاضعـا للرومانيين. ولذا فالاجدر تطبـيقه على المسيح الذى قـيل له من الآب «اسألنى فأعطيك الأمم ميـراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك».[٧] فى ذلك الوقت بالذات خرج فعلا صـوت رسله القديسين إلى كل الأرض، وإلى اقصاء العالم كلماتهم.[٨]

---

(٥) عيد المظال. (٦) البينوس. (٧) مز ٢ : ٨. (٨) مز ١٩ : ٤.

الفصل التاسع

يوسيفوس والمؤلفات التى تركها

(١) بعد هذا يجدر بنا أن نعرف شيئا عن أصل وعائلة يوسيفوس الذى ساعدنا كثيرا جدا فى كتابة هذا المؤلف. ولقد قدم لنا هو نفسه المعلومات اللازمة بهذا الصدد فى الكلمات التالية:

«يوسيفوس بن متاثياس كاهن فى أورشليم، حارب هو نفسه ضد الرومانيين فى البداية، واضطر أن يشهد ما حدث فيما بعد».

(٢) وكان أشهر كل اليهود فى ذلك الوقت، ليس فقط بين شعبه بل أيضا بين الرومانيين، ولذلك أكرم باقامة تمثال له فى روما، واعتبرت مؤلفاته خليقة بتخصيص مكان لها فى المكتبة.

(٣) وقد كتب كل آثار اليهود[١] فى عشرين كتابا، وتاريخا للحرب مع الرومانيين[٢] - التى حدثت فى أيامه - فى سبعة كتب. وشهد هو نفسه بأن هذا المؤلف الأخير لم يكتب باللغة اليونانية فقط بل ترجمه هو نفسه إلى اللغة الوطنية. وهو خليق بأن نصدقه هنا بسبب أمانته فى المواضيع الأخرى.

(٤) ولا يزال موجودا إلى الآن أيضا كتابان آخران له خليقان بالقراءة، وهما يبحثان عن أقدمية اليهود،[٣] وفيهما يرد على أبيون اللغوى الذى كان قد كتب وقتئذ كتابا ضد اليهود، وعلى آخرين حاولوا أن يفتروا على فرائض الشعب اليهودى القديمة العهد.

(٥) فى الكتاب الأول يبين عدد الأسفار القانونية للعهد القديم. وإذ استقى معلوماته من التقليد القديم يبين الأسفار التى قبلها العبرانيون دون أى نزاع. وهاك كلماته.

---

(١) Antiquitaties Judaicae كتاب كامل لليهود من ابراهيم إلى بدء الحرب مع روما.

(٢) De Bello Judaico أدق ما كتب عن هذه الحرب. وقد وصف الكثير من الحوادث بناء على معلوماته الشخصية.

(٣) العنوان الكامل للكتاب.

Apology of Flavius Josphus on the Antiquities of the Jews against Apion

وهو جزءان ويتضمن دفاعا عن اليهودية.

الفصل العاشر

الطريقة التى يذكر بها يوسيفوس الأسفار الإلهية

(١) «لذلك فليست لدينا أسفار كثيرة تختلف مع بعضها وتتناقص. بل لدينا فقط اثنان وعشرون سفرا،[١] تتضمن تاريخ كل العصور. والمسلم به بحق أنها أسفار إلهية.

(٢) «من هذه خمسة أسفار كتبها موسى، تتضمن الناموس ورواية أصل الأنسان ويستمر التاريخ إلى موته. وتشتمل هذه الحقبة نحو ثلاثة آلاف سنة.

(٣) «ومن موت موسى إلى موت ارتحشستا، الذى خلف اكزرسيس على عرش فارس، كتب الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى تاريخ عصورهم فى ثلاثة عشر سفرا[٢] أما الأسفار الأربعة الأخرى فتتضمن تسابيح لله ووصايا لتقويم حياة البشر.

---

(١) لم يدونها يوسيفوس بالتفصيل ولكنها على الأرجح كانت هكذا:

١ - ٥ أسفار موسى	١١ عزرا ونحميا	١٧ الأنبياء الصغار الاثنا عشر
٦ يشوع ١٥	١٢ استير	١٨ أيوب
٧ القضاة وراعوث	١٣ أشعيا	١٩ مزامير
٨ صموئيل	١٤ ارميا ومراثى ارميا	٢٠ أمثال
٩ الملوك ١٨	١٥ جزقيال	٢١ الجامعة
١٠ أخبار الأيام	١٦ دانيال	٢٢ نشيد الأنشاد

ويقرر أوريجانوس فى ك ٦ ف ٢٥ من هذا التاريخ أن عدد الأسفار ٢٢ كما يلى :

١ - ٥ اسفار موسى	١١ عزرا الأول والثانى	١٧ أشعياء
٦ يشوع	١٢ - المزامير	١٨ ارميا ومراثيه ورسالته
٧ قضاة وراعوث	١٣ أمثال	١٩ دانيال
٨ صموئيل	١٤ الجامعة	٢٠ حزقيال
٩ الملوك	١٥ نشيد الأنشاد	٢١ أيوب
١٠ أخبار الأيام	١٦ الأنبياء الصغار حسب رأى روفينوس	٢٢ استير

(٤) «ومن أيام ارتحشستا إلى يومنا هــذا دونت كل الحــوادث. ولكننا لا نستطيع أن نضع فيما دون نفس الثقة التى نضعها فى التواريخ السابقة، لأنه لم تكن هنالك سلــسلة متعاقبة مــن الأنبياء أثناء هــذه الفترة.[٣]

(٥) «أما مقدار تمسكنا بكتاباتنا فيضح تماما من موقفنا بازائها. لأنه رغما عن انقضاء فترة طويلة عليها فلم يتــجاسر أحد أن يضيف إليهــا أو يحذف منها شيئا. لأن كل اليــهود جبلوا منذ ولادتهم على اعتبارها تعاليم الله، والتمسك بها، والموت من أجلها بسرور أن لزم الأمر».

هذه الملاحظات التى دونها المؤرخ رأيت من النافع اثباتها فى هذه المناسبة.

(٦) ولنفس الكاتب مؤلف آخر عظيم الأهمية عن «ســمو العقل»[٤] دعاه البعض «المكابيين» لأنه يتضمن وصفا للكفاح الذى أبداه العبرانيون بشــهامة من أجل الديانة الحقة، مماثلا لما هو مدون فى سفرى المكابيين.

(٧) ويصرح يوسيفوس نفســه فى نهاية الكتاب العشرين من مؤلفه عــن الآثار[٥] أنه قصد كتابة مؤلف فى أربعة كتب عن الله ووجوده حسب آراء اليهــود التقليدية، وأيضا عن الشرائع ولماذا تبيح أمورا وتحرم أخرى. ويذكر نفس المؤلف فى مؤلفاته كتبا أخرى كتبها هو.

= وعلاة على هذه يوجد أيضا سفرا المكابيين.

والغريب هنا أغفاله لأسفار الأنبياء الصغار واثباته لرسالة ارمــيا. ويرجح الجميع أن إغفال أسفار الأنبياء الأثنى عشر كان مجرد خطأ فى النســاخ بدليل أنه كتب عنها تفسيــرا كما قد أضاف سفــرى المكابيين، إلا أنه بدون شك لا يدخل ضمن الأثنين وعشرين سفرا (أنظر ك ٦ ف ٢٥).

(٢) هى :

١ يشوع
٢ القضاء وراعوث
٣ صموئيل
٤ الملوك
٥ أخبار الأيام
٦ عزرا ونحميا
٧ استير
٨ أشعياء
٩ ارميا ومراثيه
١٠ حزقيال
١١ دانيال
١٢ الأنبياء الصغار الاثنا عشر
١٣ أيوب

(٣) أن ارتحشستا المشار إليه هنا هو ارتحشستا لونجيمانوس الذى ملك من سنة ٤٦٤ - ٤٢٥ ق.م وفى أيامه قام كل من عزرا ونحميا بمهمته، وتنبأ الأنبياء الأخرون. وفى أواخر أيامه أو أوائل أيامه داريوس تنبأ ملاخى الذى هو آخر الأنبياء. وكان الشائع بين اليهود أن روح النبوة انتهت بانتهاء نبوات حجى وزكريا وملاخى.

(٤) De Maccabaeis, Sen de rations imperio liber ، وكثيرا ما عرف ب «سفر المكابيين الرابع».

(٥) ك ٢٠ ف ١١ : ٣.

(٨) وعلاوة على هذه فمن المناسب أن نقتبس أيضا الكلمات التى وجدت فى ختام مؤلفه عن «الآثار» تأييدا للشهادة التى استقيناها من روايته. فى ذلك المكان يهاجم يوسطس الذى من طبرية،[٦] الذى حاول مثله أن يكتب تاريخا للحوادث المعاصرة على أساس أنه لم يكتب بأمانة. وإذ وجه إليه تهما أخرى كثيرة أكمل حديثه بالكلمات الآتية:

(٩) «الواقع أننى لم أكن خائفا بصدد كتاباتى كما كنت أنت. بل بالعكس لقد قدمت كتبى للاباطرة أنفسهم إذ كانت أغلب الحوادث لا تزال ماثلة أمام أعين الناس. لأننى كنت واثقا من أننى كنت متوخيا الصدق فى كتابتى. ولذلك فلم يخب ظنى فى توقع شهادتهم على صدق ما كتبت.

(١٠) «وقدمت تاريخى أيضا لآخرين كثيرين كان بعضهم معاصرين للحرب مثل الملك أغريباس وبعض أقاربه.

(١١) «لأن الامبراطور تيطس أبدى رغبته الشديدة فى أن لا تنقل الحوادث للناس إلا عن طريق كتبى، ولهذا وقع على الكتب بنفسه وأمر بنشرها. وكتب الملك أغريباس اثنتين وستين رسالة شاهدا فيها بصدق روايتى».

(١٢) وقد أضاف يوسيفوس ملحقا لاثنتين من هذه الرسائل. على أن هذا يكفى فيما يختص به. والآن لننتقل إلى تاريخنا.

---

(٦) كان قائدا لإحدى الثورات التى نشبت فى تلك المدينة قبل نشوب الحرب إذ كان يوسيفوس واليا فى الجليل، وقد سبب له متاعب كثيرة كمنافس له. وقد كتب تاريخا لليهود انصب بصفة خاصة على حرب اليهود، وهاجم يوسيفوس فيه بعنف.

الفصل الحادى عشر

سمعان يتولى إدارة كنيسة أورشليم بعد يعقوب

(١) بعد استشهاد يعقوب[١] وغزو أورشليم، الذى تم بعد ذلك مباشرة، يقال أن بقية رسل الرب وتلاميذه الذين كانوا لا يزالون أحياء تجمعوا فيها معا من كل الأقطار مع أقرباء الرب حسب الجسد. (لأن أغلبهم أيضا كانوا لا يزالون أحياء) ليتشاوروا فيمن يحق له أن يخلف يعقوب.

(٢) وقد أجمع الكل على أن سمعان[٢] بن كلوبا. الوارد ذكره أيضا فى الإنجيل[٣] خليق بأن تسند إليه أسقفية تلك الإبروشية. وقد كان ابن عم المخلص كما يقولون. لأن هيجيسبوس يقرر بأن كلوبا كان أخا ليوسف.[٤]

الفصل الثانى عشر

فاسبسيان يأمر بالبحث عن نسل داود

ويقول أيضا أن فاسبسيان بعد غزو أورشليم أمر بأن جميع من ينتمون لذرية داود يجب البحث عنهم لكى لا يترك أحد من النسل الملكى بين اليهود. ونتيجة لهذا حل باليهود اضطهاد عنيف آخر.

---

(١) حوالى سنة ٦١ أو ٦٢م.

(٢) يجب التفرقة بين سمعان هذا وسمعان القانوى.

(٣) (يو ١٩ : ٢٥).

(٤) يقول Hegesippus كما نرى فيما بعد (ك ٤ ف ٢٢) أن كلوبا كان عم الرب.

الفصل الثالث عشر

إنكليتس ثانى أسقف على روما

بعد أن حكم فاسبسيان عشر سنوات خلفه تيطس ابنه.[١] وفى السنة الثانية من حكمة تنازل لينس، الذى ظل أسقفا على روما أثنتى عشرة سنة، عن الأسقفية إلى إنكليتس.[٢] على أن تيطس خلفه أخوه دوميتانوس بعد أن حكم سنتين وشهرين.

الفصل الرابع عشر

أبيليوس[١] ثانى أسقف على الإسكندرية

وفى السنة الرابعة لحكم دومتيانوس مات أنيانوس أول أسقف لأبروشية الأسكندرية بعد أن لبث فى منصبه اثنتين وعشرين سنة، وخلفه أبيليوس ثانى أسقف.

الفصل الخامس عشر

أكليمنضس ثالث أسقف على روما

وفى السنة الثانية عشرة لحكم نفس الأمبراطور تولى أكليمنضس أسقفية كنيسة روما خلفالانكليتس الذى ظل فيها اثنتى عشرة سنة. ويخبرنا الرسول (بولس) فى رسالته إلى أهل فيلبى أن أكليمنضس هذا كان عاملا معه.[١] وهاك كلماته «مع أكليمندس أيضا وباقى العاملين معى الذين أسماؤهم فى سفر الحياة».

---

(١) حكم فاسبسيان من أول يولية سنة ٦٩ إلى ٢٤ يونية سنة ٧٩م.

(٢) Anencletus.

---

(١) Abilius أو ميليوس حسب تاريخ الكنيسة القبطية.

---

(١) فى ٤ : ٣.

الفصل السادس عشر

رسالة أكليمنضس

وتوجد بين أيدينا رسالة لاكليمنضس[١] هذا، معترف بصحتها، وهى طويلة جدا وهامة جدا. وقد كتبها باسم كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس عندما قامت فتنة فى هذه الكنيسة الأخيرة. ونحن نعلم أن هذه الرسالة كانت تستعمل فى كنائس كثيرة فى العصور الماضية ولا زالت. أما عن قيام فتنة فى كنيسة كورنثوس فى الوقت المشار إليه فشهد بذلك هيجيسبوس، Hegesippus وشهادته صادقة.

الفصل السابع عشر

الاضطهاد الذى حدث أيام دومتيانوس

وإذ أظهر دومتيانوس قسوة شديدة نحو الكثيرين، وقتل ظلما عدد ليس بالقليل من السادة والأشراف فى روما، ونفى كثيرين آخرين من الرجال البارزين بلا مبرر، وصادر ممتلكاتهم، صار أخيرا خليفة لنيرون فى بغضه وعداوته لله. والواقع أنه كان ثانى من آثار اضطهادا ضدنا، ولو أن أباه فاسبسيان لم يصدر منه أى شىء يسىء إلينا.

---

(١) لا تزال هذه الرسالة موجودة وتتضمن ٥٩ فصلا. والمفهوم أنها كتبت من كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس ولكنها لا تحمل اسم مؤلفها، ولكن الأجماع انعقد على أن كاتبها هو اكليمنض. وقد كتبت فى آخر القرن الأول.

الفصل الثامن عشر

الرسول يوحنا وسفر الرؤيا

(١) ويقال أنه فى هذا الأضطهاد حكم على الرسول يوحنا الإنجيلى، الذى كان لا يزال حيا، بالسكن فى جزيرة بطمس بسبب شهاداته للكلمة الإلهية.

(٢) ويتحدث ايريناوس فى الكتاب الخامس من مؤلفه «ضد الهرطقات» حيث يبحث فى عدد اسم ضد المسيح[١] الوارد ذكره فى السفر المسمى سفر الرؤيا ليوحنا، يتحدث عنه كما يأتى:

(٣) «لو كان من الضرورى إذاعة اسمه فى الوقت الحاضر لكان قد صرح به ذاك الذى رأى الرؤيا لأنها لم تعلن إليه منذ وقت بعيد، بل تكاد تكون فى جيلنا، فى نهاية حكم دومتيانوس».

(٤) إلى هذا الحد انتشرت تعاليم ديانتنا فى ذلك الوقت، لدرجة أنه لم يتردد حتى الكتاب البعيدون عن ديانتنا عن أن يذكروا فى تواريخهم الأضطهاد والأستشهادات التى تمت أثنائه.

(٥) والواقع أنهم عينوا الوقت بدقة. لأنهم سجلوا بأنه فى السنة الخامسة عشر من حكم دومتيانوس نفيت فلافيا دوميتيلا، ابنة أخت فلافيوس اكليمنضس، الذى كان فى ذلك الوقت أحد قناصل روما، نفيت مع كثيرات غيرها إلى جزيرة بنطس بسبب شهادتها للمسيح.

الفصل التاسع عشر

دومتيانوس يصدر أمرا بقتل ذرية داود

وتقول احدى الروايات القديمة أنه لما أصدر دومتيانوس هذا نفسه أمرا بقتل ذرية داود قدم بعض الهراطقة تهمة ضد ذرية يهوذا (الذى يقال أنه أخو المخلص حسب الجسد) على أساس أنهم من سلالة داود وأقرباء للمسيح نفسه. ويروى هيجسبوس هذه الحقائق فى الكلمات التالية:

---

(١) (رؤ ١٣ : ١٨).

الفصل العشرون

أقرباء مخلَصنا

(١) «أما فى أقرباء الرب فكان لا يزال حيا حفيدا يهوذا الذى يقال بأنه أخو الرب حسب الجسد.

(٢) وقد دلت المعلومات التى وصلت إلينا على أنهما كانا من أسرة داود، فقدمهما الجنود إلى الأمبراطور دومتيانوس. لأن دومتيانوس كان يخشى مجىء المسيح، كما خشيه من قبله هيرودس أيضا. فسألهما عما إذا كانا من ذرية داود، فاعترفا بأنهما كذلك.

(٣) «عندئذ سألهما عن مقدار ممتلكاتهما، ومقدار الأموال التى يمتلكانها. فاعترفا كل منهما بأنهما يملكان فقط تسعة آلاف دينار مناصفة.

(٤) «وهذه الثروة ليست عبارة عن فضة بل قطعة أرض تبلغ فقط تسعة وثلاثين فدانا كانا يحصلان منها على الضرائب اللازمة، ويعولان نفسيهما من كدهما».

(٥) وبعد ذلك مدا أيديهما ليبينا خشونة جسديهما والخشونة التى سببها العمل بأيديهما دليلا على كدهما.

(٦) وعندما سئلا عن المسيح ومملكته، ومن أى نوع هى، وأين ومتى يجب أن تظهر، أجابا بأنها ليست زمنية أو أرضية، بل سماوية ملائكية، سوف تظهرفى نهاية العالم عندما يأتى فى المجد ليدين الأحياء والأموات، ويعطى كل واحد حسب أعماله.

(٧) وإذ سمع دومتيانوس هذا لم يصدر عليهما أى حكم، بل أخلى سبيلهما، محتقرا أياهما كشخصين عديمى الأهمية، وأصدر أمرا بوضع حد لاضطهاد الكنيسة.

(٨) ولما أخلى سبيلهما توليا ادارة الكنائس إذ كانا ضمن الشهود،[١] وكانا أيضا من أقرباء الرب. وإذ عم السلام عاشا حتى عصر تراجان. هذا ما رواه هيجيسبوس.

(٩) أما ترتوليانوس فقد ذكر أيضا دومتيانوس فى الكلمات التالية «وقد حاول أيضا دومتيانوس - الذى شارك نيرون فى قسوته - أن يفعل مرة ما فعله نيرون. ولكن لأنه، على ما أظن كان فيه شىء من الذكاء، كف فى الحال، بل أعاد من كان قد نفاهم».

---

(١) كان لقب «الشهود» يطلق فى بداية الأمر على من يشهدون للمسيح، سيما فى وقت الأضطهاد ولو لم يستشهدوا. وبعد ذلك أطلق على الشهداء.

(١٠) ولكن بعد أن حكم دومتيانوس خمس عشرة سنة، وارتقى عرش الامبراطورية نرفا، قرر مجلس الأعيان الرومانى (وفق ما قرره مؤرخو ذلك العصر) إلغاء الأمتيازات التى سبق أن منحها دومتيانوس، كما قرر أن جميع الذين نفوا ظلما يجب أن يعودوا إلى بيوتهم وتعاد إليهم ممتلكاتهم.

(١١) وفى هذا الوقت عاد الرسول يوحنا من نفيه فى الجزيرة، وأقام فى أفسس حسب رواية مسيحية قديمة.

الفصل الحادى والعشرون

كردونوس ثالث من يتولى إدارة كنيسة الإسكندرية

(١) بعد أن حكم نرفا ما يزيد قليلا على سنة خلفه تراجان. وفى السنة الأولى من حكمه تولى كردونوس إدارة كنيسة الأسكندرية خلفا لأبيليوس الذى رأسها ثلاث عشرة سنة.

(٢) وكان ثالث رئيس لتلك الكنيسة بعد أنيانوس الذى كان هو الأول. وفى ذلك الوقت كان اكليمنضس لا يزال يرأس كنيسة روما، الذى كان هو أيضا ثالث أسقف عليها بعد بولس وبطرس.

(٣) كان لينس هو الأول، وبعده جاء انكليتس.

الفصل الثانى والعشرون

أغناطيوس ثانى أسقف على أنطاكية

وفى ذلك الوقت كان أغناطيوس[١] هو ثانى أسقف على انطاكية، إذ كان ايفوديوس[٢] هو الأول. وكان سمعان وقتئذ ثانى أسقف على كنيسة أورشليم، إذ كان أخو مخلصنا هو الأول.

---

(١) انظر ف ٣٦ الوارد فيما بعد.

(٢) Evodius ويظن البعض أن أغناطيوس هو أول أسقف ولكن الأكثرين يرجحون أنه كان الثانى.

الفصل الثالث والعشرون

بعض أنباء عن يوحنا الرسول

(١) وفى ذلك الوقت كان يوحنا الرسول والإنجيلى، الذى كان يسوع يحبه، لا يزال حيا فى أسيا، يدير كنائس ذلك الأقليم، إذ كان قد عاد من منفاه فى الجزيرة بعد موت دومتيانوس.

(٢) أما أنه كان لا يزال حيا فى ذلك الوقت[١] فيمكن اثباته بشهادة شاهدين: ولا شك فى أن هذين اللذين حافظا على استقامة تعليم[٢] الكنيسة يجب أن يوثق بهما، وهذان هما ايريناوس واكليمنضس الأسكندرى.

(٣) أما الأول فقد كتب ما يلى فى الكتاب الثانى من مؤلفه «ضد الهرطقات»: «وكل المشايخ الذين رافقوا يوحنا تلميذ الرب فى أسيا يشهدون بأن يوحنا سلمها إليهم. لأنه بقى بينهم حتى عصر تراجان».

(٤) وفى الكتاب الثالث من نفس المؤلف يشهد نفس الشهادة فى الكلمات التالية:

«على أن كنيسة أفسس أيضا التى أسسها بولس، والتى ظل فيها يوحنا حتى عصر تراجان، خير شاهد على التقليد الرسولى».

(٥) ثم إن اكليمنضس أيضا فى كتابه المعنون «كيف يتسنى للغنى أن يخلص» يحدد الوقت، ويضيف فقرة تروق جدا لكل من يتشوق أن يسمع ما هو جميل ونافع. خذو واقرأ الوصف التالى:

(٦) «استمع إلى قصة، ليست هى مجرد قصة بل هى حديث عن يوحنا الرسول، وصل إلينا واكتنزته الذاكرة. لأنه إذ عاد من جزيرة بطمس إلى أفسس بعد موت الطاغية، تجول - بناء على دعوتهم - فى الأقطار الوثنية المجاورة، لأقامة أساقفة فى بعض الأماكن، ولاعادة النظام فى الكنائس فى أماكن أخرى، أو لأختيار البعض للخدمة ممن أرشد إليهم الروح.

---

(١) أى فى بدء حكم تراجان.

(٢) أو «أرثوذكسية» حسب التعبير الانكليزى.

(٧) «وإذ وصل إلى مدينة ليست بعيدة (ذكر البعض اسمها)،[٣] وعزى الأخوة فى مواضع أخرى، التفت أخيرا إلى الأسقف الذى كان قد سيم، وإذ رأى شابا قوى العضلات، جميل الطلعة، ممتلئا غيرة، قال: اننى بكل قوتى استودعكم هذا أمام الكنيسة ومشهدا المسيح. وعندما قبل الأسقف هذه الأمانة، وأعطى الوعود اللازمة، كرر نفس الوصية مشهدا نفس الشهود، وبعد ذلك رحل إلى أفسس.

(٨) «على أن القس،[٤] إذ أخذ إلى بيته ذلك الشاب الذى أؤتمن عليه، رباه وحافظ عليه وأعزه وأخيرا عمده. بعد هذا خفف من المغالاة فى العناية به ومراقبته على أساس أنه إذ وضع عليه ختم الرب قد منحه حماية كاملة.

(٩) «ولكن بعض الشباب من سنه الفاسدين الماجنين أفسدوه عندما تحرر هكذا من كل قيود ورقابة قبل الأوان، ففى بداية الأمر أغروه بالبذخ فى بعض الملذات. بعد هذا عندما كانوا يخرجون ليلا للسرقة، أخذوه معهم. وأخيرا طلبوا منه أن يشترك معهم فى جريمة كبرى.

(١٠) «وبالتدريج تعود على تصرفاتهم، تاركا الطريق المستقيم، وانحدر إلى الحضيض بأقصى سرعة كفرس جامح.

(١١) «وإذ يئس أخيرا من الخلاص فى الله لم يعد يفكر فى الأمور التافهة فى عرفه، بل إذ أرتكب جريمة شنيعة توقع أن يكون نصيبه كالباقين لأنه قد أصبح هالكا نهائيا. لذلك أخذهم وكون عصابة لصوص وأصبح هالكا نهائيا. لذلك أخذهم وكون عصابة لصوص وأصبح هو أجرأهم وأعنفهم وأقساهم وأقدرهم على سفك الدماء.

(١٢) «مضى الوقت واستجد ما يدعو لاستدعاء يوحنا. أما هو فاذ سوى كل الأمور التى من أجلها جاء قال: تعالى أيها الأسقف ورد لنا الوديعة التى ائتمنتك عليها أنا والمسيح، شاهدة عليك الكنيسة التى ترأسها.

(١٣) «أما الأسقف فأنه فى بداية الأمر اضطرب ظنا منه بأنه أتهم زورا بتبديد ثروة لم يتسلمها، ولم يصدق التهمة التى أتهم بها بتبديد ما لم يأخذه، ولا استطاع أن يكذب يوحنا. ولكنه لما قال: أننى أطالبك بالشاب وروح الأخ، تصاعد من الشيخ أنين عميق، وانفجر بالبكاء قائلا: لقد مات. فسأل: كيف مات؟ أجاب: لقد مات عن الله، لأنه عاد إلى شره، وأصبح خليعا، وأخيرا صار لصا. وعوضا عن الكنيسة صار يلازم الجبال مع عصابة تماثله.

---

(٣) يقال انها هى مدينة أزمير.

(٤) هو نفس الأسقف الوارد ذكره فى الفقرة السابقة، ويقول البعض أن عادة الكتاب الأوائل عدم التفرقة بين الرتبتين.

(١٤) «أما الرسول فمـزق ثيابه، وضرب رأسه بأسف شديد. وقال ما أجـمله من حارس تركته لنفس أخ، وعلى أى حال فاتونى بحصان. وليدلنى شخص على الطريق.

(١٥) «فركب، وبعـد أن أبتعـد عن الكنيسة الـتى كان فيـها وصل إلى المكان، فـأخذه ديدبان اللصوص أسيرا. ولكنه لم يحاول الهرب ولا قـدم أى استعطاف، بل صرخ قائلا: لأجل هذا قد أتيت، خذونى إلى زعيمكم.

(١٦) «أما هذا فقد كان منتظرا ومسلحـا. ولكنه لما أدرك أن يوحنا هو الذى يقترب عراه الخجل وحاول الهرب.

(١٧) «أما يوحنا فاذ نسى كـبر سنه تتبعه بكل قدرته صـارخا: لماذا يا ابنى تهرب منى أنا أبيك، غـير المسلح، الطـاعن فى السن. أشفق علـى يا بنى، ولا تخف، لا زال أمامـك أمل فى الحيـاة. أننى سأقدم للمسيح حسابا عنك. وأن لزم الأمر فأننى مستعد لتحمل الموت عنك كما تحمل الرب الموت عنا. لأجلك أبذل حياتى. قف، آمن، المسيح أرسلنى إليك.

(١٨) «أما الشـاب فعندمـا سمع وقف أولا، ثم أطرق رأسه إلى الأرض وفـتح ذراعيـه وارتعد وبكى بحرقة. ولما أقتـرب منه العجوز عانقه الشاب. معـترفا بخطاياه بنحيب شديد، ومعمـدا نفسه مرة أخرى بالدموع، مخبئا فقط يده اليمنى.

(١٩) «ولكن يوحنا قطع له عهـدا، وأكد له بقسم أنه سوف ينال المغـفرة من المخلص، وتوسل إليه، وجـثا على ركبـتيه، وقبل يده الـيمنى نفسهـا كأنها قـد تطهرت وقتـئذ بالتوبة، وأخـذه ثانية إلى الكنيسـة. وإذ تشفع من أجله بصلوات حارة، وجـاهد معه بأصـوام مستـمرة، وأخضع عـقـله بأقوال مختلفـة، لم يغادر المدينة - كما يقـولون - إلا بعد أن أعاده إلى الكنيسـة، مقدما بذلك مثـلا عاليا فى التوبة الصادقة، وبرهانا قويا على تجديد الحياة. وقليلا حيا على قيامة من بين الأموات منظورة».

الفصل الرابع والعشرون

ترتيب الأناجيل

(١) لقد أتيت بهذا الاقتباس من أكليمنضس هنا للحقيقة والتاريخ، ولمنعة قرائى. والآن لنشر إلى كتابات هذا الرسول[١] التى لا يتطرق إليها الشك.

(٢) وأولا إنجيله المعروف لكل الكنائس تحت السماء، يجب أن يعترف بصحته، أما أن الأقدمين قد وضعوه - بمنطق سليم - فى المكان الرابع، بعد الأناجيل الثلاثة الأخرى فيمكن إثباته بالطريقة الآتية:

(٣) فأن أولئك الرجال العظماء، اللاهوتيون حقا، أقصد رسل المسيح، تطهرت حياتهم وتزينوا بكل فضيلة فى نفوس، ولكنهم لم يكونوا فصيحى اللسان. ولقد كانوا واثقين كل الثقة فى السلطان الإلهى الصانع العجائب الذى منحه لهم المخلص، ولكنهم لم يعرفوا، ولم يحاولوا أن يعرفوا، كيف يذيعون تعاليم معلمهم بلغة فنية فصحى، بل استخدموا فقط اعلانات روح الله العامل معهم، وسلطان المسيح الصانع العجائب الذى كان يظهر فيهم، وبذلك أذاعوا معرفة ملكوت السموات فى كل العالم، غير مفكرين كثيرا فى تأليف الكتب.

(٤) وهذا فعلوه لأنهم وجدوا معونة فى خدمتهم ممن هو أعظم من الأنسان. فبولس مثلا، الذى فاقهم جميعا فى قوة التعبير وغزارة التفكير. لم يكتب إلا أقصر الرسائل،[٢] رغم أنه كانت لديه أسرار غامضة لا تحصى يريد نقلها للكنيسة، لأنه قد وصل حتى إلى مناظر السماء الثالثة، ونقل إلى فردوس الله، وحسب مستحقا أن يسمع هناك كلمات لا ينطق بها.[٣]

(٥) أما باقى أتباع مخلصنا، الاثنا عشر رسولا، والسبعون تلميذا، وآخرون كثيرون لا يحصى عددهم، فلم يجهلوا هذه الأمور. ومع هذا فمن كل رسل الرب لم يترك لنا أحد شيئا مكتوبا سوى متى ويوحنا، ويقول التقليد أنهما لم يكتبا إلا تحت ضغط الحاجة.

---

(١) يقصد يوحنا الرسول.

(٢) يرجع أغلب المؤرخين أن بولس كتب رسائل أخرى غير المنسوبة إليه فى العهد الجديد.

(٣) انظر (٢ كو ١٢ : ٢ - ٤).

(٦) لأن متى، الذى كرز أولا للعبرانيين، كتب إنجيله بلغته الوطنية،[٤] إذ كان على وشك الذهاب إلى شعوب أخرى، وبذلك عوض من كان مضطرا لمغادرتهم عن الخسارة التى كانت مزمعة أن تحل بهم بسبب مغادرته اياهم.

(٧) وبعد أن نشر مرقس ولوقا انجيليهما يقال أن يوحنا، الذى صرف كل وقته فى نشر الإنجيل شفويا، بدأ أخيرا يكتب للسبب التالى: أن الإناجيل الثلاثة السابق ذكرها إذ وصلت إلى أيدى الجميع، وإلى يديه إيضا، يقولون أنه قبلها وشهد لصحتها، ولكن كان ينقصها وصف أعمال المسيح فى بداية خدمته.

(٨) وهذا صحيح، لأنه واضح أن الإنجيليين الثلاثة دونوا الأعمال التى فعلها المخلص بعد سجن يوحنا المعمدان بسنة. وبينوا هذا فى بداية رواياتهم.

(٩) فمتى، بعد التحدث عن صوم الأربعين يوما والتجربة التى تلته، يوضح تسلسل روايته بقوله «ولما سمع أن يوحنا أسلم انصرف من اليهودية إلى الجليل».[٥]

(١٠) ويقول مرقس أيضا «وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل».[٦] أما لوقا فأنه قبل البدء فى روايته عن أعمال يسوع يبين هو أيضا الوقت عندما يقول أن هيرودس «أضاف إلى جميع الشرور التى فعلها أنه حبس يوحنا فى السجن».[٧]

(١١) ولذلك يقولون أن يوحنا الرسول إذ طلب منه كتابة إنجيله لهذا السبب دون فيه وصفا للفترة التى تجنبها الإنجيليون السابقون، وأعمال المسيح فيها، أى وصف الأعمال التى فعلها قبل سجن المعمدان. ويقولون أنه وضح هذا فى الكلمات التالية «هذه بداية الآيات فعلها يسوع»،[٨] وأيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم، حيث بين الأمر بكل وضوح فى هذه الكلمات «لأنه لم يكن يوحنا قد ألقى بعد فى السجن».[٩]

(١٢) وعلى هذا فان يوحنا دون فى إنجيله أعمال المسيح التى تمت قبل سجن المعمدان، أما الإنجيليون الثلاثة الأخرون فذكروا الحوادث التى تمت بعد ذلك الوقت.

---

(٤) يؤكد الكثيرون أن متى كتب إنجيله باللغة العبرانية.

(٥) (مت ٤ : ١٢). (٦) (مر ١ : ١٤). (٧) (لو ٣ : ٢٠). (٨) (يو ٢ : ١١).

(٩) (يو ٣ : ٢٣ و ٢٤).

(١٣) إذا علم هذا لا يعـود المرء يتـوهم أنه يوجـد أى خـلاف بين الأناجـيل لأن إنجـيل يوحنا يتضمن أعمال المسيح الأولى، بينما يروى الآخرون ما حدث فى أواخر حياته، أما سلسلة نسب مخلصنا حسب الجسد فكان طبيعيا أن يتجنبهـا يوحنا لأن متى ولوقا كانا قد تحدثا عنها، ولكنه بدأ بعقيدة لاهوته التى كانت على ما يظهر قد حفظت له للتحدث عنها[١٠] على أساس أنه أقدرهم بمعونة روح الله.

(١٤) وأن ما قدمناه عن إنجيل يوحنـا فيه الكفاية. أما السبب الذى دعا إلى كـتابة إنجيل مرقس فقد سبق أن بيناه.[١١]

(١٥) أما لوقا فأنه هو نفسه فى بداية إنجيله يبين السبب الذى دعـا إلى كتابته، فيقرر بأنه إذ كان اخرون كثيرون قد تسرعوا فى تأليف قصة عن الحوادث المتيقنة عنده، فقد أحس هو نفسه بضرورة اراحتنا من آرائهم غير المتـيقنة، ودون فى إنجيله وصفـا دقيقا لتلك الحوادث التى تلقى عنهـا المعلومات الكاملة، يساعد على هذا صداقته الوثيقة لبولس واقامته معه، ومعرفته لسائر الرسل.[١٢]

(١٦) إلى هنا يكفى حديثنا عن هذه الأمور. على أننا فى مكان أكثر مناسبة سنحاول أن نبين ما قاله عنها الآخرون باقتباس بعض أقوال الأقدمين.

(١٧) أما عن كـتابات يوحنا فأن إنجـيله ليس هو الوحيد الذى قـبل الآن وفى العصور السـابقة بدون نزاع، بل أيضا رسالته الأولى. ولكن الرسالتين الآخريين متنازع عليهما.

(١٨) وأمـا عن سـفـر الرؤيا فـأن اراء أغلبـيـة الناس لا تزال منـقسـمـة. ولكـننا فى الوقت المناسب[١٣] سنفصل فى هذه المسألة أيضا من شهادة الأقدمين.



(١٠) هذه عقيدة اكليمنضس الاسكندرى الذى يعتبر أن إنجيل يوحنا ملحق روحى للاناجيل الثلاثة السابقة.

(١١) ك ٢ ف ١٥. (١٢) انظر (لو ١ : ١ - ٤). (١٣) انظر ك ٧ ف ٢٥.

الفصل الخامس والعشرون

الأسفار الإلهية المقبولة والأسفار غير المقبولة

(١) وطالما كنا بصدد البحث فى هذا الموضوع فمن المناسب أن نحصى كتابات العهد الجديد السابق ذكرها. وأول كل شيء إذن يجب أن توضع الأناجيل الأربعة، يليها سفر أعمال الرسل.

(٢) بعد هذا يجب وضع رسائل بولس، ويليها فى الترتيب رسالة يوحنا الأولى التى بين أيدينا، وأيضا رسالة بطرس. بعد ذلك توضع - أن كان ذلك مناسبا حقا - رؤيا يوحنا، التي سنبين الأراءالمختلفة عنها فى الوقت المناسب.[١] هذه أذن هى جميعها ضمن الأسفار المقبولة.

(٣) أما الأسفار المتنازع عليها، المعترف بها من الكثيرين بالرغم من هذا، فبين أيدينا الرسالة التى تسمى رسالة يعقوب ورسالة يهوذا وأيضا رسالة بطرس الثانية، والرسالتان اللتان يطلق عليهما رسالتا يوحنا الثانية والثالثة، سواء انتسبتا إلى الأنجيلى أو إلى شخص أخر بنفس الاسم.

(٤) وضمن الأسفار المرفوضة ، يجب أن يعتبر أيضا «أعمال بولس»،[٢] وما يسمى بسفر «الراعى، ورؤيا بطرس، يضاف إلى هذه رسالة برنابا[٣] التى لا تزال باقية، وما يسمى تعاليم الرسل»،[٤] وإلى جانب هذه، كما قدمت، رؤيا يوحنا، إن كان ذلك مناسبا، التى يرفضها البعض كما قدمت، ولكن الآخرين يضعونها ضمن الأسفار المقبولة.

(٥) وضمن هذه النتيجة يضع البعض أيضا إنجيل العبرانيين[٥] الذى يجد فيه لذة خاصة العبرانيون الذين قبلوا المسيح. وكل هذه يصح اعتبارها ضمن الأسفار المتنازع عليها.

---

(١) انظر ك ٧ ف ٢٥.

(٢) انظر ف ٣ من نفس الكتاب.

(٣) هى بخلاف ما يسمى إنجيل برنابا. وفى هذه الرسالة لم يرد أى اسم ولا أية اشارة تساعد على معرفة كاتبها.

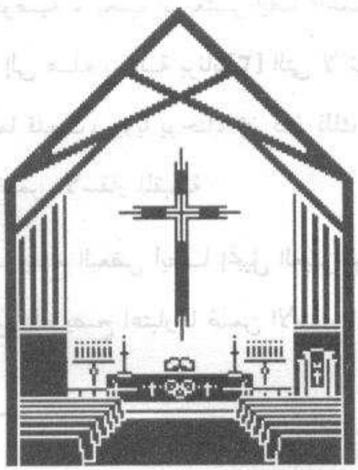
(٤) مؤلف وجيز فى ستة عشر فصلا.

(٥) الأرجح أنه كتب بالعبرانية الأرامية ولكنه غير موجود الان. على أن البعض قد عثروا على فقرات بسيطة منه.

(٦) على أننا مع هذا نرى أنفسنا مضطرين لتقديم قائمة عن هذه أيضا لامكان التمييز بين تلك الأسفار التى تعتبر، وفقا للتقاليد الكنسية، حقيقة وقانونية ومقبولة، وتلك الأخرى التى وأن كانت متنازع عليها وغير قانونية، إلا أنها فى نفس الوقت معروفة لدى معظم الكتاب الكنسيين - أننا نرى أنفسنا مضطرين لتقديم هذه القائمة لنتمكن من معرفة كل من هذه الأسفار وتلك التى يتحدث عنها الهراطقة تحت اسم الرسل، التى تشمل مثلا أناجيل بطرس وتوما ومتياس وخلافهم وأعمال اندراوس ويوحنا وسائر الرسل، هذه التى لم يحسب أى واحد من كتاب الكنيسة أنها تستحق الأشارة إليها فى كتاباتهم.

(٧) وعلاوة على هذا فأن أسلوب الكتابة يختلف عن أسلوب الرسل، ثم أن تيار التفكير فى محتوياتها، والقصد منها، يختلفان كل الاختلاف عن التعاليم المستقيمة[٦] الحقيقية، مما يبين بكل وضوح أنها من مصنفات الهراطقة. ولهذا فلا يصح وضعها حتى ضمن الأسفار المرفوضة، بل يجب نبذها كلها ككتابات سخيفة ماجنة.

والآن لنعد إلى تاريخنا.



(٦) «الارثوذكسية».

الفصل السادس والعشرون

ميناندر العراف

(١) لقد برهن ميناندر،[١] خلف سيمون الساحر،[٢] بتصرفاته على أنه كان آلة أخرى فى يد القوة الشيطانية لا يقل عن سلفه. وكان هو أيضا سامريا، وأذاع أضاليله إلى مدى لا يقل عن معلمه، وفى نفس الوقت عربد فى طياشات أعجب منه. لأنه قال بأنه هو نفسه «المخلص» الذى أرسل من الدهور غير المنظورة لخلاص البشر.[٣]

(٢) وعلم بأنه لا يستطيع أحد أن ينال السيادة على الملائكة نفسها خالقة العالم.[٤] إلا إذا جاز فى النظام السحرى الذى يمنحه هو وقبل المعمودية منه. أما من يحسبون أهلا لهذا فانهم ينالون الخلود الدائم حتى فى الحياة الحاضرة، ولن يموتوا، بل يبقون هنا إلى الأبد، ويصبحون عديمى الفناء دون أن يشيخوا. وهذه الحقائق يمكن أن تجدها بسهولة فى مؤلفات ايريناوس.

(٣) أما يوستينوس فأنه فى الفقرة التى تحدث فيها عن سيمون قدم وصفا عن هذا الرجل أيضا فى الكلمات التالية:

«ونحن نعلم أن شخصا معينا اسمه ميناندر، وكان أيضا سامريا، من قرية كابرانى[٥] كان تلميذا لسيمون، وهو أيضا إذ طرحت به الشياطين أتى إلى أنطاكية وأضل الكثيرين بسحره. وأقنع أتباعه بأنهم لن يموتوا. ولا يزال يوجد البعض منهم يؤكدون هذا».

(٤) وقد كانت مهارة من ابليس حقا أن يحاول، باستخدام أمثال هؤلاء العرافين، الذين انتحلوا لأنفسهم اسم مسيحيين، تشويه سر التقوى العظيم بالسحر، وتعريض تعليم الكنيسة عن خلود النفس وقيامة الأموات للسخرية. على أن الذين اختاروا هؤلاء الناس كمخلصين لهم قد سقطوا من الرجاء الحقيقى.

---

(١) Menander يقال انه كان سامريا وأحد تلاميذ سيمون الساحر، وقد أضل الكثيرين بسحره.

(٢) انظر كتاب ٢ ف ١٣.

(٣) نادى سيمون بأنه قوة علوية أما ميناندر فقد نادى بأن القوة العلوية تظل مجهولة من الجميع حتى يرسل هو كمخلص لخلاص البشر.

(٤) اتفق مع سيمون بأن الملائكة خلقت العالم. (٥) مكانها غير معروف.

الفصل السابع والعشرون

هرطقة الأبيونيين[١]

(١) وإذ لم يستطع ابليس اللعين أن يبعد آخرين عن ولائهم لمسيح الله وجدهم سريعى التأثر من ناحية أخرى، ولذلك جرفهم إلى أغراضه. وقد كان الأقدمون محقين إذ دعوا هؤلاء القوم «ابيونيين» لأنهم اعتقدوا فى المسيح اعتقادات فقيرة[٢] ووضيعة.

(٢) فهم اعتبروه انسانا بسيطا عاديا، قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية، وكان ثمرة لاجتماع رجل معين مع مريم. وفى اعتقادهم أن الاحتفاظ بالناموس الطقسى ضرورى جدا، على أساس أنهم لا يستطيعون أن يخلصوا بالإيمان بالمسيح فقط وبحياة مماثلة.

(٣) وبخلافهم كان هنالك قوم آخرون بنفس الاسم،[٣] ولكنهم تجنبوا الآراء الغريبة السخيفة التى اعتقدها السابقون، ولم ينكروا أن الرب ولد من عذراء ومن الروح القدس. ولكنهم مع ذلك إذ رفضواالاعتراف أنه كان كائنا من قبل، لأنه هو الله، الكلمة، الحكمة، فقد انحرفوا إلى ضلالة السابقين، سيما عندما حاولوا مثلهم التمسك الشديد بعبادة الناموس الجسدية.

(٤) وعلاوة على هذا فأن هؤلاء الناس ظنوا من الضرورى رفض كل رسائل الرسول الذى قالوا عنه بأنه مرتد عن الناموس. ثم أنهم استعملوا فقط ما يدعى إنجيل العبرانيين، ولم يبالوا كثيرا بالأسفار الأخرى.

(٥) وقد حافظوا مثلهم على السبت وسائر نظم اليهود، ولكنهم فى نفس الوقت حافظوا على أيام الرب مثلنا كتذكار لقيامة المخلص.

(٦) ولهذا أطلق عليهم اسم «أبيونيون» الذى يعبر عن فقرهم فى التفكير. لأن هذا هو الأسم الذى يطلق على رجل فقير بين العبرانيين.

---

(١) Ebonites شيعة نادت بضرورة تمسك المسيحيين بناموس موسى وأنكرت ميلاد يسوع المعجزى ولم تعترف ببولس رسولا.

(٢) أن آسمهم مشتق من كلمة عبرانية معناها «فقير».

(٣) كانت هذه الشيعة الأخرى هى شيعة الناصريين المشار إليها فى (أع ٢٤ : ٥).

الفصل الثامن والعشرون

كيرنثوس[1] زعيم الهراطقة

(١) وقد علمنا أنه فى هذا الوقت ظهر شخص يدعى كيرنثوس مبتدع شيعة أخرى. وقد كتب كايوس – الذى سبق أن اقتبسنا من كلماته[٢] – فى المساجلة المنسوبة إليه، ما يلى عن هذا الرجل.

(٢) «ويقدم أمامنا كيرنثوس أيضا – بواسطة الرؤى التى يدعى أن رسولا عظيما كتبها – أمورا عجيبة يدعى زورا أنها أعلنت إليه بواسطة الملائكة. ثم يقول أنه بعد قيامة الأموات سوف يقوم ملكوت المسيح على الأرض، وأن الجسد المقيم فى أورشليم سوف يخضع ثانية للرغبات والشهوات. وإذ كان عدوا للاسفار الإلهية فقد أكد – بقصد تضليل البشر – أنه ستكون هنالك فترة ألف سنة[٣] لحفلات الزواج».

(٣) أما ديونيسيوس،[٤] الذى كان أسقفا لأبروشية الأسكندرية فى أيامنا، فأنه فى الكتاب الثانى من مؤلفه عن «المواعيد» حيث يتحدث عن رؤيا يوحنا بأمور استقاها من التقليد، يذكر نفس هذا الرجل فى الكلمات الآتية:[٥]

(٤) «ويقال أن كيرنثوس مؤسس الشيعة المسماة باسمه (الكيرنثيون) إذ أراد أن يعطى قوة لشيعته صدرها باسمه وكانت التعاليم التى نادى بها تلخص فيما يلى: أن ملكوت المسيح سيكون مملكة أرضية.

(٥) «ولأنه هو نفسه كان منغمسا فى الملذات الجسدية، وشهوانيا جدا بطبيعته، توهم أن الملكوت سوف ينحصر فى تلك الأمور التى أحبها، أى فى شهوة البطن والشهوة الجنسية، أو بتعبير آخر فى الأكل والشرب والتزوج والولائم والذبائح وذبح الضحايا، وتحت ستارها ظن أنه يستطيع الانغماس فى شهواته بباعث أفضل». هذه هى كلمات ديونيسيوس.

(٦) على أن ايريناوس، فى الكتاب الأول من مؤلفه «ضد الهرطقات»، يصف تعاليم أخرى أشد قبحا لنفس الرجل، وفى الكتاب الثالث يذكر رواية تستحق أن تدون هنا. فهو يقول، والحجة فى ذلك بوليكاربوس، أن الرسول يوحنا دخل مرة حماما ليستحم، ولكنه إذ علم أن كيرنثوس كان داخل الحمام قفز فازعا وخرج مسرعا، لأنه لم يطق البقاء معه تحت سقف واحد. ونصح مرافقيه للاقتداء به قائلا: «لنهرب لئلا يسقط الحمام، لأن كيرنثوس عدو الحق موجود بداخله».[٦]

---

(١) Cerinthus قال ايريناوس عنه أنه تعلم حكمة المصريين، ونادى بأن الله لم يكن هو الخالق للعالم. بل قوة معينة متميزة عنه، وأن المسيح ولد من اجتماع يوسف بمريم، وأن المسيح الحقيقى نزل عليه وقت المعمودية وفارقه وقت الصلب.

(٢) ك ٢ ف ٦ و ٧. (٣) (رؤ ٢٠: ٤).

(٤) بخصوص ديونيسيوس وكتاباته. انظر فيما يلى ك ٦ ف ٤٠. (٥) انظر ك ٧ ف ٤٠.

(٦) لقد كرر يوسابيوس هذه الرواية فى ك ٤ ف ١٤.

الفصل التاسع والعشرون

نيقولاوس والشيعة المسماة باسمه

(١) وفى هذا الوقت ظهرت الشيعة المسماة بشيعة النيقولاويين ولم تدم إلا وقتا قصيرا. وقد ذكرت فى رؤيا يوحنا.[١] افتخر هؤلاء بأن مؤسس شيعتهم هو نيقولاوس أحد الشمامسة الذين أقامهم الرسل مع استفانوس لخدمة الفقراء.[٢] ويخبرنا عنه ما يأتى اكليمنضس الاسكندرى فى الكتاب الثالث من مؤلفه المسمى «ستروماتا» :[٣]

(٢) «يقولون أنه كانت له زوجة جميلة، وإذ اتهمه الرسل بالغيرة والحسد بعد صعود المخلص، أخذها ووضعها فى وسطهم وسمح لأى واحد أن يتزوج بها. لأنه يقال أن هذا كان يتفق مع القول المعروف عنه أن المرء يجب أن يذل جسده. أما الذين اتبعوا هرطقته وقلدوا بحماقة كل ما فعله وقاله تقليدا أعمى فأنهم يرتكبون الزنى بلا خجل أو حياء.

(٣) «ولكنى علمت أن نيقولاوس لم يعرف أمرأة أخرى غير تلك التى تزوجها، وأن بناته استمرين فى حالة العذراوية حتى سن الشيخوخة، وأما أبنه فلم يتدنس. أن صح هذا فأنه عندما أحضر زوجته (التى كان غيورا فى محبتها) وسط الرسل كان واضحا أنه ينبذ شهوته، وعندما استخدم «اذلال الجسد» كان يشهر سيف ضبط النفس فى وجه تلك الملذات التى تقتفى البشرية أثرها بالحاح. لأننى أعتقد أنه، أتماما لوصية المخلص، لم يشأ أن يعبد سيدين: الشهوة والرب.[٤]

(٤) «ويقال أن متياس أيضا نادى بنفس التعليم أننا يجب أن نحارب الجسد ونذله وأن لا نرخى له العنان للتمتع بملذاته، بل يجب أن نقوى الروح بالإيمان والمعرفة».

هذا ما قيل عمن حاولوا قلب الحق، ولكن الأمر اتضح كل اتضاح فى وقت أقل مما استدعى الأمر لاذاعته.

---

(١) (رؤ ٢ : ٦ و ١٥).　(٢) أع ٦.

(٣) فى هذا المؤلف يحاول أن يثبت بأن الأسفار اليهودية أقدم من أية كتابة يونانية.

(٤) (مت ٦ : ٢٤).

الفصل الثلاثون

الرسل الذين تزوجوا

(١) أما اكليمنضس، السابق اقتباس كلماته فى الفقرات السابقة، فأنه بعد تدوين الحقائق السالفة تحدث عن الرسل الذين كانت لهم زوجات، وذلك ردا على من رفضوا الزواج، ويقول «أو لعلهم يرفضون حتى الرسل؟ لأن بطرس[١] وفيلبس[٢] ولدا بنين، وفيلبس أيضا زوج بناته. وبولس فى أحدى رسائله، لا يتردد على تحية زوجته[٣] التى لم يأخذها لتتجول معه لكى لا تعاق خدمته».

(٢) وطالما كنا قد تحدثنا عن هذا الموضوع فمن المناسب أن نذكر رواية أخرى تحدث عنها نفس المؤلف جديرة بالأطلاع عليها. ففى الكتاب السابع من مؤلفه «ستروماتا» كتب الاتى:

«ويقولون تبعا لهذا أنه عندما رأى المغبوط بطرس زوجته تقاد للموت فرح بسبب الدعوة التى أتتها، وبسبب عودتها إلى وطنها الأبقى، وخاطبها باسمها مشجعا ومعزيا، قائلا لها: (اذكرى الرب).

«هكذا كانت زيجة المباركين وعلاقاتهم الكاملة نحو أقرب الناس اليهم».

وإذا كان هذا الوصف متفقا تمام الأتفاق مع موضوع بحثنا فقد اقتبسته هنا فى مكانه المناسب.

---

(١) المعروف من (مت ٨ : ١٤، ١ كو ٩ : ٥) أن بطرس كان متزوجا. ويتحدث التقليد أيضا عن ابنته «بترونلا» Petronilla.

(٢) لعل الأمر اختلط بين فيلبس الرسول وفيلبس المبشر (ع ٢١ : ٨، ٩) الذى كانت له أربع بنات عذارى.

(٣) العبارة التي يشير إليها اكليمنضس هى (١ كو ٩ : ٥) ولكن هذه لا تبرهن بالمرة إنه كان متزوجا، ومما ورد فى (١كو ٧ : ٨) يتضح العكس. ويظن أن ما ورد فى (فى ٤ : ٣) موجه لزوجته، ولكن لا أساس لهذا. واكليمنضس هو الوحيد بين الكتاب الأولين الذى يقرر بأن بولس كان متزوجا بعكس ترتوليانوس وأبيفانيوس وجيروم إلخ.

الفصل الحادي والثلاثون

موت يوحنا وفيلبس

(١) سبق أن تحدثنا عن كيفية ووقت موت بولس وبطرس ومكان دفنهما.[١]

(٢) وتحدثنا أيضا عن وقت موت يوحنا بصفة عامة،[٢] أما مكان دفنه فقد أشير إليه فى رسالة بوليكراتس[٣] (الذى كان أسقفا لابروشية أفسس) الموجهة إلى فيكتور أسقف روما. فى هذه الرسالة يذكر كما يذكر الرسول فيلبس وبناته فى الكلمات التالية.

(٣) «لأنه فى آسيا أيضا رقدت أنوار عظيمة ستقوم ثانية فى اليوم الأخير لدى مجىء الرب عندما يأتى بمجد من السماء طالبا جميع القديسين. ضمن هؤلاء فيلبس أحد الأثنى عشر رسولا[٤] الذى يرقد فى هيرابوليس[٥] وابنتاه العذراوين الطاعنتين فى السن، وابنة أخرى عاشت فى الروح القدس، وترقد الآن فى أفسس. وعلاوة على هذا فأن يوحنا الذى كان شاهدا ومعلما، والذى أضطجع على صدر الرب، لبس الصدرة المقدسة إذ كان كاهنا. «وهو أيضا يرقد فى أفسس».

(٤) هذا ما قيل عن موتهم. وفى مساجلة كايوس السابق الأشارة إليها[٦] تحدث بروكلوس (الذى وجه إليه مساجلته). وفق ما سبق اقتباسه، عن موت فيلبس وبناته كما يلى «وبعده كانت هناك أربع نبيات، هن بنات فيلبس، فى هيرابوليس بآسيا. ولا يزال قبرهن هناك وقبر أبيهن»، هذا ما قرره.

(٥) أما لوقا فانه فى سفر أعمال الرسل يذكر بنات فيلبس اللاتى كن فى ذلك الوقت فى قيصرية باليهودية مع أبيهن، وأكرمن بموهبة النبوة. وهاك كلماته «وجئنا إلى قيصرية فدخلنا بيت فيلبس المبشر إذ كان واحدا من السبعة وأقمنا عنده. وكان لهذا أربع بنات عذارى كن يتنبأن».[٧]

(٦) وهكذا أثبتنا فى هذه الصفحات ما وصل إلى علمنا عن الرسل أنفسهم، والعصر الرسولى، والكتابات المقدسة التى تركوها لنا، وكذا الكتابات المتنازع عليها، ولكنها مع ذلك يستعملها الكثيرون فى كثير من الكنائس، وأيضا عن تلك التى رفضت نهائيا ولا تتفق مع استقامة التعاليم الرسولية.

وإذا فعلنا هذا لنتقدم إلى تاريخنا.

---

(١) انظر ك ٢ ف ٣٥ : ٥ إلخ. (٢) انظر ف ٢٣ : ٣ و ٤. (٣) Polycrates فيما يتعلق به انظر ك ٥ ف ٢٢.

(٤) اختلط الأمرعلى الكاتب بين فيلبس الرسول وفيلبس المبشر. أما الذى دفن فى هيرابوليس فهو فيلبس المبشر.

(٥) فى مدينة آسيا الصغرى بقرب لادوكية. انظر (كو ٤ : ١٣). (٦) ك ٢ ف ٢٥ : ٦ ، ك ٣ ف ٢٨ : ١.

(٧) (اع ٢١ : ٨ و ٩). يظن يوسابيوس أن فيلبس المبشر هو نفس فيلبس الرسول انظر الملاحظة ٤ بالصفحة السابقة.

الفصل الثانى والثلاثون

استشهاد سمعان أسقف أورشليم

(١) قيل أنه بعد عصر نيرون ودومتيانوس، وفى عهد الامبراطور الذى نتحدث الآن عن عصره،[١] حل بنا اضطهاد فى بعض المدن نتيجة ثورة عامة.[٢] وقد علمنا أنه فى هذا الاضطهاد استشهد سمعان بن كلوبا الذى كان ثانى أسقف على كنيسة أورشليم كما قدمنا.[٣]

(٢) ويشهد لهذه الحقيقة أيضا هيجيسبوس السابق اقتباس كلماته فى مواضع مختلفة.[٤] وبعد التحدث عن بعض الهراطقة أضاف إلى ذلك أنهم فى هذا الوقت اشتكوا على سمعان. ولأنه كان واضحا أنه مسيحى فقد عذب بطرق مختلفة أياما كثيرة، وأذهل حتى القاضى نفسه وأتباعه إلى آخر حد، وأخيرا حكم عليه بالموت بنفس الطريقة التى حكم بها على ربنا.[٥]

(٣) وليس أفضل من الاستماع إلى المؤلف نفسه الذى كتب ما يلى:

«واشتكى بعض هؤلاء الهراطقة على سمعان بن كلوبا على أساس أنه من نسل داود وأنه مسيحى، وهكذا استشهد وكان عمره مائة وعشرين سنة، إذ كان تراجان امبراطورا وأتيكوس واليا».

(٤) ويقول نفس الكاتب أنه عند البحث عن نسل داود ألقى القبض على المشتكين عليه أيضا على أساس أنهم من نفس العشيرة. وكان من المعقول التصديق بأن سمعان كان أحد الذين رأوا الرب وسمعوه بسبب تقدمه فى السن، ولأن الإنجيل تحدث عن مريم زوجة كلوبا[٦] الذى كان أبا لسمعان كما سبق أن بينا.[٧]

(٥) ويقرر نفس المؤرخ أنه كان هنالك أشخاص آخرون من ذرية يهوذا أحد الذين دعوا اخوة المخلص. وهؤلاء بعد أن شهدوا أمام دومتيانوس، كما سبق أن بينا.[٨] بسبب الإيمان بالمسيح، عاشوا حتى عصر نفس الامبراطور.

---

(١) أن تراجان الذى حكم من سنة ٩٨ إلى سنة ١١٧م.

(٢) انظر الفصل التالى.

(٣) انظر ف ١١.

(٤) ك ٢ ف ٢٣ ، ك ٣ ف ٢٠ و ١١. أما بخصوص حياته وكتاباته فانظر ك ٤ ف ٨.

(٥) أى بالصليب كما توضح فى ف ٦.

(٦) (يو ١٩ : ١٥).

(٧) انظر ف ١١.

(٨) ف ٢٠.

(٦) وقد كتب ما يلى «لذلك أتوا واستلموا قيادة كل كنيسة كشهود وكأقرباء الرب. وإذ ساد كل كنيسة سلام عميق ظلوا حتى حكم الامبراطور تراجان، وحتى وشى الهراطقة بسمعان ابن كلوبا عم الرب السابق الأشارة إليه، والذى اتهمم هو أيضا لنفس السبب،[٩] وجيء به أمام الوالى أتيكون. وبعد تعذيبه أياما كثيرة استشهد، وقد تعجب الجميع جدا حتى الحاكم نفسه لقدرته على الاحتمال إلى هذا الحد رغم أنه كان فى سن المائة والعشرين. وأعطيت الأوامر بأن يصلب».

(٧) وعلاوة على هذه فان نفس الرجل، فى معرض سرده لحوادث تلك الحقبة، يقرر أن الكنيسة إلى ذلك الوقت ظلت عذراء طاهرة عفيفة، لأنه أن وجد من يحاولون افساد تعاليم الخلاص المثالية فقد ظلوا إلى ذلك الوقت متوارين لا يجسرون على الظهور.

(٨) ولكن لما تحمل جماعة الرسل المقدسين الموت بأشكال مختلفة، وانتهى ذلك الجيل الذين حسبوا مستحقين لسماع الحكمة الإلهية بآذانهم، عندئذ بدأت الأضاليل تنتشر نتيجة حماقة المعلمين المارقين، الذين حاولوا منذ ذلك الوقت - لأنه لم يكن أحد من الرسل لا يزال عائشا - بجرأة وصفاقة أن ينادوا «بالعلم الكاذب الاسم»[١٠] لمقاومة التعليم بالحق.



(٩) الذى اتهم به أحفاد يهوذا (السابق الأشارة إليهم) أى لأنه ينتمى إلى ذرية داود. انظر ف ٢٠.

(١٠) (١ تى ٦ : ٢٠).

الفصل الثالث والثلاثون

تراجان يأمر بعدم البحث عن المسيحيين

(١) وهكذا حل بنا وقتئذ اضطهاد عنيف فى أماكن كثيرة، حتى أن بلينيوس سكندس،[١] وهو من أشهر الولاة، إذ أزعجته كثيرة عدد الشهداء، اتصل بالامبراطور بصدد الجموع الذين قتلوا بسبب ايمانهم. وفى نفس الوقت أخبره فى رسالته أنه لم يسمع بأنهم عملوا شيئا مشينا أو ضد الشرائع، سوى أنهم يستيقظون فى الفجر ويرتلون بعض الترانيم للمسيح كاله، وأنهم بالعكس يحرمون الزنى والقتل وأمثالهما من الجرائم الأخلاقية، ويفعلون كل شىء وفق الشرائع.

(٢) وردا على هذا أصدر تراجان الأمر التالى: يجب عدم البحث عن جنس المسيحيين، بل أن وجدوا يعاقبون. ونتيجة لهذا خف إلى حد ما ذلك الاضطهاد الذى كان ينتظر أن يصبح أعنف اضطهاد. على أنه كانت لا تزال هنالك حجج كثيرة لمن كانوا يريدون بنا الأذى. ففى بعض الأحيان كان الشعب، وفى أحيان أخرى كان الحكام فى أماكن مختلفة، يتآمرون ضدنا، وبذلك كانت تحصل اضطهادات محلية فى مقاطعات معينة، واستشهد الكثيرون من المؤمنين بصور مختلفة، مع أنه لم يحصل اضطهاد كبير عام.

(٣) وقد استقينا هذه الأنباء من «احتجاج ترتليانوس»[٢] السابق ذكره وفيه نرى ما يأتى:

«والواقع اننا وجدنا أنه قد أصبح محظورا البحث عنا. لأنه عندما حكم بلينيوس سكندس - وهو حاكم أحدى المقاطعات - على بعض المسيحيين، وحرمهم من حقوقهم. ثارت عليه الجماهير، وارتبك فى الأمر، ولم يعرف أية اجراءات يتخذها. لذلك أرسل رسالة إلى الامبراطور تراجان وأخبره بأنه لم يجد فيهم أى ذنب سوى رفضهم تقديم الذبائح للاوثان.

(٤) «وقال أيضا بأن المسيحيين يستيقظون مبكرا جدا فى الصباح، ويرتلون بعض الترانيم للمسيح كاله، وأنهم لأجل حفظ السلام يحرمون القتل والزنى والطمع والسرقة وأمثالها. وردا على هذا كتب تراجان بأن المسيحيين يجب أن لا يبحث عنهم، بل أن يعاقبوا أن وجدوا».

هذا ما حدث فى ذلك الوقت.

---

(١) Plinius Secundus وكان يسمى بلينى الصغير تمييزًا له عن عمه المسمى بنفس الأسم. وكان صديقا للامبراطور تراجان، كما كان كاتبا عظيما، ولم يبق من كتابته سوى رسائله وقد جمعت فى عشرة كتب.

(٢) ك ٢ ف ٢.

الفصل الرابع والثلاثون

إيفارستوس رابع أسقف على كنيسة روما

وفى السنة الثالثة من حكم الامبراطور السالف ذكره[١] أو كل اكليمنضس[٢] ادارة أسقفية كنيسة روما إلى ايفارستوس[٣] وفارق هذه الحياة بعد أن أشرف على تعليم الكلمة الألهية تسع سنوات.

الفصل الخامس والثلاثون

يوستوس ثالث أسقف على أورشليم

عندما مات سمعان بالكيفية السابق شرحها[٤] ارتقى الأسقفية فى أورشليم يهودى اسمة يوستوس.[٥] وقد كان واحدا من الآلاف الكثيرة من أهل الختان الذين آمنوا بالمسيح فى ذلك الوقت.

الفصل السادس والثلاثون

أغناطيوس ورسائله

(١) وفى ذلك الوقت اشتهر جدا فى آسيا بوليكاربوس[١] - أحد تلاميذ الرسل - إذ عهد إليه الذين رأو وسمعوا الرب أسقفية كنيسة أزمير.

(٢) وفى نفس الوقت اشتهر أيضا بابياس[٢] أسقف أبروشية هيرابوليس، كما اشتهر أيضا أغناطيوس الذى اختير أسقفا لانطاكية خلفا لبطرس، والذى لا تزال شهرته ذائعة بين الكثيرين.

---

(١) تراجان. (٢) انظر ف ٤ : ١٠. (٣) Evarestus.

---

(١) انظر ف ٣٢. (٢) أما ابيفانيوس فيدعوه يهوذا.

---

(١) بخصوص بوليكاربوس انظر ك ٤ ف ١٤.

(٢) قال عنه ايريناوس أنه كان زميلا لبوليكاربوس وسمع بأذنيه يوحنا الرسول.

(٣) ويقول التاريخ بأنه أرسل من سوريا إلى روما، وأصبح طعاما للوحوش البرية بسبب شهادته للمسيح.

(٤) وفى أثناء رحلته وسط آسيا، وكان تحت حراسة حربية شديدة، كان يشدد الكنائس فى المدن المختلفة حيثما حط رحاله، وذلك بعظات ونصائح شفوية، وكان فوق كل شيء يحثهم ليحترسوا أشد الاحتراس من الهرطقات التى كانت قد بدأت تنتشر وقتئذ، وينصحهم للتمسك بتقاليد الرسل. وكان علاوة على هذا يراه من الضرورى أن يدعم تلك التقاليد بأدلة يكتبها، وأن يعطيها شكلا ثابتا ضمانا لسلامتها:

(٥) وإذ وصل أزمير، حيث كان يقيم بوليكاربوس، كتب رسالة إلى كنيسة أفسس[٣] ذكر فيها أنسيمس راعيها، ورسالة أخرى إلى ماجنيزيا الواقعة على جبل مياندر، وفيها أيضا يذكر أسقفا يدعى داماس. وكتب أخيرا رسالة إلى كنيسة ترالس التى يقول عنها أن أسقفها فى ذلك الوقت كان يدعى بوليبيوس.

(٦) وعلاوة على هذه كتب أيضا رسالة إلى مؤمنى روما يرجوهم فيها أن لا يحولوا بينه وبين الاستشهاد، لئلا يحرموه من أقصى أمنية. وتأييدا لهذا نراه من المناسب أن نقتبس قليلا من هذه الرسالة. ففيها يكتب ما يلى:

(٧) «من سوريا إلى روما أحارب وحوشا برية، برا وبحرا، ليلا ونهارا، إذ كنت موثقا بين عشرة فهود، أى جماعة من الجند، لا يزدادون شراسه إلا أن أحسنت معاملتهم. وعلى أى حال فاننى فى وسط اساءاتهم ازداد تعلم شروط التلمذة، ولكننى مع ذلك لست مبررا.[٤]

(٨) «ليتنى أسر بالوحوش المعدة لى واننى أصلى أن أجدها معدة. وسألاطفها لكى تبتلعنى بسرعة ولكى لا تعاملنى كما فعلت بالبعض الذين رفضت أن تمسهم بسبب الخوف.[٥] وأن رفضت فسألزمها. سامحونى، فاننى أعرف ما يلائمنى.

---

(٣) تنقسم الرسائل السبع المنسوبة بحق إلى أغناطيوس، (وهى المذكورة فى هذا الفصل) إلى قسمين، كتب أربعة منها من أزمير وهو فى طريقه إلى روما وهى رسائل أفسس وماجنيزيا وترالس وروما والثلاثة الأخرى من مكان اخر.

(٤) (١ كو ٤ : ٤).

(٥) راجع ما ذكره يوسابيوس كأمثلة على هذا فى ك ٥ ف ١ : ٤٢ ، ك ٨ ف ٧.

(٩) «لقد بدأت الآن أن أكـون تلميذا. ليتـه لا يوجد أى شىء منظور أو غير منظور يحسدنى حتى أصل إلى يسـوع المسيح. فلتـقبل إلى النيـران والصليب وهجوم الوحوش، وسـحق العظام وتمزيق الأطراف وسحق كل الجسد وتعذيبات ابليس، أن كنت بذلك أصل إلى يسوع المسيح».

(١٠) هذا ما كتبـه من المدينة السابق ذكرها إلى الكنائس المشار إليها. وعندما غـادر أزمير، كتب ثانية من ترواس[٦] إلى أهل فيلادلفيا وإلى كنيسة أزمير، وبصفة خاصة إلى بوليكاربوس الذى كان يرأس هذه الكنيسة الأخيرة. ولأنه كان يعرفه تمام المعرفة كـشخص رسولى فقد أوصاه على شعب أنطاكية كراع صالح حقيقى، وطلب منه أن يعنى بها عناية خاصة.

(١١) وإذ كتب نفس هذا الشخص إلى أهل أزمير استـعمل الكلمات التالية عن المسيح، ولست أدرى من أى مصدر استقاها.[٧]

«ولكننى أعلم وأؤمن أنه كان فى الجسد بعد القيامـة وعندما جاء بطرس ورفاقة قال لهم: خذوا، جسونى، وانظروا اننى لست روحا لا جسد له. وللحال لمسوه وآمنوا».[٨]

وقد علم ايريناوس أيضا باستشهاده، وذكر رسائله فى الكلمات التالية:

«اننى - كما قال أحد أفراد شعبنا عندمـا حكم عليه بالطرح للوحوش بسبب شهادته لله - حنطة الله، وسأطحن بأسنان الوحوش لكى أصير خبزا نقيا».

(١٢) وقـد ذكر بوليكاربوس أيضـا هـذه الرسـائل فى الرسـالة إلى أهـل فيلبى المنسـوبة إليه[٩] وهاك كلماته:

«وأننى أقدم النصيحة لجـميعكم لتكونوا مطيعين وتستعينوا بالصبر كـاملا كما رأيتم بأعينكم ليس فقط فى المغبوطين اغناطيـوس وروفوس وزوسيموس، ولكن فى غيرهم أيضـا ممن كانوا بينكم، كما فى بولس نفسه أيضـا وسائر الرسل، إذ اقتنعتم أن جميع هؤلاء لم يركـضوا باطلا بل بالإيمان والبر، وأنهم ذهبوا إلى مكانهم اللائق بجوار الرب الذى تألموا معه أيضـا. لأنهم لم يحبوا العالم الحاضر بل ذاك الذى مات لأجلنا وأقامه الله لأجلنا».

---

(٦) واضح من الرسائل التى كتبها أغناطيوس إلى أهل فيلادلفيا وأزمير وإلى بوليكاربوس أنه كتبها من ترواس.

(٧) اقتبس هذه العبارة كل من جيروم وأوريجانوس.

(٨) لو ٢٤ : ٣٩.

(٩) بخصوص هذه الرسالة انظر ك ٤ ف ١٤. س

(١٣) وبعد ذلك يضيف الآتى :

«لقد كتبتم لى، أنتم وأغناطيوس أنه أن ذهب أحد إلى سوريا يمكنه أن يحمل معه الرسائل منكم. وهذا ما سأفعله أن وجدت الفرصة المناسبة، أما أنا نفسى أو أحد آخر أرسله ليكون سفيرا لكم أيضا.

(١٤) لقد أرسلنا إليكم، كما أوصيتمونا، رسائل أغناطيوس التى أرسلها إلينا، والأخرى التى سبق أن وصلتنا وهى مرفقة بهذه الرسالة، ومنها تستمدون فوائد جزيلة لأنها تتضمن الإيمان والصبر، وكل أنواع البناء المتصلة بربنا».

هذا ما قيل عن اغناطيوس. وقد خلفه هيروس فى أسقفية كنيسة أنطاكية.



الفصل السابع والثلاثون

المبشرون الذين كانوا لا يزالون بارزين وقتئذ

(١) وممن اشتهـروا فى ذلك الوقت «كوادراتس» الذى يروى التاريخ عنه أنه اشتهـر بموهبة النبوة مع بنات فيلبس. ويوجـد كثيـرون آخرون غيـر هؤلاء ممن اشتهروا فى تلـك الأيام، الذين احتلوا المكان الأول بين خلفاء الرسل. هؤلاء أيـضا إذ كانوا تلامـيذ بارزين لتلك الشخـصيات العظيـمة فقـد أكملوا أسـاسات الكنـائس التى وضعـهـا الرسل فى كل مكان، ونادوا بالأنجـيل فى مـدى أوسع، وبذروا بذار الخلاص الذى لملكوت السماء فى الأرجاء البعيدة والقريبة فى كل العالم.

(٢) لأن أغلب تلاميـذ ذلك الوقت فى الواقع إذ انتعشوا بالـكلمة الإلهية امـتلأوا غيرة ومـحبة للفلسفة،[١] اتموا وصـية المخلص ووزعوا مقـتنياتهم على المحتاجين[٢] وبدأوا يقـومون برحلات طويلة ويتممـون خدمة التبشيـر إذ كانوا قد امتلأوا رغـبة فى الكرازة بالمسيح لمن لم يسمعـوا بعد كلمة الأيمان، وتوصيل الإناجيل الألهية إليهم.

(٣) وعندما وضعوا أساس الإيمان فى البلاد الغريبة أقاموا غيرهم كرعاة وعهدوا إليهم بتغذية من أدخلوا حديثا، بينما اتجهـوا هم ثانية إلى ممالك وشعوب أخرى مؤازرين بنعمة الله وتعـضيده لأن أعمالا عجيـبة كثيرة تمت على أيديهم بقـوة روح الله، حتى أن جمهـورا كثيرا اعتنقـوا ديانة خالق الكون لمجرد سمعاعهم لأول مرة.

(٤) ولكن طالما كان من المستحيل علينا تعداد أسماء كل من صاروا رعاة أو مبشرين فى الكنائس فى كل أرجاء العـالـم فى العصر التالى للرسـل مباشرة، فـقد لاق بنا أن ندون فقد أسـماء من نقلوا إلينا التعاليم الرسولية بكتابات لا تزال باقية عندنا.

---

(١) أى للحياة النسكية. انظر ك ٦ ف ٣.

(٢) مت ١٩ : ٢١.

الفصل الثامن والثلاثون

رسالة أكليمنضس والكتابات المنسوبة إليه زورا

(١) ذلك ما فعله أغناطيوس فى الرسائل السابق ذكرها،[١] وأكليمنضس فى رسالته المقبولة من الجميع التى كتبها باسم كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس.[٢] فى هذه الرسالة يقدم آراء كثيرة مستقاة من الرسالة إلى العبرانيين، ويقتبس أيضا شفويا بعض تعبيراتها، مبينا بذلك أنها ليست تصنيفا حديثا.

(٢) لذلك رؤى معقولا أن تحسب ضمن كتابات الرسول الأخرى. ولأن بولس كتب إلى العبرانيين بلغته الأصلية فان البعض يقولون بأن البشير لوقا ترجم الرسالة، ويقول غيرهم أن اكليمنضس هذا نفسه هو الذى ترجمها.

(٣) ويبدو أن الرأى الأخير هو الأصح، لأن رسالة اكليمنضس، ورسالة العبرانيين، متشابها الأسلوب، والأكثر من ذلك أن الأفكار التى تحتويانها لا تختلف كثيرا فى الواحدة عن الأخرى.

(٤) ويجب أيضا ملاحظة ما قيل من أنه توجد رسالة ثانية لاكليمنضس. ولكننا لا نعرف بأن هذه معترف بها كالسابقة، لأننا لم نلاحظ أن الأقدمين أشاروا إليها.

(٥) وقد أبرز بعض الأشخاص مؤخرا كتابات مطولة أخرى باسمه تتضمن محاورات لبطرس وأبيون. على أن الأقدمين لم يشيروا إليها، لأنها لا تحمل طابع الأرثوذكسية الرسولية. أما كتاب اكليمنضس المعترف به فهو معروف. ولقد تحدثنا أيضا عن كتابات اغناطيوس وبوليكاربوس.[٣]

---

(١) فى فصل ٣٦ السابق. (٢) انظر ف ٣. (٣) ف ٣٦.

الفصل التاسع والثلاثون

كتابات بابياس

(١) لا يزال بين أيدينا خمسة كتب لبابياس تحمل اسم «تفسير أقوال الرب». ويذكرها ايريناوس على أساس أنها هي المؤلفات الوحيدة التي كتبها، وذلك في الكلمات التالية: «هذه الأمور يشهد لها بابياس، وهو أحد الأقدمين، استمع ليوحنا، وكان زميلا لبوليكاربوس، في كتابه الرابع، لأنه كتب خمسة كتب». هذه هي كلمات ايريناوس.

(٢) أما بابياس نفسه، فأنه في مقدمة أبحاثه لا يصرح بأي حال من الأحوال بأنه كان مستمعا أو معاينا للرسل المباركين، ولكنه يبين في كلماته أنه قد تلقى تعليم الإيمان من أصدقائهم. فهو يقول:

(٣) «ولكنني لا أتردد أيضا عن أن أضع أمامكم مع تفسيري كل ما تعلمته بحرص من المشايخ،[١] وكل ما أتذكره بحرص، ضامنا صحته. لأنني لم ألتذ - كالكثيرين - بمن يتكلموا كثيرا، بل بمن يعلمون الحق. لم ألتذ بمن يقدمون وصايا غريبة، بل بمن يقدمون وصايا الرب للإيمان، الصادر من الحق نفسه.

(٤) «وكلما أتى أحد ممن كان يتبع المشايخ سألته عن أقوالهم، عما قاله اندراوس أو بطرس، عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى» أو أي واحد آخر من تلاميذ الرب، أو عما قاله أريستيون أو القس يوحنا[٢] أو تلاميذ الرب. لأنني لا أعتقد أن ما تحصل عليه من الكتب يفيدني بقدر ما يصل إلي من الصوت الحي، من الصوت الحي الدائم».

(٥) ومما هو جدير بالذكر هنا أنه كرر اسم يوحنا مرتين، فالاسم الأول يذكره مع بطرس ويعقوب ومتى وسائر الرسل، ومن هذا يتبين بوضوح أنه يقصد يوحنا الإنجيلي، أما يوحنا الآخر فانه يذكره بعد فترة معينه، ويضعه ضمن أشخاص آخرين ليسوا من عداد الرسل، واضعا اريستيون قبله، وبكل وضوح يدعوه قسا.

---

(١) يقول ناشر الترجمة الانكليزية أن هذه اللفظة «المشايخ» كانت تستعمل للتعبير عن اباء الكنيسة في العصور السابقة.

(٢) ليس هو يوحنا الرسول بل المقصود قس باسم يوحنا. انظر الفقرة التالية.

(٦) هذا يبين صحة ما يقرره من يقولون أنه كان هنالك شخصان فى آسيا يحملان نفس الاسم، وكان هنالك قبران فى أفسس لا يزال إلى الآن كل منهما يدعى قبر يوحنا. هذه ملاحظة جديرة بالأهمية، لأنه يحتمل أن يكون يوحنا الثانى هو الذى رأى الرؤيا المنسوبة إلي يوحنا أن كان أحد لا يميل أن يصدق بأن يوحنا الأول هو الذى رآها.[٣]

(٧) ويعترف بابياس، الذى نتحدث عنه الآن، أنه تقبل كلمات الرسل ممن تبعوهم، ولكنه يقول انه هو نفسه كان أحد المستمعين إلى أريستيون والقس يوحنا. وهو على الأقل يذكرهما مرارا بالأسم، ويذكر تعاليمهما فى كتاباته. ونرجو أن لا يكون سردنا لهذه الحوادث عديم الجدوى.

(٨) على أنه من المناسب أن نضيف إلى كلمات بابياس السابق اقتباسها فقرات أخرى من كتبه التى يروى فهيا حوادث أخرى عجيبة يقول أنه استقاها من التقليد.

(٩) سبق القول أن فيلبس الرسول سكن فى هيرابولس مع بناته.[٤] ولكن يجب هنا ملاحظة أن بابياس معاصرهم قال بأنه سمع قصة عجيبة من بنات فيلبس. لأنه يقول أن واحدا قام من الأموات فى عصره[٥] ويروى رواية عجيبة أخرى عن يوستس الملقب بار سابا أنه شرب سما مميتا ولكنه بنعمة الرب لم يلحقه أذى.

(١٠) ويسجل سفر الأعمال أن الرسل المباركين بعد صعود المخلص قدموا يوستس هذا مع متياس، وصلوا لاختيار أحدهما بدل يهوذا الخائن لتكلمة عددهم. وهاك النص «فأقاموا اثنين يوسف الذى يدعى بارسابا الملقب يوستس ومتياس. وصلوا قائلين».[٦]

(١١) ويدون نفس الكاتب روايات أخرى يقول أنها وصلته من التقليد غير المكتوب وأمثالا وتعاليم غريبة للمخلص، وأمورا أخرى خرافية.

(١٢) من ضمن هذه قوله أنه ستكون فترة ألف سنة بعد قيامة الأموات وإن ملكوت المسيح سوف يؤسس على نفس هذه الأرض بكيفية مادية. وأظن أنه وصل إلى هذه الاراء بسبب اساءة فهمه للكتابات الرسولية، غير مدرك أن أقوالهم كانت مجازية.

---

(٣) انظر ك ٧ ف ٢٥. (٤) ف ٣١. (٥) أى عصر فيلبس. (٦) (أع ١ : ٢٣).

(١٣) إذ يبدو أنه كـان محدود الإدراك جـدا كما يتـبين من أبحاثه· وإليـه يرجع السبب فى أن الكثيرين من أباء الكنيسـة من بعده اعتنقوا نفس الأراء مستندين فى ذلك على أقـدمية الزمن الذى عاش فيه، كايريناوس مثلا وغيره ممن نادوا بآراء مماثلة·

(١٤) ويدون بابياس أيـضا فى مؤلفـه بيانات أخـرى عن كلمات الرب، على عهـدة أريستـيون السابق ذكره، وتقاليد مسلمة من القس يوحنا نحـيل إليها محبى الأطلاع· على أننا الآن نضيف لكلماته السابق اقتباسها ذلك التقليد الذى يقدمه عن مرقس كاتب الإنجيل فى الكلمات التالية·

(١٥) «هذا ما يقوله القـس أيضا: أن مرقس إذ كان هو اللسان الناطق لبـطرس كتب بدقة، ولو من غير ترتيب، كل ما تذكره عما قاله المسيح أو فعله، لأنه لا سمع للرب ولا اتبعه، ولكنه فيما بعد - كمـا قلت - اتبع بطرس الذى جعل تعالـيمه مطابقـة لاحتياجـات سامعـية، دون أن يقصـد بأن يجعل أحاديث الرب مرتبطة ببعضها· ولذلك لم يرتكب أى خطأ إذ كتب - على هذا الوجه - ما تذكره· لأنه كان يحـرص على أمر واحد : أن لا يحـذف شيئا مما سـمعه، وأن لا يقـرر أى شيء خطأ» هذا ما دونه بابياس عن مرقس·

(١٦) أما عن متى فقد كتب ما يلى :

«وهكذا كتب مـتى الأقوال الإلهيـة باللغة العبـرانية، وفسرها كل واحـد على قدر استطاعـته»· ويستقى نفس الكاتب بعض الشهادات من رسالة يوحنا الأولى ورسالة بطرس أيضا· ويروى رواية أخرى عن امرأة اتهمت أمام الرب بخطايا كثيرة تضمنها إنجيل العبرانيين·

هذا ما رأيناه ضروريا أن ندونه علاوة على ما سبق أن قررناه·

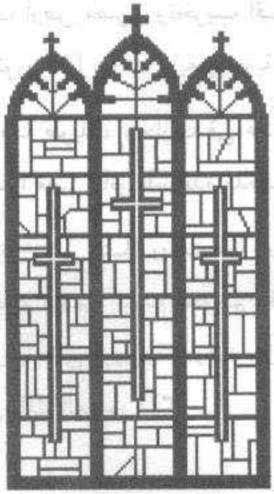
الكتاب الرابع

الفصل الأول

أساقفة روما والإسكندرية أثناء حكم تراجان

(١) وفى السنة الثانية عشرة من حكم تراجان مات أسقف أبروشية الاسكندرية السالف الذكر،[١] وانتخب بدلا عنه «بريموس» الخليفة الرابع من عهد الرسل.

(٢) وفى ذلك الوقت أيضا أقيم على أسقفية روما الاسكندر خامس أسقف بعد بطرس وبولس، وذلك بعد أن تولى الأسقفية ايفارستوس[٢] ثمانى سنوات.



---

(١) «كردونوس» المذكور فى ك ٣ ف ٢١.

(٢) انظر ك ٣ ف ٣٤.

الفصل الثانى

المصائب التى حلّت باليهود أثناء حكم تراجان

(١) انتعشت جدا تعاليم وكنيسة مخلصنا وازدادت انتشارا يوما بعد يوم. ولكن مصائب اليهود ازدادت أيضا، وعانوا سلسلة من النكبات متصلة الحلقات. وفى السنة الثامنة عشر من حكم تراجان قام اليهود بثورة أخرى هلك منهم فى أثنائها عدد وفير.

(٢) لأنهم فى الاسكندرية وفى سائر أرجاء مصر، وأيضا فى القيروان،[١] اندفعوا بروح المشاغبة وثاروا على مواطنيهم اليونانيين. اشتدت الفتنة جدا حتى انقلبت إلى حرب خطيرة فى السنة التالية إذ كان لوبوس Lupus واليا على كل مصر.

(٣) وحدث فى الهجوم الأول أنهم انتصروا على اليونانيين الذين كانوا قد هربوا إلى الاسكندرية وسجنوا، وقتلوا اليهود الموجودين فى المدينة. ولكن يهود القيروان - بالرغم من حرمانهم من مساعدتهم - استمروا فى نهب أرض مصر، وتخريب أقاليمها تحت قيادة لوكواسLucuas. أما الامبراطور فأرسل إليهم ماركيوس توربو[٢] بقوات برية وبحرية وخيالة.

(٤) فأشهر عليهم الحرب مدة طويلة، وحارب فى عدة مواقع، وقتل آلافا كثيرة، ليس فقط من يهود القيروان، بل أيضا ممن استوطنوا مصر وأتوا لمساعدة ملكهم لوكواس.

(٥) ولكن الأمبراطور، إذ خشى لئلا يهجم ما بين النهرين على سكان تلك المملكة، أمر لوسيوس كينتوس ليطهر ذلك الاقليم منهم. فتقدم نحوهم وقتل عددا كبيرا جدا ممن استوطنوا هناك. ونتيجة لنجاحه أقامه الامبراطور واليا على اليهودية. وقد دون هذه الحوادث أيضا بنفس هذه الكلمات المؤرخون اليونانيون الذين كتبوا عن تلك العصور.[٣]

---

(١) كان اليهود كثيرين فى مصر وفى القيروان (الواقعة غرب مصر). وكان ليهود القيروان مجمع فى أورشليم كما يتبين من (أع ٦ : ٩).

(٢) Marcius Turbo كان من أبرز قواد الرومان فى عصر تراجان وهادريان. (٣) أمثال Orosius, Dion Cassius.

الفصل الثالث

المدافعون عن المسيحية الذين كتبوا دفاعا عن الإيمان أثناء حكم أدريان

(١) وبعد أن حكم تراجان تسع عشرة سنة ونصف[١] خلفه على الامبراطورية أليوس أدريان· وقد وجه إليه كوادراتس حديثا متضمنا الدفاع عن ديانتنا، لأن بعض الأشرار حاولوا ازعاج المسيحيين· ولا يزال هذا المؤلف بين أيدى الكثيرين من الاخوة، وفى أيدينا أيضا، وهو برهان قوى على ذكاء الرجل وعلمه وعلى أرثوذكسيته الرسولية·

(٢) وهو نفسه يبين التاريخ المتقدم الذى عاش فيه، وذلك فى الكلمات التالية:

«على أن أعمال مخلصنا كانت على الدوام ماثلة أمامنا، لأنها كانت يقينية· فأولئك الذين شفوا، والذين أقيموا من الأموات، لم يروا فقط وقت أن شفوا وأقيموا بل كانوا حاضرين دواما· وليس فقط لما كان المخلص على الأرض بل أيضا بعد موته، لأنهم ظلوا عائشين مدة طويلة، حتى أن بعضهم كان عائشا حتى يومنا هذا»·

هذا ما قاله كوادراتس:

(٣) كذلك ترك لنا أريستيديس، وهو مؤمن غيور، دفاعا عن الايمان، مثل كوادراتس، موجها إلى أدريان· ولا يزال مؤلفه باقيا إلى الأن أيضا لدى أشخاص كثيرين·

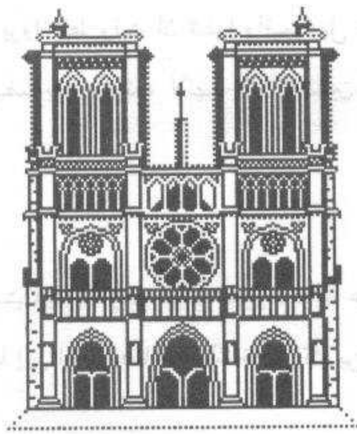
---

(١) حكم تراجان من ٢٧ يناير سنة ٩٨ إلى ٧ أغسطس سنة ١١٧·

الفصل الرابع

أساقفة روما والإسكندرية فى عهد نفس الإمبراطور[١]

وفى السنة الثـالثة من نفس الحكم مـات الاسكندر أسقف رومـا، بعد أن ظل عشـر سنوات فى الأسقـفية، وخلفـه زيستوس. وفى نفس هذا الوقت مـات بريموس أسقف الاسكندرية فى السنة الثـانية عشرة من أسقفيته، وخلفه يسطس.



(١) أدريان.

الفصل الخامس

أساقفة أورشليم من عصر مخلّصنا إلى العصر موضوع تأملنا

(١) لم أجد فى أى مكان قائمة مكتوبة بأسماء أساقفة أورشليم، لأن الروايات المتواترة تقول أنهم جميعا لم يعمروا طويلا.[١]

(٢) ولكننى علمت من بعض الكتب[٢] أنه إلى وقت حصار اليهود، الذى تم فى عهد أدريان،[٢] تولى الأسقفية فيها خمسة عشر أسقفا بالتتابع، وقيل أنهم كانوا من أصل عبرانى، وأنهم قبلوا معرفة المسيح نقية، ولذلك اعترف بهم من كان فى قدرتهم الحكم على هذه الأمور، وحسبوا جديرين بمركز الأسقفية. لأن كنيستهم بأكملها كانت تتكون وقتئذ من مؤمنى العبرانيين، الذين ظلوا من أيام الرسل حتى الحصار الذى حدث فى هذا الوقت، والذى غلب فيه اليهود بعد مواقع قاسية إذ كانوا قد تمردوا ثانية على الرومانيين.

(٣) ولكن لأن أساقفة الختان لم يعد لهم وجود منذ ذلك الوقت، فمن المناسب هنا أن نقدم قائمة باسمائهم منذ البداية.

الأول يعقوب الملقب أخو الرب،[٣] الثانى سمعان،[٤] والثالث يسطس،[٥] الرابع زكا،[٦] الخامس طوبيا، السادس بنيامين، السابع يوحنا، الثامن متياس، التاسع فيلبس، العاشر سينكا، الحادى عشر يسطس، الثانى عشر لاوى، الثالث عشر أفريس، الرابع عشر يوسف، وأخيرا الخامس عشر يهوذا.

(٤) هؤلاء هم أساقفة أورشليم الذين عاشوا بين عصر الرسل والعصر المشار إليه، وكلهم كانوا من أهل الختان.

(٥) وفى السنة الثانية عشر من حكم أدريان إذ كان زيستوس[٧] قد أكمل عشر سنوات فى الأسقفية[٨] خلفه تلسفورس، وهو سابع أسقف بعد الرسل. وفى نفس الوقت بعد انقضاء فترة سنة وبضعة شهور، أقيم أومانيوس[٩] - وهو سادس أسقف بعد الرسل - لرئاسة كنيسة الإسكندرية، بعد أن ظل سابقة[١٠] أحدى عشرة سنة فى مركز الأسقفية.

---

(١) يقال أنها وجدت فى كنيسة أورشليم نفسها.

(٢) أى فى سنة ١٣٥م. انظر ف ٧.

(٣) انظر ك ٢ ف ١.

(٤) انظر ٣ ف ١١.

(٥) قال عنه ابيفانيوس أنه يدعى يهوذا.

(٦) أو زكريا حسب رواية ابيفانيوس.

(٧) انظر ف ٤.

(٨) أى أسقفية كنيسة روما.

(٩) انظر ف ١١.

(١٠) يسطس. انظر الفصل السابق.

الفصل السادس

آخر حصار لليهود فى عهد الإمبراطور أدريان

(١) ولما اشتد تمرد اليهود فى هذا الوقت تقدم إليهم روفوس والى اليهودية بلا رحمة، بعد أن أرسل إليه الامبراطور قوة للمساعدة، مبررا هجومه عليهم بسبب جنونهم. وقتل بلا شفقة آلافا من الرجال والنساء والأطفال وطبقا لقوانين الحرب جعل بلادهم ولاية خاضعة تمام الخضوع للامبراطورية.

(٢) كان قائد اليهود وقتئذ رجلا يدعى باركوكبا (ومعناها كوكب أو نجم) توفرت فيه صفات اللص والقاتل، ولكنه مع ذلك اتكل على اسمه وافتخر عليهم، كأنهم كانوا عبيدا، وأنه لديه قوة عجيبة. وادعى بأنه كوكب هبط إليهم من السماء ليأتى إليهم بالنور وسط مصائبهم.

(٣) اشتدت الحرب عنفا فى السنة الثامنة عشر من حكم أدريان فى مدينة بثيارا التى كانت حصنا منيعا لا تبعد كثيرا عن أورشليم. ولما استمر الحصار وقتا طويلا، وساءت حال الثوار جدا بسبب الجوع والعطش، نال المحرض على الفتنة جزاءه العادل، وصدر الأمر من أدريان إلى كل الأمة بحرمانهم من الصعود إلى المملكة نواحى أورشليم. لأن الامبراطور منعهم حتى من رؤية أرض آبائهم من بعيد.

هذا هو الوصف الذى رواه أريستو الذى من بلا[١]

(٤) وهكذا عندما أخليت المدينة من الأمة اليهودية وأقفرت تماما من سكانها القدماء سكنها جنس غريب، وتغير اسم المدينة الرومانية، التى قامت بعد ذلك مباشرة فدعيت اليا اكراما للامبراطور اليوس أدريان. ونظرا لأن كنيستها كانت مكونة وقتئذ من الأمم فأن أول أسقف تولى إدارتها بعد أساقفة الختان[٢] كان مرقس.

---

(١) Aristo of Pella ولسنا ندرى أن كان يوسابيوس قد اقتبس منه الفقرة الأخيرة فقط أو جميع ما تقدم.

(٢) انظر ك ٥ ف ١٢.

الفصل السابع

الأشخاص الذين أصبحوا فى ذلك الوقت قادة العلم الكاذب الاسم[١]

(١) وبما أن الكنائس فى كل العالم كانت تضىء وقتئذ كأبهى الكواكب لمعانا، وكان الأيمان بمخلصنا وربنا يسوع المسيح يزدهر بين كل الجنس البشرى، حول الشيطان، مبغض الصلاح وعدو الحق، والمقاوم لخلاص الانسان، كل جهوده نحو الكنيسة. ففى البداية تجند ضدها بواسطة الاضطهادات الخارجية.

(٢) أما الآن، وقد عجز عن استخدام هذه الوسيلة، فأنه دبر كل أنواع المؤامرات، واستخدم طرقا أخرى فى صراعه ضد الكنيسة، مستخدما أشخاصا سافلين ومضلين كوسائل لهدم النفوس وأعوان للهلاك. وإذ أغرى بعض المحتالين والمخادعين فأنهم تظاهروا بالمسيحية وأحدروا إلى أعماق الهلاك بعض المؤمنين ممن استطاعوا التغلب عليهم، وفى نفس الوقت أثروا بتصرفاتهم على البعض ممن كانوا يجهلون الإيمان، فحولوهم عن الطريق المؤدى إلى كلمة الخلاص.

(٣) ونتيجة لهذا تخلفت عن ميناندر، الذى ذكرنا عنه فيما قبل أنه كان خليفة لسيمون،[٢] قوة كالحية، لها لسانان ورأسان أنجبت قائدى هرطقتين مختلفتين، وهما ساتورنينوس، وهذا شخص أنطاكى المولد، وباسيليدس وهذا اسكندرى. أسس الأول مدارس للهرطقة فى سوريا، والثانى فى الاسكندرية.

(٤) وقد قرر ايريناوس أن تعاليم ساتورنينوس الكاذبة كانت تتفق فى كثير من النواحى مع تعاليم ميناند، أما باسيليدس فانه تحت ستار الأسرار التى لا يعبر عنها اخترع خزعبلات غريبة جدا ونقل أضاليله إلى أبعد الحدود.

(٥) وكما كان يوجد فى ذلك الوقت عدد كبير من أعضاء الكنيسة يناضلون من أجل الحق، ويدافعون عن التعاليم الرسولية الكنسية بفصاحة نادرة، كان هنالك أيضا من يمدون الأنسال - عن طريق كتاباتهم - بوسائل للدفاع ضد تلك الهرطقات التى أشرنا إليها.

(٦) ضمن هذه الكتابات دفاع قوى جدا ضد باسيليدس كتبه أغريباس كاستور، وهو أحد كتاب ذلك العصر المشهورين جدا بين فيه حيل ذلك الشخص المروعة.

---

(١) انظر (١ تى ٦ : ٢٠).

(٢) ك ٣ ف ٢٦.

(٧) وفى معرض كشف غوامض باسيليدس هذا قال عنه أغـريباس أنه كتب أربعة وعشرين كتابا عن الإنجيل، وأنه اختـرع لنفسه نبيين اسمهـما باركباس وباركوف، وأنبيـاء آخرين لا وجود لهم أعطاهم أسماء مـزعجة، لازعاج الذين يرهبـون أمثال هذه الأشياء، وعلم أيضـا بأن أكل ما ذبح للاوثان، وترك الإيمان فى أوقات الاضطهاد، أمران غير جوهريين، وفرض على أتباعـه - مثل فيثاغورس - فترة صمت خمس سنوات.

(٨) ودون الكاتب المشار إليه أمورا أخرى مماثلة عن باسيليدس، وفضح هرطقته بشدة.

(٩) وكتب ايريناوس أيضا أن كاربوكراتس كان معـاصرا لهؤلاء الناس، وأنه ابتدع هرطقة أخرى تدعى شيـعة اللادريين[٣] الذين لم يشاءوا أن ينقلوا فـيما بعد فنـون سيمون السـحرية سرا - كمـا فعل ذاك[٤] - بل علنا. لأنهم افتخـروا بجرعات المحبة - كأنهـا شىء عظيم الأهمية - التى كانوا يهيئونها بعناية شديدة، وبشيـاطين معينة ترسل إليهم الأحلام وتعيـرهم حمايتها، وعوامل أخرى ممـاثلة. ونتيجة لهذه كانوا يعلمون أنه يتحتم على كل من يريدون الدخـول تماما إلى أسرارهم، أو بالأحرى إلى قبائحم، أن يمارسوا كل أنواع الشر، على أسـاس أنهم لا يمكنهم أن ينجوا من القوات الكونية، كـما دعوها، بأية طريقة أخرى سوى بالتحرر من التزاماتها وذلك بالسلوك المشين.

(١٠) وهكذا حدث أن الشيطان الخبـيث باستخدامه لهؤلاء الأعوان اسـتعبد الذين أضلوهم مع الأسف إلى هلاكهم، ومن الجـهة الأخرى قـدم للأمم غير المؤمنين فـرصا متسـعة للافتـراء على الكلمة الإلهية، نظرا لأن سمعة هؤلاء الرجال جلبت العار على كل جنس المسيحيين.

(١١) وبهذه الطريقـة ذاعت عنا فى الخارج، بين غيـر المؤمنين فى ذلك العصـر، الظنون المشينة والسخيفة بأننا نمارس التجارة غير الشرعية مع الأمهات والأخوات، ونولم الولائم القبيحة.

(١٢) وعلى أى حال فـأنه لم يطل نجاحـه فى هــذه الحيـل، لأن الحق ثبت نفسـه، وأضاء مع الوقت بلمعان باهر.

---

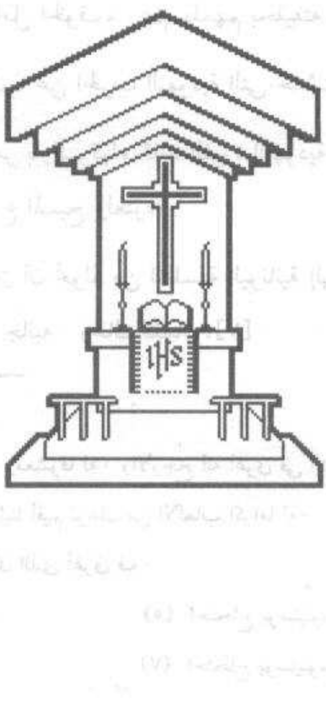
(٣) لا يعرف تماما متى بدأت، ولكنها على أى حال بدأت حالما بدأت المسيحية تحتك بالفلسفة اليونانية. وكانت هذه الشيعة تنادى بأن المعرفة - لا الإيمان - هى طريق الخلاص، واتخذت كل الحقائق العظمى عن شخص المسيح وأعماله على طريق المجاز، واعتبرت الحياة الفردية منبعثة من العنصر الأصلى.

(٤) مشيرا إلى باسيليدس.

(١٣) فقوته فضـحت دسائس أعدائه التى سرعان ما انقشعت. وهكذا قـامت بدعة بعد أخرى، وكانت كل البدع السابقة تتلاشى على الدوام، وتبتلع فى الآراء المختلفة الأنواع والمختلفة الصور، فى هذا الوقت أو ذلك، وبهذه الطريقة أو تلك. أما مجد وسمو وعظمة الكنيسة الجـامعة الواحدة الحقيقية الباقية على الدوام بلا تغيير فقد ازدادت قوة ورفعة، وأشاعت الكنيسة تقواها وبساطتها وحريتها وعفتها وطهارة حياتها وفلسفتها فى كل أمة من أمم اليونانيين والبرابرة.

(١٤) وفى نفس الوقت انقشعت الاتهـامات المشينة السابق توجيههـا لكل الكنيسة، ولم تبق إلا تعاليمنا التى تغلبت على الكل، والمعترف بسموها على الكل، من جهة السمو والعفة والمعتقدات الروحية الفلسفيـة. ولهذا فلن يجرؤ أى واحد منهم الأن أن يوجه إلى إيماننا أى افتـراء وضيع، أو أية تهمة مما كان يلذ لأعدائنا القدماء أن يتمشدقوا به.

(١٥) ومع هذا ففى تلك الأيام حفز الحق كثيرين مـن الأبطال للنضال دفاعا ضد هذه الهرطقات الدنسة، مفندينها ليس فقط بالحجج الشفوية بل أيضا بالحجج الكتابية.



الفصل الثامن

الكتّاب الكنسيون

(١) كان هيجسبوس ممن اشتهروا بين هؤلاء. وقد سبق أن اقتبسنا الكثير من كلماته[١] فى معرض سرد الحوادث التى حدثت فى أيام الرسل حسب روايته.

(٢) فى خمسة كتب يسجل (هذا الكاتب) التقاليد الحقيقية للتعاليم الرسولية بأسلوب بسيط للغاية، ويحدد الوقت الذى فيه نجح عندما كتب ما يلى عن أول من أقام الأوثان.

«الذين أقاموا لهم أنصابا وهياكل، كما هو حاصل إلى اليوم. الذين بينهم أنتينوس،[٢] وهو من عبيد الامبراطور أدريان، والذى تقام اكراما له الألعاب الانتينونية، التى أنشئت فى أيامنا. لأنه (أى أدريان) أنشأ أيضا مدينة سميت باسم انتينوس[٣] وأقام أنبياء».

(٣) وفى نفس الوقت أيضا كان يوستينوس،[٤] محب الفلسفة الحقيقية، منغمسا فى الآداب اليونانية. وقد حدد هذا الزمن فى الاحتجاج الذى وجهه إلى أنتونين، والذى كتب فيه ما يلى:[٥]

«ونحن لا نراه خروجا عن الموضوع أن نذكر هنا أنتينوس أيضا الذى عاش فى أيامنا، والذى كان الجميع مسوقين إلى عبادته كاله بعامل الخوف، رغم علمهم بحقيقته، وحقيقة «المكان الذى أتى منه».

(٤) وإذ تحدث نفس الكاتب عن الحرب اليهودية التى حدثت وقتئذ أضاف الآتى.[٦]

«لأنه فى الحرب الأخيرة أمر باركوكبا، قائد الثورة اليهودية، أن يفتقد المسيحيون وحدهم بأشد أنواع القصاص، إلا إذا أنكروا يسوع المسيح ولعنوه».

(٥) وفى نفس المؤلف يبين أن تحوله من الفلسفة اليونانية إلى المسيحية لم يكن بلا مبرر، بل كان نتيجة ترو شديد وامعان طويل من جانبه. وهاك كلماته:[٧]

---

(١) ك ٢ ف ٢٣، ك ٣ ف ٣٢.

(٢) كان عبدا جميلا للامبراطور ادريان ومعشوقا له. والأرجح أنه أغرق فى النيل سنة ١٣٠م. وبعد موته اعتبر فى مصاف الإلهة وأقيمت له الهياكل. وفى أثينا أقيم نوعان من الألعاب اكراما له.

(٣) يقال أنها فى مصر بالقرب من المكان الذى أغرق فيه.

(٤) انظر ف ١٦ عن يوستينوس الشهيد.

(٥) احتجاج يوستينوس ١ : ٢٩.

(٦) احتجاج يوستينوس ١ : ٣١.

(٧) احتجاج يوستينوس ٢ : ١٢.

«لأنى أنا نفسى إذ كنت مغتبطا بتعاليم أفلاطون وسمعت بالافتراءات على المسيحيين، ورأيت أنهم لا يخشون الموت، ولا يرهبون أى شىء آخر يعتبر مروعا فى نظر عامة البشر، استنتجت بأنه من المستحيل أن يكونوا عائشين فى الشر أو مغنمسين فى الملذات. لأنه كيف يمكن لمحب الشهوات، أو فاسد الأخلاق، أو آكل لحوم البشر، أو يرحب بالموت حتى يحرم من تنعماته، ولا يجاهد بالأحرى للابقاء على حياته الحاضرة بصفة دائمة، ويتجنب ملاحظة الحكام له، بدلا من تسليم نفسه للموت».

(٦) وعلاوة على هذا روى نفس الكاتب أن أدريان إذ تسلم من سيرينيوس جرانيانوس، وهو من أبرز الولاة، رسالة فى مصلحة المسيحيين، ذكر فيها أنه ليس من العدل قتل المسيحيين دون اتهام معقول ومحاكمة قانونية، بل لمجرد اشباع شهوة الغوغاء، أرسل أمرا عاليا إلى مينوسيوس فوندانوس، والى آسيا، يأمره بعدم قتل أى واحد دون أقامة الدعوى عليه، وتقديم تهمة لها أساس معقول.

(٧) وقد قدم نسخة من الرسالة محتفظا بالأصل اللاتينى الذى كتبت به، وقدمها بهذه الكلمات:

«وبالرغم من أننا، بناء على رسالة الأمبراطور العظيم الجليل الشأن أدريان أبيك، لنا كل الحق فى أن نطلب بأن تأمر أن تجرى المحاكمة كما نرغب، إلا أننا لا نطلب هذا لصدور الأمر به من قبل ادريان، بل بالأحرى ليقيننا بأن ما نطلبه عادل. وقد أرفقنا بهذا صورة من رسالة أدريان لتعلم أننا نقول الحق فى هذا الأمر أيضا. وهذه هى صورة الرسالة».

(٨) وبعد هذه الكلمات قدم الكاتب المشار إليه الأمر العالى باللاتينية، ترجمناه إلى اليونانية على قدر ما استطعنا من الدقة. وهاك نصه:

الفصل التاسع

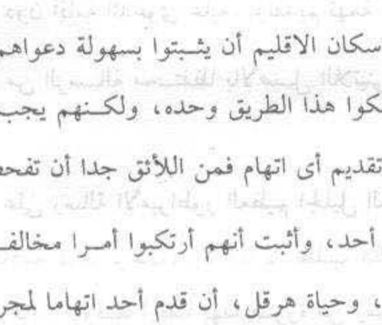
رسالة أدريان
التى أمر فيها أن لا يوقع علينا قصاص دون محاكمة

(١) إلى مينوسيوس فوندانوس. لقد استلمت رسالة كتبها إلى سيرينيوس جرانيانوس، وهو الرجل العظيم جدا، الذى خلفته أنت. وأننى لا أراه صوابا أن يمر الأمر دون فحص لئلا ينزعج الناس وتهيأ الفرصة للسفلة لارتكاب قبائحهم.

(٢) ولذلك فأن استطاع سكان الاقليم أن يثبتوا بسهولة دعواهم ضد المسيحين، بحيث يعطوا اجابة شافية أمام المحكمة، فليسلكوا هذا الطريق وحده، ولكنهم يجب أن لا يذعنوا لرغبات الناس أو صخبهم. لأنه أن رغب أحد فى تقديم أى اتهام فمن اللائق جدا أن تفحصه.

(٣) «لذلك أن اتهمهم أحد، وأثبت أنهم أرتكبوا أمرا مخالفا للشرائع، فأوقع القصاص بما يتناسب مع شناعة الجريمة. ولكن، وحياة هرقل، أن قدم أحد اتهاما لمجرد الوشاية، فاحكم عليه بحسب جريمته وأعطه ما يستحق من القصاص».

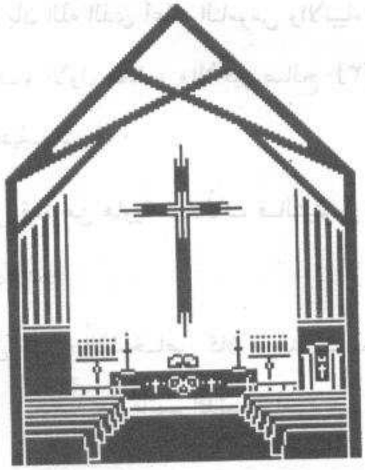
هذا هو نص الأمر العالى الذى أصدره أدريان.



الفصل العاشر

أساقفة روما والإسكندرية مدة حكم أنطونينس

ولما مات أدريان، بعد أن حكم احدى وعشرين سنة،[١] خلفه فى حكم الرومانيين أنطونينس الملقب بالصالح. وفى السنة الأولى من حكمه مات تلسفورس[٢] فى السنة الحادية عشرة من أسقفيته، وأقيم هيجينوس أسقفا على روما. ويذكر ايريناوس أن موت تلسفورس تكلل بالاستشهاد. وفى نفس المناسبة قرر بأنه فى عهد هيجينوس أسقف روما السابق ذكره اشتهر فى روما فالنتينوس مؤسس شيعة تنتمى له، وكرودن مؤسس البدعة المركيونية.[٣] وقد كتب فى هذا الصدد ما يلى:



(١) حكم ادريان من ٨ أغسطس سنة ١١٧ إلى ١٠ يولية سنة ١٣٨م.

(٢) انظر ف ٥ : ٥.

(٣) بخصوص فالنتينوس وكردون ومركيون انظر الفصل التالى.

الفصل الحادى عشر

زعماء الهراطقة فى ذلك العصر

(١) «لأن فالنتينوس أتى إلى روما فى عهد هيجينوس، وازداد قوة فى عهد بيوس، وظل حتى أنيسيتوس،[١] ودخل الكنيسة أيضا كردون،[٢] سلف مركيون، فى عهد هيجينوس تاسع أسقف، واعترف، واستمر هكذا، يعلم فى السر حينا، ويعترف جهرا حينا آخر، وفى بعض الأحيان يوشى به بسبب تعاليمه الفاسدة فينسحب من اجتماعات الأخوة»

هذا ما وجد فى الكتاب الثالث من المؤلف «ضد الهرطقات».

(٢) وفى الكتاب الأول ذكر الآتى عن كردون.

«أما كردون الذى استمد شيعته من اتباع سيمون، وأتى إلى روما فى عهد هيجينوس، تاسع أسقف منذ عهد الرسل، فقد نادى بأن الله الذى أعلنه الناموس والأنبياء ليس أبا ربنا يسوع المسيح. لأن الأول معروف، والأخير غير معروف، الأول عادل، والأخير صالح.[٣] أما مركيون البنطى فقد خلف كردون، ووسع تعاليمه، ونطق بتجاديف مزرية».

(٣) ويكشف ايريناوس بكل قدة عن هاوية ضلالات فالنتينوس فيما يتعلق بالمادة ويعلن خبثه السرى والخفى كالحية والكامنة فى وكرها.

(٤) ويقول أنه علاوة على هؤلاء الأشخاص كان يوجد شخص آخر فى ذلك العصر يدعى مرقس[٤] برع فى العلوم السحرية. ويصف تصرفاتهم الدنسة وأسرارهم الكريهة فى الكلمات التالية:

---

(١) أن فالنتينوس أعظم من أشتهر بين اللادريين، وقال ابيفانيوس أنه ولد فى مصر ودرس الآداب اليونانية فى الاسكندرية.

(٢) أحسن ما عرف به كردون أنه معلم مركيون. وقد قال عنه أبيفانيوس أنه سورى.

(٣) اعتقد مركيون أن إله العهد القديم صارم عادل، واله العهد الجديد صالح رحيم. ويقولون أن كردون نادى بالهين، الواحد صالح وهو الأسمى، والآخر صارم وهو الذى خلق العالم.

(٤) وصف ايريناوس مرقس والمرقسيين فى ك ١ : ١٣ - ٢١. وقد كان مرقس هذا من مذهب اللادريين، ومن شيعة فالنتينوس.

(٥) «والبعض منهم يعدون أريكة للزيجة، ويمارسون بعض الطقوس الرمزية، مستعملين بعض التعبيرات الموجهة إلى المبتدئين فى ممارستهم، ويقولون أن الزواج الذى يجرونه روحى على مثال الزيجات العلوية. والبعض يأخذونهم إلى المياه، ويرددون الكلمات التالية عند تعميدهم: إلى اسم أب المجهول،[٥] إلى الحق أم كل الأشياء، إلى من استقر على يسوع. ويكرر غيرهم أسماء عبرانية لكى يزيدوا فى بلبلة المبتدئين».

(٦) وإذ مات هيجينوس فى نهاية السنة الرابعة من أسقفيته خلفه بيوس فى إدارة كنيسة روما. وفى الاسكندرية عين مرقس[٦] راعيا بعد أن ظل أومانيوس فى مركزه ثلاث عشرة سنة. وعندما مات مرقس، بعد أن ظل فى مركزة عشر سنوات، خلفه كالاوتيانوس فى ادارة كنيسة الاسكندرية.

(٧) وفى روما مات بيوس فى السنة الخامسة عشرة من أسقفيته، فتولى انيسيتوس قيادة المسيحيين هناك. ويقرر هيجيسبوس أنه هو نفسه كان فى روما فى ذلك الوقت، وأنه ظل هناك حتى أسقفية اليوثيروس.

(٨) وفى تلك الأيام اشتهر يوستينوس بصفة خاصة. وإذ تنكر فى هيئة فيلسوف بشر بالكلمة الإلهية، وناضل فى الإيمان بكتاباته. وكتب أيضا مؤلفا ضد مركيون ذكر فيه أن هذا الأخير كان حيا وقت أن كتب مؤلفه.

(٩) وفيه روى الآتى:

«وهنالك شخص يدعى مركيون البنطى[٧] لا يزال إلى الآن يعلم أتباعه أن هنالك إلها آخر أعظم من الخالق. وبمساعدة الشياطين أقنع الكثيرين من كل جنس البشر لينطقوا بالتجاديف، وينكروا أن خالق هذا الكون هو أب المسيح، ويعترفوا أن هنالك آخر أعظم منه وهو الخالق. وكل الذين تبعوهم يدعون مسيحيين كما قلنا، كما يدعى اسم الفلسفة على الفلاسفة ولو لم تكن لديهم تعاليم مشتركة».

---

(٥) المجهول هو الاب نفسه.

(٦) أو مركيانوس حسب تاريخ الكنيسة القبطية.

(٧) كانت بنطس ولاية فى شمال آسيا الصغرى متاخمة للبحر الأسود.

(١٠) ويضيف إلى هذا ما يأتى:

«وقد كتبنا أيضا مؤلفا ضد كل الهرطقات التى وجدت، ونحن مستعدون أن نقدمه إليك إن أردت الإطلاع عليه».

(١١) وقد نجح جدا يوستينوس هذا فى نضاله ضد اليونانيين، ووجـه أحاديث متضمنة احتجاجا ودفاعـا عن ايماننا إلى الامبـراطور أنطونيوس الملقب بيـوس، وإلى مجلس الأعـيان الرومـانى، لأنه كان يعيش فى روما. وفى دفاعه بين فى الكلمات التالية شخصيته ومن أين كان:

الفصل الثانى عشر

دفاع يوستينوس الموجه إلى أنطونيوس

(١) «إلى الامـبـراطور تيطـس أليـوس أدريان أنطونينوس بيــوس قـيـصـر أوغـسطس، وإلى فيريسيموس[١] ابنه الفيلسوف، وإلى لوسيـوس الفيلسوف ابن قيصر بالولادة وابن بيوس بالتبنى، محب الاطلاع، وإلى مجلس الأعيان المقدس، وإلى كل الشعب الرومانى».

«أنا يوستينوس ابن بريسكوس وحفيد باكيوس الذى من فلافيا نيابوليس فى فلسطين سوريا، أوجه هذا الخطاب والالتماس نيابة عن المبغضين والمضطهدين ظلما فى كل أمة، وأنا واحد منهم.

وإذ علم نفس الامـبراطور من بعض الاخـوة والآخريـن فى اسيـا عن الالام المتنوعة التى كـانوا يكابدونها من سكان الاقليم، رآه مناسبا أن يوجه الأمر التالى إلى الجمعية العامة فى آسيا.

(١) أى مرقس أوريليوس الذى كان أسمه الأصلى مرقس انيـوس فيروس، ولكن بعد أن تبناه الامبراطور أنطونينوس بيوس سمى مرقس اليوس أوريليوس فيروس قيصر. وقد دعى فيريسيموس دلالة على اخلاصه وأمانته.

الفصل الثالث عشر

رسالة أنطونينوس إلى الجمعية العامة فى آسيا بصدد تعاليمنا[١]

(١) «الامبراطور قيصر مرقس أوريليوس أنطونينوس أوغسطس، أرمينيكوس بونتيفكس مكسيموس، المحامى عن حقوق عامة الشعب للمرة الخامسة عشر، والوالى للمرة الثالثة، إلى الجمعية العامة فى آسيا، سلام.

(٢) «وأنا أعلم أيضا أن الآلهة تحرص على أن لا يفلت أشخاص كهؤلاء من المراقبة. لأنها تعاقب بالأحرى من يرفضون عبادتها أكثر مما تفكرون.

(٣) «ولكنكم تدفعونهم إلى الفوضى والأضطرات، وبينما تتهمونهم بالكفر فأنكم إنما تثبتونهم فى معتقداتهم. والواقع أنه أحب اليهم عندما يتهمون أن يظهروا بأنهم يفضلون الموت من أجل الههم عن أن يعيشوا. لذلك يخرجون ظافرين منتصرين عندما يضحون بحياتهم بدلا من الخضوع لأوامركم.

(٤) أما عن الزلازل التى حدثت ولا تزال تحدث[٢] فلست أراه من غير المناسب أن أقدم لكم النصحية أنتم الذين تخور عزائمكم كلما حدثت، وقد تعودتم بالرغم من هذا أن تقارنوا تصرفاتكم بتصرفاتهم.

(٥) «والواقع أنهم يزدادون ثقة فى الله. أما أنتم ففى كل الوقت تتجاهلون - تجاهلا ظاهرا - الإلهة الأخرى وعبادة الإله الأبدى، وتضايقون وتضطهدون حتى الموت المسيحيين الذين يعبدونه.

(٦) «أما عن هؤلاء الأشخاص فقد كتب الكثيرون من حكام الولايات أيضا إلى أبينا الكلى الاحترام الذى رد عليهم بأن لا يزعجوا هذا الشعب إلا إذا ظهر بأنهم يدبرون شيئا ضد مصلحة الحكومة

---

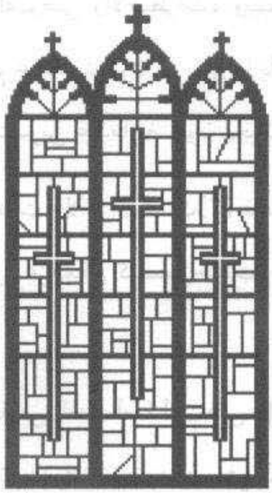
(١) يقال أن هذه الرسالة مزيفة لأنها تناقض كل ما نعرفه عن علاقة المسيحية بالدولة فى ذلك العصر.

(٢) حدثت عدة زلالزل فى اسيا الصغرى وفى رودس أثناء حكم أنطونينوس بيوس وكانت تتخذ ذريعة لتنكيل بالمسيحين الذين كانوا يعتبرون مسئولين عنها وعن غيرها من المصائب الأخرى.

الرومانيـة ·[٣] وأنا شخـصيا قـد وصلتنى رسائل من الكثـيرين عن هؤلاء الناس، ورددت عليـها بنفس الطريقة التى رد بها أبى ·

(٧) «أما أن أصر على تقـديم أية تهمة ضد أى واحد من هذا الشـعب مثل هذه التهم وجب أن يبدأ المتهم من التهمة حتى أن اتضح أنه واحد منهم · أمـا مقدم الاتهام فيجب أن يعاقب، نشر هذا الأمر فى أفسس فى الجمعية العامة بآسيا» ·

(٨) ويشهد لهذه الأمـور ميليتو[٤] أسقف كنيسة سـاردس، وهو رجل اشتهر فى ذلك الوقت، كما يتضح من كلماته فى الاحتجاج الذى وجهه إلى الامبراطور فيروس دفاعا عن تعاليمنا ·



(٣) فمن هذه الردود ذلك الأمر الذى أصدره أدريان · انظر ف ٩ ·

(٤) بخصوص ميليتو وكتاباته انظر ف ٢٦ ·

الفصل الرابع عشر

الظروف التى روِيت عن بوليكاربوس صديق الرسل

(١) وفى ذلك الوقت، إذ كـان أنيسيتوس[١] يرأس كنيسة روما، يروى ايريناوس أن بوليكاربوس، الذى كان لا يزال عائشا، كان فى روما، وأنه تباحث مع أنيسيتوس عن موضوع يتصل بيوم عيد الفسح٠[٢]

(٢) وقد قدم نفس الكاتب رواية أخرى عن بوليكاربوس، أراه من الضرورى أن أضيفها لتلك الرواية السابق تدوينها عنه٠ أما هذه الرواية فمقتبسة من الكتاب الثالث من مؤلف ايريناوس «ضد الهرطقات» وهى كما يلى:

(٣) «أما بوليكاربوس فأنه لم يتلق تعليمه من الرسل فقط ويتعرف على الكثيرين ممن زاروا المسيح، بل أن الرسل أيضا أقاموه فى آسيا أسقفا على كنيسة أزمير٠[٣]

(٤) «ونحن أيضا رأيناه فى فجر شبابنا، لأنه عمر طويلا، ومات فى شيخوخة متقدمة جدا ميتة استشهاد مجيد،[٤] بعد أن نادى بصفة مستمرة بما تعلمه من الرسل من التعاليم التى سلمتها إلينا أيضا الكنيسة، والحقيقة دون سواها٠

(٥) «يشهد لهذه الأمور كل كنائس آسيا، ويشهد أيضا أولئك الذين إلى عصرنا هذا خلفوا بوليكاربوس الذى كان شاهدا للحق أكثر أمانة واخلاصا من فالنتينوس ومركيون وسائر الهراطقة٠ وهو أيضا كان فى روما فى عصر انيسيتوس، وحول كثيرين عن المضلين السابق ذكرهم إلى كنيسة الله، معلنا أنه تسلم من الرسل هذه الطريقة الواحدة الوحيدة للحق الذى سلمته الكنيسة٠

---

(١) بخصوص انيسيتوس انظر ف ١١ وقد ظل أسقفا من سنة ١٥٤ إلى سنة ١٦٥م على الأرجح٠

(٢) بخصوص المنازعات فى الكنيسة الأولى عن عيد الفصح أنظر ك ٥ : ٢٣ ومع أن بوليكاربوس وانيسيتوس لم يصلا إلى اتفاق فى هذا الموضوع كما يتضح من ك ٥ ف ٢٤ إلا أنهما ظلا صديقين٠

(٣) فى آسيا الصغرى٠ وهى أحدى السبع كنائس المذكورة فى سفر الرؤيا (١ : ١١ ، ٢ : ٨ - ١١)٠

(٤) بخصوص سنة وتاريخ موته أنظر الفصل التالى٠ وقد ورد وصف كامل عن استشهاده فى الرسالة إلى كنيسة أزمير، الوارد ذكرها فى الفصل التالى أيضا٠

(٦) «وهنالك من سمعوا منه أن يوحنا تلميذ الرب، إذ أراد الاستحمام فى أفسس، ورأى كيرنثوس داخل الحمام، غادره فى الحال دون أن يستحم صارخا: لنهرب لئلا يسقط الحمام لأن كيرنثوس عدو الحق بداخله.[٥]

(٧) «وبوليكاربوس نفسه إذ رآه مرة مركيون وقال له: أتعرفنا، أجاب أنا أعرف أول مواليد الشيطان. هكذا كان حرص الرسل وتلاميذهم، حتى أنهم كانوا يرفضون مجرد الحديث مع من يقبلون الحق، كما قال بولس أيضا:[٦] الرجل المبتدع بعد الانذار مرة ومرتين أعرض عنه. عالما أن مثل هذا قد أنحرف وهو يخطىء محكوما عليه من نفسه.

(٨) «هنالك أيضا رسالة قوية جدا لبوليكاربوس كتبت إلى أهل فيلبى[٧] يستطيع كل من أراد، وكل من يعنى بأمر خلاص نفسه، أن يتعلم منها طريقة ايمانه والكرازة بالحق».

(٩) هذه هى رواية ايريناوس. على أن بوليكاربوس فى رسالته إلى أهل فيلبى السابق ذكرها، والتى لا تزال موجودة، قد استقى بعض الشهادات من رسالة بطرس الأولى.

(١٠) وعندما أكمل أنطونينوس المدعو بيوس السنة الثانية والعشرين من حكمه[٨] خلفه ابنه مرقس أوريليوس فيروس، الذى كان يدعى أيضا أنطونينوس، مع أخيه لوسيوس.[٩]

---

(٥) انظر ك ٣ ف ٢٨.

(٦) (تى ٣ : ١٠ و ١١).

(٧) لا تزال موجودة وهي الوحيدة الباقية من كتابات بوليكاربوس.

(٨) حكم من ٣ يولية سنة ١٣٨ إلى ٧ مارس سنة ١٦١م.

(٩) تبنى كلاهما أنطونينوس بيوس.

الفصل الخامس عشر

استشهاد بوليكاربوس وآخرين فى أزمير فى عهد فيروس[1]

(١) وفى ذلك الوقت، عندما حلت بآسيا أعنف اضطهادات، أنهى بوليكاربوس حياته بالاستشهاد. وأننى أراه ضروريا جدا أن ندون هنا قليلا عن موته الذى لا تزال بعض الكتابات عنه باقية إلى الآن.

(٢) هنالك رسالة كتبت باسم الكنيسة التى ترأسها هو نفسه[2] إلى أبروشيات بنطس، سردت الحوادث التى حلت به فى الكلمات التالية:

(٣) «كنيسة الله القائمة فى أزمير إلى كنيسة الله القائمة في فيلوميليوم[3] وجميع أبروشيات الكنيسة الجامعة المقدسة فى كل مكان. لتكثر لكم الرحمة والسلام والمحبة من الله الآب وربنا يسوع المسيح. نكتب إليكم أيها الأخوة وصف ما حدث لمن استشهدوا، وللمغبوط بوليكاربوس الذى وضع حدا للاضطهاد إذ ختمه باستشهاده».

(٤) وبعد هذه الكلمات، وقبل التحدث عن بوليكاربوس، دونوا الحوادث التى حدثت مع باقى الشهداء، ووصفوا الثبات العظيم الذى أظهروه وسط آلامهم. لأنه يقال ان الواقفين ذهلوا إذ رأوهم يمزقون بالسياط التى وصلت إلى العروق والشرايين، حتى انكشفت أجزاء الجسم الداخلية، أحشاؤهم وأعضاؤهم. وبعد ذلك وضعوا على أصداف البحر وأسياخ مدببة، وتعرضوا لكل أنواع القصاص والتعذيب، وأخيرا ألقوا كطعام إلى الوحوش.

(٥) ودونوا أيضا أن جرمانيكوس، الرجل الفاضل الوقور، وكان ذا شخصية ممتازة، تغلب بنعمة الله على مخاوف الموت الجسدى المتأصلة بالطبيعة. وعندما أراد الوالى اقناعه بأن يشفق على شبابه، إذ كان حديث السن وقوى البنية، لم يتزعزع، بل جذب الوحش إليه وأهاجه وأغاظه لكى يهجم عليه، حتى يتخلص بأسرع ما يمكن من حياتهم الدنسه الفاسدة.

---

(١) أى مرقس أوريليوس فيروس.

(٢) أى كنيسة أزمير.

(٣) كانت مدينة هامة فى فريجية قريبة من أنطاكية بيسيدية.

(٦) وبعد موته المجيد تعجبت الجماهير من شجاعة الشهيد محبوب الله، ومن بسالة وثبات كل جماعة المسيحيين وبدأوا يصرخون فجأة:

«أبعدوا الكفرة. وليبحث عن بوليكاربوس».

(٧) وعندما حدث شغب عظيم بسبب هذا الصراخ، ورأى الوحوش والتعذيب المتزايد رجل فريجي يدعى كينتوس أتى حديثا من فريجية، ملأ الجبن قلبه وعدل عن أن ينال الخلاص.

(٨) على أن الرسالة السابق ذكرها تبين بأنه تسرع بدون روية، واندفع مع غيره إلى كرسي القضاء. ولكن عندما ألقى القبض عليه قدم دليلا واضحا أمام الجميع بأنه ليس من الحكمة أن يعرض هؤلاء الناس أنفسهم للخطر بهذا التسرع. وهكذا كانت نتيجة هذه الأمور بالنسبة إليهم.

(٩) أما بوليكاربوس العجيب جدا فأنه عندما سمع أولا بهذه الأمور ظل ثابتا لا يتزعزع، وبقى عقله هادئا، وعزم على الاستمرار فى المدينة. ولكن إذ أقنعه أصدقاؤه ونصحوه وتوسلوا إليه أن يعتزل سرا خرج إلى مزرعة لا تبعد كثيرا عن المدينة، ولبث هناك مع قليل من رفاقه، لا يفعل شيئا سوى أن يصارع ليلا ونهارا مع الرب بالصلاة، متوسلا ومتضرعا وطالبا السلام للكنائس فى كل العالم. لأن هذه كانت عادته دواما.

(١٠) وقبل القاء القبض عليه بثلاثة أيام، إذ كان يصلى، رأى فى رؤيا ليلا أن الوسادة التى تحت رأسه تحترق فجأة، ثم التهمتها النيران. وإذ استيقظ فسر الرؤيا فى الحال للحاضرين، وأنبأهم بما كان مزمعا أن يحصل، وصرح بكل وضوح لمن كانوا معه بأنه من الضرورى له أن يموت بالنار من أجل المسيح.

(١١) وإذ كان الذين يجدون فى البحث عنه يشتدون فى التفتيش، اضطر ثانية، تحت ضغط ورجاء الأخوة، للذهاب إلى مزرعة أخرى، فذهب إليها مطاردوه بعد وقت قصير، وألقوا القبض على اثنين من الخدم هناك، وعذبوا أحدهما، بقصد أن يعرفوا منه المكان الذى أختبأ فيه بوليكاربوس.

(١٢) وإذ أتوا فى المساء وجدوه مضطجعا فى عليته، بينما كان ممكنا له الذهاب معها إلى منزل آخر، ولكنه رفض قائلا «لتكن مشيئة الله».

(١٣) وتقول الرواية أنه إذ علم بوجودهم نزل إليهم وتكلم معهم بوجه باش رقيق، حتى أن الذين لم يكونوا يعرفونه من قبل ظنوا أنهم قد شاهدوا معجزة لما لا حظوا تقدمه فى السن ومقدار ثباته العجيب، وتعجبوا من بذل مجهود عنيف كهذا لالقاء القبض على شخص كهذا.

(١٤) أما هــو فلم يتـزعزع، بل أمر فى الحـال أن تمد لهـم مـائدة، ثم دعـاهم للتناول مـن طـعام فاخر، وطلب منهم ساعـة واحدة حتى يصلى بلا انزعاج. ولما أذنوا له وقف وصلى ممتلئا من نعمة الرب، حتى ذهل الحاضرون الذين سمعـوه يصلى، وأسف الكثيرون منهم على أن شيخا وقورا وصالحا كهذا يحكم عليه بالموت.

(١٥) وعلاوة على هذه الأمور تقدم لنا الرواية المتعلقة به الوصف التالى:

«ولكنه إذ انتهى أخيرا من صـلاته، بعد أن ذكر من سـبق أن اتصل به، صغـيرا كان أم عظيـما جليلا، ذائع الصيت أم خاملا، وبعد أن ذكر الكنيسة الجامعة فى كل العالم، وإذ كانت ساعة الرحيل قد دنت، وضعوه على حمار، وأتوا به إلى المدينة، وكان فـى ذلك اليوم سبت عظيم.[٤] فقابله هيرودس، ضابط البوليس، وأبوه نيسيتس الذى أخذه إلى عربتـهما، وإذ جلس بجانبه حاول اقناعه قائلا: أى ضرر أن قلت الرب قيصر، وقدمت له الذبائح، ونجيت نفسك؟.

(١٦) وفى بادىء الأمر لم يجب، ولكنهما لما أصرا قـال: أننى لن أفعل ما أشرتما به. ولما فشلا فى اقناعه نطقـا بكلمات مروعـة، ودفعاه إلى أسـفل بشدة، حتى أنه لـما نزل من العربة تسلخت قصـبة رجله. ودون أن يبدى أية حـركة سار فى طريقـه كأنما لم يحدث له شىء، فـأخذ إلى مسـرح الوحوش الضارية.

(١٧) «على أنه كانت فى المسرح ضوضاء بحيث لم يسمع إلا القليلون صوتا من السماء أتى إلى بوليكاربوس أثناء دخوله المكان قائلا: تقو يا بوليكاربوس وكن رجلا. على أنه لم ير أحد المتكلم، ولكن سمع الصوت الكثيرون من شعبنا.

(١٨) «وعندما اقـتيد إلى الأمام حـدثت ضوضاء شـديدة إذ سمعوا أن بوليكاربوس قـد أخذ. وأخيرا، عندما صـعد، سأله الوالى عما إذا كان هو بوليكاربوس، وعندما اعـترف بأنه هو، حاول اقناعه على أن ينكر قائلا: «احترم شيخوختك»، وأقوالا أخرى اعتادوا قولها:

(١٩) «احلف بذكاء قيصـر، تب وقل ابعدو أيها الكفرة. أما بوليكاربوس فـتطلع بوجه مشرق إلى كل الجماهيـر المجتمعين بالمسرح، ولوح لهم بيـديه، وأن، رفع عينيه إلى السماء وقـال: ابعدوا أيها الكفرة.

---

(٤) أى السبت المتوسط بين الجمعة العظيمة وعيد القيامة.

(٢٠) «ولكن لما شدد عليه القاضى وقال: «احلف فأطلق سراحك، اشتم المسيح قال بوليكاربوس «ستة وثمانين سنة خدمته ولم يفعل لى ضررا، فكيف أجدف على ملكى الذى خلصنى.

(٢١) «ولكنه لما أصر ثانيه وقال: «احلف بذكاء قيصر»، أجاب بوليكاربوس: «أن كنت تتوهم أننى سأحلف بذكاء قيصر كما تقول متظاهرا بأنك تجهل من أنا فاسمع بكل بوضوح: أننى مسيحى. أما أن كنت تريد تعلم تعاليم المسيحية فحدد يوما واسمع.

(٢٢) «فأجاب الوالى: «اقنع الشعب». أما بوليكاربوس فقال: «من جهتك أنت قد حسبتك خليقا بأن أقدم لك ايضاحا، لأننا تعلمنا أن نقدم الأكرام الواجب للرؤساء والسلاطين المرتبة من الله. طالما كان ذلك لا يسبب لنا ضررا. أما من جهة هؤلاء فلست أحسبهم خليقين بتقديم دفاعى إليهم.

(٢٣) «ولكن الوالى قال. «لدى وحوش مفترسة، ولابد من طرحك إليها أن لم تتب». أما هو فقال: «أئت بها، لأن التوبة والتغيير من أحسن لأردأ أمر لا نستطيع أن نأتيه. ولكنه أمر نبيل الرجوع من الشر إلى البر.

(٢٤) «ولكنه قال له ثانية: «أن كنت تستخف بالوحوش فسأجعل النيران تلتهمك إلا أن تبت». فقال بوليكاربوس: «أنك تهددنى بالنار التى تشتعل ساعة وبعد قليل تنطفىء، لأنك لا تعرف نار الدينونة العتيدة والقصاص الأبدى المحفوظ للاشرار. ولكن لماذا تتباطأ، افعل ما بدا لك.

(٢٥) «وإذ قال هذا وكلمات أخرى مماثلة امتلأ شجاعة وفرحا، وطفحت النعمة على وجهه، حتى أنه لم يقف عند حد عدم الخوف من الكلمات التى قيلت له، بل بالعكس ذهل الوالى وبعث برسوله ليذيع ثلاث مرات وسط المسرح: «لقد اعترف بوليكاربوس أنه مسيحى».

(٢٦) «وعندما أذاع الرسول هذا صرخ كل الجمهور، يهودا وأممين، الساكنين فى أزمير، بغضب لا حد له وبصوت مرتفع: «هذا معلم أسيا، أب المسيحيين، هادم آلهتنا، الذى يعلم الكثيرين بعدم تقديم الذبائح لها وعدم عبادتها.

(٢٧) «ولما قالوا هذا صرخوا وطلبوا من فيلبس الأسيوى[٥] أن يطلق أسدا على بوليكاربوس. أما هو فقال أنه لا يحل له ذلك لأنه أغلق أبواب الملاعب. وعندئذ وجدوا أنه من المناسب أن يصرخوا بنفس واحدة بحرق بوليكاربوس حيا.

---

(٥) رئيس كهنة آسيا ومدير الملاعب.

(٢٨) «لأنه كان ضروريا أن تتم الرؤيا التى رآها عن وسادته، حينما رآها تشتعل وهو يصلى والتفت وقال بروح النبوة للمؤمنين الذين كانوا معه· لابد أننى سأحرق حيا·

(٢٩) «هذه الأمور بمنتهى السرعة - أسرع مما قيلت - وللحال شرعت الجماهير فى جمع أخشاب وحطب من المصانع والحمامات، وكان اليهود أشد غيرة وحماسة فى هذا أمر كعادتهم·

(٣٠) «وعندما أعدت الكومة خلع ثيابه الخارجية وحل منطقته وحاول أيضا خلع حذائه، مع أنه لم يفعل هذا من قبل أبدا بسبب تنافس المؤمنين دواما لكى يلمس كل منهم جسده أولا· فقد كان يعامل بكل اكرام واحترام بسبب حياته الفاضلة حتى قبل أن يشيب شعره·

(٣١) «ومن ثم وضعت حوله المواد المعدة للكومة، ولما أرادوا تسميره على القائمة قال: اتركونى كما أنا لأن الذى منحنى القوة لتحمل النار لابد أن يمنحنى أيضا القوة للثبات فى النار غير متزعزع دون أية حاجة لتسميرى· وهكذا لم يسمروه بل أوثقوه·

(٣٢) «أما هو فإذ أوثق ويداه خلفه كخروف كريم أخذ من قطيع عظيم، ذبيحة مقبولة لله القادر على كل شىء، قال:

(٣٣) «يا أبا ابنك الحبيب المبارك يسوع المسيح، الذى منه قبلنا معرفتك، إله الملائكة والقوات وكل الخليقة وكل جماعة الأبرار الذين يعيشون فى حضرتك، أننى أباركك لأنك حسبتنى أهلا لهذا اليوم وهذه الساعة لكى أنال نصيبا مع الشهداء، فى كأس المسيح لقيامة الحياة الأبدية للنفس والجسد فى خلود الروح القدس·

(٣٤) «ليتنى أقبل أمامك اليوم بين هؤلاء، فى ذبيحة غنية مقبولة، كما سبقت فأعددت أنت وأعلنت وأكملت أيها الاله الحق الأمين·

(٣٥) «لذلك أسبحك أيضا من أجل كل شىء، أباركك، أمجدك برئيس الكهنة الأزلى يسوع المسيح ابنك الحبيب، الذى يليق لك به ومعه فى الروح القدس المجد الآن وإلى كل الدهور آمين·

(٣٦) «ولما قال آمين، واكمل صلاته، أشعل النار الرجل المختص، فاشتعلت لهب شديدة، ونحن الذين سمع لنا بمشاهدة الموقف رأينا عجبا، وقد أبقينا إلى الآن لكى نروى للاخرين ما حدث·

(٣٧) «لأن النيران عملت شكل قبو كشراع مركب امتلأ ريحا، وصنعت سورا حول جسد الشهيد، فكان فى الوسط لا كجسد يحتقر بل كذهب وفضة يحمصان فى بوتقة· ولاحظنا رائحة عطرية كرائحة البخور أو رائحة عطور زكية أخرى·

(٣٨) «وأخيرا عندما رأى الأشرار أن الجسد لم تلتهمه النار أمروا الشخص المكلف بعملية الحرق أن يقترب منه ويطعنه بالسيف.

(٣٩) «وإذ فعل هذا خرجت كـمية من الدم أطفأت النار حـتى ذهل كل الجمع أن يكون هنالك مثل هـذا الفارق العظيم بين غـير المؤمنين وبين المخـتارين الذين كـان هذا الشخص واحـدا منهم، وهو أعجب معلم فـي عصرنا، هو الرسولى النبوى، الـذى كان أسقفا للكنيـسة الجامعـة فى أزمير. لأن كل كلمة خرجت من فمه تمت وسوف تتم.

(٤٠) «ولكن الحسود الشرير، خصم جماعة الأبرار، لما رأى عظمـة استشهاده وحياته الخالية من كل لوم منذ البداية، ولما رآه متوجـا بأكاليل عدم الفناء، ومختطفا لنفسه جـائزة مقررة حرص على أن لا ننتزع جسده رغم أن الكثيرين منا كانوا يتمنون ذلك، وكانوا يريدون أن تكون لهم شركة بجسده الطاهر.

(٤١) وبناء على هذا اقتـرح البعض سرا على نيـسيتس، أب هيـرودس وأخ السى، لكى يرجو القاضى أن لا يسلم جسـده لئلا يتركوا المصلوب ويعـبدوا هذا الرجل. هذا ما قالوه بايعـاز اليهود الذين كانوا يرقبوننا ونحن على وشك اختطاف جسده من النار، غير عالمين أننا نترك المسيح الذى تألم من أجل خلاص كل العالم، ولن نعبد آخر.

(٤٢) «لأننا نعبد ذاك الذى هو ابن الله، أما الشـهداء كتلاميذ الرب ومقتـفى آثاره، فاننا نحبهم لأنهم خليقون بهـذا بسبب محبتهم المنقطعـة النظير لملكهم ومعلمهم. فليتنا نحن أيضـا نصبح شركاءهم وزملاءهم فى التلمذة.

(٤٣) «ولما رأى قائد المائة منازعة اليهود أقامه فى الوسط وأحرقه كعادتهم. ومن ثم جمعنا فيما بعد عظامه التى كانت أثمن من الحجارة الكريمة، وأغلى من الذهب، ووضعناها فى مكان مناسب.

(٤٤) «هناك نرجو أن يسمح لنا الرب بأن نجتمع معا على قدر إمكاننا فى غبطة وانشراح لنحتفل بذكرى استشهاده[٦] احياء لذكرى من سبقوا أن جاهدوا، وتدريبا واعدادا لمن سوف يتمثلون بهم.

(٤٥) «هذه هى الحـوادث التى حـلت بالمغـبـوط بوليكاربوس الذى اسـتشـهـد فى أزميـر فى الأحـــد عشر الذين من فيلادلفيا. ويذكر الجميع هـــذا الرجل أكثر من الباقين، حتى أن الوثنيين أنفسهم يتحدثون عنه فى كل مكان».

(٦) قال ناشر الترجـمة الانكليزية: «هذه أقدم اشارة عن الاحتفـال بذكرى استشهاد الشهـداء، الأمر الذى اتبع فى الكنيسة فيما بعد. وهذا أمر طبيعى، ولم يكن مستغربا فى تلك العصور السحيقة».

(٤٦) هكذا حسب بوليكاربوس، العجيب، الرسولى، مستحقا لنهاية كهذه، كما دونه الأخوة فى كنيسة أزمير برسالتهم السابق ذكرها. وفى نفس المجلد الخاص به أضيفت استشهادات أخرى تمت فى نفس المدينة، أزمير، فى نفس وقت استشهاد بوليكاربوس. بينهم مترودورس، الذى يبدو أنه ارتد عن الشيعة المركيونية واعتنق المسيحية، وقد مات محترقا بالنار.

(٤٧) وممن اشتهر بين الشهداء فى تلك الأوقات شخص يدعى بيونيوس. ومن يريدون معرفة اعترافاته المتعددة، وجرأته فى الكلام، واحتجاجاته دفاعا عن الايمان أمام الشعب والحكام، وخطاباته المليئة بالتعليم، وفضلا عن ذلك تحياته لمن استسلموا للتجربة أثناء الاضطهاد، وكلمات التشجيع التى وجهها إلى الأخوة الذين أتوا لزيارته فى السجن، والتعذيب الذى تحمله بالاضافة إلى الآلام والتسمير وثباته وهو على الكومة، وموته بعد كل المحن الشاذة - هؤلاء نحيلهم على تلك الرسالة التى كتبت عن استشهاد الأقدمين، والتى جمعناها، متضمنة وصفا كاملا عنه.

(٤٨) وهناك أيضا سجلات، لا تزال باقية، عن آخرين استشهدوا فى برغامس، وهى أحدى مدن آسيا، عن كاربس وبابيلس وامرأة تدعى أغاثونيس، هؤلاء الذين ختموا حياتهم بكيفية مجيدة بعد تقديم شهادات رائعة كثيرة.



الفصل السادس عشر

كرازة يوستينوس الفيلسوف بكلمة المسيح فى روما ، واستشهاده

(١) ونحو هذا الوقت[١] كلل بالاستشهاد الإلهى يوستينوس السابق ذكره أعلاه[٢] بعد أن وجه كتابا ثانيـا، دفاعا عن تعاليمنا. إلى الحـاكمين السابق ذكرهما. وقد استشهد نتيجـة لمؤامرة دبرها ضده كريسكينـس الفيلسوف الذى اقـتدى بحـياة وعادات الكلبيين[٣] الذين حمل اسـمهم. وبعـد أن دحره يوستينوس مرارا فى مناقشات عامة نال اكليل الظفر باستشهاده، ماتنا دفاعا عن الحق الذى كرز به.

(٢) وإذ كان مثقـفا جدا فى الحق فقد تنبـأ بوضوح، فى دفاعه السابق الإشارة إليـه، كيف كان هذا مزمعا أن يحل به، وذلك قبل حدوثه. وهاك كلماته:[٤]

(٣) «لذلك فـإننى إيضا أتوقع أن تدبر ضـدى المؤامرات وأوضع فى المقطرة[٥] علـى يدى أحد الذين ذكـرتهم، أو ربما على يدى كريسكينس، ذلك الـرجل الجاهل الأحمـق الغر. لأنه لا يسـتحق أن يدعى فيلسوفا من يشهـد علنا ضد من لا يعرف عنهم شيئا، مصرحا بأن المسيـحيين كفرة أشرارا، وذلك لمجرد تملق الجماهير وأرضائهم. وبهذا أخطأ خطأ فاحشا.

(٤) «لأنه إن هاجمنا دون قـراءة تعاليم المسيح برهن على سـفالة أخلاقـه، وعلى أنه أجهل من غير المتعلمين، الذين كثيرا ما يتاحشون أن يناقشـوا أمورا لا يعرفون عنها شيئا، أو يشهدوا عنها شهادات كاذبة. أما إن كان قد قرأها ولم يدرك مقدار مـا فيها من سمو، أو إن أدرك وإنما فعل هـذه الأمور لكى لا يتشكك الناس فيه بأنه مشايع لنا، صار أكثر سـفالة وانحطاطا، لاستعباده للمديح الباطل، والخـوف غير المعقول.

---

(١) أى مدة حكم مرقس أوريليوس ولوسيوس فيروس ١٦١ - ١٦٩م. (٢) ف ١١.

(٣) Cynics وهم جمـاعة يتهكمـون على الناس، لا يؤمنون بصلاح البشر، يسخـرون بالعالم مثل ديـوجينس الملقب بالكلبى.

(٤) احتجاجات يوستينوس ٢ : ٣ (٥) (اع ١٦ : ٢٤).

(٥) «لأننى أريدكما أن تعلما بأننى عندما اقترحت أسئلة معينة، ووجهتها إليه، علمت وبرهنت على أنه لا يعرف شيئا. وإن كانت أنباء هذه المناقشات لم تصل إليكما فإننى مستعد أن أبين بأننى أقول الحق، فأناقش الأسئلة ثانية فى حضوركم، وهذا أمر خليق بالامبراطور. [٦]

(٦) «أما إذا كنتما قد عرفتما أسئلتى وأجوبته فلا بد أن يكون قد اتضح لكما أنه لا يفقه شيئا عن شئوننا. أما أن كان يعرف ولكنه لم يتجاسر على الكلام بسبب سامعيه فقد برهن على أنه - كما قلت - ليس فيلسوفا بل مفتخرا بما ليس عنده، لايراعى ذلك القول المأثور العجيب الذى لسقراط». [٧]

هذه هى كلمات يوستينوس:

(٧) أما أنه لقى حتفه، كما تنبأ، نتيجة لمؤامرات كريسكينس فهذا ما رواه تاتيان. [٨] الذى ألقى عدة محاضرات فى أوائل أيام حياته عن علوم اليونانيين ونال شهرة عظيمة فيها، والذى ترك ذكريات كثيرة جدا عن نفسه فى كتاباته. وقد سجل هذه الحقيقة فى مؤلفه ضد اليونايين حيث كتب ما يلى:

«وقد صرح بحق ذلك الرجل العظيم الجليل يوستينوس أن الأشخاص السابق ذكرهم كانوا كاللصوص».

(٨) وبعد ذكر بعض الملاحظات عن الفلاسفة يكمل حديثه كما يلى:

«أما كريسكينس الذى جعل وكره فى المدينة العظيمة فقد فاق الكل فى شهواته غير الطبيعية، وكان منكبا بجملته على محبة المال.

(٩) «وذاك الذى نادى باحتقار الموت كان هو نفسه فى أشد الفزع منه، حتى أنه سعى للحكم بالموت - كأمر فى غاية الشر - على يوستينوس، لأن هذا الأخير (أى يوستينوس) برهن، عند الكرازة بالحق، على أن الفلاسفة شرهين ودجالين».

---

(٦) أى خليق بالامبراطور أن تعاد المناقشة فى حضوره ليتبين الحق.

(٧) هذا القول هو «يجب أن لا يكرم المرء قبل الحق» ولعله كان متداولا كثيرا لدرجة أنه لم تكن هنالك حاجة لذكره.

(٨) بخصوص تاتيان وكتاباته انظر ف ٢٩.

الفصل السابع عشر

الشهداء الذين كرمهم يوستينوس فى كتاباته

(١) ويذكر نفس الشخص - قبل نضاله - فى احتجاجه الأول أشخاصا آخرين استشهدوا قبله، ويدون الحوادث التالية فيكتب هكذا:

(٢) «كانت هنالك امرأة تعيش مع زوج فاسد، وكانت هى نفسها فيما قبل تماثله فى أخلاقه. ولكنها عندما وصلت إلى معرفة تعاليم المسيح استقامت أخلاقها، وحاولت اقناع زوجها أيضا لتقويم أخلاقه، مكررة التعليم، ومعلنة القصاص فى النار الأبدية التى سوف تحل بمن لا يعيشون باستقامة وتعقل.

(٣) «أما هو فاذ استمر فى شروروه أبعد عنه زوجته بسلوكه. لأنها رأت أخيرا أنه من الخطأ أن تعيش مع مستهتر منغمس فى الملذات، فرغبت فى أن تطلق منه.

(٤) «وعندما توسل إليها أصدقاؤها الذين نصحوها بالبقاء معه، على أساس أنه قد يوجد رجاء فى اصلاح زوجها، ضغطت على نفسها وبقيت معه.

(٥) «ولكن عندما ذهب زوجها إلى الإسكندرية، ووصلت الأنباء عنه أنه يسلك أسوأ مما كان، فإنها لكى لا تعتبر شريكة فى دعارته بالبقاء فى علاقة زوجية معه، أعطته ما نسميه وثيقه طلاق وتركته.

(٦) «أما زوجها النبيل فبدلا من أن يفرح، كما كان منتظرا، لتركها تلك التصرفات الماجنة الخليعة التى كانت ترتكبها سابقا مع الخدم والاجرى وقت أن كانت تلتذ بالسكر وكل رذيلة، ولرغبتها فى أن يقلع هو أيضا عن هذه التصرفات - قدم ضدها تهمة بأنها مسيحية، وذلك عندما تركته رغم ارادته.

(٧) «وقد التمست منك أيها الامبراطور أن يسمح لها بتدبير أمورها أولا، ثم دفاعها عن التهمة بعد ترتيب أمورها فاذنت لها بذلك.

(٨) «أما زوجها، إذ عجز عن متابعتها، فقد وجه هجماته ضد بطليموس الذى لقنها التعاليم المسيحية، والذى أوقع به القصاص أوربيكيوس. ثم يتابع حديثه عنه قائلا:

(٩) «أنه اقنع قائد مائة، كان صديقا له، ليزج ببطليموس فى السجن، ويوجه إليه هذا السؤال الوحيد: هل أنت مسيحى؟ أما بطليموس، الذى كان محبا للحق، ولا يميل للخداع، فقد اعترف بأنه مسيحى، وللحال أوثقة قائد المائة وأوقع به قصاصا شديدا مدة طويلة فى السجن.

(١٠) «وأخيرا عندما جىء به أمام أوربيكيوس سئل هذا السؤال الوحيد مرة أخرى هل أنت مسيحى؟ وإذ كان يدرك البركات التى تمتع بها بسبب تعاليم المسيح اعترف بأنه تلميذ فى الفضيلة الإلهية.

(١١) «لأنه كل من ينكر أنه مسيحى، فهو يفعل ذلك أما لاحتقاره المسيحية، أو هو يتجنب الاعتراف لشعوره بأنه غير أهل لها وأنه غريب عنها. وكلا الحالين لا ينطبقان على المسيحى الحقيقى.

(١٢) «وعندما أمر أوربيكيوس بأن يؤخذ للتأديب كان هنالك شخص اسمه لوسيوس وهو مسيحى أيضا. وهذا إذ رأى أن الحكم صدر ظلما قال لأوربيكيوس: لماذا تحكم بقصاص هذا الرجل الذى ليس بزان ولا عاهر ولا قاتل ولا لص ولا محتال، ولا تثبت عليه أية جريمة على الاطلاق، ولكنه انما اعترف بأنه يحمل اسم مسيحى؟ أنك يا أوربيكيوس لا تحكم بما يرضى الامبراطور بيوس، أو ابن قيصر الفيلسوف، أو مجلس الأعيان المقدس.

(١٣) «فرد على لوسيوس بهذه الاجابة الوحيدة: يبدو لى بأنك أنت أيضا تشبهه. ولما قال لوسيوس: يقينا إننى كذلك، أمر بأن يؤخذ هو أيضا إلى التعذيب. أما هو فقد شكره لتحرره من حكم أشرار كهؤلاء، وذهابه إلى الله الاب الصالح والملك العادل. وإذ تقدم شخص ثالث آخر حكم عليه بالتعذيب».

(١٤) وإلى هذا يضيف يوستينوس بلباقة الكلمات التالية السابق اقتباسها قائلا «أنا أيضا أتوقع أن تدبر ضدى المؤامرات على يدى أحد الذين ذكرت أسماءهم» إلخ.

الفصل الثامن عشر

مؤلفات يوستينوس التى وصلت إلينا

(١) لقد ترك لنا هذا الكاتب آثارا كثيرة عن عقل تهذب وتدرب فى الالهيات المليئة بكل ما هو نافع من كل نوع. وسوف نحيل إليها محبى الاطلاع والبحث، ذاكرين فقط ما وصل إلى علمنا منها.

(٢) هنالك بحث له، دفاعا عن عقيدتنا، موجه إلى أنطونينوس المقلب بالصالح، وإلى أبنائه، وإلى مجلس الأعيان الرومانى. وهنالك مؤلف آخر يتضمن احتجاجه الثانى، دفاعا عن ايماننا، قدمه إلى خليفة الامبراطور السابق ذكره الذى حمل نفس الاسم أنطونينوس فيروس، وهو الذى نتحدث الآن عن عصره.

(٣) هنالك مؤلف آخر ضد اليونانيين يناقش فيه بتوسع معظم المسائل المختلفة عليها بيننا وبين فلاسفة اليونانيين، ويبحث فيه كذلك عن طبيعة الشياطين. ولا يلزمنى أن أزيد هنا شيئا عن هذه الأمور.

(٤) وهنالك أيضا مؤلف آخر له ضد اليونانيين وصل إلينا، أطلق عليه اسم «التنفيذ». وعلاوة على هذه يوجد مؤلف آخر عن «عظمة الله وسلطانه» بناه لا على كتبنا المقدسة فحسب بل أيضا على كتب اليونانيين.

(٥) وغير هذه يوجد كتاب اسمه «المزامير»، وبحث آخر عن النفس، بسط فيه عدة مسائل عن موضوعه، وبعد ذلك بين آراء فلاسفة اليونان، ووعد بدحضها وتقديم رأيه هو فى مؤلف آخر.

(٦) وقد كتب أيضا محاورة ضد اليهود نشأت بينه وبين تريفو فى مدينة أفسس، وكان تريفو هذا من أبرز العبرانيين وقتئذ. وفيما يبين كيف دفعته النعمة الإلهية إلى الإيمان، وكيف جد فى طلب العلوم الفلسفية فيما قبل، وكيف تحمس فى طلب الحق.

(٧) وفى نفس الكتاب دون عن اليهود أنهم كانوا يتآمرون على تعاليم المسيح موجها نفس الأمر إلى تريفو «إنك لم تكتف بأن لا تتوب عن شرك الذى ارتكبته، ولكنك اخترت فى ذلك الوقت بعض أشخاص وأرسلتهم من أورشليم إلى كل الأرض ليذيعوا بأن هرطقة المسيحيين الفاسدة قد ظهرت فى

الوجود، ويتهموهم بتلك الأمور التى يلصقها بنا من يجهلوننا، وهكذا سيتم لا ظلم أنفسكم فحسب بل ظلم كل الأشخاص الأخرين».

(٨) وكتب أيضا بأنه إلى عصره أضاءت فى الكنيسة مواهب النبوة. وذكر رؤيا يوحنا قائلا بكل وضوح أنها تنسب إلى الرسول. ويشير إيضا إلى بعض اعلانات نبوية، ويتهم تريفو على أساس أن اليهود اقتطعوها من الكتاب المقدس، وهنالك مؤلفات أخرى كثيرة له لا تزال فى أيدى الكثيرين من الأخوة.

(٩) والمعتقد أن أبحاث الرجل كانت خليقة بالدرس حتى الأقدمين، حتى إن ايريناوس يقتبس الكثير من كلماته، فمثلا فى الكتاب الرابع من مؤلفه ضد الهرطقات كتب ما يلى:

«وحسنا قال يوستينوس فى مؤلفه ضد مركيون أنه لا يصدق الرب نفسه أن نادى باله آخر غير الخالق».

ويقول أيضا فى الكتاب الخامس من نفس المؤلف.

«حسنا قال يوستينوس أنه قبل مجىء الرب لم يجرؤ الشيطان على التجديف على الله، لأنه لم يكن يعرف إلى ذلك الوقت دينونته».

(١٠) هذا ما رأيته ضروريا أن أذكره لشحذ همة محبى الاطلاع والبحث لدراسة مؤلفاته باجتهاد. وإلى هنا يكفى ما ذكرناه عنه.

الفصل التاسع عشر

قادة كنيستى روما والإسكندرية أثناء حكم فيروس

وفى السنة الثامنة من حكم الامبراطور السابق ذكرة أقيم سوتير أسقفا لكنيسة روما، خلفا لانيسيتوس، الذى ظل فى مركزه أحدى عشرة سنة. وبعد أن رأس كيلاديون كنيسة الاسكندرية أربع عشرة سنة خلفه أغريبينوس.

الفصل العشرون

قادة كنيسة أنطاكية

وفى ذلك الوقت أيضا اشتهر ثيوفيلس سادس أسقف على كنيسة انطاكية من عهد الرسل. لأن كرنيليوس الذى خلف هيرو كان الرابع، وبعده أقيم ايروس أسقفا، وهو الخامس فى الترتيب.

الفصل الحادى والعشرون

كتّاب الكنيسة الذين ازدهروا فى تلك الأيام

وفى ذلك الوقت ازدهر فى الكنيسة هيجيسبوس الذى عرفناه مما سبق، وديونيسيوس أسقف كورنثوس، وأسقف آخر هو بينيتوس أسقف كريت. وعلاوة على هؤلاء فيلبس وابوليناريوس وميليتو وموسانوس وموديستوس وأخيرا ايريناوس. وقد وصل إلينا منهم - كتابة - الإيمان المستقيم الرأى، المسلم من التقاليد الرسولية.

الفصل الثانى والعشرون

هيجيسبوس والحوادث التى ذكرها

(١) لقد ترك لنا هيجيسبوس مجموعة كاملة من آرائه، وذلك فى كتبه الخمسة عن ذكرياته. فيها ذكر أنه فى رحلة إلى روما التقى بعدد كبير من الأساقفة، وتلقى من كل منهم نفس التعليم الذى تلقاه من الأخر. ومن المناسب أن نسمع ما يقوله بعد ابداء بعض الملاحظات عن رسالة أكليمنضس إلى كورنثوس. وهاك كلماته:

(٢) «وظلت كنيسة كورنثوس فى الإيمان الحقيقى، حتى صار بريموس أسقفا لكورنثوس. وقد تحدثت معهم فى طريقى إلى روما، ومكثت مع الكورنثيين أياما كثيرة نلنا أثناءها انتعاشا متبادلا فى التعاليم الحقيقية.

(٣) وعندما جئت إلى روما بقيت هناك حتى عهد أنيسيتوس الذى كان اليوثيروس شماسه. أما أنيسيتوس فقد خلفه سوتير، وهذا خلفه اليوثيروس، فى كل خلافة وفى كل مدينة يؤمن الكل بما كرز به الناموس والأنبياء والرب».

(٤) ويصف نفس الكاتب بداية الهرطقات التى نشأت فى عصره فى الكلمات التالية: «وبعد أن استشهد يعقوب البار كما قتل الرب من قبل، أقيم سمعان بن كلوبا عم الرب[١] ثانى أسقف. وقد رشحه الجميع لكى يقام ثانى أسقف لأنه كان ابن عم الرب.

«ولذلك دعوا الكنيسة عذراء لأنها لا تكن بعد قد تلوثت بالمباحثات الباطلة.

(٥) «ولكن ثيبوثيس بدأ يدنسها لأنه لم يرسم أسقفا. وهو أيضا نشأ من الشيع السبعة بين الشعب كسيمون[٢] الذى نشأ عنه السيمونيون، وكليوبيوس الذى نشأ عنه الكليوبيون، ودوسيثيوس الذى نشأ عنه الدوسيثيون، وجورثيوس الذى ينتمى إليه الجورثيون، ومسبوثيوس الذى ينتمى إليه المسبوثوين. وعهم نشأ الميناندريون والمركيونيون والكاربوكراتيون والفالنيانيون والباسيليديون والساتورنيليون. وقد أدخل كل منهم آراءه العجيبة سرا وعلى انفراد. ومنهم خرج المسحاء الكذبة. والأنبياء الكذبة، والرسل الكذبة، والذين مزقوا وحدة الكنيسة بالتعاليم الفاسدة التى قيلت ضد الله ومسيحه».

(٦) ويدون نفس الكاتب أيضا الهرطقات القديمة التى نشأت بين اليهود، وذلك فى الكلمات التالية:

«وعلاوة على هذا كانت هنالك بين بنى اسرائيل آراء مختلفة عن الختان. وفيما يلى تجد أولئك الذين قاوموا سبط يهوذا والمسيح: الاسينيون والجليليون والحمورابيون والمسبوثيون والسامريون والصدوقيون والفريسيون».[٣]

وكتب عن أمور أخرى كثيرة سبق أن ألمحنا إليها جزئيا، متحدثين عن التفاصيل فى مكانها المناسب. واقتبس من الإنجيل إلى العبرانيين، السريانى اللغة، بعض فقرات باللغة العبرية مبينا أنه قد اهتدى إلى المسيحية من العبرانية، وذكر أمورا آخرى مقتبسة من تقليد اليهود غير المكتوب.

(٨) وقال عن «أمثال سليمان» بأنها هى الحكمة كلية الفضيلة، وشاركه فى هذا ايريناوس وكل جماعة الأقدمين. وعند التحدث عن الأسفار المسماة بالأبوكريفا قال أن بعضها كتب فى عصره بمعرفة بعض الهراطقة. ولكن لننتقل الآن إلى غيره.

(١) انظر ك ٣ ف ١١.

(٢) سيمون الساحر (انظر ك ٢ ف ١٣).

(٣) هؤلاء هم الشيع السبعة الوارد ذكرها فى الفقرة السابقة.

الفصل الثالث والعشرون

ديونيسيوس أسقف كورنثوس ، والرسائل التى كتبها

(١) وأولا يجب أن نتكلم عن ديونيسيوس الذى أقيم أسقفا لكنيسة كورنثوس والذى أغدق مجانا من أتعابه المباركة لا على شعبه فحسب بل أيضا على الذين فى البلاد الأجنبية، وقدم أعظم الخدمات للجميع فى الرسائل الجامعة التى كتبها إلى الكنائس.

(٢) وبين هذه رسالة كتبها إلى اللاسيدوميين[١] تتضمن بعض التعاليم فى الإيمان المستقيم (الأرثوزكسى)، ونصيحة للسلام والوحدة. ورسالة أخرى موجهة إلى الأثينيين حاثا اياهم على الإيمان والحياة المبينين فى الإنجيل الذى يتهمهم كاتب الرسالة بالتهاون به، كأنهم قد ارتدوا عن الإيمان منذ استشهاد قائدهم بابليوس الذى حدث أثناء الاضطهاد وقتئذ.

(٣) ويذكر أيضا كوادراتوس، مبينا أنه أقيم أسقفا لهم بعد استشهاد بابليوس، وشاهدا بأنهم بسبب غيرته قد اتحدوا معا وانتعش ايمانهم. ودون بأن ديونيسيوس الاريوباغى[٢] الذى تحول إلى الإيمان على يد الرسول بولس وفق ما هو مدون فى سفر أعمال الرسل[٣] قد نال الأسقفية أولا فى كنيسة أثينا.

(٤) كذلك لا تزال باقية رسالة أخرى له موجهة إلى أهل نيكوميديا يهاجم فيها بدعة مركيون ويدافع عن الحق.

(٥) وإذ كتب أيضا إلى الكنيسة التى فى جورتينا[٤] مع باقى الأبروشيات التى فى كريت يمتدح فيلبس أسقفهم بسبب أعمال البطولة التى قيل بأن الكنيسة التى يرأسها قد اتمتها، ويحذرهم من ضلالات الهراطقة.

(٦) وكتب إلى كنيسة التى فى أماستريس[٥] مع باقى كنائس بنطس، مشيرا إلى باتشيليدس والبستوس بانهما حثاه على الكتابة، ويضيف لذلك تفسيرا لبعض فقرات من الأسفار الإلهية، ويذكر أسقفهم المسمى بالماس. وقدم إليهم نصائح كثيرة عن الزواج والعفة، وأمرهم بقبول الذين يرجعون بعد أى سقوط سواء فى الاثم أو الهرطقة.

---

(١) هذا أول اشارة يذكر فيها تأسيس كنيسة فى لاسيديمون أى سبارطة.

(٢) انظر ك ٣ ف ٤.

(٣) أع ١٧ : ٣٤

(٤) مدينة شهيرة فى كريت كانت قديما مقرا لأسقفية. ويقول التقليد أن أول أسقف رسم عليها هو تيطس.

(٥) احدى مدن بنطس.

(٧) وذكر أيضا بين هذه رسالة أخرى موجهة إلى أهل نوسس[٦] ينصح فيها بينيتوس أسقف الأبروشية أن لا يلقى وهقا على الأخوة من جهة العفة، بل يراعى ضعف الشعب.

(٨) وإذ رد بينيتوس على هذه الرسالة أظهر اعجابه بديونيسيوس ومدحه، وبدوره نصحه لتقديم طعام أقوى فى بعض الأحيان، واطعام الشعب الذى تحت رعايته عندما يكتب ثانية بتعاليم أوفى، وذلك لكى لا يتغذوا دواما بهذه التعاليم البسيطة كاللبن، ولكن لا يشيخوا تحت هذه التعاليم المعدة للاطفال. فى هذه الرسالة أيضا وضح بصورة جلية جدا استقامة (أرثوذكسية) تعاليم بينيتوس فى الإيمان، وعنايته بخير من أوكلوا لرعايته، وسعة اطلاعه بالالهيات.

(٩) ولا تزال باقية أيضا رسالة أخرى كتبها ديونيسوس إلى أهل روما وموجهة إلى سوتير الذى كان أسقفا وقتئذ. ونحن لا نفعل شيئا أفضل من أن نضيف بعض فقرات من هذه الرسالة يمتدح فيها تصرفات أهل روما التى ظلوا متمسكين بها إلى وقت الأضطهاد الذى حدث فى أيامنا. وهاك كلماته:

(١٠) «لأنكم تعودتم من البداية أن تصنعوا الخير لكل الأخوة بطرق مختلفة، وترسلوا مساعدات لكنائس كثيرة فى كل مدينة وهكذا إذ تسدون أعواز المحتاجين، توفرون احتياجات الاخوة الذين فى المناجم بالهبات التى أرسلتموها من البداية، فانكم أيها الرومانيين تحافظون على عوائد الرومانيين الموروثه التى لم يتمسك بها أسقفكم المبارك سوتير فقط، بل أيضا أضاف إليها مقدما امدادات للقديسين، ومشجعا الاخوة الذين من الخارج بكلمات مباركة كأب محب لبنيه».

(١١) وفى نفس هذه الرسالة تحدث أيضا عن رسالة اكليمنضس إلى أهل كورنثوس[٧] مبينا أنه جر العادة منذ البداية أن تقرأ فى الكنيسة. وإليك كلماته:

«اليوم قضينا يوم الرب المقدس، وفيه قرأنا رسالتكم. وكلما قرأناها استطعنا أن نستخلص منها بعض النصائح، وكذا من الرسالة السابقة التى كتبت إلينا على يد اكليمنضس».

(١٢) ويتحدث نفس الكاتب كما يلى عن رسائله مؤكدا بأنها قد شوهت وبترت «ولأن الإخوة أرادوا أن أكتب رسائل فقد كتبت. وقد ملأ أعوان الشيطان هذه الرسائل بالزوان، مقتطعين منها بعض أمور ومضيفين أخرى. ويا للويلات التى حفظت لهم. إذن فلا غرابة أن كان البعض قد حاولوا افساد كتابات الرب أيضا طالما كانوا قد تآمروا ضد الكتابات التى هى أقل أهمية».

وعلاوة على هذه لا تزال باقية رسالة أخرى لديونيسيوس كتبت إلى كريسوفورا، وهى أخت أمينة جدا. فيها يقدم النصائح المناسبة، كما يقدم إليها الغذاء الروحى الملائم.

هذا ما يختص بديونيسيوس.

---

(٦) كانت عاصمة كريت.

(٧) بخصوص هذه الرسالة انظر ك ٣ ف ١٦.

الفصل الرابع والعشرون

ثيوفيلس أسقف أنطاكية

(١) أما عن ثيوفيلس السابق ذكره كأسقف لكنيسة أنطاكية[١] فلا يزال باق له ثلاثة مؤلفات أولية موجهة إلى أوتوليكوس، ومؤلف آخر عنوانه «ضد هرطقة هرموجينس»، فيه يقتبس بعض الشهادات من رؤيا يوحنا، وأخيرا بعض كتب تعليمية أخرى.

(٢) ونظرا لأن الهراطقة كانوا وقتئذ - كما في كل وقت آخر - كالزوان، مفسدين الحصاد النقى الذى للتعاليم الرسولية، فإن رعاة الكنائس فى كل مكان أسرعوا لصدهم - كوحوش مفترسة - عن حظيرة المسيح، تارة بنصح الأخوة، وتارة أخرى بالنضال ضدهم بصراحة فى مناقشات شفوية وفضح ضلالهم، وكذلك بتصحيح آرائهم ببراهين قوية فى مؤلفات مكتوبة.

(٣) وقد ناضل ضدهم ثيوفيلس هذا مع غيره، وهذا ما يتضح من بحث جليل الشأن كتبه ضد مركيون. وقد حفظ إلى اليوم هذا المؤلف أيضا مع باقى المؤلفات السابق التحدث عنها.

وقد خلفه فى أسقفية كنيسة انطاكيا مكسيمينوس سابع أسقف من عهد الرسل.

الفصل الخامس والعشرون

فيلبس وموديستوس

أما فيلبس، الذى كان أسقفا لابروشية جورتينا، كما يحدثنا ديونسيوس،[١] فقد كتب أيضا مؤلفا بليغا جدا ضد مركيون كما فعل ايريناوس وموديستوس. وهذا الأخير قد فضح ضلال الرجل أكثر من كل الباقين. وهنالك أشخاص آخرون كثيرون لا تزال مؤلفاتهم محتفظا بها لدى الكثيرين من الأخوة.

---

(١) ف ٢٠.

---

(١) ف ٢٣ : ٥.

الفصل السادس والعشرون

ميليتو والظروف التى دونها

(١) وفى تلك الأيام أيضا برز جدا ميليتو أسقف أبروشية ساردس وأبوليناريوس أسقف هيرابوليس. وقد وجه كل منهما احتجاجات - دفاعا عن الايمان - إلى امبراطور الرومانيين السابق ذكره الذى يحكم وقتئذ.

(٢) وفيما يلى نرى مؤلفات هؤلاء الكتاب التى وصلت إلى علمنا.

وضع ميليتو كتابين عن الفصح، وكتابا عن طريق الحياة والأنبياء وبحثا عن الكنيسة، وكتابا عن يوم الرب، وآخر عن ايمان الإنسان، وكتابا عن خلقة الإنسان وآخر أيضا عن طاعن الإيمان، وكتابا عن الحواس، وآخر عن النفس والجسد، وكتابا عن المعمودية، وآخر عن الحق، وكتابا عن سلسلة نسب المسيح والخلقة، وبحثا عن النبوة، وكتابا عن كرم الضيافة، وآخر عن المفتاح، وكتابين عن الشيطان ورؤيا يوحنا، ومؤلفا عن تجسد الله، وأخيرا كتابا موجها إلى أنطونينوس.

(٣) وفى الكتب التى عن الفصح يبين الوقت الذى كتب فيه مبتدئا بهذه الكلمات:

«حينما كان سيرفيليوس بولس واليا فى آسيا، وقت أن استشهد ساجاريس، قام نزاع شديد فى لاودكية عن الفصح الذى حل فى تلك الأيام حسب القاعدة المرعية. وهذا ما كتب».

(٤) ويشير أكليمنضس الاسكندرى إلى هذا المؤلف فى بحثه عن الفصح الذى كتبه - كما يقول - بمناسبة كتاب ميليتو.

(٥) ولكنه فى كتابه الموجه إلى الامبراطور ذكر بأن الحوادث التالية حلت بنا فى عهده «لأن ما لم يحدث قط من الاضطهاد من قبل يعانيه الان جنس الأتقياء إذ طردوا فى آسيا بأوامر جديدة، فالوشاة الوقحون، والطامعون فى ممتلكات غيرهم، انتهزوا فرصة هذه الأوامر، وصاروا يسطون وينهبون نهارا وليلا، ويجردون الأبرياء من ممتلكاتهم».

وبعد ذلك بقليل يقول «إن كانت هذه الأمور تحدث بأمرك فمرحبا بها. لأن الوالى العادل لن يتخذ اجراءات ظالمة. ونحن فعلا نقبل شرف موت كهذا.

(٦) «على أننا نقدم إليك هذا الرجاء الوحيد وهو أن تحقق أولا بنفسك مع مسببى هذا النزاع، وعندئذ تحكم بعدل أن كانوا يستحقون الموت والقصاص، أو الأمان والراحة، أما إذا كانت هذه المشورة

وهذه الأوامر الجديدة، التى لا يليق تنفيذها حتى على الأعداء المتوحشين، ليست منك، فإننا بالأولى نلتمس منك ألا تتركنا معرضين لهذا النهب الطائش من الغوغاء».

(٧) ثم يضيف أيضا ما يأتى: «لأن فلسفتنا ازدهرت سابقا بين البربر. ولكنها إذ انتشرت بين الأمم الخاضعة لك وقت حكم سلفك أوغسطس فقد أصبحت بركة لامبراطوريتك بصفة خاصة وفألا حسنا. فقوة الرومانيين أزدادت قدرة وعظمة منذ ذلك الوقت. لقد ارتقيت إلى عرش هذه القوة كمشتهى من الشعب، وهكذا ستستمر مع ابنك إن كنت ترعى الفلسفة التى نمت مع الامبراطورية، والتى ظهرت إلى الوجود مع أوغسطس، تلك الفلسفة التى أكرمها أسلافك مع الدينات الأخرى.

(٨) وأقوى دليل على أن تعاليمنا ازدهرت لخير امبراطورية ناشئة هو أنه لم يحدث أى شر منذ حكم أوغسطس، بل بالعكس كان كل شيء جليلا ومجيدا بسبب صلوات الجميع.

(٩) أن نيرون ودومتيانوس وحدهما، إذ فتحا أذانهما لبعض الوشاة، أرادا الأفتراء على تعليمنا، وعنهما انتقلت الأكاذيب[١] واتهم المسيحيون اتهامات باطلة.

(١٠) ولكن آباءك الصالحين صححوا جهلهم، وذلك بتوبيخاتهم الكتابية المستمرة لمن تجاسروا على محاولة اتخاذ اجراءات جديدة ضدهم. من بينهم جدك أردبان الذى كتب إلى آخرين كثيرين. وأيضا إلى فوندانوس وإلى آسيا وحاكمها. وكتب أبوك -عندما كنت تحكم معه- إلى المدن، مانعا اياها من اتخاذ أيه جراءات جديدة ضدنا. من بين هذه المدن كتب إلى أهل لاريسا وتسالونيكى وأثينا وإلى كل اليونانيين.

(١١) «أما من جهتك فطالما كان اعتقادك من جهة المسيحيين مماثلا لاعتقادهم، والواقع أنه أكثر رفقا وفلسفة، فإننا مقتنعون تمام الأقتناع بأنك ستجيب كل ما طلبناه منك».

هذه الكلمات وجدت فى الكتاب السالف الذكر.

(١٢) ولكن نفس الكاتب يقدم، فى بدايه كتابه «الخلاصة»، قائمة بأسفار العهد القديم المعترف بها، نراه ضروريا أن نشير إليها هنا. وإليك ما كتبه:

(١٣) «من ميلتو إلى أخيه انسيمس سلام. نظرا لأنك بدافع غيرتك من أجل الكلمة طالما عبرت عن رغبتك فى الحصول على خلاصة من الناموس والأنبياء عن المخلص وعن ايماننا بالكامل، ورغبت فى الحصول على بيان دقيق عن الكتب العتيقة من جهة عددها وترتيبها، فقد أجتهدت أن أقوم بهذه المهمة

(١) يبدو أن الكاتب يشير هنا إلى الاعتقاد الذى ساد وقتئذ بأن المسيحيين هم المسئولون عن كل الشرور التى تحدث كالزلازل والفيضانات والمجاعات الخ.

علما منى بغـيرتك من أجل الإيمان ورغبتك فى الحصـول على معلومات عن الكلمـة، ومدركا بأنك فى شوقك نحو الله تقدر هذه الأمور أكثر من كل ما عداها، مجاهدا للحصول على الخلاص الأبدى.

(١٤) «بناء على هذا فإنى لما اتجهت شرقا، ووصـلت المكان الذى يكرز فيه بهذه الأمور، والذى تمارس فيه، عرفت بدقة أسـفار العهد القديم، فأرسل إليك بيانها كما هو مـدون أدناه: أما أسماؤها فهى كما يلى: خمسة أسفار لموسى وهى التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنية، يشوع وقضاة وراعوث، الملوك أربعة أسـفار، أخبار الأيام سفـران، مزامير داود وأمـثال سليمان وأيضـا الحكمة والجامعـة ونشيد الأنشاد وأيوب، الأنبياء اشعياء وأرميا، الأنبياء الأثنا عشر سفر واحد، دانيال وحزقيال وعزرا.

«ومنها أيضا قد اقتبست هذه الخلاصة مقسما اياها إلى ستة كتب».

هذه هى كلمات ميليتو.

الفصل السابع والعشرون

أبوليناريوس أسقف كنيسة هيرابوليس

لقد احتفظ الكثيرون بعدد وفيـر من كتب أبوليناريوس، وهاك ما وصل إلينا منها: الحديث الموجه إلى الامبـراطور السالف الذكر، خمـسة كتب ضد الـيونانيين، كتاب أول وكـتاب ثان عن الحق. وتلك الكتب التى كتبها فيما بعد ضد هرطقة أهل فريجية التى ظهرت حالا فيما بعد بما يتبعها من بدع، ولكنها كانت وقتئذ لا تزال فى بدايتها، لأن مونتانوس، مع نبياته الكاذبات، كان وقتئذ يضع أساس هرطقته.

الفصل الثامن والعشرون

موسانوس وكتاباته

أما عن موسانوس، الذى ذكرناه بين الكتاب السابقين، فلا يزال باق له بحث بليغ كتبه ضد بعض الإخوة الذين انحرفـوا إلى هرطقة من يدعى انكراتيتس التى ظهـرت حديثا حاملة ضلالـة غريبة خطرة. وقيل أن تاتيان هو الذى ابتدع هذه التعاليم الغريبة.

الفصل التاسع والعشرون

هرطقة تاتيان

(١) وهو الذى اقتبسنا كلماته فيما سبق[١] بمناسبة التحدث عن ذلك الرجل العظيم يوستينوس، والذى قلنا عنه بأنه كـان تلميـذا للشهـيد. ويصـرح ايريناوس بهذا فى الكتـاب الأول من مؤلفـه «ضد الهرطقات» حيث يكتب ما يلى عنه وعن هرطقته.

(٢) «أن الذين يدعون انكراتيين، والذين تفرعوا من ساتورنينوس ومركيون،[٢] نادوا بالعزوبية، متجاهلين ترتيب اللـه الأصلى، ومنتقدين ضمنا ذلك الذى خلقهما ذكـرا وأنثى لتكاثر الجنس البشرى. ونادوا أيضا بالامـتناع عن الأشيـاء التى دعوها حيـة[٣] مظهرين بذلك روح الجحـود لله الذى خلق كل الأشياء. كذلك أنكروا خلاص الانسان الأول.

(٣) «على أن هذا تبينوه أخـيرا فقط، فإن شخـصا يدعى تاتيان كان أول من ابتـدع التجديف. ولقد كان ضمن المستمعين إلى يوستينوس، ولم يظهر أى شىء من هذه الآراء طالما كان معه. ولكنه ترك الكنيسة بعد استشهاد هذا الأخير، وإذ تشامخ عندما رأى نفسه معلما، وانتفخ عندما ظن نفسه أنه أسمى من غيره، أسس تعاليم خاصـة به مخترعا دهورا معينة غير منظورة كـاتباع فالنتينوس،[٤] ونادى – مثل مركيون وساتورنينوس – بأن الزواج فـساد وزنى. أما حجته نحو عدم خلاص ادم فقـد اخترعها هو من تلقاء نفسه» هذا ما كتبه ايريناوس وقتئذ.

(٤) وبعد ذلك بقليل ظهـر شخص يدعى ساويرس، فأضـاف قوة جديدة إلى الهرطقـة السابق ذكرها، وسمى تابعوه ساويرسيين.

(٥) انهم فعلا يستعـملون الناموس والأنبياء والأناجيل، ولكنهم يفسرون أقـوال الأسفار المقدسة على طريقتهم الخاصة، ويسبون بولس الرسول ويرفضون رسائله، ولا يقبلون حتى أعمال الرسل.

---

(١) ف ١٦.

(٢) بخصوص ساتورنينوس ومركيون انظر ف ٧ و ١١.

(٣) أى الحيوانات بصفة عامة.

(٤) انظر ف ١١.

(٦) على أن مؤسس شيعتهم الأصلى، تاتيان، جمع مجموعة من الأناجيل - لست أدرى بأية كيفية - وأطلق عليها اسم دياتيسرون،[٥] وهى لا تزال فى أيدى البعض. ولكن يقال أنه تجاسر على تحليل بعض كلمات للرسول[٦] لتحسين أسلوبها.

(٧) وقد ترك كثيرا من الكتب، أكثرها استعمالا بين أشخاص كثيرين كتابه المشهور «خطاب إلى اليونانيين»،[٧] وهو أفضل كتبه وأنفعها. فيه يتحدث عن الأزمنة الغابرة، ويبين أن موسى والأنبياء العبرانيين كانوا أسبق من جميع من اشتهر بين اليونانيين.

هذا ما يتعلق بهؤلاء الأشخاص.

الفصل الثلاثون

بارديسانس السورى وكتبه التى لا تزال باقية

(١) وفى عهد نفس الامبراطور، إذ كانت الهرطقات تتزايد فى اقليم ما بين النهرين ظهر شخص يدعى بارديسانس، وهو شخص مقتدر جدا، ومباحث ماهر باللغة السوريانية وقد كتب أبحاثا ضد أتباع مركيون، وضد غيرهم ابتدعوا آراء مختلفة، كتبها بلغته مع مؤلفات أخرى كثيرة. أما تلاميذه - وقد كانوا كثيرين لأنه كان مدافعا قويا عن الأيمان - فقد ترجموا هذه المؤلفات من السوريانية إلى اليونانية.

(٢) وبينها أيضا بحثه القوى «عن القضاء والقدر» الموجه إلى أنطونينوس، ومؤلفات أخرى يقال أنه كتبها بمناسبة الأضطهاد الذى حدث وقتئذ.

(٣) وقد كان فى الواقع فيما سبق تابعا لفالنتينوس، ولكنه إذ رفض تعاليمه فيما بعد وفند أغلب أوهامه، تخيل بأنه قد وصل إلى الآراء السليمة. ولكنه بالرغم من ذلك لم يتطهر تماما من دنس الهرطقة القديمة.

ونحو هذا الوقت أيضا انتقل من هذه الحياة سوتير أسقف كنيسة روما.

---

(٥) كلمة يونانية معناها «مكون من أربعة» وقد أطلقت على الكتاب الذى وضعه تاتيان جمع فيه خلاصة للاربعة الأناجيل.

(٦) أى بولس الرسول.

(٧) لا يزال هذا الكتاب موجودا وهو من أقوى ما كتب لمهاجمة الفلسفة اليونانية.

الكتاب الخامس

مقدمة

(١) مات سوتير أسقف كنيسة روما بعد أن ظل فى أسقفيته ثمان سنوات، وخلفه اليوثيروس الأسقف الثانى عشر بعد الرسل. وفى السنة السابعة عشر من حكم الامبراطور أنطونينوس فيروس عاد الاضطهاد على شعبنا، فى قسوة أشد، ببعض الأقاليم بسبب تمرد الجماهير فى المدن، وإذا اتخذ عدد الشهداء فى أمة واحدة مقياسا، يمكن القول أنه قد استشهد ربوات فى كل العالم. وقد دون هذا للاجيال اللاحقة، والواقع انه خليق بالذكرى المستمرة.

(٢) وفى كتابنا «مجموعة الاستشهادات» ترى وصفا كاملا متضمنا صدق الأنباء عن هذا الموضوع. ويعتبر هذا الكتاب لا تاريخيا فقط بل تعليميا أيضا. وسأكرر هنا بعض أجزاء من هذا الكتاب حسبما تدعو الضرورة نحو الغرض الذى آمامنا.

(٣) يتحدث المؤرخون الآخرون عن انتصارات الحروب، والغنائم التى أخذت من الأعداء، وعن مهارة القواد، وشجاعة الجنود الذين تلطخت أيديهم بالدماء وحوادث القتل التى لا حصر لها من أجل الأبناء والوطن والممتلكات الأخرى.

(٤) أما روايتنا عن مملكة الله فإنها تدون بحروف لا تمحى أنباء حروب السلام التى أثيرت من أجل سلام النفس، وتتحدث عن أشخاص ناضلوا بشجاعة من أجل الحق لا من أجل الوطن، ومن أجل الفضيلة لا من أجل أعز الأصدقاء. وتضع أمامنا ذكريات لا تمحى عن بطولة أبطال الديانة، والغنائم التى اكتسبت من الشيطانين، والانتصارات على الأعداء غير المنظورين، والأكاليل التى وضعت على رؤوسهم.

الفصل الأول

عدد مَن حاربوا مِن أجل الديانة فى بلاد الغال تحت حكم فيروس وطبيعة صراعهم

(١) كانت بلاد الغال هى المملكة التى أعد لهم فيها مسرح المصارعات. وأهم بلادها ليون وفينا، اللتان يخترقهما نهر الرون، وهو نهر متسع يخترق كل تلك المنطقة.

(٢) وقد أرسلت أشهر كنائس تلك المملكة إلى كنائس أسيا وفريجية وصفا للشهود[١] ودونت ما كان يجرى بينها فى الكلمات التالية. وهاك كلماتها:

(٣) «خدام المسيح المقيمون فى فينا وليون ببلاد الغال إلى الأخوة فى آسيا وفريجية، الذين يعتنقون نفس الإيمان ورجاء الفداء، سلام ونعمة ومجد من الله الاب ويسوع المسيح ربنا».

(٤) وبعد التحدث عن بعض المواضيع الأخرى تبدأ روايتها بهذه الكيفية:

«أن شدة الضيق فى هذه البلاد، وهياج الوثنيين على القديسين، وآلام الشهود المباركين - هذه لا نستطيع وصفها وبدقة، كما لا يمكن تدوينها».

(٥) «فالخصم هجم علينا بكل قوته، مقدما إلينا عينة من نشاطه الذى لا يحد، الذى سيظهره عند هجومه علينا مستقبلا، وقد بذل كل ما فى وسعه لاستخدام أعوانه ضد خدام الله. ولم يكتف بابعادنا عن البيوت والحمامات والأسواق، بل حرم علينا الظهور فى أى مكان».

(٦) ولكن نعمة الله حولت الصراع ضده، وخلصت الضعفاء، وجعلتهم كأعمده ثابتة، قادرين بالصبر على تحمل كل غضب الشرير. واشتبكوا فى الحرب معه، متحملين كل صنوف العار والأذى. وإذ استهانوا بآلامهم أسرعوا إلى المسيح، مظهرين حقا: أن ألام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا.[٢]

(٧) «وأول كل شيء تحملوا ببسالة كل الأضرار التى كدسها الغوغاء فوق رؤوسهم كالضجيج، واللطم، والجر على الأرض، والنهب، والرجم، والسجن، وكل ما يسر الغوغاء الثائرون أن يوقعوه على الأعداء والخصوم».

---

(١) يقصد بكلمة «الشهود» هنا وفى الفصول التالية جميع الذين تكبدوا المحن والالام اثناء الاضطهاد سواء استشهدوا أو لم يستشهدوا.

(٢) (رو ٨ : ١٨).

(٨) «وبعد ذلك أخذهم قائد الألف، ورؤساء المدينة، إلى الساحة الخارجية، وحقق معهم بحضور كل الجمهور. ولما اعترفوا، سجنوا لحين وصول الوالى».

(٩) «وعندما مثلوا أمامه فيما بعد، وعاملنا بمنتهى القسوة، تدخل فى الأمر فيتيوس أباجاثوس، وهو أحد الأخوة، وكان ممتلئا محبة لله وللانسان. وقد كانت حياته طيبة جدا لدرجة أنه رغم حداثة سنه نال شهرة كشهرة زكريا الشيخ، لأنه كان سالكا فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم،[٣] وكان لا يكل فى جميع أعمال الخير من نحو الأخوة، غيورا لله، حارا فى الروح. وإذ كانت هذه هى صفاته لم يحتمل المحاكمة الظالمة التى كنا نحاكم بها، بل امتلأ غضبا، وطلب أن يسمح بالشهادة فى مصلحة اخوته بأنه لا يوجد بيننا أى قبح أو شر».

(١٠) «ولكن المحيطين بكرسى القضاء حرضوا ضده، لأنه كان ذا شخصية بارزة، ورفض الوالى طلبه العادل، إنما سأله عما إذا كان هو أيضا مسيحيا. ولما شهد بهذا بصوت عال أخذ هو نفسه إلى عداد الشهود، ودعى شفيع المسيحيين، إذ كان فى داخله شفيع، أى الروح[٤] الذى امتلأ به أكثر من زكريا[٥] وقد أظهر هذا بملء محبته، لأنه كان يسره جدا أن يضع حياته دفاعا عن الاخوة.[٦] لأنه كان ولا يزال تلميذا حقيقيا للمسيح، متبعا للخروف حيثما ذهب.[٧]»

(١١) «حينئذ انقسم الباقون. فالشهود الأصليون كانوا مستعدين، وأكملوا اعترافهم بكل شجاعة. ولكن ظهر أن البعض لم يكونوا مستعدين ولا متدربين، بل وجدوا ضعفاء وعاجزين عن احتمال صراع شديد كهذا. وفشل نحو عشرة من هؤلاء، مسببين لنا حزنا شديدا وألما لا يوصف، ومثبطين عزيمة الأخرين الذين لم يكونوا قد ألقى القبض عليهم بعد، والذين رغم تحملهم كل صنوف الآلام ظلوا ملازمين الشهود، ولم يفارقوهم».

(١٢) «عندئذ خفنا كلنا جدا بسبب عدم تأكدنا من اعترافهم، لا فزعا من الالام التى ينبغى تحملها، بل لأننا تطلعنا إلى النهاية وخشينا لئلا يفشل البعض منهم».

(١٣) «على أن المستأهلين كان يلقى القبض عليهم يوما بعد يوم مكملين عددهم، حتى أن جميع الغيورين، الذين بنيت عليهم مصالحنا بصفة خاصة، جمعوا من الكنيستين».

---

(٣) (لو ١ : ٦). (٤) أى الروح القدس. (٥) (لو ١ : ٦٧).
(٦) (يو ١٥ : ١٣) (٧) (رؤ ١٤ : ٤).

(١٤) «وألقى القبض على بعض خدمنا الوثنيين، لأن الوالى أمر بأن نفحص كلنا جهارا. وهؤلاء إذ أغراهم الشيطان، وخافوا على أنفسهم من التعذيب الذى رأوا أن القديسين يعانونه، وإذ حرضهم الجند أيضا، فقد اتهمونا زورا بأكل لحوم البشر، والفسق بالأهل المحرم الزواج بهن. وأمور لا يليق بنا عدم التحدث عنها أو التفكير فيها فحسب بل لا نعتقد أن أى انسان بشرى اقترفها على الأطلاق».

(١٥) «وعندما قدمت هذه التهم هاج ضدنا كل الناس كالوحوش المفترسة، لدرجة أنه أن وجد بينهم من كان فى غاية الاعتدال معنا بسبب الصداقة فقد ثاروا ضدنا جدا وأصروا بأسنانهم علينا. وتم ما قاله الرب: تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله.[٨]»

(١٦) «وأخيرا تحمل الشهود الأطهار آلاما لا توصف، وكان الشيطان يحاول بأقصى جهده أن تخرج من شفاههم كلمات التجديف».

(١٧) «على أن كل غضب الغوغاء والوالى والجند انصب فوق هامة سانكتوس، وهو شماس من فينا، وماتوروس، وهو متنصر حديث ولكنه مجاهد شجاع، واتالوس وهو من أهالى برغامس حيث كان بصفة مستمرة عمودا حيا وأساسا متينا، وبلاندينا التى أظهر المسيح فيها أن ما يبدو فى نظر البشر حقيرا ودنيئا ووضيعا هو فى نظر الله مجيد بسبب المحبة التى نكنها له التى تظهر فى قوة الافتخار بالمظاهر».

(١٨) «لأننا إذ كنا كلنا مرتعبين، وكانت سيدتها الأرضية - وهى نفسها أيضا كانت ضمن الشهود - خائفة لئلا يعوقها ضعف جسدها عن الاعتراف بجسارة، امتلأت بلاندينا قوة لدرجة أنها صمدت أمام معذبيها الذين كانوا يتناوبون تعذيبها من الصباح حتى المساء بكل أنواع التعذيب، حتى اضطرتهم إلى الاعتراف بأنهم قد غلب على أمرهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا لها شيئا أكثر. وذهلوا من قوة احتمالها إذ كان كل جسدها قد تهرأ، واعترفوا بأنه كان يكفى نوع واحد من هذه الآلام لازهاق الروح، فكم بالأولى كل هذه الآلام المتنوعة العنيفة».

(١٩) «على أن المرأة المباركة جددت قوتها فى أعترافها كمصارعة صنديدة، وقد وجدت تعزية وانتعاشا وتخفيفا لآلامها فى أن تصرخ: أنا مسيحية، ونحن لم نفعل شرا».

(٢٠) «أما سانكتوس فقد تحمل أيضا بشكل عجيب، وفوق طاقة البشر، كل ما عاناه من آلام. وبينما حاول الأشرار - بالاستمرار فى تعذيبه، والامعان فى القسوة - أن يصطادوا منه أية كلمة مما لا

(٨) (يو ١٦ : ٢).

يجب أن يقوله، فقد سلح نفسه بذلك الثبات العجيب الذى جعله لا ينطق حتى باسمه أو اسم شعبه أو المدينة التى ينتمى إليها، ويذكر أن كان عبداً أم حرا، بل أجاب باللغة الرومانية على كل أسئلتهم بقوله: أنا مسيحى. لقد اعترف بهذا عوضا عن ذكر اسمه أو اسم المدينة التى ينتمى إليها أو الجنس التابع له أو أى شىء آخر. ولم يسمع الشعب منه كلمة أخرى».

(٢١) «لذلك تحركت الرغبة فى قلب الوالى وقلوب معذبيه للتغلب عليه. ولكنهم إذ لم يملكوا شيئا أكثر يفعلونه له ربطوا أخيرا صفائح نحاسية محماة إلى أجزاء جسمه الرقيقة».

(٢٢) «وهذه احترقت فعلا، ولكنه ظل متجلدا لا يلين ولا يستلم، ثابتا فى اعترافه متعشا بينبوع مياه الحياة السماوى المتدفق من أحشاء المسيح».

(٢٣) «وكان جسده شاهدا لآلامه، إذ كان قد تهرأ كله وتشوه بشكل بشع، وكان أبعد ما يكون عن شكل الانسان. وإذ تألم المسيح فيه أظهر مجده، منقذا اياه من خصمه، وجاعلا اياه مثلا للآخرين، ومبينا أنه حيث وجدت محبة الله فلا يوجد أى شىء مخيف، وحيث وجد مجد المسيح فلا يوجد شىء أليم».

(٢٤) «وعندما عذبه الأشرار مرة أخرى بعد بضعة أيام، ظانين أنهم، وقد انتفخ جسده، والتهب لدرجة أنه لم يعد يطيق لمس اليد، قد يستطيعون التغلب عليه أن وضعوا نفس الصفائح على جسده أو - على الأقل - أن الآخرين يخافون عندما يرونه يموت تحت آلامه. وهذا أمر لم يكن ممكنا فقط أن يحدث بل يعكس كل انتظار بشرى انتعش جسده وانتصب وسط التعذيبات المتوالية واستعاد شكله الطبيعى، وتحركت الأطراف، وهكذا صارت هذه الآلام الثانية، بنعمة المسيح، سببا لا فى التعذيب بل وفى الشفاء».

(٢٥) «ولكن ابليس إذ ظن أنه قد التهم فعلا ببلياس، وهى احدى الذين أنكروا المسيح، وأن يزيد فى دينونتها بتحريضها على النطق ببعض كلمات التجديف، فقد دفعها ثانية إلى التعذيب ليضطرها، بسبب ضعف جسدها، إلى الوشاية بنا».

(٢٦) «غير أنها استعادت قوتها تحت الآلام، كأنها قد استيقظت من سبات عميق، وإذ ذكرتها الآلام الحاضرة بعذاب جهنم الأبدى وقفت فى وجه المجدفين قائلة: كيف يستطيع هؤلاء أن يأكلوا الأطفال وهم يحرمون أن يذوقوا حتى دماء الحيوانات غير العاقلة، عندئذ اعترفت بأنها مسيحية، فحسبت فى عداد الشهود».

(٢٧) «ونظرا لأن المسيح جعل هذه التعذيبات الظالمة عديمة الجدوى بسبب صبر المباركين، اخترع ابليس تدبيرات أخرى، وهى الحبس فى أظلم وأقبح مكان فى السجن ووضع الأقدام فى الثقب الخامس من المقطرة، والتعذيبات الأخرى التى اعتاد أعوانه توقيعها على المسجونين عندما تثور ثائرتهم ويتملك عليهم ابليس. وقد اختنق الكثيرون فى السجن إذ اختارهم الرب لهذا النوع من الموت ليظهر فيهم مجده».

(٢٨) «ورغم أن البعض عذبوا بمنتهى القسوة، حتى كان يظن أنه من المستحيل أن يعيشوا مهما بذلت معهم كل أنواع العلاج والتمريض، إلا أنهم لبثوا فى السجن بعيدين عن كل رعاية بشرية، إذ تقووا بالرب، وانتعشت أجسادهم وأنفسهم، فشددوا وشجعوا الباقين. أما الذين كانوا قد ألقى القبض عليهم حديثا ولم يتمكنوا من احتمال قسوة السجن لسبب حداثة سنهم وعدم تمرن أجسادهم على التعذيب، فماتوا فيه».

(٢٩) «أما المغبوط بوثينوس، الذى كان قد أوكلت إليه أسقفية ليون، فقد جروه إلى كرسى القضاء، وكان عمره يزيد على تسعين سنة، وقد وهنت كل قواه، يكاد بالجهد أن يتنفس بسبب ضعف جسده. - ولكنه تقوى بالغيرة الروحية بسبب رغبته الحارة فى الاستشهاد. ومع أن جسده قد فتت فى عضده الشيخوخة والأمراض، فقد حفظت حياته لكى ينتصر المسيح فيها».

(٣٠) «وعندما أتى به الجند إلى المحاكمة، يرافقه بعض الولاة المدنيين وجمهور من الشعب يهتفون ضده بكل أنواع الهتاف كأنه هو المسيح نفسه، شهد شهادة نبيلة».

(٣١) «ولما سأله الوالى: من هو اله المسيحيين أجاب: أن كنت مستحقا فستعرف. عندئذ جروه بفظاظة ولطموه بكل أنواع اللطمات. فالقريبون منه لكموه بأيديهم، وركلوه بأرجلهم، غير حاسبين أى حساب لسنه، والبعيدون منه قذفوه بكل ما وصلت إليه أيديهم، والكل ظنوا بأنهم يعتبرون مجرمين أن قصروا فى اهانته بكل اهانة ممكنة. لأنهم توهموا أنهم بذلك ينتقمون لآلهتهم. من ثم زج به فى أعماق السجن وهو يكاد لا يقوى على التنفس، ثم مات بعد يومين».

(٣٢) «بعدئذ حدث افتقاد عظيم من الله، وظهرت مراحم يسوع بشكل لا يوصف وبكيفية يندر أن ترى بين الأخوة، ولكنها مع ذلك ليست بعيدة عن قدرة المسيح».

(٣٣) «لأن الذين تراجعوا عند القبض عليهم لأول مرة سجنوا مع الآخرين، وتحملوا آلاما مرة، وهكذا صار انكارهم عديم الجدوى لهم، حتى فى العالم الحاضر. أما الذين اعترفوا بحالتهم، فقد

سجنوا كمسيحيين، ولم توجه إليهم أية اتهامات أخرى. أما السابقون فقد عوملوا فيما بعد، كقتلة ومجرمين، بقسوة ضعف القسوة التي عوقب بها الآخرون».

(٣٤) «لأن فرح الاستشهاد، ورجاء المواعيد، ومحبة المسيح، وروح الآب سندت الأخيرين، أما ضمائر الأولين فقد عذبتهم جدا حتى كان يسهل تمييزهم عن الباقين بمجرد النظر إلى وجوهم وهم يساقون».

(٣٥) «فالسابقون خرجوا فرحين، يطفح المجد والنعمة على وجوههم، حتى كانت نفس قيودهم تبدو كأنها حلى جميلة كعروس مزينة بحلى ذهبية. وقد تعطروا برائحة المسيح الذكية،[٩] حتى ظن البعض أنهم تعطروا بعطور أرضية. أما الآخرون فقد كانوا أذلاء، منكسرى الخاطر، مكتئبين، مملوئين بكل أنواع الخزى، وكان الوثنيون يعيرونهم كخسيسين وضعفاء، حاملين تهمة القتلة، وخسروا شرف ومجد الاسم العظيم واهب الحياة. وإذ رأى الباقون هذا تقووا، وعندما عرف أمرهم اعترفوا بلا تردد، ودون أن يعيروا أى التفات لاغراءات ابليس».

(٣٦) وبعد كلمات أخرى استمرت فى حديثها قائلة.

«وبعد هذا انقسمت أخيرا استشهاداتهم إلى كل الأشكال، لأنهم إذ ضفروا اكيلا من كل الألوان وكل أنواع الزهور قدموه إلى الأب. ولذلك كان من اللائق أن ينال هؤلاء الأبطال النبلاء الأكليل العظيم غير الفاسد، بعد أن تحملوا آلاما عنيفة، وغلبوا ببسالة نادرة».

(٣٧) «وهكذا أخذ إلى المسرح ماتوروس وسانكتوس وبلاندينا واتالوس، لكى يعرضوا للوحوش الضارية، ولكى يقدم للشعب الوثنى منظر من مناظر القسوة، وحدد لشعبنا يوم خاص للصراع مع الوحوش».

(٣٨) «جاز كل من ماتوروس وسانكتوس مرة أخرى كل أنواع العذاب فى المسرح، كأنهما لم يكابدا شيئا من الالام من قبل، أو بالأحرى كأنهما الآن، وقد انتصرا على عدوهما فى عدة مواقع، يجاهدان من أجل الأكليل نفسه، وتحملا ثانية القصاص المعتاد وهو المرور بين صفين من الجند فيضربهما كل منهم بدوره، ثم قسوة الوحوش المفترسة، وكل ما طلبه الشعب الثائر أو أرادوه، وأخيرا الكرسى الحديدى الذى شوى به جسداهما».

---

(٩) (٢ كو ٢ : ١٥).

(٣٩) «ولم يقنع المعذبون بهذا، بل ازداد جنونهم من نحوهما، وعزموا على التغلب على صبرهما. ولكنهم حتى بهذا لم يسمعوا من سانكتوس كلمة سوى الاعتراف الذى نطق به فى البداية».

(٤٠) «وهكذا، إذ ظلت حياتهما تقدم ذلك الصراع العنيف مدة طويلة، ماتا أخيرا بعد أن قدما طول ذلك النهار منظرا للعالم عوض أنواع الصراع العادى المختلفة».

(٤١) «أما بلاندينا فقد علقت على خشبة وعرضت لابتلاع الوحوش المفترسة التى تهجم عليها. ولأنها ظهرت كأنها معلقة على صليب، وبسبب صلواتها الحارة، فقد ألهبت المجاهدين بنار الغيرة، لأنهم نظروا إليها فى جهادها، ونظروا بأعينهم الخارجية ذاك الذى صلب لأجلهم، فى هيئة أختهم، وذلك لاقناع المؤمنين باسمه أن كل من يتألم لأجل مجد المسيح تكون له على الدوام شركة مع الاله الحى».

(٤٢) «ولأنه لم يمسها وقتئذ أى واحد من الوحوش المفترسة فقد انزلت عن الخشبة وأودعت السجن ثانية. وهكذا حفظت لصراع آخر، حتى اذاما انتصرت فى الجهاد دفعات أخرى جعلت قصاص الحياة الملتوية[١٠] بلا شفاء. ومع أنها كانت صغيرة السن، ضعيفة ومحتقرة، إلا أنها إذ لبست المسيح الغالب المقتدر، استطاعت أن تثير حمية الأخوة، ونالت بجهادها الاكليل غير الفاسد بعد أن غلبت الخصم مرارا عديدة.

(٤٣) «وأما اتالوس فدعاه الشعب بصوت عال لأنه كان ذا شخصية بارزة. فدخل إلى المحاكمة بكل ثبات بسبب ضميره الصالح وسيرته الطيبة فى المسيحية، ولأنه كان دواما بيننا وشاهدا للحق».

(٤٤) اقتيد حول المسرح، وحملت أمامه لوحة كتب عليها باللغة الرومانية: هذا اتالوس المسيحى. فامتلأ الشعب غضبا من نحوه. ولكن لما علم الوالى أنه رومانى أمر بأن يعاد مع الباقين الذين أودعوا السجن، والذين كتب عنهم إلى قيصر ولم يصله منه الرد بعد.

(٤٥) «على أن الفترة المتوسطة لم تذهب سدى، ولم تكن عديمة الجدوى بالنسبة إليهم لأنهم بصبرهم ظهرت مراحم المسيح التى لا تحد: وإذ ظلوا أحياء أقيم الموتى، واظهر الشهود رحمة ومحبة نحو الذين لم يشهدوا، واغتبطت مريم العذراء بمن قبلتهم أحياء بعد أن سبق فأخرجتهم كأموات».

---

(١٠) انظر (اش ٢٧ : ١) ولعله يشير إليها.

(٤٦) «لأنه بتأثيرهم عاد الكثيرون ممن سبق أن أنكروا، وولدوا ثانية، ودبت فيهم الحياة مرة أخرى، وتعلموا أن يعترفوا. واذ عادت إليهم الحياة وتقووا ذهبوا إلى كرسى المحاكمة ليستجوبهم الوالى. والله الذى لا يسر بموت الخاطىء،[١١] بل يدعو الجميع برحمته إلى التوبة، عاملهم باللطف».

(٤٧) «لأن قيصر أمر باعدامهم، أما من ينكر فيطلق سراحه. ولذلك، ففى بداية العيد العام الذى حل وقتئذ، والذى حضرته جماهير من كل الشعوب، قدم الوالى المباركين إلى مجلس القضاء ليجعل منهم منظرا للجماهير، وعندئذ فحص أمرهم ثانية، وأمر بقطع رأس من كان منهم يحمل الرعوية الرومانية، ولكنه أرسل الباقين إلى الوحوش الضارية».

(٤٨) «وتمجد المسيح جدا فى من سبقوا فانكروا، لأنهم - بعكس انتظار الوثنيين - اعترفوا. فقد حقق معهم على انفراد، كأنهم على وشك أن يطلق سراحهم. ولكنهم إذ اعترفوا حسبوا فى عداد الشهود. واستمر البعض خارج حظيرة الشهود، وهؤلاء هم الذين لم تكن لديهم ذرة من الإيمان، أو أقل معرفة من لباس العرس،[١٢] أو شيء من الأدراك عن خوف الله، بل - كأبناء الهلاك - جدفوا على الطريق بارتدادهم».

(٤٩) «أما جميع الباقين فقد ضموا إلى الكنيسة. وبينما كان يجرى التحقيق مع هؤلاء، كان هنالك شخص يدعى الاسكندر، وهو فريجى المولد يحترف مهنة الطب، وكان قد عاش فى بلاد الغال سنوات طويلة، معروفا من الجميع بسبب محبته لله وجرأته فى الكلام، لأنه لم يكن خاليا من نصيب فى النعمة الرسولية، هذا إذ وقف أمام كرسى القضاء يشجعهم، ببعض الأشارات، على الاعتراف، ظهر أمام الواقفين بجواره كأنه فى شدة وضيق».

(٥٠) «ولكن الشعب ثار لأن الذين سبق أن انكروا قد اعترفوا الآن، فصرخوا ضد الاسكندر، كأنه هو السبب فى كل هذا. عندئذ استدعاه الوالى وسأله عن شخصيته. ولما أجاب بأنه مسيحى اغتاظ جدا وأمر بطرحه للوحوش الضارية. وفى اليوم التالى دخل مع أتالوس. لأن الوالى أمر بطرح أتالوس ثانية للوحوش ارضاء للشعب».

(٥١) «فعذبا فى المسرح بكل الآلات المعدة لهذا الغرض، وماتا أخيرا بعد أن تحملا آلاما عنيفة. ولم يصدر الاسكندر أى أنين أو تذمر بأى شكل من الأشكال، بل كان يناجى الله فى قلبه».

---

(١١) (حز ٣٣ : ١١).

(١٢) (مت ٢٢ : ١١).

(٥٢) «ولكن عندما وضع أتالوس فى الكرسى الحديدى، وتصاعد الدخان من جسده المشوى قال للشعب بلغة رومانية: أن هذا الذى تفعلونه أنتم هو التهام للبشر، أما نحن فإننا لا نأكل البشر، ولا نرتكب أى شيء آخر. وعندما سئل عن الاسم الذى يحمله الله أجاب: أن الله لا يحمل أى اسم كما يحمل الأنسان».

(٥٣) «بعد كل هذا أحضرت بلاندينا، فى آخر يوم من أيام الصراع العنيف، مع بونتيكوس وهو صبى يبلغ عمره نحو الخامسة عشر سنة. وقد كان يؤتى بهما كل يوم ليشهدا آلام الآخرين، ويضغط عليهما ليحلفا بالأوثان. ولكن لأنهما ظلا ثابتين محتقرين اياها، اشتد هياج الجمهور حتى أنهم لم يشفقوا على حداثة سن الصبى، ولم يراعوا رقة جنس المرأة».

(٥٤) «لذلك عرضوهما لأقسى أنواع العذاب، وطلبوا منهما مرارا أن يحلفا، ولكنهم فشلوا. لأن بونتيكوس كانت تشجعه أخته حتى أن الوثنيين كانوا يرونها تثبته وتقويه، وبعد أن تحمل التعذيب بكل ثبات أسلم الروح».

(٥٥) «أما المغبوطة بلاندينا فإنها أخيرا، إذ شجعت أبناءها كأم نبيلة، وأرسلتهم قبلها ظافرين منتصرين إلى الملك السماوى، تحملت هى نفسها كل صراع، وأسرعت لتلحق بهم، فرحة ومغتبطة برحيلها، كأنها قد دعيت إلى وليمة عرس، لا إلى الطرح للوحوش المفترسة».

(٥٦) «وبعد الجلد، وبعد الوحوش المفترسة، وبعد الشيء بالنار علي الكرسى الحديدى، وضعت أخيرا فى شبكة وطرحت أمام ثور، وهذا قذف بها هنا وهنالك، ولكنها لم تشعر بشيء مما كان يحدث لها بسبب رجائها، وتمسكها التام بما اؤتمنت عليه، وشركتها مع المسيح، وأخيرا فاضت روحها. وقد اعترف الوثنيون أنفسهم أنه لم توجد بينهم امرأة تحملت مثل هذه الآلام المروعة».

(٥٧) «ولكن جنونهم وقسوتهم ووحشيتهم نحو القديسين لم تقف عند هذا الحد. لأن تلك القبائل المتوحشة إذ أغراها الوحش المفترس[١٣] لم يشف غليلها بسهولة، ولذلك وجدت وحشيتهم فرصة أخرى للتمثيل بالجثث.[١٤]».

---

(١٣) أى ابليس.

(١٤) يقول ناشر الترجمة الانكليزية: كان المسيحيون يهتمون جدا بأجساد الشهداء ودفنها باكرام تام، ويعتنون عناية شديدة بمقابرهم التى كانوا يعتبرونها أماكن مقدسة.

(٥٨) لأنهم بسبب نقص عقليتهم ورجولتهم لم يخجلهم أنهم غلبوا بل بالعكس أزداد غضبهم اشتعالا كوحوش مفترسة، وأثاروا حقد الوالى والشعب لمعاملتنا بمنتهى الظلم ليتم الكتاب: من يظلم فليظلم بعد. ومن هو نجس ليتنجس بعد. ومن هو بار فليتبرر بعد.[١٥]».

(٥٩) لأنهم طرحوا للكلاب جثث من ماتوا اختناقا فى السجن. حارسينها نهارا وليلا لئلا ندفن نحن أحداها. وتركوا الأشلاء التى تبقت من الوحوش المفترسة والنار فى العراء لتتعفن وتفسد، ووضعوا رؤوس الآخرين بجوار أجسادها، وحرسها الجند أياما كثيرة بنفس الطريقة لئلا تدفن.

(٦٠) «وثار البعض، وأصروا بأسنانهم عليهم، طالبين انتقاما أشد قسوة. وسخر بهم الآخرون، معظمين أصنامهم التى عزوا إليها قصاص المسيحيين. وحتى العقلاء فيهم، الذين كانوا يبدو بأنهم يظهرون نحونا بعض العطف، كانوا يعيرونهم قائلين: أين الههم، وماذا نفعتهم ديانتهم التى فضلوها على الحياة».

(٦١) «هكذا تنوعت تصرفاتهم نحونا، ولكننا كنا فى أشد الآلم لعدم تمكننا من دفن الأجساد. لأنه لا الليل كان مجديا فى هذا الصدد، ولا المال كان كافيا للاقناع، ولا التوسلات حركات عواطفهم. ولكنهم كانوا يعنون كل العناية بحراسة الجثث كأن عدم دفنها كان جزيل النفع لهم».

وبعد سرد أمور أخرى أضافت:

(٦٢) «أن أجساد الشهداء إذ تركت مكشوفة فى العراء ستة أيام أحرقت وصارت رمادا، وطرحها الأشرار فى نهر الرون الذى اكتسحها، وذلك لكى لا يظهر لها أثر على الأرض.

(٦٣) «وهذا فعلوه كأنهم قادرون على غلبة الله وعلى أن يعيقوا ولادتهم الجديدة[١٦] لكى، على حد تعبيرهم، لا يكون لهم رجاء فى قيامة الأموات بالثقة التى فيها قدموا إلينا هذه الديانة الجديدة الغريبة، واحتقروا الأهوال، واستعدوا حتى لملاقاة الموت بفرح. لننظر الآن أن كانوا يقومون ثانية، وأن كان الههم قادرا على مساعدتهم وتخليصهم من أيدينا».

---

(١٥) (رؤ ٢٢ : ١١).

(١٦) أى قيامتهم من الأموات.

الفصل الثانى

خدمة الشهداء محبوبى الله لمن حل بهم الاضطهاد

(١) هذا ما حل بكنائس المسيح تحت حكم الامبراطور السابق ذكره، الأمر الذى نستطيع أن نستنتج منه بحق ما حدث بالأقطار الأخرى، ومن المناسب أن نضيف مختارات أخرى من نفس الرسالة يتبين فيها صلاح ورقة هؤلاء الشهود بالكلمات الآتية:

(٢) «وقد كانوا أيضا غيورين جدا فى الاقتداء بالمسيح الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله،[١] لدرجة أنهم بالرغم من وصولهم إلى مثل هذه الكرامة، وتقديمهم الشهادة كاملة لا مرة ولا مرتين بل مرارا كثيرة، واعادتهم إلى السجن، بعد طرحهم للوحوش الضارية، مهرأة أجسامهم بالحروق والجروح، فانهم لم ينادوا بأنفسهم بأنهم شهدوا، ولا سمحوا لنا بأن نلقبهم بهذا الاسم. وأن تحدث أحدنا عنهم، بالرسائل أو شفويا، كشهود، وبخوه بشدة».

(٣) «لأنهم تنازلوا عن لقب «شاهد» بسرور إلى المسيح الشاهد الأمين الصادق البكر من الأموات،[٢] بداءة خليقة الله وقد ذكرونا بالشهود الذين سبق أن ارتحلوا، قائلين: أن الشهود هم الذين حسبوا مستحقين أن يؤخذوا إلى فوق فى اعترافهم، الذين ختموا شهادتهم بارتحالهم، أما نحن فاننا لا نزال معترفين متواضعين وضعاء، من ثم التمسوا من الأخوة بدموع أن يقدموا الصلوات الحارة لكى يكملوا.[٣]».

(٤) «وقد أظهروا بأعمالهم قوة الشهادة، مظهرين جرأة عظيمة نحو جميع الاخوة، وبينوا نبلهم وسموهم بالصبر والشجاعة وعدم الخوف، ولكنهم رفضوا لقب شهود الذى يميزهم عن اخوتهم، لأمتلائهم من خوف الله[٤]».

(٥) وبعد قليل تروى الرواية التالية:

«لقد تواضعوا تحت اليد القوية التى رفعتهم الآن[٥] لقد دافعوا عن الجميع، لكن لم يتهموا أحدا. لقد منحوا الحل للجميع، لكن لم يربطوا أحدا. لقد صلوا عن جميع من عاملوهم بقسوة كاستفانوس الشاهد الكامل الذى قال يارب لا تقم لهم هذه الخطية[٦] وأن كان هو قد صلى لأجل من رجموه فبالأحرى جدا لأجل الأخوة».

---

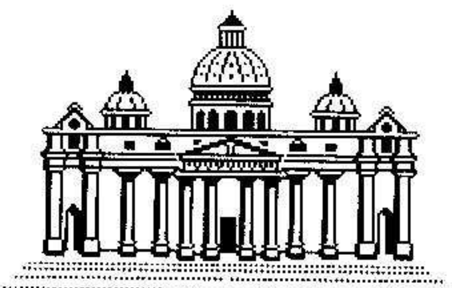
(١) (فى ٢ : ٦).
(٢) (رؤ ٣ : ١٤).
(٣) (رؤ ١ : ٥).
(٤) بالاستشهاد.
(٥) (١بط ٥ : ٦).
(٦) (اع ٧ : ٦٠).

(٦) وبعد ذكر أمور أخرى تقول:

«وبصدق محبتهم جاهدوا معه جهادا شديدا أن يختنق الوحش فيلفظ الذين قد ظن بأنه ابتلعهم، يلفظهم أحياء. لأنهم لم يشمتوا بالساقطين، بل ساعدوهم، فى وقت حاجتهم، بتلك الأمور التى تفاضلوا هم أنفسهم فيها، وأظهروا من نحوهم رقة الأم، وسكبوا لأجلهم الدموع غزيرة أمام الآب».

(٧) «لقد طلبوا الحياة فأعطاهم اياها، وشاركوا فيها أقرباءهم. وإذ انتصروا على كل شىء، ارتحلوا إلى الله. وإذ أحبوا السلام دائما وأوصونا بالسلام، ذهبوا إلى الله فى سلام، دون أن يتركوا حزنا لأمهم، ولا انقساما ولا شقاقا للاخوة، بل فرحا وسلاما ومحبة ووئاما».

(٨) هذه الرواية عن محبة أولئك المباركين نحو الاخوة الذين سقطوا كانت خليقة بأن تضاف بمناسبة الحديث عن قسوة ووحشية أولئك الذين لم يشفقوا على أعضاء الكنيسة بعد هذه الحوادث.



الفصل الثالث

الرؤيا التى ظهرت فى حلم للشاهد أتالوس

(١) وتتضمن نفس رسالة الشهود السابق ذكرهم رواية أخرى جديرة بالذكر. ولا يوجد من يعترض على تقديمها إلى قرائنا: وهاك نصها:

(٢) كان يوجد شخص اسمه السبيادس، وهو واحد منهم، عاش حياة تقشف شديد، لا يتناول شيئا سوى الخبز والماء. وعندما حاول أن يسلك نفس الحياة فى السجن أعلن إلى أتالوس بعد صراعه الأول فى المسرح أن السبيادس لا يفعل حسنا برفضه خليقة الله ووضع عثرة للآخرين».

(٣) «فأطاع السبيادس وتناول كل شيء دون تحفظ مقدما الشكر لله. ولأنهم لم يحرموا من نعمة الله، بل كان الروح القدس مرشدا لهم». وفى هذا القدر الكافى بصدد هذه الأمور.

(٤) أما أتباع مونتانوس[١] والسبيادس[٢] وثيودوتس[٣] الفريجى فكانوا يقومون بدعاية واسعة جدا بخصوص ادعائهم النبوة، لأن المعجزات الكثيرة الأخرى التى كانت لا تزال بنعمة الله تجرى فى الكنائس المختلفة جعلت الكثيرين يمدحون تنبؤهم. وإذ قامت الشقاقات بسببهم اتخذ الاخوة فى بلاد الغال قرارا حكيما فى الأمر، ونشروا أيضا رسائل عديدة من الشهود الذين حكم عليهم بالقتل بينهم. وهذه أرسلت، إذ كانوا لا يزالون فى السجن، إلى الأخوة فى كل آسيا وفريجية، وأيضا إلى اليوثيروس[٤] الذى كان وقتئذ أسقفا لروما يتفاوض من أجل سلام الكنائس.

---

(١) بخصوص مونتانوس والمونتانيين انظر ف ١٦ إلخ.

(٢) هو غير السبيادس السابق ذكره فى الفقرتين السابقتين.

(٣) انظر ف ١٦.

(٤) انظر المقدمة فى بداية هذا الكتاب الخامس.

الفصل الرابع

مدح الشهود لإيريناوس فى إحدى الرسائل

(١) وقد أوصى نفس الشهود أيضا أسقف روما السابق ذكره بايريناوس - الذى كان وقتئذ قسا فى أبروشية ليون - ذاكرين أمورا طيبة كثيرة، كما يتبين مما يأتى:

(٢) «أننا نصلى أيها الأب اليوثيروس أن تفرح فى الله فى كل شىء كل حين. وقد رجونا أخانا وزميلنا ايريناوس أن يحمل هذه الرسالة إليك، ونطلب إليك أن توقره كغيور لعهد المسيح. وإن كان المركز يضفى برا على أى واحد فإننا نوصى به بين أول من يستحقون التوصية كقس للكنيسة، وهذا هو مركزه».

(٣) ولماذا ننقل قائمة الشهود المبينة فى الرسالة السابق ذكرها، الذين قطعت رؤوس بعضهم، وطرح الآخرون للوحوش المفترسة، ورقد غيرهم فى السجن، أو نبين عدد المعترفين الذين كانوا لا يزالوا عائشين وقتئذ؟ لأن كل من أراد يستطيع أن يجد الوصف الكامل بالرجوع إلى الرسالة نفسها التى، كما قلت، قد دونت فى كتابنا «مجموعة الاستشهادات». [١].

هذه هى الحوادث التى تمت فى عهد انطونينوس.



(١) انظر المقدمة لهذا الكتاب الخامس.

الفصل الخامس

إرسال الله المطر من السماء إلى القيصر مرقس أوريليوس استجابة لصلوات شعبنا

(١) قيل بأن القيصر مرقس أوريليوس، أخ أنطونينوس، وقد كان على وشك الاشتباك فى حرب مع الألمانيين والسرتاميين، كان فى ضيقة شديدة لأن جيشه كان يعانى مرارة العطش.[١] ولكن جنود الفيلق المليتينى[٢] لما تقهقروا أمام العدو جثوا على الأرض، كما هى عادتنا فى الصلاة، وقضوا وقتا فى التضرع إلى الله، وذلك بدافع ايمانهم الذى منحهم قوة منذ ذلك الوقت إلى الآن.

(٢) كان هذا فى الواقع منظرا غريبا أمام العدو، ولكن قيل انه حدث أمر أغرب. فإن البرق اضطر العدو إلى الهروب، فحلت به الخسائر الفادحة، أما الجنود الذين التجأوا إلى الله فقد أنقذتهم الأمطار، وكانوا كلهم على وشك الموت ظمأ.

(٣) وقد روى هذه الرواية مؤرخون غير مسيحيين لذ لهم أن يكتبوا عن تاريخ الفترة المشار إليها، ودونها أيضا شعبنا: وقد ذكر الأعجوبة هؤلاء المؤرخون غير المؤمنين، ولكن لم يعترفوا بأنها استجابة لصلاتنا. أما شعبنا - وهم أصدقاء الحق - فقد وصفوا الحادث بكل بساطة وبدون تزويق.

(٤) كان ضمن هؤلاء أبوليناريوس[٣] الذى قال بأنه منذ ذلك الوقت لقب الامبراطور الفيلق، الذى بسبب صلواته حدثت المعجزة، لقبا مناسبا للحادث، إذ دعاه بلغة الرومانيين «فيلق الرعد».

(٥) وكان ترتوليانوس شاهدا أمينا لهذه الأمور. ففى كتابه «الاحتجاج من أجل الإيمان»، الذى وجهه إلى مجلس الأعيان الرومانى، والسابق الاشارة إليه،[٤] يؤيد هذا التاريخ بأدلة أعظم وأقوى.

---

(١) هذه حادثة تاريخية. ففى سنة ١٧٤م كان الجيش الرومانى فى هنغاريا، وكان يعانى مرارة العطش، ولكن الامطار نزلت فجأة مصحوبة ببرق شديد، فأحدث ذلك رعبا فى نفوس الأعداء، وانتصر الجيش.

(٢) نسبة إلى مليتين، وهى مدينة فى شرق كبدوكية أو أرمينية.

(٣) أسقف هيرابوليس - انظر ك ٤ ف ٢٧.

(٤) ك ٣ ف ٢ : ٤ ، ك ٣ ف ٣٣ : ٣، ك ٣ ف ٢٠ : ٩.

(٦) فقد كتب أنه لا تزال باقيـة رسائل للامبراطور العظيم مرقس، يشهد فيهـا أن جيشه إذ كان على وشك الهلاك عطشـا فى ألمانيا، قد أنقـذ بصلوات المسيحـيين. وقال أيضا أن هذا الأمـبراطور هدد بالموت كل من قدم أية تهمة ضدنا.

(٧) ويضيف إلى ذلك قوله:

«أية قوانين هى هذه التى يستـخدمها ضدنا وحدنا هؤلاء الأشـرار الظالمون قساة القلوب؟ التى لم يراعها فاسـبسيان[٥] بالرغم من انتصاره على اليـهود، والتى ألغاها تراجان جزئيا آمـرا بعدم البحث عن المسيـحيين،[٦] والتى لم يقـرها أدريان[٧] بالرغم من تدخله بتطفل فى كل شيء، ولا أقـرها من يدعى بيوس[٨]». وليكتب من يشاء عن هذه الأمور، أما نحن فلنتقدم إلى ما حدث بعد هذا:

(٨) لما مـات بوثينوس فى سن التسـعين[٩] مع بعض الشـهداء الاخـرين فى بلاد الغال خلفـه ايريناوس فى أسـقـفـيـة كنـيسة لـيون،[١٠] وقـد وصل إلى علمنا أنه فى شـبـابه تـعلم على يدى بوليكاربوس.[١١]

(٩) وفى الكتاب الثـالث من مؤلفه «ضد الـهرطقات» دون قائمـة بأساقفة روما وصل بها إلى اليوثيروس – الذى نتأمل الآن فى عصره – الذى كتب مؤلفه فى عصره. وقد دون ما يلى:

(٥) انظر ك ٣ ف ١٢.

(٦) انظر ك ٣ ف ٣٣.

(٧) انظر ك ٤ ف ٩.

(٨) انظر ك ٤ ف ١٣.

(٩) انظر ف ١ : ٢٩.

(١٠) بخصوص ايريناوس انظر ك ٤ ف ٢١.

(١١) انظر ف ٢٠.

الفصل السادس

قائمة بأسماء أساقفة روما

(١) «لما أسس الرسولان المباركان[١] الكنيسة وثبتاها أوكلا أمر أسقفيتها إلى لينوس[٢] وقد تحدث بولس عن لينوس هذا في رسالتيه إلى تيموثاوس.[٣]

(٢) «ثم خلفه انكليتس.[٤] وبعد انكليتس قبل الأسقفية اكليمنضس،[٥] وهو ثالث أسقف بعد الرسولين. وقد عاين الرسولين المباركين وتحدث معهما،[٦] وكانت كرازتهما لا تزال ترن في أذنيه، وتقليدهما لا يزال ماثلا أمام عينيه. ولم ينفرد هو بهذا، لأن الكثيرين ممن تعلموا على أيدي الرسولين كانوا لا يزالون أحياء.

(٣) «وفي عصر اكليمنضس، قام نزاع خطير بين الأخوة في كورنثوس، فأرسلت كنيسة روما رسالة مناسبة جدا إلى أهل كورنثوس[٧] لمصالحتهم بعضهم مع بعض وتجديد ايمانهم، واذاعة التعاليم التي وصلت أخيرا من الرسل».

(٤) وبعد ذلك بقليل يقول:

«وبعد اكليمنضس جاء ايفارستوس،[٨] وبعد أيفارستوس جاء الاسكندر[٩] بعد ذلك أقيم زيستوس،[١٠] وهو السادس بعد الرسولين. وبعده جاء تلسفوروس[١١] الذي استشهد استشهادا مجيدا، ثم هيجيتوس[١٢] ثم بيوس،[١٣] وبعده أنيستوس[١٤] وهذا خلفه سوتير[١٥] والآن يحتل منصب الاسقفية اليوثيروس،[١٦] وهو الثاني عشر بعد الرسولين».

(٥) «وفي هذا الترتيب وهذه الخلافة وصل إلينا من الرسل تقليد الكنيسة والكرازة بالحق».

---

(١) يعني بطرس وبولس. (٢) انظر ك ٣ ف ٢. (٣) (٢تي ٤ : ٢١). (٤) ك ٤ ف ١٣.
(٥) ك ٣ ف ٤. (٦) يرجع الكثيرون أنه هو الوارد ذكره في (في ٤ : ٣). (٧) انظر ك ٣ ف ١٦.
(٨) ك ٣ ف ٣٤. (٩) ك ٤ ف ١. (١٠) ك ٤ ف ٤. (١١) ك ٤ ف ٥ : ٥.
(١٢) ك ٤ ف ١٠. (١٣) ك ٤ ف ١١. (١٤) ك ٤٣ ف ١١. (١٥) ك ٤ ف ١٩.
(١٦) انظر مقدمة هذا الكتاب الخامس.

الفصل السابع

وحتى ذلك الوقت كانت المعجزات تجرى على أيدى المؤمنين

(١) هذه الأمور يرويها ايريناوس - وفقا لما سبق أن ذكرناه - فى مؤلفه الذى يشمل خمسة كتب، والذى سماه «دحض وتفنيد العلم الكاذب الاسم[١] وفى الكتاب الثانى من هذا المؤلف يبين أن اظهار القوة المعجزية الالهية استمر حتى عصره فى بعض الكنائس. وهذا ما يقول:

(٢) «ولكنهم إلى الآن لم يصلوا إلى اقامة الموتى كما أقامهم الرب، وكما فعل الرسل بالصلاة. وفى غالب الأحيان كان يحصل بين الاخوة أنه عندما كانت كنيستنا بأكملها تتوسل بالصوم والتضرعات الكثيرة وقت الضرورة، كان روح الميت يعود، ويعود الشخص إلى الحياة وبصلوات القديسين.[٢]

(٣) وبعد بعض ملاحظات يقول:

«وإن قالوا أنه حتى الرب فعل هذه الأمور حسب الظاهر فقد أحلناهم إلى الأقوال النبوية، وبينا لهم منها أن كل شيء سبق أن تنبىء عنه على هذا الوجه، وقد أكمل بدقة، وأنه هو وحده ابن الله. لذلك فأن تلاميذه الصادقين، إذ قبلوا منه نعمة، ويتممون هذه الأعمال باسمه من أجل الآخرين، حسب الموهبة التى نالها كل واحد منه.

(٤) «فالبعض يخرجون الشياطين يقينا وباقتدار، حتى أن الذين يتطهرون من الأرواح الشريرة يؤمنون فى غالب الأحيان وينضمون إلى الكنيسة. والآخرون يتنبأون بما سيحدث فى المستقبل، وبالرؤى والاعلانات النبوية. والآخرون يشفون المرضى بوضع الأيدى، ويعيدون إليهم الصحة. وحتى الأموات قاموا، كما قلنا، ولبثوا معنا سنوات كثيرة.

---

(١) (اتى ٦ : ٢٠) ولا يزال هذا الكتاب موجودا.

(٢) قال ناشر الترجمة الانكليزية أن هذه العبارة يجب أن يكون نصها كالآتى: «إلى الآن لم يصلا (أى سيمون وكرابوكراتس) إلى اقامة الموتى كما أقامهم الرب، وكما فعل الرسل بالصلاة، وكما حصل فى غالب الأحيان بين الاخوة وقت الضرورة إذ كانت الكنيسة بأكملها فى تلك الناحية تبتهل بأصوام كثيرة وصلوات حارة حتى تعود الروح إلى الميت وتعود إليه الحياة استجابة لصلاة القديسين».

(٥) «ولماذا نسرد أكثر من هذا - فمن المستحيل أن نعدد المواهب التى قبلتها الكنيسة فى كل العالم باسم يسوع المسيح، الذى صلب على عهد بيلاطس البنطى، والتى تمارسها كل يوم لخير الأمم الوثنية، دون أن تخدع أحدا أو تجريها من أجل مصلحة مادية. لأنها كما أخذت مجانا من الله هكذا تخدم مجانا». [٣]

(٦) وفى موضع آخر يقول نفس المؤلف.

«وكما نسمع أيضا أن الكثيرين من الاخوة فى الكنيسة لهم مواهب النبوة، ويتكلمون بالروح بكل الألسنة، ويكشفون أسرار الناس لخيرهم، ويعلنون أسرار الله».

هذا ما قيل عن استمرار المواهب بين من حسبوا أهلا لها حتى ذلك الوقت.

الفصل الثامن

أقوال إيريناوس عن الأسفار الإلهية

(١) نظرا لأننا فى بداية هذا المؤلف وعدنا بأن نقدم، عند اللزوم، أقوال آباء الكنيسة وكتابها، التى فيها أعلنوا ما وصل إليهم من التقاليد بخصوص الأسفار القانونية، ونظرا لأن ايريناوس هو أحدهم، فأننا سنقدم الآن أقواله، وأولا ما يقوله عن الأناجيل المقدسة.

(٢) «لقد نشر متى انجيله بين العبرانيين بلغتهم،[١] إذ كان بطرس وبولس يكرزان ويؤسسان الكنيسة فى روما.[٢]

(٣) «وبعد ارتحالهما نقل إلينا مرقس - تلميذ بطرس ولسان حاله - كتابة تلك الأمور التى كرز بها بطرس.[٣] ودون لوقا - الذى كان ملازما لبولس - فى كتابه الإنجيل الذى أعلنه بولس.[٤]

(٤) «بعد ذلك نشر يوحنا - تلميذ الرب، والذى كان أيضا يضطجع على صدره - انجيله إذ كان مقيما فى أفسس بآسيا»[٥]

---

(٣) (مت ١٠ : ٨).

---

(١) انظر ك ٣ ف ٢٤. (٢) انظر ك ٢ ف ٢٥. (٣) انظر ك ٢ ف ١٥.

(٤) انظر ك ٣ ف ٤. (٥) ك ٣ ف ٢٤.

(٥) هذا ما دونه فى الكتاب الثالث من مؤلفه السابق ذكره. أما فى الكتاب الخامس فيتحدث كما يلى عن رؤيا يوحنا وعدد اسم ضد المسيح:[٦]

«ولأن هذه الأمور هى كذلك، ولأن هذا العدد قد وجد فى كل النسخ القديمة المعترف بها، يؤيد صحته من رأوا يوحنا وجها لوجه، والمنطق يعلمنا أن عدد اسم الوحش يتبين من حروفه وذلك حسب طريقة الحساب بين اليونانين....».

(٦) وبعد قليل قال عن نفس الموضوع:

«وليست لنا الجرأة الكافية للتحدث بتدقيق عن اسم ضد المسيح: لأنه لو كان ضروريا أن يذاع اسمه بصراحة فى الوقت الحاضر لكان الذى رأى الرؤيا قد أعلنه. لأنه رآها منذ وقت وجيز، فى جيلنا تقريبا، فى أواخر مدة حكم دومتيانوس[٧]».

(٧) هذا ما ذكره فى المؤلف المشار إليه عن رؤيا يوحنا.(٨) وقد ذكر أيضا رسالة يوحنا الأولى،[٩] مقتبسا أدلة كثيرة منها وأيضا من رسالة بطرس الأولى. وهو لا يعرف كتاب «الراعى» فقط بل أيضا يقبله، وقد كتب عنه ما يلى:

«حسنا تكلم السفر[١٠] قائلا: أول كل شىء آمن بأن الله واحد الذى خلق كل الأشياء وأكملها» إلخ.

(٨) وهو يستعمل تقريبا نفس كلمات حكمة سليمان قائلا «إن رؤية الله تنتج خلودا. والخلود يقربنا من الله».[١١] ويذكر أيضا تاريخ حياة قس رسولى معين، لم يشأ ذكر اسمه، يقدم تفسيره للاسفار المقدسة.

(٩) ويشير إلى يوستينوس الشهيد،[١٢] وأغناطيوس،[١٣] مقتبسا بعض الشهادات من كتاباتهما. وفضلا عن هذا فقد وعد بتفنيد مركيون من كتاباته، وذلك فى مؤلف خاص.

(١٠) أما عن ترجمة الأسفار المقدسة بواسطة السبعين فاسمع نفس الكلمات التى كتبها:

---

(٦) (رؤ ١٣ : ١٨) انظر أيضا ك ٣ ف ١٨. (٧) انظر ك ٣ ف ١٨.

(٨) بخصوص رؤيا يوحنا انظر ك ٣ ف ٢٤.

(٩) اقتبس ايريناوس أيضا من رسالة يوحنا الثانية دون تمييزها عن الأولى انظر ك ٣ ف ٢٤ بخصوص رسائل يوحنا.

(١٠) أى سفر الراعى. انظر ك ٣ ف ٣.

(١١) (حكمة ٦ : ١٩). (١٢) انظر ك ٤ ف ١٨. (١٣) ك ٣ ف ٣٦.

«أن الله بالحقيقة تأنس، والرب نفسه خلصنا، معطيا علامة العذراء، ولكن ليس كما يقول البعض ممن يتجرأون الآن على ترجمة الكتاب هكذا هوذا شابة تحبل وتلد ابنا،[١٤] كما ترجمها ثيوديون الأفسسى وأكيلا البنطى،[١٥] وهما من شيوخ اليهود. ويقول الأبيونيون[١٦] الذين تبعوهما أنه ولد من يوسف».

(١١) وبعد ذلك بقليل يضيف قائلا.

«لأنه قبل أن يؤسس الرومانيون امبراطوريتهم، وكان المقدونيون لا يزالون قابضين على زمام آسيا، طلب بطليموس بن لاغوس[١٧] من شعب أورشليم ترجمة أسفارهم إلى اللغة اليونانية لرغبته في تزيين المكتبة التى أنشأها فى الاسكندرية بأحسن الكتب التى وضعها البشر.

(١٢) «ولكن لأنهم كانوا وقتئذ خاضعين للمقدونيين فقد أرسلوا إلى بطليموس سبعين شيخا، كانوا أكثر اليهود خبرة بالكتب المقدسة، وأقدرهم فى كلتا اللغتين. وهكذا تمم الله قصده.

(١٣) «وإذ أراد أن يختبرهم واحدا فواحدا فرقهم عن بعضهم وأمرهم جميعا بأن يضع كل واحد منهم ترجمة مستقلة، لأنه خشى أن يتشاوروا معا فيخفوا حقيقة الأسفار بترجمتهم. وهذا ما فعله بصدد كل الكتب.

(١٤) «ولما مثلوا جميعا أمام بطليموس وقارنوا ترجماتهم تمجد الله واعترف بأن الأسفار إلهية حقا. لأن كل واحد قدم نفس الترجمة التى قدمها الآخر، ونفس الكلمات، ونفس الأسماء من البداية إلى النهاية. حتى أن الوثنيين أدركوا بأن الأسفار ترجمت بوحى من الله.

(١٥) «ولم يكن هذا بالأمر المستغرب على الله، الذى فى سبى الشعب مدة حكم نبوخذ نصر، عندما أبيدت الأسفار المقدسة، وعاد اليهود إلى وطنهم بعد سبعين سنة، ألهم عزرا الكاهن الذى من سبط لاوى مدة حكم أرتحشستا ملك الفرس، لاستعادة كل كلام الأنبياء السابقين، ويعيد إلى الشعب شريعة موسى».

هذه هى كلمات ايريناوس.

---

(١٤) (اش ٧ : ١٤).

(١٥) ترجم كل منهم الكتاب المقدس. انظر ك ٦ ف ١٦.

(١٦) بخصوص الأبيونيين وتعاليمهم انظر ك ٣ ف ٢٧.

(١٧) كان ملكا على مصر من سنة ٣٢٣ - ٢٨٥ ق. م. وقيل أن الذى قام بهذه الترجمة السبعينية ٧٢ عالما من علماء اليهود، اختيروا من الأسباط الأثنى عشر، على أساس ستة علماء من كل سبط.

الفصل التاسع

الأساقفة فى عهد كومودس

بعد أن ظل أنطونينوس[١] امبراطورا مدة تسع عشرة سنة تولى الحكم كومودس[٢] وفى السنة الاولى من حكمه أقيم يوليانوس أسقفا على كنائس الاسكندرية، بعد أن شغل اغريبينوس[٣] الاسقفية اثنتى عشرة سنة.

الفصل العاشر

بنتينوس الفيلسوف

(١) ونحو هذا الوقت عهد إلى بنتينوس[١] وهو شخص بارز جدا بسبب علمه ، ادارة مدرسة المؤمنين[٢] فى الاسكندرية. إذ كانت قد أنشئت بها منذ الازمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولا زالت حتى يومنا هذا. وكان يديرها كما وصل إلى علمنا رجال فى غاية المقدرة والغيرة نحو الالهيات. وقيل أنه برز من بينهم فى ذلك الوقت بنتينوس، لأنه تهذب بفلسفة الرواقيين.

(٢) ويقال أنه أظهر غيرة شديدة نحو الكلمة الإلهية. حتى أنه عين سفرا لأنجيل المسيح للأمم التى فى الشرق، ووصل حتى إلى الهند.[٣] لأنه كان لا يزال يوجد فعلا الكثيرون من المبشرين بالكلمة، الذين سعوا باجتهاد أن يستخدموا غيرتهم الإلهية، على مثال الرسل. لزيادة انتشار وتثبيت الكلمة الإلهية.

---

(١) اى مرقس أوريليوس. (٢) فى ١٧ مارس سنة ١٨٠م. (٣) ك ٤ ف ١٩.

---

(١) قال ناشر الترجمة الانكليزية، أن بنتينوس هو أول مدرس عرفناه لمدرسة الاسكندرية، وأبرز ما يميزه أنه كان معلما لاكليمنضس الذى أخرج مدرسة الاسكندرية إلى نورها الكامل. وكان من بين تلاميذه أيضا الاسكندر أسقف أورشليم.

(٢) يبدو أنها أنشئت أصلا لتعليم الموعوظين، أى الراغبين فى الدخول إلى الإيمان، ثم اتسعت. وقد لعبت هذه المدرسة دورا هاما فى التاريخ الكنسى تحت ادارة اكليمنضس واريجانوس هركلاس وديونيسيوس وديديموس إلخ حتى القرن الرابع حيث توارث.

(٣) قال جيروم أن البابا ديمتريوس هو الذى أرسله إلى الهند كطلب الهنود انفسهم.

(٣) وكان بنتينوس أحد هؤلاء. وقيل أنه ذهب إلى الهند. وقيل أيضا أنه وجد، لدى من عرفوا المسيح هناك، انجيل متى، الذى كان قد سبق إلى الهند قبل وصوله هو. لأن برثولماوس - أحد الرسل - كرز لهم، وترك لهم باللغة العبرية انجيل متى، الذى كانوا محتفظين به حتى ذلك الوقت.

(٤) وبعد أعمال مجيدة كثيرة رأس بنتينوس أخيرا مدرسة الاسكندرية، وفسر كنوز التعاليم الإلهية شفويا وكتابة.

الفصل الحادى عشر

أكليمنضس الإسكندرى

(١) وفى ذلك الوقت اشتهر أكليمنضس، إذ تعلم معه الأسفار الإلهية فى الاسكندرية. وكان له نفس الاسم الذى كان لرئيس كنيسة روما قديما، الذى كان تلميذا للرسل.[١]

(٢) وفى كتابه «وصف المناظر»[٢] يتحدث عن بنتينوس بالاسم كمعلمه. ويبدو لى أنه يشير إلى نفس الشخص فى الكتاب الأول من مؤلفه «الأنسجة» عندما يشير إلى أبرز خلفاء الرسل الذين قابلهم، قائلا:

(٣) «ليس هذا المؤلف[٣] كتابا كتب لمجرد التظاهر، ولكن ملاحظاتى قد ادخرت لزمن الشيخوخة خشية النسيان. هى صورة لم تمسها يد الفنان، وهى مجرد تسجيل بسيط غير مزوق للكلمات القوية الحية التى كان لى حظ سماعها، وتصوير لأشخاص مباركين بارزين.

(٤) «ومن بين هؤلاء ذلك الايونى[٤] الذى كان فى اليونان، وآخر فى اليونان العظمى،[٥] أحدهما من سوريا الوسطى،[٦] والآخر من مصر، كان هنالك آخران فى الشرق، أحدهما أشورى والآخر عبرانى فى فلسطين. وعندما قابلت هذا الأخير - وكان فى الواقع هو الأول بالنسبة لمقدرته - بعد أن تصيدته من مخبئه فى مصر، وجدت راحة عظمى.

---

(١) انظر ك ٣ ف ٤.

(٢) انظر ك ٦ ف ١٣.

(٣) أى كتابه «الأنسجة».

(٤) الايونيون أسلاف اليونانيين.

(٥) كان الجزء الجنوبى من شبه جزيرة ايطاليا يسمى بهذا الاسم لاحتوائه على مستعمرات يونانية كثيرة.

(٦) الوادى الواقع بين سلسلتى جبال لبنان الشرقية والغربية.

(٥) «وقد حافظ هؤلاء الأشخاص على التقليد الحقيقى للتعليم المبارك، المسلم مباشرة من الرسل المقدسين بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس، إذ كان الابن يستلمه عن أبيه (وقليلون هم الذين شابهوا آباءهم)، حتى وصل إلينا بإرادة الله، لنحافظ على هذه البذار الرسولية».

الفصل الثانى عشر

الأساقفة فى أورشليم

(١) وفى هذا الوقت كان نركيسوس أسقفا على كنيسة أورشليم، ولا يزال معروفا عند الكثيرين إلى هذا اليوم. وكان من الخامس عشر منذ حصار اليهود فى عهد أدريان وقد بينا أنه من ذلك الوقت كانت كنيسة أورشليم مكونة من الامميين، بعد أن كانت مكونة من أهل الختان، وأن مرقس كان أول أسقف أممى ترأس عليهم.[١]

(٢) وبعده كانت الخلافة فى الأسقفية كما يلى: أولا كاسيانوس، وبعده بيليوس، وبعده مكسيموس، وبعدهم يوليانوس، ثم غايوس، وبعده سيماخوس، ثم شخص آخر باسم غايوس، وشخص آخر باسم يوليانوس، وبعد هؤلاء كابيتو وفالنس ودوليكيانوس، وبعد كل هؤلاء نركيسوس وهو الأسقف الثلاثون بعد الرسل.

(١) بخصوص أساقفة أورشليم حتى خراب المدينة فى عهد أدريان انظر ك ٤ ف ٥. وبخصوص تأسيس الكنيسة من الامم ومرقس أول أسقف أممى انظر ك ٤ ف ٦.

الفصل الثالث عشر

رودو ووصفه لفتنة مركيون

(١) وفى ذلك الوقت كتب رودو - وهو من أهل آسيا، وتعلم كما يقول على يد تاتيان الذى سبق التحدث عنه[١] - عدة كتب، أحدها ضد هرطقة مركيون.[٢] ويقول أن هذه البدعة كانت تنقسم فى عصره إلى أربعة آراء مختلفة. ولدى التحدث عمن سببوا الانقسام فند بكل دقة الأباطيل التى اخترعها كل منهم.

(٢) واسمع ما يقول:

«ولذلك أيضا اختلفوا فيما بين أنفسهم، معتنقين آراء متناقضة. لأن أبلس - واحد من الشيعة - افتخر بنفسه بسبب طريقة حياته وسنه، ونادى بمبدأ واحد،[٣] ولكنه قال أن النبوات هى من روح مضاد، وقد دفعه إلى هذا الاعتقاد فتاة تدعى فيلومينا كان بها روح نجس».

(٣) «ولكن غيره - من بينهم بوتيتوس وباسيليكوس - اعتقدوا بمبدأين كما اعتقد مركيون نفسه ربان السفينة».

(٤) «وهؤلاء تبعوا ذئب[٤] بنطس، وسلكوا مثله بطياشة غير قادرين على تفهم حقيقة الأمور، ونادوا بمبدأين دون تقديم أى دليل. وانحدر غيرهم إلى هوة ضلالة أشر، فلم يكتفوا بطبيعتين بل نادوا بثلاث. من بين هؤلاء سينيروس، وهو قائدهم ورئيسهم، كما يقول المدافعون عن تعليمه».

(٥) ويقول نفس المؤلف أنه دخل فى مناقشة مع أبلس، ويروى ما يأتى:

«لأنه لما دخل أبلس، الطاعن فى السن، فى مناقشة معنا دحر فى أمور كثيرة تحدث عنها باطلا. ومن ثم قال أيضا أنه ليس ضروريا على الأطلاق مناقشة المرء فى عقيدته، بل لكل واحد أن يتمسك بما يعتقده. وأكد بأن الذين يثقون فى المصلوب ينالون الخلاص أن عملوا أعمالا صالحة. ولكنه كما قدمنا كانت عقيدته من نحو الله غامضة جدا، لأنه تحدث عن مبدأ واحد، حسب تعليمنا».

(٦) وبعد أن تحدث بالتفصيل عن رأيه هو أضاف قائلا:

---

(١) ك ٤ ف ٢٩. (٢) انظر ك ٤ ف ١١.

(٣) نادى ابلس Apelles باله واحد، وجعل الخالق ملاكا تحت سلطة الاله الأعظم. أما مركيون فقد نادى بمبدأين، وإن الخالق هو الله نفسه الازلى غير المخلوق ولكنه مستقل عن اله المسيحيين الصالح.

(٤) أى مركيون.

«لما قلت له: أخبرونى كيف تعرف هذا، أو كيف تؤكد أنه يوجد مبدأ واحد، أجاب بأن النبوات ناقضت نفسها بنفسها لأنها لم تذكر الحق، فهى غير متفقة، وكاذبة، وتناقض نفسها. ولكنه قال أنه لا يعرف كيف يوجد مبدأ واحد، وأنما هو مقتنع بهذا».

(٧) «ولما ناشدته بأن يقول الحق حلف بأن هذا هو ما فعله لما قال بأنه لا يعرف كيف يوجد اله واحد غير مولود، وانما هذا هو ما يعتقده، عندئذ ضحكت ووبخته، لأنه بالرغم من ادعائه أنه معلم فأنه لم يعرف كيف يثبت ما يعلمه».

(٨) وفى نفس الكتاب يعترف الكاتب - موجها حديثه إلى كالستيو - أنه تعلم فى روما على يد تاتيان[٥] ويقول ان تاتيان أعد كتابا عن «المعضلات» ووعد أن يفسر فيه الأجزاء الغامضة فى الأسفار الإلهية. وقد وعد رودو نفسه بأن يقدم هو - فى كتاب - حلوله لمعضلات تاتيان. ولا يزال يوجد له أيضا تفسير عن أيام الخلقة الستة.

(٩) على أن أبلس هذا كتب أشياء كثيرة بطريقة سافلة عن ناموس موسى، مجدفا على الاقوال الإلهية فى كثير من مؤلفاته، ويبدو انه كان غيورا جدا على هدمها ودحضها.

هذا ما يتعلق بهؤلاء.

الفصل الرابع عشر

الأنبياء الكذبة فى فريجية

إن عدو كنيسة الله، الذى هو بكل تأكيد مبغض للصلاح ومحب للشر، لا يترك أية وسيلة أو حيلة إلا ويجربها ضد البشر، نشط ثانية فى اثارة بدع غريبة ضد الكنيسة.[١] لأن بعض الأشخاص زحفوا، كحيات سامة، إلى آسيا وفريجية ومفتخرين بأن مونتانوس هو البارقليط، وأن المرأتين اللتين تبعتاه، وهما بريسكلا ومكسيميلا، نبيتان لمونتانوس.

الفصل الخامس عشر

انشقاق بلاستوس فى روما

وازدهر آخرون بزعامة فلورينوس - فى روما. وقد سقط من رتبة القسوسية فى الكنيسة، وسقط بلاستوس سقوطا مماثلا. وقد جذبا الكثيرون من الكنيسة لرأيهما، محاولا كل منهما أن يدس بدعة على قدر استطاعته.

(٥) ك ٤ ف ٢٩.

(١) انظر ك ٤ ف ٧.

الفصل السادس عشر

الظروف التي رُوِيت عن مونتانوس وأنبيائه الكذبة

(١) أما عن البدعة الفريجية فأن القوة التى تناضل دائما من أجل الحق أشهرت فى وجهها سلاحا قويا لا يغلب، وهو أبوليناريوس الذى من هيرابوليس السابق التحدث عنه،[١] ومعه أشخاص آخرون مقتدرون تركوا مادة غزيرة جدا استقينا منها الكثير من المعلومات عند كتابة تاريخنا هذا.

(٢) وقد قال أحد هؤلاء فى بداية كتابه الذى كتبه ضدهم أنه دخل معهم فى مناقشة شفوية.

(٣) وافتتح كتابه هكذا:

«لانك أيها الحبيب افيرسيوس مارسيلوس ألححت على مدة طويلة لكتابة بحث ضد هرطقة أولئك الذين ينتسبون إلى ملتيادس، فقد ترددت إلى الآن، لا لعجز فى دحض الضلال أو الشهادة للحق، بل خوفا من أن أبدو فى نظر البعض اننى اتى باضافات لتعليم أو وصايا إنجيل العهد الجديد. فأنه لمن المستحيل على من اختار أن يعيش حسب الأنجيل أن يزيد عليه أو ينقص منه شيئا.

(٤) ولكننى إذ كنت مؤخرا فى أنقرا[٢] بغلاطية، وجدت الكنيسة هناك متهيجة جدا بسبب هذه البدعة، لا النبوة كما يدعونها، بل النبوة الكاذبة كما سيتبين. لذلك فأننا، على قدر استطاعتنا، وبمعونة الرب، تباحثنا فى الكنيسة أياما كثيرة عن هذه الأمور وغيرها مما قدموه، حتى ابتهجت الكنيسة وازدادت قوة فى الحق، أما الخصوم فقد ارتبكوا وقتيا وحزنوا.

(٥) «وأما القسوس الذين كانوا فى ذلك المكان، وكان زميلنا القس زوتيكوس الذى من أوتروس حاضرا أيضا، فقد رجونا أن ندون ما قيل ضد مقاومى الحق ونتركه لهم. على أننا لم نفعل هذا بل وعدنا بكتابته، حالما يسمح لنا الرب، وارساله إليهم حالا».

(٦) وإذ قال هذا وغيره فى بداية كتابه بدأ يشرح سبب البدعة السابق ذكرها كما يلى:

«أما مقاومتهم وبدعتهم الحديثة التى أفرزتهم عن الكنيسة فقد تما كما يلى:

(٧) «كانت هنالك قرية تدعى أردابو فى ذلك الجزء من ميسيا المتاخم لفريجية. ويقال أنه لما كان جراتوس واليا على آسيا كان هنالك شخص اسمه مونتانوس متنصر حديثا. وبسبب تعطشه الذى لا يحد

---

(١) فى ك ٤ ف ٢١ و ٢٦ و ٢٧ و ك ٥ ف ٥.

(٢) كانت عاصمة غلاطية.

للقيادة أعطى الخصم فرصة ضده، وأصبح خارج عقله. وإذ أصبح بغتة فى حالة خبل وذهول صار يهذى وينطق بأمور غريبة، ويتنبأ بحالة مغايرة لعادة الكنيسة السليمة المسلمة إليها من التقليد منذ البداية.

(٨) «اشتد غضب بعض من سمعوا أقواله الزائفة وقتئذ، ووبخوه كشخص قد مسه خبل، وواقع تحت سلطان ابليس، ومدفوع بروح مضل، ومضلل للشعب. فمنعوه من الكلام، متذكرين نصيحة الرب نحو ضرورة التمييز.[٣] والحذر من مجيء الأنبياء الكذبة.[٤] الآخرون، فإذ توهموا أن لديهم الروح القدس وموهبة النبوة، تشامخوا وانتفخوا جدا، ونسوا ما أمر به الرب نحو ضرورة التمييز، وتحدوا روح الضلال والجنون والخبل، وانخدعوا به، ونتيجة لهذا لم يكن من الممكن الاستمرار فى كبح جماحه لكى يسكت.

(٩) «وهكذا بالمكر والحيل الشريرة دبر ابليس هلاكا للعصاة، فأكرموه، وهو لا يستحق أى اكرام، فى الوقت الذى ألهب هو أذهانهم التى كانت قد انحرفت فعلا عن الايمان السليم. وعلاوة على هذا حرك امرأتين[٥] وملأهما روح الضلال حتى صارتا تتكلمان بشكل غريب وبلا روية ولا منطق، كالشخص السابق ذكره.[٦] أما الروح فقد أعلن أنهم مباركون إذ سروا وافتخروا به، ونفخهم بوعوده الخلابة. غير أنه فى بعض الأحيان كان يوبخهم علانية بطريقة حكيمة أمينة لكى يظهر كناصح ومؤدب. على أن الذين انخدعوا من أهل فريجية كانوا قليلى العدد.

«وقد علمهم الروح المتغطرس احتقار الكنيسة بأكملها الجامعة تحت السماء، لأن روح النبوة الكاذبة لم ينل منها أى اكرام ولا سمح له بدخولها.

(١٠) «فالمؤمنون فى آسيا طالما اجتمعوا فى أماكن مختلفة فى كل أرجاء آسيا للتفكير فى هذا الأمر، وفحصوا الأقوال الغريبة، وأعلنوا فسادها، ورفضوا البدعة، وهكذا أبعد هؤلاء الأشخاص من الكنيسة، ومنعوا من الشركة».

(١١) وبعد أن روى هذه الأمور فى البداية، واستمر فى تفنيد ضلالهم فى كل كتابه، تحدث فى الكتاب الثانى كما يلى عن نهايتهم:

(١٢) «فإن قالوا عنا إننا قتلة الأنبياء لأننا لم نقبل أنبياءهم البقاين، الذين يدعون بأنهم هم الذين وعد الرب بارسالهم،[٧] فليجيبوا - كمن هم فى حضرة الله - على هذا السؤال: من بين هؤلاء

---

(٣) التمييز بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة. (٤) (مت ٧ : ١٥).

(٥) مكسيميلا وبريسكلا السابق ذكرهما فى ف ١٤. وكانتا متزوجتين فتركتا زوجيهما وتتلمذتا لمونتانوس وأصبحتا عذراوين فى كنيسته ونبيتين. (٦) أى مونتانوس. (٧) (مت ٢٢ : ٣٤).

أيها الأصدقاء بدأ يتكلم، من مونتانوس إلى المرأتين فنازلا، واضطهد من اليهود أو قتل من الأشرار؟ لا أحد. وهل ألقى القبض على أحد منهم، وصلب من أجل اسم المسيح؟ يقينا أنه لا أحد. هل جلد أحد من هؤلاء النسوة في مجاميع اليهود أو رجم؟ كلا.

(١٣) «ولكن الذى قيل هو أن مونتانس ومكسميلا ماتا بنوع آخر من الموت. لأن الأخبار التى وصلتنا هى أنهما شنقا نفسيهما إذ اعتراهما روح جنون، وذلك ليس فى وقت واحد بل فى وقتين مختلفين ذكرتهما تلك الأخبار - وهكذا ماتا وختما حياتهما كالخائن يهوذا.

(١٤) «وتروى أيضا الأنباء المتواترة عن ذلك الشخص العجيب، أول وكيل لنبوتهم المزعومة، المسمى ثيودوتس، الذى كان يقع فى غيبوبته فى بعض الأحيان، كأنه قد أصعد إلى السماء، وسلم نفسه إلى روح الضلال - تروى هذه الأنباء أنه أقيم كهدف ومات ميتة شنيعة.

(١٥) «ويقولون أن هذه الأمور تمت بهذه الكيفية. ولكن، لأننا لم نرها يا صديقى، فإننا لا ندعى معرفتها. فقد يكون مونتانوس وثيودوتس والمرأة السابق ذكرها ماتوا بهذه الكيفية أم لا».

(١٦) ويقول أيضا فى نفس الكتاب أن الأساقفة القديسين فى ذلك الوقت حاولوا دحض روح مكسيميلا، ولكن أشخاصا آخرين منعوهم، إذ كانوا متعاونين مع الروح بكيفية واضحة.

(١٧) قد كتب كما يلى:

«ولا يقل الروح فى مكسيميلا: لقد طردت من الحظيرة كذئب، أنا لست ذئبا، أنا كلمة وروح وقوة. بل ليظهر قوة الروح ويبرهن عليها. وليتقدم بالروح لمن كانوا حاضرين لمناقشة الروح المتملق وليدفعهم إلى الاعتراف به - أولئك الأشخاص البارزون والأساقفة، زوتيكوس الذى من قرية كومانا. ويوليانوس الذى من أباميا، الذين سد أتباع ثيميسو أفواههم، ولم يسمحوا لهم بدحض الروح المضلل».

(١٨) وبعد أن ذكر فى نفس المؤلف أمورا أخرى لدحض نبوات مكسيميلا الكاذبة، بين الوقت الذى كتب فيه هذا الوصف، وذكر نبواتها التى تنبأت فيها بالحروب والفوضى، وندد ببطلانها فى الكلمات الآتية:

(١٩) «ألم يتبين بجلاء بطلان هذا؟ فقد مضى الآن أكثر من ثلاث عشرة سنة منذ موت تلك المرأة ولم تحدث فى العالم لا حرب محلية ولا حرب عامة. بل بالعكس دام السلام حتى للمسيحيين برحمة الله».

هذا ما ورد فى الكتاب الثانى.

(٢٠) وسأضيف أيضا مقتبسات وجيزة من الكتاب الثالث الذى يتحدث فيه ضد افتخارهم باستشهاد البعض منهم بالكلمات التالية:

«وعندما وقعوا فى حيرة، إذ كذبوا فى كل ما قالوا، حاولوا الاحتماء فى شهدائهم، مدعين بأن لهم شهداء كثيرين، وهذا دليل حى على قوة روح النبوة المزعومة التى لديهم. ولكنه واضح أن هذا محض اختلاق.

(٢١) «لأن بعض الهرطقات استشهد فى سبيلها الكثيرون. ولكننا مع هذا لن نتفق معهم أو نعترف بأنهم على حق. والواقع أولا أن المدعوين مركيونيين - نسبة إلى هرطقة مركيون - يقولون أن لديهم شهداء كثيرين من أجل المسيح، ومع ذلك لا يعترفون بالمسيح نفسه اعترافا صادق».

(٢٢) وبعد ذلك بقليل يستمر فى الحديث قائلا:

«عندما دعى البعض من الكنيسة إلى الاستشهاد من أجل حق الإيمان، والتقوا بمن يدعون شهداء هرطقة فريجية، انفصلوا عنهم، وماتوا دون أن تكون لهم أية شركة معهم، لأنهم رفضوا الاعتراف بروح مونتانوس والنسوة. ومعروف عند الكل أن هذا هو ما حدث يقينا، وأنه حدث فى أيامنا فى أباميا الواقعة على نهر مياندر، بين الذين استشهدوا مع غايس والاسكندر الذى من يومينيا».



الفصل السابع عشر

ملتيادس وأعماله

(١) فى هذا المؤلف يذكر كاتبا، هو ملتيادس، قائلا أنه هو أيضا كتب كتابا ضد الهرطقة السابق ذكرها. وبعد اقتباس بعض الكلمات يضيف قائلا:

«وإذ وجدت هذه الأمور فى مؤلف لهم ضد مؤلف الأخ السيادس الذى يبين فيه أن النبى يجب أن لا يتكلم فى خفة، اقتضبت الأمر».

(٢) وبعد قليل قدم فى نفس المؤلف قائمة بمن تنبأوا فى العصر الجديد، ذكر من بينهم اميا وكوادراتس قائلا:

«أما النبى الكاذب فيقع فى خفة لا يخجل معها أو يخاف. وإذ يبدأ بالتظاهر بالجهل ينتقل إلى حالة خبل النفس اضطرارا كما ذكرنا.

(٣) «وهم لا يستطيعون أن يبينوا أن واحدا من الأنبياء القدماء أو الجدد حمل هكذا بالروح. كذلك لا يستطيعون الافتخار بأمثال أغابوس،[١] أو يهوذا،[٢] أو سيلا[٣] أو بنات فيلبس[٤] أو أميا التى من فيلادلفيا أو كوادراتس أو أى واحد آخر لا يتبعهم».

(٤) وبعد قليل يقول أيضا.

«وإن كانت النساء قد نلن مع مونتانس موهبة النبوة، كما يؤكدون اقتداء بكوادراتس واميا التى من فيلادلفيا، فليبينوا من منهم نالها من أيدى مونتانس والنسوة. لأن الرسول رآه ضروريا أن تستمر موهبة النبوة فى كل الكنيسة حتى المجىء الأخير. أما هم فلا يستطيعون أن يبينوا هذا رغم أن هذه هى السنة الرابعة عشرة منذ موت مكسيميلا»[٥]

(٥) هذا ما كتبه، أما ملتيادس الذى يشير إليه فقد ترك آثارا أخرى عن غيرته من أجل الأسفار الإلهية، وذلك فى الأبحاث التى ألفها ضد اليونانين وضد اليهود، وفيها يرد على كل منهم فى كتاب مستقل. وعلاوة على هذا فأنه وجه احتجاجا للحكام الأرضيين مدافعا عن الفلسفة التى اعتنقها.

---

(١) (اع ١١ : ٢٨ ، ٢١ : ١٠).
(٢) (اع ١٥ : ٢٢ ، ٢٧ و ٣٢).
(٣) (اع ١٥ - ١٨ ، ١ تس ١ : ٢١ ، ١ بط ٥ : ١٢) ولعل سلوانس هو سيلا.
(٤) (اع ٢١ : ٩) ، ك ٣ ف ٢١
(٥) ف ١٦.

الفصل الثامن عشر

الطريقة التى دحض بها أبولونيوس أهل فريجية والأشخاص الذين ذكرهم

(١) وإذ كانت البدعة الفريجية لا تزال مزدهرة فى فريجية فى عصر أبولونيوس[١] - وهو كاتب كنسى - فقد أخذ على عاتقه هو أيضا دحضها، وكتب مؤلفا خاصا ضدها، مصححا بكل دقة النبوات الكاذبة التى كانت شائعة بينهم، ومنتقدا حياة مؤسسى هذه البدعة. لكن اسمع كلماته عن مونتانوس.

(٢) «أن تصرفات وتعاليم هذا المعلم الجديد تكشف عن شخصيته. فهو الذى نادى بحل الزواج،[٢] ووضع قوانين للصوم،[٣] وأطلق على بيبوزا وتيميون (وهما مدينتان صغيرتان فى فريجية) اسم أورشليم، لرغبته فى جمع الناس إليهما من كل الأرجاء، وهو الذى أقام أشخاصا لجمع المال، ورتب قبول الهبات تحت اسم تقدمات، ورتب مرتبات لمن نادوا بتعاليمه لكى تنتشر على حساب النهم والشراهة».

(٣) هذا ما كتبه عن مونتانوس، وبعد قليل يكتب الآتى عن نبياته:

«وقد بينا أن هؤلاء النبيات هجرن أزواجهن حالما امتلأن من الروح. اذن فقد كذب الذين يقولون عن بريسكا أنها عذراء».

(٤) وبعد ذلك يقول:

«ألا يتضح لكم أن كل الكتاب المقدس يمنع النبى من قبول هبات وأموال. فعندما أرى النبية تتقبل ذهبا وفضة وثيابا فاخرة فكيف امتنع عن توبيخها».

(٥) وبعد قليل أيضا يتحدث هكذا عن أحد معترفيهم:

«هكذا أيضا لم يحتمل علامة الشهادة ثيميسو الممتلىء بالطمع الغرار، بل حطم كل القيود التى كانت تمنعه عن وفرة الممتلكات. ورغم أنه كان ينبغى أن يحنى رأسه خجلا بسبب هذا فقد افتخر بأنه

---

(١) يظن أنه كان أسقفا لأفسس.

(٢) يقال أنهم لم يحرموا الزواج قطعا بل حرموا الزيجة الثانية.

٣) يقال أنهم أضافوا أسبوعين لصوم الفصح وأمروا بصوم يومى الأربعاء والجمعة طول النهار بعد أن كان جزءا من النهار.

شهيد، وتظاهر بأنه رسول، فكتب رسالة جامعة لتعليم أشخاص كان ايمانهم أفضل من ايمانه، مليئة بكلمات جوفاء، ومجدفا على الرب والرسل والكنيسة المقدسة».

(٦) وكتب أيضا ما يلي عن بعض أشخاص آخرين أكرموهم كشهداء:

«ولا داعي للكلام عن الكثيرين، بل لتتحدث إلينا النبية نفسها عن الاسكندر الذى دعا نفسه شهيدا، والذى تعودت الجلوس معه فى الولائم، والذى يعبده الكثيرون. ولسنا فى حاجة لذكر حوادث السرقة التى ارتكبها والأعمال الاجرامية الأخرى التى عوقب من أجلها. فهذه تتضمنها السجلات المحفوظة».

(٧) «أى واحد من هؤلاء يصفح عن أخطاء غيره؟ أيصفح النبى عن سرقات الشهيد أو يصفح الشهيد عن طمع النبى؟ لأنه رغم ما قاله الرب: لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا ثوبين.[٤] فإن هؤلاء بعكس الوصية على خط مستقيم خالفوها فيما يتعلق بامتلاك الأشياء المحرمة. وسنبين أن هؤلاء الذين يدعونهم أنبياء وشهداء يجمعون أرباحهم، لا من الأغنياء فحسب، بل أيضا من الفقراء والارامل والأيتام.

(٨) «وإن كانوا واثقين من أنفسهم فليقفوا ويناقشوا هذه الأمور، حتى إذ ما ثبتت ادانتهم كفوا عن تعدياتهم. لأن ثمار النبى يجب أن تمتحن، فمن الثمر تعرف الشجرة.[٥]

(٩) «أما الذين يريدون أن يعرفوا من هو الاسكندر فليعلموا أنه قد حاكمه أميليوس فرونتينوس والى أفسس، لا من أجل اسم المسيح، بل من أجل السرقات التى ارتكبها بسبب ارتداده عن الحق. وبعد ذلك إذ صرح كذبا باسم لرب أطلق سراحه لانه خدع المؤمنين الذين كانوا هناك. ولم تقبله أبروشيته التى أتى منها لأنه كان لصا. وعلى الذين يريدون أن يعرفوا عنه المزيد أن يلجأوا إلى سجلات آسيا العامة، ومع ذلك فإن النبى الذى قضى معه سنوات طويلة لا يعرف عنه شيئا.

(١٠) «وإذ نشهر به نحن نشهر أيضا بادعاء النبى، وهذا ما يمكن اظهاره أيضا عن الكثيرين غيره. أما أن كانوا واثقين من أنفسهم فليصمدوا أمام الامتحان».

---

(٤) (مت ١٠ : ٩ و ١٠).

(٥) (مت ١٢ : ٣٣).

(١١) وفى جزء آخر من مؤلفه يتحدث كما يلى عن الأنبياء الذين يفتخرون بهم:

«أن أنكروا أن أنبياءهم قبلوا هدايا فليعترفوا بهذا، حتى إذا ما ثبتت ادانتهم من جهة قبولها ثبت أنهم ليسوا أنبياء. وسنقدم الأدلة الكثيرة جدا عن هذا. ولكنه من الضرورى امتحان كل ثمار النبى. قولوا لى هل النبى يصبغ شعره؟ هل النبى يصبغ جفن عينيه؟ هل النبى يتلذذ بالتزين؟ هل النبى يلعب الميسر؟ هل النبى يقرض بالفائدة؟ ليعترفوا أن كانت هذه الأمور جائزة أما لا، أما أنا فسأبين أنهم ارتكبوها فعلا».

(١٢) ويذكر أبولونيوس هذا نفسه، فى نفس المؤلف، أنه فى وقت كتابة مؤلفه كانت قد مرت أربعون سنة منذ بدأ مونتانوس نبوته المزعومة.

(١٣) ويقول أيضا بأن زوتيكوس، الذى ذكره الكاتب السابق،[٦] قاوم مكسيميلا عندما كانت تزعم التنبؤ فى بيبوزا، وحاول أن يفضح الروح الذى كان يعمل فيها. ولكن الذين كانوا موافقين لها منعوه. وذكر أيضا شخصا اسمه ثراسيس كان من بين شهداء ذلك الوقت.

وعلاوة على هذا تحدث عن رواية رويت عن المخلص أنه أمر رسله بأن لا يغادروا أورشليم مدة اثنتى عشرة سنة،[٧] واقتبس أيضا شهادات من رؤيا يوحنا، وروى أن يوحنا نفسه أقام ميتا فى أفسس بمعونة القوة الإلهية. وأضاف أمورا أخرى فضح فيها بقوة ضلال البدعة موضوع حديثنا.

هذه هى الأمور التى دونها أبولونيوس.

(٦) انظر ف ١٦ و ١٧.

(٧) وهذا ما رواه أيضا اكليمنضس الاسكندرى.

الفصل التاسع عشر

سرابيون وكتاباته عن بدعة أهل فريجية

(١) أما سرابيـون الذى يقول أنه خلف مكسيمـينوس[١] كأسقف على كنيسـة أنطاكية فى ذلك الوقت[٢] فإنه يذكر مؤلفـات أبوليناريوس[٣] ضد البدعة السابق ذكرها، ويشـير إليه فى خطاب خاص أرسله إلى كاريكوس وبونتيوس، يفضح فيه البدعة ذاتها، ثم يضيف الكلمات التالية.

(٢) «لكى ترى أن أعمال هذه العصـابة المضللة المنتمية لتلك النبوة الجديدة المزعـومة كريهة لدى كل الاخوة فى كل العالم أرسلت إليك كتابات[٤] المغبوط جدا كلوديوس أبوليناريوس أسقف هيرابوليس فى آسيا».

(٣) وفى نفس خطاب سـرابيون وجدت تـوقيعـات أسـاقفـة عديدين، كـتب أحـدهـم عـن نفـسه ما يلى:

«أنا أوريليوس كيرينيوس، أحد الشهود، أصلى لتوهبوا الصحة».

وقال آخر بنفس الكيفية:

«أنا اليوس ببليوس أسقف دبلـتوم،[٥] وهى مستعمرة فى ثريس، كـما يسكن الله فى السموات أراد سوتاس فى انكيالوس[٦] أن يخرج الشيطان من بريسكلا، ولكن المرائين لم يسمحوا له بذلك».

(٤) ويتضمن نفس الخطاب توقيعات أساقفة آخرين كثيرين متفقين معهم.

هذا ما قيل عن هؤلاء الأشخاص.

---

(١) انظر ك ٤ ف ٢٤. (٢) حوالى سنة ١٩٠م.

(٣) انظر ك ٤ ف ٢٧. (٤) انظر ك ٤ ف ٢٧.

(٥) و (٦) مدينتان فى ثريس على الشاطىء الغربى للبحر الأسود.

الفصل العشرون

كتابات إيريناوس ضد المنشقين فى روما

(١) وقد كتب ايريناوس[١] عدة رسائل ضد من كانوا يشوشون على الترتيب السليم فى كنيسة روما. أرسلت احداهما إلى بلاستس[٢] عن الانشقاق، وأخرى إلى فلورينوس عن الملكية، أو أن الله ليس مصدر الشر. إذ يبدو أن فلورينوس[٣] كان يدافع عن هذا الرأى. ولأنه قد انحرف بسبب ضلالة فالنتينوس فقد كتب ايريناوس مؤلفه عن «الثمانى»[٤] الذى يبين فيه أنه هو نفسه تعرف على أوائل خلفاء للرسل.

(٢) وفى ختام المؤلف نجد ملاحظة جميلة جدا نرى أنفسنا ملزمين باثباتها فى هذا المؤلف. وهذا نصها:

«أحلفك يا من قد تكتب صورة من هذا الكتاب - بربنا يسوع المسيح وبمجيئه الثانى المجيد الذى فيه يدين الأحياء والأموات - أن تقارن ما سوف تكتبه بهذه النسخة وتصححه عليها بدقة. وأن تثبت هذا الحلف وتضعه فى النسخة التى تكتبها».

(٣) جميل أن نقرأ هذه الأمور فى مؤلفه، وجميل أن نرويها لكى يكون هؤلاء الرجال الأقدمون القديسون بالحق كأمثلة عليا فى الصبر والتدقيق.

(٤) وفى الرسالة إلى فلورينوس، السابق التحدث عنها،[٤] يذكر ايريناوس أيضا أنه كان صديقا لبوليكاربوس قائلا:

«أن أبسط ما يقال عن هذه التعاليم يا فلورينوس هو أنها ليست سليمة، هذه التعاليم لا تتفق وتعاليم الكنيسة، وتطوح إلى هاوية الضلال والفساد كل من يقبلونها. هذه التعاليم التى لم يجرؤ أحد - حتى من الهراطقة البعدين عن الكنيسة - على نشرها. هذه التعاليم لم يسلمها إليك الشيوخ الذين كانوا قبلنا، والذين كانوا معاصرين للرسل.

---

(١) بخصوص ايريناوس انظر ك ٤ ف ٢١

(٢) و (٣) يخبر يوسابيوس فى ف ١٥ أن بلاستس وفلورينوس جذبا الكثيرين فى كنيسة روما بارائهما الغريبة وبدعهما.

(٤) نادى فالنتينوس بثمانية دهور كأصل لكل الدهور الكائنات لذلك كتب ايريناوس مؤلفا ضد هذه العقيدة.

(٥) «لأننى لما كنت صبيا رأيتك فى آسيا السفلى مع بوليكاربوس تتحرك فى عظمة فى الحاشية الملكية، ومحاولا أن تنال رضاه.

(٦) «وانى أتذكر حوادث ذلك الوقت بوضوح أكثر من حوادث السنوات الأخيرة. لأن ما يتعلمه الصبيان يرسخ في عقولهم. لذلك ففىّ امكانى وصف نفس المكان الذى كان يجلس فيه المغبوط بوليكاربوس وهو يلقى أحاديثه، ودخوله وخروجه، وطريقة حياته، وهيئة جسمه، وأحاديثه للشعب، والوصف الذى قدمه عن عشرته ليوحنا، والاخرين الذين رأوا الرب، ولأن بوليكاربوس كان متذكرا كلماتهم، وما سمعه منهم عن الرب وعن معجزاته وتعاليمه لاستلامها من شهود شهدوا بأعينهم كلمة الحياة،[٥] فقد روى كل شىء بما يتفق مع الأسفار المقدسة.

(٧) «وإذ رويت إلى هذه الأمور برحمة الله أصغيت إليها بانتباه، مسجلا أياها لا فى ورق بل فى قلبى. وصرت أرددها على الدوام بأمانة بنعمة الله. وفى امكانى تقديم الشهادة أمام الله أنه لو كان هذا الشيخ الرسولى قد سمع أمرا كهذا لصرخ صاما أذنيه، ونادى كعادته: يا الله الصالح، إلى متى تبقى حياتى حتى أحتمل أمورا كهذه، ولهرب من المكان الذى سمع فيه هذه الكلمات جالسا أو واقفا.

«وهذا يمكن أن يتبين بوضوح من الرسائل إلى أرسلها أما إلى الكنائس المجاورة لتثبيتها أو إلى الاخوة ناصحا وواعظا».

هذا ما يختص بايريناوس.

---

(٥) (١يو ١ : ١).

الفصل الحادي والعشرون

كيف استشهد أبولونيوس في روما

(١) وفي ذلك الوقت - في عهد كومودس - تحسنت أحوالنا، وبنعمة الله تمتعت الكنائس في كل العالم بالسلام، وكانت كلمة الخلاص تهدي كل نفس من كل الجنس البشري لعبادة اله الكون عبادة نقية. لذلك كان الكثيرون من البارزين في روما وقتئذ بسبب ثروتهم أو نسبهم يرجعون إلى خلاصهم مع كل أهل بيتهم وأقاربهم.

(٢) ولكن الشيطان - مبغض الصلاح - لم يحتمل هذا بسبب خبث طبيعته، بل أعد نفسه ثانية للنضال، مدبرا حيلا كثيرة ضدنا. وقدم إلى كرسي القضاء أبولونيوس الذي من مدينة روما، وهو رجل اشتهر بين المؤمنين بالعلم والفلسفة، إذ حرض أحد خدمه ليتهمه وكان هذا الخادم خليقا بعمل كهذا.

(٣) على أن هذا التعس قدم التهمة في وقت غير مناسب، لأنه كان قد صدر أمر ملكي بأنه لا يجوز أن يعيش أي شخص يبلغ عن مثل هذه الأمور. فكسرت ساقاه في الحال، لأن بيرينيوس القاضي حكم عليه بهذا الحكم.

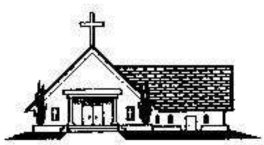
(٤) أما الشهيد، محبوب الله جدا، فقد رجاه القاضي بحرارة لكي يدافع عن نفسه أمام مجلس الأعيان، فقدم أمام الجميع دفاعا بليغا عن الإيمان الذي كان يشهد له. فأعدم بقطع رأسه وذلك بقرار من مجلس الأعيان، لأنه كان هنالك قانون قديم يتضمن بأن الذين يؤتى بهم إلى كرسي القضاء ويرفضون أن يجحدوا الإيمان يجب أن لا يخلى سبيلهم.

(٥) وكل من يريد معرفة حججه أمام القاضي، واجابته على أسئلة بيرينيوس، ودفاعه الكامل أمام مجلس الأعيان، يجدها في سجلات الاستشهادات القديمة التي جمعناها.

الفصل الثاني والعشرون

الأساقفة الذين اشتهروا وقتئذ

في السنة العاشرة من حكم كومودس ارتقى فيكتور الاسقفية خلفا لاليوثيروس الذى شغلها ثلاث عشرة سنة. وفى نفس السنة، بعد أن أكمل يوليانوس[١] سنته العاشرة، أؤتمن ديمتريوس[٢] على أبروشيات الاسكندرية. وفي ذلك الوقت كان لا يزال سرابيون[٣] الثامن بعد الرسل - معروفا جدا كأسقف كنيسة انطاكية. وترأس ثيوفيلس[٤] فى قيصرية فلسطين. وكان نركيسوس[٥] السابق ذكره - لا يزال مؤتمنا على كنيسة أورشليم. وفى نفس الوقت كان باتسيلوس[٦] أسقفا فى كورنثوس باليونان، وبوليكراتس[٧] أسقفا على أبروشية أفسس. وعلاوة على هؤلاء كان هنالك آخرون كثيرون بارزون بطبيعة الحال. ولكننا دونا فقط أسماء من وصلت إلينا، كتابة، صحة ايمانهم.



(١) بخصوص يوليانوس أسقف الاسكندرية انظر ف ٩.

(٢) نصب أسقفا سنة ١٨٩م، وظل فى الأسقفية ٤٣ سنة (انظر ك ف ٢٦). كان فى بداية الأمر صديقا لاوريجانوس ولكن الصداقة انقلبت فيما بعد إلى عداوة (انظر ك ٦ ف ٨).

(٣) ف ١٩.

(٤) اشتهر ثيوفيلس بصفة خاصة بسبب موقفه فى المنازعة الخاصة بعيد الفصح. وقد رأس المجمع المشار اليه فى الفصل التالى هو ونركيسوس.

(٥) انظر ف ١٢.

(٦) لعله هو باتشيلدس المذكور فى ك ٤ ف ٢٣. وقد كتب رسالة عن المنازعة الفصحية الوارد ذكرها فى الفصل التالى

(٧) تزعم بوليكراتس أساقفة آسيا فى المنازعة الفصحية ولذا كان هو أول خصم لفكتور أسقف روما

الفصل الثالث والعشرون

المسألة التى أثيرت وقتئذ بخصوص الفصح

(١) وقد أثيرت وقتئذ مسألة ليست هينة. لأن جميع أبروشيات آسيا اعتقدت - بناء على تقليد قديم - أن اليوم الرابع عشر القمرى، وهو اليوم الذى أمر فيه اليهود أن يذبحوا خروف الفصح، هو الذى يجب أن يحفظ كعيد فصح مخلصنا.[١] لذلك كان يجب أن ينتهى صومهم فى ذلك اليوم، بغض النظر عن وقوعه فى أى يوم من الأسبوع.

ولكن لم تجر العادة فى سائر كنائس العالم أنهاء الصوم فى ذلك الوقت لأنه جرت عادتهم، التى تسلموها من التقليد الرسولى، والتى لا تزال سارية إلى الآن، أن لا ينهوا صومهم فى أى يوم آخر سوى يوم قيامة مخلصنا.

(٢) ولهذا السبب عقدت المجامع واجتمع الأساقفة، واتفق الكل برأى واحد، بعد تبادل الرسائل، على اصدار أمر كنسى بأن سر قيامة الرب يجب أن لا يحتفل به فى أى يوم آخر سوى يوم الرب، وإننا يجب أن نختم الصوم الفصحى فى هذا اليوم فقط. ولا يزال موجودا ما كتبه أولئك الذين اجتمعوا فى فلسطين وقتئذ، الذين رأسهم ثيوفيلس أسقف قيصرية ونركيسوس[٢] أسقف أورشليم. يوجد أيضا مكتوب عن الذين اجتمعوا فى روما لبحث نفس المسألة، وهو يحمل اسم الأسقف فيكتور، وأيضا ما كتبه أساقفة بنطس الذين رأسهم بالماس[٣] باعتباره أكبرهم سنا، وأساقفة أبروشيات بلاد الغال التى كان ايريناوس أسقفا لها، وأساقفة أو اسراهونى[٤] والمدن التى هناك.

---

(١) كان النزاع الذى أثير بين كنائس آسيا الصغرى وسائر كنائس العالم هو : هل تمارس فريضة عشاء الفصح فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان أو فى يوم أحد عيد القيامة دون مراعاة للتقويم اليهودى. فمسيحيوا آسيا الصغرى اقتدوا بالرسولين يوحنا وفيلبس واعتادوا الاحتفال بالفصح المسيحى فى الرابع عشر من شهر نيسان، مهما حل ذلك اليوم من أيام الاسبوع، وذلك بالصوم طول النهار، ثم تناول العشاء الربانى فى نهاية النهار، تذكارا لعشاء الفصح الأخير الذى مارسه المسيح. أما باقى الكنائس فكانت تحتفل بذكرى موت المسيح يوم الجمعة وبذكرى القيامة فى يوم الأحد التالى للبدر (القمر الكامل) بعد الاعتدال الربيعى. وقد أثيرت أول مناقشة فى هذا الأمر بين بوليكاربوس وانيسيتوس أسقف روما عندما كان الأول يزور روما بين سنة ١٥٠ و ١٥٥م. وحوالى سنة ١٧٠م أثير الخلاف ثانية فى لاودكية، وكان المتنازعان الرئيسيان ميليتو فى ساردس وأبوليناريوس فى هيرابوليس (انظر ك ٤ ف ٢٦ و ٢٧). وأخيرا أثير النزاع فى الكنيسة العامة.

(٢) انظر الفصل السابق.

(٣) بالماس أسقف أماستريس فى بنطس. انظر ك ٤ ف ٢٣.

(٤) منطقة فى شمال غربى بلاد ما بين النهرين.

(٣) ورسالة شخصية لباتشيلوس أسقف كنيسة كورنثوس، ورسائل لأشخاص آخرين كثيرين نطقوا بنفس الرأى والحكم، وأعطوا صوتهم بنفس المعنى.

وكان ما تقدم هو رأيهم الاجماعى.

الفصل الرابع والعشرون

النزاع فى آسيا

(١) على أن أساقفة أسيا - يتزعمهم بوليكراتس - قرروا التمسك بالعادة القديمة المسلمة إليهم. وقد كتب هو نفسه رسالة وجهها إلى فيكتور وإلى كنيسة روما بين فيها التقليد الذى تسلمه، وذلك فى الكلمات التالية.

(٢) «أننا نحتفل باليوم المضبوط دون اضافة أو حذف. لأنه قد رقد فى آسيا أيضا أنوار عظيمة ستقوم ثانية فى يوم مجىء الرب عندما يأتى بمجد من السماء ويطلب جميع القديسين. بين هؤلاء فيلبس، أحد الرسل الاثنى عشر، الذى رقد فى هيرابوليس. وابنتاه العذراوان الطاعنتان فى السن، وابنة أخرى عاشت فى الروح القدس، وتستريح الان فى أفسس».

(٣) «وعلاوة على هؤلاء يوحنا الذى كان شاهدا ومعلما، والذى اتكأ فى حضن الرب، وإذ كان كاهنا لبس الصدرة المقدسة. وقد رقد فى أفسس».

(٤) «وبوليكاربوس[١] فى أزمير الذى كان أسقفا وشهيدا، وثريس وهو أسقف وشهيد من يومينيا، الذى رقد فى أزمير».

(٥) «وهل هنالك حاجة لذكر ساجارس[٢] الأسقف والشهيد الذى رقد فى لادوكية، أو المغبوط بابيروس أو ميليتو[٣] الخصى الذى عاش كلية فى الروح القدس ورقد فى سادرس منتظرا الأسقفية من السماء عندما يقوم من الأموات».

---

(١) بخصوص بوليكاربوس انظر ك ٤ ف ١٤.

(٢) ك ٤ ف ٢٦. (٣) ك ٤ ف ٢٦.

(٦) «جميع هؤلاء احتفظوا باليوم الرابع عشر من الفصح وفقا للانجيل، دون أى انحراف، بل متبعين قاعدة الايمان. وأنا أيضا بوليكراتس، أصغركم جميعا، أتصرف حسب تقليد أقربائى، الذين اتبعت بعضهم عن قرب. لأن سبعة من أقربائى كانوا أساقفة، وأنا الثامن. وقد كان أقربائى دائما يحفظون اليوم الذى كان الشعب[٤] يرفعون فيه الخمير».

(٧) «لذلك فإننى أيها الاخوة، أنا الذى عشت خمسا وستين سنة فى الرب، والتقيت بالاخوة فى كل العالم، وتصفحت كل سفر من الكتاب المقدس، لا أفزع من الكلمات المخيفة. لأن من هم أعظم منى قالوا: يجب أن نطيع الله أكثر من الناس[٥]».

(٨) بعد ذلك كتب عن جميع الأساقفة الذين كانوا حاضرين معه، وفكروا نفس تفكيره. وهاك كلماته:

«وفى استطاعتى ذكر الأساقفة الذين كانوا حاضرين، الذين استدعيتهم كرغبتكم[٦] والذين لو كتبت أسماءهم لجمعت سفرا ضخما. أما هم، وقد رأوا حقارتى، فقد وافقوا على الرسالة، عالمين أننى لم أحمل شعرى الأبيض عبثا، بل كنت دواما أضبط حياتى بالرب يسوع».

(٩) عندئذ حاول فيكتور، رئيس كنيسة روما، أن يقطع كل أبروشيات أسيا فى الحال من وحدة الكنيسة العامة، وكذا الكنائس التى وافقتها، كهراطقة. وكتب رسائل أعلن فيها حرم جميع الاخوة هنالك.

(١٠) ولكن هذا لم يرض جميع الأساقفة، فطلبوا إليه أن يراعى ما هو للسلام، وأن يراعى وحدة ومحبة الجوار. ولا تزال كلماتهم موجودة، وفيها توبيخ عنيف لفيكتور.

(١١) من بينهم ايريناوس، الذى أرسل رسائل باسم الاخوة فى بلاد الغال، الذى كان يترأس عليهم، مصرحا بأن سر قيامة الرب يجب أن يحفظ فقط فى يوم الرب. وحقا فعل، إذ نصح فيكتور بأن لا يقطع كنائس لله برمتها حافظت على تقليد عادة قديمة. وبعد كلمات كثيرة يستأنف الحديث قائلا:

(١٢) «لأن النزاع ليس محصورا فى اليوم فقط، بل يتعلق أيضا بطريقة الصوم. فالبعض يظنون أنهم يجب أن يصوموا يوما واحدا، وغيرهم يومين، وغيرهم أكثر. والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهارا وليلا.[٧]

(٤) أى اليهود. وكانوا يحتفلون بعيد الفصح مساء اليوم الرابع عشر من نيسان، وكانوا يأكلونه مع الفطير (خر ١٢ : ١٦) ولذا كان اليهود يرفعون الخمير فى اليوم الرابع عشر إلى سبعة أيام.

(٥) (اع ٥ : ٢٩)

(٦) هذا يبين أن المجمع الأسيوى دعى كطلب فيكتور أسقف روما.

(٧) يترجم البعض هذه العبارة هكذا: والبعض اربعين يوما حاسبين ساعات النهار والليل يومهم.

(١٣) «وهذا الاختــلاف فى حفظ الصـوم لم ينشأ فى أيامنا، بل فى أيام آبائنا قــبل ذلك بوقت طويل. ويبدو أنهم لم يراعـوا الدقة التامـة، وهكذا تركوا لأنسالهم عادة تـتـفق مع بساطتهم وطريقـتهم الخاصة. ومع ذلك فـقد عاش جميع هؤلاء فى سـلام، ونحن أيضا نعيش فى سلام مع بعـضنا بعضا، وعدم الاتفاق فى الصوم يؤيد الاتفاق فى الإيمان».

(١٤) ويضيف إلى هذا الكلمات التالية الخليقة بإثباتها هنا:

«وبين هؤلاء كان المشـايخ قبل سـوتير رئيس الكنيسـة التى تدبرها أنت الآن. نعنى أنيسـيتوس وبيوس وهيجينوس وتلسفوروس وزيستوس: وهم لا حفظوه[٨] بأنفسهم ولا سمحوا بذلك لمن بعدهم. ومع أنهم لم يحفظوه فكانوا فى سـلام مع من أتى إليهم من الأبروشيات التى حـفظته، وبالرغم من أن حفظه كان يقاوم جدا ممن لم يحفظوه.

(١٥) «ولكن لم يبـعد أحد قط من الكنيـسة لهـذا السبب. فالمشايخ قبلك الذين لـم يحفظوه أرسلوا العشاء الربانى لمن حفظوه فى الابروشيات الأخرى.

(١٦) «وعندما كان المغبوط بوليكاربوس فى روما، فى وقت أنيسيتوس، واختلفا قليلا فى بعض أمور أخرى، حل السلام بينهما فى الحال، دون أن يتشاجرا بصدد هذا الأمر. لأن أنيسـيتوس عجز عن أن يقنع بوليكاربوس بالعـدول عن اتباع مـا كان يمارسـه دواما مع يوحنا رسـول ربنا وباقى الرسل الذين اختلط بهم، كـذلك عجز بوليكاربوس عن اقناع أنيســيتوس لحفظه، إذ قال أنه يجب اتـباع العادات التى مارسها المشايخ قبله.

(١٧) «ورغم أن الحالة كانت على هذا الوجه فقد احتفظا بعشـرتهما معا، وتنازل انيسيتوس عن خدمة العشاء الربانى فى الكنيسة إلى بوليكاربوس، كعلامة احترام. وافترقا فى سلام، من حفظ ومن لم يحفظ، محتفظين بسلام كل الكنيسة».

(١٨) هكذا صار ايريناوس - وحسنا سمى بهذا الاسم[٩] - صـانعا سلاما فى هذه الناحية، إذ قدم النصائح وأرسل الرسائل اللازمة على هذا الوجه من أجل سلام الكنائس. وتبادل الرسائل، فى هذه المسألة التى كانت تحت البحث، ليس فقط مع فيكتور بل أيضا مع أغلب قادة الكنائس.

---

(٨) أى اليوم الرابع عشر.

(٩) ايرينى باليونانية معناها سلام.

الفصل الخامس والعشرون

كيف وصل الجميع إلى اتفاق بخصوص الفصح

أما الذين في فلسطين السابق ذكرهم مؤخرا، نركيسوس وثيوفيلس،[1] ومعهما كاسيوس أسقف كنيسة صور، وكلاروس أسقف كنيسة بتولمايس، ومن أجتمعوا معهم[2] فأنهم إذ ذكروا أمورا كثيرة عن التقليد الخاص بالفصح الذي وصل إليهم بالتعاقب من الرسل، أضافوا الكلمات الآتية في ختام ما كتبوه:

«اجتهدوا أن ترسلوا نسخا من رسالتنا إلى كل كنيسة، لكي لا نعطي فرصة لمن يخدعون نفوسهم بسهولة. ونعرفكم بأنهم في الاسكندرية يحفظونه في نفس اليوم مثلنا. لأن الرسائل قد حملت منا إليهم ومنهم إلينا، حتى إننا نحفظ اليوم المقدس بنفس الطريقة وفي نفس الوقت».

الفصل السادس والعشرون

مؤلفات إيريناوس الرائعة التي وصلت إلينا

وعلاوة على مؤلفات ايريناوس ورسائله السابق ذكرها[1] فلا يزال موجودا كتاب له عن المعرفة كتبه ضد اليونانيين، وهو كتاب في غاية الدقة والقوة، وكتاب آخر وجهه إلى أخ اسمه مركيان لايضاح التعاليم الرسولية، ومجلد يتضمن أبحاثا مختلفة يذكر فيها الرسالة إلى العبرانيين، والسفر المسمى حكمة سليمان، مقتبسا منهما بعض الاقتباسات. هذه هي مؤلفات ايريناوس التي وصلت إلى علمنا.

وإذ انتهى حكم كومودس بعد ثلاث عشرة سنة أقيم ساويرس امبراطورا، بعد أقل من ستة شهور من موت كومودس، وفي الفترة المتوسطة كان يحكم برتيناكس.

---

(1) ف ٢٢ و ٢٣.

(2) أي في مجمع فلسطين السابق ذكره في ف ٢٣.

(1) انظر ك ٤ ف ٢١.

الفصل السابع والعشرون

مؤلفات الآخرين التى ازدهرت فى ذلك الوقت

ولا يزال الكثيرون يحتفظون بتذكارات عديدة، عن غيرة واخلاص رجال الكنيسة فى ذلك الوقت. من بين هؤلاء نذكر بصفة خاصة كتابات هيراكليتوس «عن الرسول»، وكتابات مكسيموس عن المسألة التى طالما ناقشها الهراطقة. أى «أصل الشر»، وعن «خلقة المادة». ومؤلفات كنديدوس عن ستة أيام الخلقة، ومؤلفات أبيون عن نفس الموضوع. وكذا مؤلفات سكستوس عن قيامة الأموات، ومؤلف آخر وضعه أرابيانوس وكتابات لآخرين كثيرين من المستحيل أن نذكر فى مؤلفنا شيئا عن الوقت الذى عاشوا فيه، أو اعطاء أى بيان عن تاريخهم لعدم توفر معلومات لدينا عنهم. وقد وصلت إلينا مؤلفات كثيرين آخرين لا نستطيع اعطاء أسمائهم، وهم كتاب مستقيمو الرأى (ارثوذكسيون) وكنسيون كما يتبين من تفسيرهم للاسفار الإلهية، ولكنهم غير معروفين لدينا لخلو كتاباتهم من أسمائهم.

الفصل الثامن والعشرون

أول من أذاعوا بدعة أرتيمون
طريقة حياتهم، وكيف تجاسروا على إفساد الأسفار المقدسة

(١) وفى مؤلف جليل الشأن كتبه أحد هؤلاء الكتاب ضد بدعة أرتيمون، التى حاول بولس السميساطى[١] أن يبعثها من قبرها ثانية فى أيامنا، توجد رواية مناسبة للتاريخ الذى نتحدث عنه الان.

(٢) لانه ينتقد البدعة السابق ذكرها التى تنادى بأن المخلص كان مجرد انسان، لانهم كانوا يحاولون أن يعظموا من شأنها، بينما أثبت هو أنها لم تظهر إلا حديثا. وبعد أن قدم فى مؤلفه حججا أخرى كثيرة لتفنيد أباطيلهم وتجاديفهم، أضاف الكلمة الآتية:

(٣) «لأنهم يقولون أن جميع المعلمين المتقدمين والرسل تقبلوا ما يعلنونه هم الآن، وكانوا ينادون به، وأن حق الإنجيل حفظ حتى أيام فيكتور الأسقف الثالث عشر لروما بعد بطرس، ولكن الحق فسد منذ أيام خلفه زفيرينوس.

---

(١) بخصوص بولس هذا انظر ك ٧ ف ٢٧.

(٤) «ولو لم تناقضهم الأسفار الإلهية لكان ما يقولونه معقولا. وهنالك كتابات لبعض الاخوة أسبق عهدا من فيكتور، كتبوها دفاعا عن الحق، وضد الوثنيين، وضد الهرطقات التى كانت فى أيامها. وإننى أشير إلى يوستينوس[٢] وملتيادس[٣] وتاتيان[٤] واكليمنضس[٥] وآخرين عن المسيح فى كل مؤلفاتهم كاله.

(٥) «لأنه من ذا الذى لا يعرف مؤلفات ايريناوس[٦] وميليتو[٧] وغيرهما، التى تثبت أن المسيح اله وانسان.[٨] وكم من المزامير والترانيم كتبها الاخوة المؤمنون من البدء تتحدث عن المسيح كلمة الله، وتصرح بأنه اله.

(٦) «وكيف كان ممكنا - وقد كرز برأى الكنيسة سنوات طويلة - أن تتأخر كرازتها حتى أيام فيكتور كما يدعون؟ وكيف لا يخجلون من التحدث هكذا زورا عن فيكتور وهم يعلمون تماما أنه قطع من الشركة ثيودوتس الاسكافى، قائد وباعث هذه البدعة التى تنكر الله، وأول من نادى بأن المسيح مجرد انسان؟ لأنه إن كان فيكتور موافقا لرأيهم، كما تقول افتراءاتهم، فكيف أمكنه أن يخرج ثيودوتس مخترع هذه البدعة؟».

هذا ما قيل عن فيكتور

(٧) وقد دامت أسقفيته عشر سنوات، ثم أقيم زفيرينوس خليفة له حوالى السنة التاسعة من حكم ساويرس. وقد روى مؤلف الكتاب المشار إليه، بخصوص مؤسس هذه البدعة، حادثة أخرى حدثت أيام زفيرينوس، فى الكلمات التالية.

(٨) «وسأذكر الكثيرين من الاخوة بحقيقة حدثت فى أيامنا. لو أنها حدثت فى سدوم، لاعتبرت فى اعتقادى انذارا لهم. كان هنالك معترف يسمى ناتاليوس ليس منذ عهد بعيد بل فى أيامنا».

(٩) «هذا الرجل خدعه فى وقت واحد اسكليبيودوتس وشخص آخر يحمل نفس اسم ثيودوتس، وهذا صراف نقود. وكلاهما كانا تلميذين لثيودوتس الاسكافى الذى كان كما قدمت أول من حرمه فيكتور، الأسقف وقتئذ، بسبب هذه العاطفة، أو بالأحرى بسبب عدم الاحساس هذا».

(١٠) «وقد أقنعوا أناتاليوس ليقبل بل يختار أسقفا لهذه البدعة بماهية يدفعونها له وهى مائة وخمسون دينارا شهريا».

---

(٢) انظر ك ٤ ف ١١. (٣) ف ١٧. (٤) ك ٣ ف ٢٩. (٥) ف ١١
(٦) ف ٤ ف ٢١. (٧) انظر ك ٤ ف ٢٦. (٨) انظر المقدمة.

(١١) «ولما اندمج معهم هكذا حذره الرب مرارا بواسطة بعض الرؤى. لأن الله الرحوم ربنا يسوع المسيح لم يشأ أن ذاك الذى شهد لالامه يهلك باخراجه من الكنيسة».

(١٢) «ولكن لأنه لم يبال كثيرا بالرؤى، إذ كان قد أغرى باعطائه أول مركز بينهم، وبالطمع المخزى الذى يسبب هلاك الكثيرين، فقد جلده الملائكة المقدسون،[٩] وعاقبوه بقسوة طول الليل. ولما قام فى الصباح لبس المسوح وتغطى بالرماد، وبمنتهى السرعة ودموع غزيرة سقط عند قدمى زفيرينوس الأسقف، وارتمى ليس عند أقدام رجال الكهنوت فقط بل أيضا عند أقدام العلمانيين. وحرك بدموعه عواطف كنيسة المسيح الرحوم. ورغم أنه قدم الكثير من التوسلات، وأظهر آثار الجلدات التى جلد بها، فانه لم يسمح له بالعودة إلى الشركة إلا بشق النفس».

(١٣) ولنقتبس من نفس الكاتب فقرات أخرى عنهم هاك نصها:

«وقد عاملوا الأسفار الإلهية بعدم اكتراث وبدون خوف. وطرحوا جانبا قاعدة الإيمان القديم. ولم يعرفوا المسيح. وهم لا يحاولون معرفة ما تعلنه الأسفار الإلهية، بل يبذلون أقصى الجهد للبحث عن بعض الألفاظ المنطقية التى يمكن احكامها لتدعيم آرائهم الكفرية. وأن قدم أى واحد فقرة من الأسفار الإلهية إليهم اجتهدوا أن يستخلصوا منها أى رأى منطقى سلبى أو ايجابى.

(١٤) «ولأنهم من الأرض، ومن الأرض يتكلمون، ولانهم يجهلون الآتى من فوق، فقد تركوا كتابات الله المقدسة ليتفرغوا لعلم الهندسة.[١٠] فبعضهم أجهد نفسه ليقيس اقليدس،[١١] والبعض أعجب بارسطوطاليس وثيوفراستوس، بل لعل البعض قد عبد جالن.

(١٥) «فإن كان الذين يستعينون بفنون غير المؤمنين فى آرائهم الهرطوقية، وفى تحريف بساطة الإيمان بالأسفار الإلهية، قد ابتعدوا عن الإيمان، فماذا يلزمنا أن نقول؟ لذلك وضعوا أيديهم بجرأة على الأسفار الإلهية، زاعمين بأنهم قد صححوها.

(١٦) «وليعلم كل من يريد بأننى لا أفترى عليهم فى هذا الأمر. لانه أن جمع أحد نسخهم المختلفة وقارنها ببعضها وجدها تختلف عن بعضها اختلافا بينا.

---

(٩) وقد ترجمها البعض «المسيحيون الأشداء»

(١٠) ترجمها البعض مقاييس الارض.

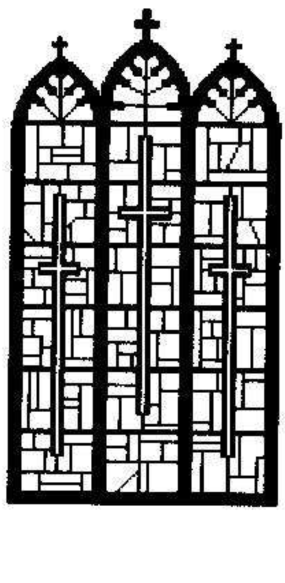
(١١) عالم اسكندرى نبغ فى الهندسة سنة ٣٠٠ ق. م.

(١٧) «فمثلا نسخ اسكالبيادس لا تتفق مع نسخ ثيودوتس. ومن الممكن الحصول على كثير من هذه، لأن تلاميذهم بذلوا جهدهم ليكتبوا على كل منها التصحيحات اللازمة كما يسمونها، أو بالأحرى الافسادات. كذلك لا تتفق نسخ هرموفيلس مع هذه، ونسخ أبولونيدس لا تتفق مع نفسها. فأن قارنت تلك التى أعدوها فى تاريخ متقدم مع التى أفسدوها أخيرا وجدتها تختلف مع بعضها تمام الاختلاف.

(١٨) «ولا أظن أنهم هم أنفسهم يجهلون شناعة هذه الجريمة، لأنهم أما أنهم لا يعتقدون أن الأسفار الالهية نطق بها الروح القدس، وفى هذه الحالة يكونون غير مؤمنين، أو أنهم يزعمون أنهم أحكم من الروح القدس، وفى هذه الحالة لا يكونون إلا شياطين. وهم لا يمكنهم انكار ارتكاب الجريمة طالما كانت النسخ قد كتبت بأيديهم، إذ أنهم لم يستلموا أسفارا كهذه من معلميهم، كذلك لا يستطيعون ابراز أى نسخ نقلوا منها.

(١٩) «وبعضهم ظنوا بأن افسادها لا يستحق كل هذا العناء، انما أنكروا الناموس والأنبياء، وهكذا بتعاليمهم الخليعة الشريرة - تحت ستار النعمة - سقطوا الى أحط درجات الهلاك».

إلى هنا نكتفى بصدد هذه الأمور.



الكتاب السادس

الفصل الأول

الاضطهاد الذى حصل فى عهد ساويرس[١]

ولما بدأ ساويرس يضطهد الكنائس قدم أبطال المسيحيـة شهادات مجيدة فى كل مكان. كانت هذه هى الحال بصفة خـاصة فى الاسكندرية، التى كان يؤتى إليها - كمـا إلى أعظم مسرح - من كل أرجاء مصر وثيـبيس بابطال الله حسب استحقاقـهم، فينالون الاكاليل من الله بصبـرهم واحتمالهم الـتعذيب الشديد وكل أنواع الموت. كان بين هؤلاء ليونيدس المدعو أبا أوريجانوس، والذى قطعت رأسه بينما كان ابنه لا يزال حديث السن، وهنا لا يفوتنا أن نبين باختصار كيف كان ميل هذا الابن للكلمة الإلهية عظيما جدا بسبب تعليم أبيه له، ذلك لأن شهرته قد فاقت كل حد عند الكثيرين.

الفصل الثانى

تهذيب أوريـجانوس[١] منذ الطفولة

(١) من الممكن ذكر الكثير عند محـاولة وصف حياة هذا الرجل وهو فى المدرسة، على أن هذا الموضوع وحـده يحتاج إلى سفـر خاص. ومع ذلك، فإننا بإزاء هذا الكتـاب، الذى يتطلب الايجاز فى معظم الأشيـاء، سوف نذكر بعض حقائق قليلة عنـه على قدر ما يمكن من الايجاز، بجمـعها من بعض الرسائل، ومن أقوال بعض أشخاص لا يزالون أحياء، كانوا على صلة به.

---

(١) كان امبراطورا للامبراطورية من سنه ١٩٣ - ٢١١.

---

(١) أحد أبطال كنيـسة الاسكندرية (١٨٥ - ٢٥٤م). ويكاد هذا الكتاب السـادس كله يكون محصورا فى التـحدث عنه. علاوة على مـا ورد عنه فى الكتاب السـابع وغـيره، ويبدوأن المؤلف (يوسـابيوس) قد تأثر جدا بتـعاليمـه إذ تتلمذ على بمفيليوس الذى كان رفيقا لاوريجانوس ومن أصدق أصدقائه(انظر ٨ : ٣٢).

(٢) وإن ما رووه عن أوريجانوس خليق بالذكر، حتى منذ أيام طفولته الأولى. كان ذلك فى السنة العاشرة من ملك ساويرس، إذ كان ليتوس واليا على الاسكندرية وسائر أرجاء القطر المصرى، وكان ديمتريوس قد أقيم أخيرا أسقفا على أبروشياتها خلفا ليوليانوس.

(٣) ولما ازدادت نيران الاضطهاد اشتعالا، ونال الكثيرون اكليل الشهادة، تملكت رغبة الاستشهاد نفس أوريجانوس، رغم أنه كان لا يزال ولدا صغيرا، حتى أنه اقترب من الخطر، وتقدم متحفزا إلى النضال بغيرة متأججة.

(٤) والواقع أن نهاية حياته كانت قد اقتربت، لولا تدخل العناية الإلهية السماوية لصده عن اتمام رغبته، عن طريق أمه، وذلك من أجل خير الكثيرين.

(٥) لأنها فى بداية الأمر توسلت إليه أن يشفق على عواطفها من نحوه كأم. ولكنها إذ وجدت أنه ازداد ثباتا فى عزمه، واندفع بكليته نحو الاستشهاد لما علم بالقاء القبض على أبيه وسجنه، خبأت كل ملابسه، وهكذا ألزمته بأن يلازم المنزل.

(٦) ولأنه لم يكن فى استطاعته تأدية أى عمل آخر. ولأن غيرته المتأججة المتجاوزة حدود سنه لم تسمح له بالبقاء ساكتا، أرسل لأبيه رسالة مشجعة عن الاستشهاد، نصحه فيها قائلا «احذر من أن تغير موقفك بسببنا».

هذا ما يمكن تدوينه كأول دليل على حكمة أوريجانوس فى شبابه، وعلى محبته الصادقة للتقوى.

(٧) لأنه حتى فى ذلك الوقت كان قد اكتنز محصولا وافرا من كلام الإيمان، إذ كان قد تهذب فى الأسفار الإلهية منذ الطفولة. ثم أنه لم يدرسها بروح عدم الاكتراث، لأنه علاوة على أن والده قدم إليه الثقافة الواسعة العادية فأنه لم يجعل دراسة الأسفار الإلهية أمرا ثانويا.

(٨) ففى بادىء الأمر مرنه على الدراسات الدينية، قبل تعليمه العلوم اليونانية، وطلب منه أن يحفظ جزءا معينا كل يوم، ثم يتلوه عليه.

(٩) ولم يكن هذا عملا مضنيا للولد، إذ كان شغوفا جدا بهذه الدراسات. ثم أنه لم يكتف بدراسة الأمور السهلة والواضحة فى الأقوال المقدسة، بل طلب المزيد، وانكب على التأملات العميقة، حتى وهو فى هذه السن، لدرجة أنه كثيرا ما أربك أباه بأسئلته عن المعنى الحقيقى للاسفار الإلهية.

(١٠) أما أباه فقد وبخه - بحسب الظاهر - قائلا له أن لا يبحث فوق حدود سنه، أو يذهب أبعد من المعنى الظاهر. ولكنه فى الواقع كان مغتبطا جدا، وشكر الله مصدر كل صلاح، إذ حسبه أهلا أن يكون أبا لصبى كهذا.

(١١) ويقول أنه كثيرا ما كان يقف بجوار الولد وهو نائم، ويكشف صدره، كأنه روح الله قد استقر فى داخله، ويقبله بوقار، معتبرا نفسه بأنه قد تبارك بذريته الصالحة.

هذه الأمور وأمثالها رويت عن أوريجانوس الصبى.

(١٢) ولكن لما ختم أبوه حياته بالاستشهاد تركه مع أمه وستة أخوة أصغر منه، وكان عمره لم يكتمل بعد سبعة عشر عاما.

(١٣) ولأن ممتلكات أبيه صودرت لحساب الخزانة الحكومية، أصبح هو وعائلته محتاجين لضروريات الحياة. ولكنه اعتبر أهلا للعناية الإلهية. فوجد ترحيبا من امرأة غنية جدا، وممتازة فى طريقة حياتها وفى نواح أخرى. كانت تعامل باكرام عظيم شخصا هرطوقيا مشهورا كان يعيش فى الأسكندرية وقتئذ، ولو أنه ولد فى أنطاكية. كان يعيش معها لأنها كانت قد تبنته، وكانت تعاملة بمنتهى الرفق واللطف.

(١٤) ورغم أن أوريجانوس كانت تلزمه الضرورة أن يختلط به فإنه من ذلك الوقت فصاعدا قدم دلائل قوية على رسوخ قدمه فى الإيمان. لأنه بسبب مقدرة بولس - وهذا هو اسم الرجل - فى المناقشة كانت تأتيه جموع كثيرة، ليس من الهراطقة فقط بل أيضا من شعبنا. ورغم ذلك فلم يغو أوريجانوس قط للاشتراك معه فى الصلاة، لأنه تمسك بقوانين الكنيسة[٢] رغم أنه كان ولدا، وأبغض - على حد تعبيره - تعاليم الهراطقة. وإذ كان قد تعلم علوم اليونانيين على يد ابيه فانه بعد موته انكب على دراسة الأدبيات بأكثر توسع وتعمق، حتى أنه حصل على استعداد كبير فى فقه اللغة، واستطاع بعد موت أبيه بوقت وجيز أن يعوض هذه الخسارة بالانكباب على هذا الموضوع، فحصل على ما يكفى احتياجاته فى عصره.

---

(٢) «لا يصلى أحد من المؤمنين مع أحد ممن لا يزالون تحت التعليم، حتى ولا فى البيت، لأنه لا يليق بمن قبل فى الكنيسة أن يتدنس بمن لم يقبل بعد. لا يصلى أحد من القديسين مع أحد من الهراطقة، حتى ولا فى البيت، لأنه أية شركة للنور مع الظلمة» (أوامر الرسل ٨ : ٣٤) قارن ذلك بما ورد أيضا فى (قوانين الرسل ١١ و ١٢ و ٤٥) وتنص المادة الأخيرة على أنه «ايما أسقف أو قس أو شماس صلى مع الهراطقة فليفرز. وأما إذا هو اذن لهم بأن يفعلوا أمرا ما كأنهم كليروسية فليقطع».

الفصل الثالث

مناداته باجتهاد بكلمة الله رغم أنه كان لا يزال صغيرا جدا

(١) وبينما كان يلقى المحاضرات فى المدرسة، كما يخبرنا هو نفسه، ولم يوجد فى الاسكندرية من يعلم الإيمان، لأن الجميع كانوا قد تشتتوا بسبب الاضطهاد، أتاه بعض الوثنيين لسماع كلمة الله.

(٢) ويقول أن أولهم كان بلوتارخوس[١] الذى بعد أن عاش حياة طيبة أكرم بالاستشهاد الإلهى. والثانى هو اكلاس[٢] أخ بلوتارخوس، وهذا أيضا بعد أن قدم معه براهين كثيرة عن الحياة النسكية الفلسفية اعتبر جديرا بأن يخلف ديمتريوس فى أسقفية الاسكندرية.

(٣) ولما عهدت إليه إدارة المدرسة اللاهوتية كان عمره ثمانى عشرة سنة. وقد كان مشهورا أيضا فى ذلك الوقت أثناء الاضطهاد الذى حصل فى عهد أكيلا، والى الاسكندرية، إذ برز اسمه بين قادة الإيمان، وذلك بسبب اللطف والرعاية والرقة التى أظهرها نحو جميع الشهداء المقدسين، سواء كانوا معروفين لديه أو غرباء.

(٤) لأنه لم يمكث معهم فقط وقت القيود حتى تنفذ الحكم النهائى عليهم، بل عندما كانوا يساقون إلى الموت كان يتجاسر ويذهب معهم مخاطرا بنفسه. وعندما كان يظهر تلك الشجاعة النادرة ويحيى الشهداء بقبلة كثيرا ما كانت الجماهير الوثنية المحيطة بهم يثورون ويكادون يهجمون عليه.

(٥) لكنه بمساعدة يد الله كان ينجو تماما بكيفية معجزية. وكانت نفس هذه القوة الإلهية السماوية تحرسه عندما يتعرض هكذا للخطر، وذلك مرارا وتكرارا، ومن المستحيل ذكر عدد هذه المرات، بسبب غيرته الشديدة وجرأته من أجل كلمة المسيح. واشتدت عداوة غيرة المؤمنين، بسبب تعليمه للجماهير الكثيرة فى الإيمان المقدس، حتى انهم وضعوا فرقا من الجند حول البيت الذى كان يقيم فيه.

---

(١) كان أول من استشهد من تلاميذ أوريجانوس ف ٤.

(٢) هراكلاس أو يراكلاس كان من أقدر تلاميذ أوريجانوس الذى أشركه معه فى التعليم لما تزايد عليه هذا العبء ف ١٥. فى ف ١٩ نرى أنه كان شغوفا بالفلسفة اليونانية. وقد ازدادت شهرته العلمية جدا ف ٣١ حتى أن يوليوس افريكانوس ذهب إلى الاسكندرية ليراه. وفى سنة ٢٣١ لما غادر أوريجانوس الاسكندرية أوكل إليه ادارة مدرستها ف ٢٦. وفى سنة ٢٣١ أو ٢٣٢ خلف ديمتريوس فى أسقفية الاسكندرية لدى موته ف ٢٦ و ٢٩، وخلفه ديونيسيوس فى ادارة المدرسة ف ٢٩.

(٦) وهكذا كـان يغلى مرجل الاضطـهاد من نحـوه يوما بعـد يوم، حتـى لم تعد المدينة كلهـا تطيقه، ولكنه كان ينتقل من بيت إلى بيت، وكان يطارد فى كل مكان بسـبب الجماهير الغفيرة التى كانت تتلقى التعاليم الالهية التى قدمها، أن حياته كانت تقدم المثل الأعلى فى السلوك المستقيم المتفق مع الفلسفة الحقيقية.

(٧) لأنهم يقولون أن سلوكه كان يتفق مع تعاليمـه، وأن تعاليمه تتفق مع حياته. ولذلك فأنه، بالقوة الإلهية التى كانت تعمل فيه، دفع الكثيرين جدا إلى غيرته.

(٨) ولما رأى أن عددا أوفر يأتون إليـه فى طلب العلم، وأن ديمتريوس رئيس الكنيسة عـهد إليه ادارة المدرسة اللاهوتية، اعتبر أن علم الاجرومـية لا يتفق مع تعليم المواضيع الإلهية، ولذلك أبطل تعليم الاجرومية على أساس أنها غير نافعة بل معطلة للتعليم الدينى.

(٩) وبعد شىء من التفكيـر باع كتب الأدب القديمة الثمينة التى كان يمتلكهـا لكى لا يحتاج إلى مساعدة من أحد، وكان يقنع بالحـصول من المشترى على أربع أوبوليات[٣] كل يوم. وقد ظل على هذه العيشة الفلسفية[٤] سنوات طويلة، مبتعـدا عن كل الرغبات والملذات الشبابية. وكان طول النهار يتحمل الكثير من التـدريب العنيف، ويقضى معظم الليل فى دراسة الأسـفار الإلهية. وكان يكبح جمـاح نفسه على قدر استطاعته بالحيـاة الفلسفية الصارمة، أحيانا بالصوم، وأحيـانا بالاقلال من النوم. وبسبب غيرته المتأججة لم ينم على فراش قط، بل كان ينام على الأرض.

(١٠) وأكثر من الكل فكر بأن كلمات المخلص فى الإنجيل يجب تنفيذها، وهى التى ينصح فيها بأنه يجب عدم اقتناء ثوبين أو استعمال أحذية[٥] أو الاهتمام بالمستقبل[٦].

(١١) وبسبب غـيرته التى فـاقت حدود سنه كان يلبث فى البـرد والعرى وذهب فى الفـقر إلى أقصـى حدوده، حتـى أذهل كل من حوله. والواقع أنه أحـزن الكثيـرين من أصدقـائه الذين أرادوه أن يقاسمهم ثروتهم بسبب الجهد المضنى الذى رأوا أنه يبذله فى تعليم الالهيات.

---

(٣) الابولس كانت عملة يونانيـة توازى تقريبا نحو ثمانيـة مليمات. وكانت هذه الكمية لا تكفى القـوت الضرورى جدا، ولكنه كان يراها كافية نظرا لتقشفه الشديد.

(٤) أى النسكية. (٥) (مت ١٠ : ١٠). (٦) (مت ٦ : ٣٤).

(١٢) غير أنه لم يثن عن مثابرته. ويقال أنه كان يمشى حافى القدمين سنوات طويلة، وامتنع عن شرب الخمر سنوات طويلة، وكذا عن كل شيء غير الطعام الضرورى، حتى أصبح فى خطر إنهاك قواه، واتلاف جسده.

(١٣) وبتقديم أمثال هذه الأدلة عن الحياة النسكية لمن رأوه، حرض الكثيرين من تلاميذه على الاقتداء بغيرته. وهكذا اندفع إلى تعليمه الكثيرون من الأشخاص البارزين حتى من بين الوثنيين غير المؤمنين، والأشخاص الذين كانوا يقتفون آثار العلم والفلسفة. وإذ قبل بعضهم منه الكلمة الإلهية فى أعماق نفوسهم برزت شخصياتهم أثناء الاضطهاد الذى ساد وقتئذ، وألقى القبض على بعضهم فاستشهدوا.

الفصل الرابع

تلاميذ أوريجانوس الذين استشهدوا

(١) أول هؤلاء هو بلوتارخوس السابق ذكره[١]، وإذ كان يساق إلى الموت اقترب منه الشخص موضوع حديثنا ورافقه حتى النهاية. ولكن العناية الإلهية حفظته فى هذه المرة أيضا.

(٢) وبعد بلوتارخوس كان الشهيد الثانى بين تلاميذ أوريجانوس هو سيرينوس، الذى إذ جاز وسط النار قدم دليلا على الإيمان الذى قبله.

(٣) والشهيد الثالث من نفس المدرسة هو هيراكليدس، والرابع هيرو. وكان أولهما لا يزال تحت التعليم، أما الثانى فلم يكن قد قبل المعمودية إلا منذ وقت وجيز وكلاهما قطع رأسه. والخامس من نفس المدرسة شخص آخر باسم سيرينوس، عرف عنه أنه بطل من أبطال التقوى، وقيل بأنه قطعت رأسه بعد أن تحمل ألوانا من العذاب. ومن بين النساء هيريس التى ماتت وهى لا تزال تحت التعليم، وقبلت معمودية النار، حسب تعبير أوريجانوس نفسه فى مكان آخر.

---

(١) فصل ٣ : ٢.

الفصل الخامس

بوتامينا[١]

(١) ويمكن اعتبـار باسيليدس سابع هؤلاء· وقد ساق بـوتامينا الشهيرة إلى الإستـشهاد وهى لا تزال مشهورة بين شعب البلاد بسبب الالام العديدة التى تحملتها فى سـبيل الاحتفاظ بعفتها وعذراويتها· لأنه كانت فى دور النضوج العقلى والجسمى· وإذ تحملـت كثيرا من أجل الإيمان بالمسيح، وعانت صنوفا مختلفة من التعذيب الذى لا يوصف، أحرقت بالنار أخيرا مع أمها مارسيلا·

(٢) ويقال أن الوالى، المسـمى أكيلا، بـعد أن عذب كل جـسمهـا تعذيبا قـاسيا هددها أخيرا بتسليمـها إلى المصارعين للاساءة إلى جـسدها· وإذ سئلت عما استـقر عليه رأيها فـكرت قليلا وقدمت اجابةاعتبرت خارجة عن حدود اللياقة·

(٣) وللحال صدر عليهـا الحكم، وساقها إلى الموت باسيليدس أحد ضـباط الجيش· ولما حاول الشعب اساءتها واهانتها بألفاظ بذيئة أبعد عنهـا أولئك المسيئين، وأظهر نحوها كثيرا من الرقة والعطف· وإذ رأت رقة الرجل من نحوها، نصـحته بأن يتحلى بالشجـاعة، لأنها ستتـوسل إلى ربها من أجله بعد رحيلها، وأنه سوف ينال سريعا جزاء الشفقة التى أظهرها نحوها·

(٤) وإذ قالت هذا تحملت ببسالة الحكم الصـادر نحوها، إذ كان الزفت المغلى يصب قليلا قليلا فوق أجزاء مختلفة من جسمها من اخـمص القدم إلى هامة رأسها· هكذا كان التعذيب الذى تحملته هذه الفتاة المشهورة·

(٥) وبعد ذلك بقليل سئل باسـيليدس من زملائه الجند أن يحلف لسبب مـعين، فصرخ بأنه لا يجوز له أن يحلف البتـة لأنه مسيحى، واعترف بذلك علنا· وظنوه فى بدء الأمـر يمزح ولكنه لما استمر يؤكد الأمر سيق أمام الوالى وألقى فى السجن لاعترافه بايمانه أمامه·

(٦) ولما أتى إليه الاخوة فى الرب وسألوه عن سبب هذا التغيير المفاجىء العجيب يقال أنه أجاب بأن بوتامينا بعـد استشهـادها وقفت بجانبـه ثلاث ليال متواليـة، ووضعت تاجا على رأسه، وقـالت أنها

---

(١) هى من أشهـر الذين استشهـدوا فى عصر سـاويرس، وكانت تلميذة لاوريجـانوس· ويقول بلاديوس انها كـانت أمة (عبدة) ولأن سيدها عجز عن أن يجعلها ترضخ لشهواته اتهمها أمام الوالى بأنها مسيحية، ورشاه لكى يجعلها تثنى عن عزمها بتعذيبها وبذلك تعود إليه وإلا حكم عليها بالموت·

توسلت إلى الرب من أجله ونالت طلبتها، وانها سوف تأخذه سريعا · وعند ذلك أعطاه الاخوة ختم الرب·[٢] وفى اليوم التالى قطعت رأسه بعد تقديم شهادة مجيدة من أجل الرب·

(٧) وقيل أن آخرين كثيرين فى الاسكندرية قبلوا بسرعة كلمة المسيح فى تلك الأيام· لأن بوتامينا كانت تظهر لهم فى أحلامهم وتقدم لهم النصائح اللازمة·

وهنا نكتفى بهذا القدر فى هذا الصدد·

الفصل السادس

أكليمنضس الإسكندرى

فى ذلك الوقت عهد إلى اكليمنضس تعليم الإيمان فى الاسكندرية خلفا لبنتينوس، فصار أوريجانوس أيضا أحد تلاميذه، وكان لا يزال صبيا، ويقدم اكليمنضس فى الكتاب الأول من مؤلفه المسمى ستروماتا جدولا تاريخيا يبين فيه الحوادث التى حصلت حتى موت كومودس، ومن ذلك يتضح أن هذا المؤلف كتب أثناء حكم ساويرس الذى نتحدث الآن عن عصره·

الفصل السابع

يهوذا الكاتب

فى ذلك الوقت ظهر كاتب آخر اسمه يهوذا، وكتب بحثا عن السبعين أسبوعا المذكورة فى سفر دانيال، ووصل بتاريخ إلى السنة العاشرة من حكم ساويرس· وقد ظن أن مجيء ضد المسيح، الذى كثر الحديث عنه، قد اقترب· وذلك لأن الثورة الفكرية التى أحدثها الاضطهاد على شعبنا أدت إلى انحراف تفكير الكثيرين·

(٢) اشارة إلى المعمودية·

الفصل الثامن

جرأة أوريجانوس

(١) وفى ذلك الوقت بينما كان أوريجانوس يقوم بتعليم الإيمان فى الاسكندرية أتى عملا يدل على عقل لم ينضج بعد وتفكير صبيانى، ولكنه فى نفس الوقت يعطى أعظم برهان على الإيمان والعفة وضبط النفس.[١]

(٢) لأنه أخذ هذه الكلمات «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات»[٢] حرفيا، وذهب فى فهم معناها إلى أقصى حدودها. ولكى يتمم كلمات المخلص، وفى نفس الوقت يقطع كل فرصة قد يتخذها غير المؤمنين لاساءة الظن (لأنه كان يلتقى بالرجال والنساء عند تدريس الإلهيات بالرغم من حداثة سنه) فقد نفذ عمليا كلمة المخلص. وقد ظن أن هذا لن يعرف بين الكثيرين من معارفه. ولكنه كان من المستحيل اخفاء عمل كهذا بالرغم مما بذله من جهد لابقائه سرا مخفيا.

(٣) ولما علم بالأمر أخيرا ديمتريوس، الذى كان يرأس تلك الابروشية، أعجب جدا بالجرأة التى تجلت فى طبيعة تصرفه، وإذ أدرك غيرته وصدق ايمانه قدم إليه النصائح فى الحال وشجعه وزاد فى حثه للاستمرار فى تعليم الإيمان.

(٤) هكذا كان تصرفه وقتئذ. ولكنه (ديمتريوس) بعد ذلك مباشرة إذ رأى أن أوريجانوس كان ناجحا ويزداد عظمة وشهرة بين كل الناس، غلب عليه الضعف البشرى، وكتب إلى الأساقفة فى كل العالم واصفا تصرف ديمتريوس بأنه فى منتهى الطياشة. ولكن أسقفى قيصرية وأورشليم - اللذين كانا أشهر وأبرز أساقفة فلسطين - اعتبر اوريجانوس خليقا بأعظم درجات الإكرام، فرسماه قسا.[٣]

---

(١) قال ناشر الترجمة الانكليزية «يعتقد البعض أنه لم يرتكب هذا العمل وانما أسيء فهمه بسبب عبارات ذكرها. غير أنه لا سبيل إلى الشك فى أنه ارتكبه وكان الباعث على ذلك تعليمه لكل الرجال والنساء فى الليل والنهار ورغبته فى عدم اعثار أحد أو تعريض نفسه للسقوط، وأمنيته فى الوصول إلى أقصى درجات القداسة، وتضحية كل ما يتصل بالجسد من أجل المسيح. أما أنه ندم فيما بعد وأدرك حقيقة معنى كلمات المسيح فواضح مما جاء فى تفسيره عن مت ١٥ : ١.

ويبدو أن عمله هذا قد أحدث رد فعل فى تفكيره أدى به إلى الشك واليأس وقتيا، لأن ديمتريوس وجده من الضرورى أن ينصحه ليستعيد ثقته ويحثه على الاستمرار فى التعليم، ومع أن يوسابيوس لا يوافق على عمل أوريجانوس إلا أنه يعجب به من أجل جرأته وروح التضحية التى ظهرت فى اتمامه».

(٢) (مت ١٩ : ١٢). (٣) انظر ف ٢٣.

(٥) عندئذ ازدادت شهرته جدا، وأصبح اسمه معروفا فى كل مكان ونال صيتا عظيما بسبب الفضيلة والحكمة. وأما ديمتريوس فإذ لم يكن لديه ما يقوله ضده سوى ذلك العمل الصبيانى، اتهمه بمرارة، وتجاسر على أن يشرك معه فى هذه الإتهامات أولئك الذين نصبوه قسا.

(٦) وعلى أى حال فإن هذه الأمور حدثت بعد ذلك بوقت وجيز. ولكن أوريجانوس فى هذا الوقت استمر بلا خوف يعلم الإلهيات فى الاسكندرية ليلا ونهارا لكل من أتى إليه، مكرسا كل أوقات فراغه بلا انقطاع للدراسات الدينية ولتعليم تلاميذه.

(٧) وبعد أن ظل ساويرس فى الحكم ثمانى عشرة سنة خلفه ابنه أنطونينوس.[٤] وبين الذين تحملوا اضطهاد ذلك العصر بشجاعة، وحفظتهم العناية الإلهية أثناء جهاد الاعتراف، كان الاسكندر السابق التحدث عنه كأسقف لكنيسة أورشليم. ونظرا لشهرته الفائقة فى الاعتراف بالمسيح اعتبر خليقا بتلك الأسقفية بينما كان نركيسوس[٥] سابقه لا يزال حيا.

الفصل التاسع

معجزات نركيسوس

(١) ويذكر أهل تلك الابروشية معجزات أخرى كثيرة لنركيسوس رواها الاخوة الذين خلفوه. بينها الاعجوبة التالية التى صنعها.

(٢) يقال أن الزيت نفذ مرة أثناء سهر الشمامسة ليلة عيد الفصح. وإذ فزع كل الجمهور، أمر نركيسوس المهتمين بالأنوار ليستقوا ماء ويحضروه إليه.

(٣) وفى الحال فعلوا كما أمر فصلى على الماء، وبإيمان ثابت فى الرب أمرهم بأن يصبوه فى السرج، ولما فعلوا تغيرت طبيعة الماء إلى زيت بقوة إلهية عجيبة بعكس انتظار الجميع، وقد احتفظ بكمية قليلة منه حتى يومنا هذا عند الكثيرين من الاخوة هناك كتذكار لتلك الاعجوبة.

---

(٤) مات ساويرس فى ٤ فبراير سنة ٢١١ وخلفه ابناه الأول مرقس أوريليوس ساويرس انطونينوس باسيانوس، والثانى لوسيوس (أو ببليوس) سبتيميوس جيتا. ولم يذكر يوسابيوس سوى الأول وكان اسمه الرسمى أنطونينوس.

(٥) بخصوص نركيسوس انظر الفصول التالية الثلاثة وكذا ك ٥ ف ١٢.

(٤) ويروون أمورا أخرى كثيرة جديرة بالذكر عن حياة هذا الشخص، بينها ما يلى: أن بعض الاشرار إذ لم يستطيعوا تحمل قوة وثبات حياته، وكانوا يخشون القصاص من أجل الشرور العديدة التى كانوا يحسون بها، فكروا فى التآمر ضده، وأشاعوا عنه مذمة قبيحة ·

(٥) ولاقناع كل من سمع به أكدوا اتهامهم باقسام، فالواحد حلف على نفسه بالحرق بالنار، والآخر بفناء جسده بمرض خبيث، والثالث بفقد بصره· ورغم حلفهم بهذه الطريقة فانهم لم يستطيعوا التأثير على عقول المؤمنين، لأن عفة وتقوى نركيسوس، وحياته الفاضلة، كانت معروفة للجميع·

(٦) على أنه لم يستطيع بأى حال احتمال شر هؤلاء الأشخاص· ولأنه كان يعيش عيشة تقشفية زمنا طويلافقد هرب من جسم الكنيسة وخبأ نفسه فى برية وأماكن خفية، ولبث فيها سنوات طويلة·

(٧) لم تسكت عين الديىنونة على هذه الأمور، بل سرعان ما تطلعت إلى هؤلاء الأشرار، وصبت عليهم اللعنات التى ربطوا بها أنفسهم· فبمجرد وقوع شرارة بسيطة على بيت الأول احترق بأكمله ليلا، وهلك هو وكل أهل بيته· والثانى تغطى جسمه سريعا من اخمص القدم إلى هامة الرأس بالمرض الذى حلف على نفسه به·

(٨) أما الثالث، وقد رأى ما حل بالآخرين، وخشى دينونة الله المحتمة، اعترف جهرا بما كانوا قد تآمروا به· وفى ندامته صار يكتئب وينوح طويلا، وظل يبكى حتى فقد بصره·

وهكذا كان التأديب الذى حل بهؤلاء الأشخاص بسبب ضلالهم وزورهم وبهتانهم·

الفصل العاشر

أساقفة أورشليم

وإذ ارتحل نركيسوس، ولم يعرف أحد مقره، رأى رؤساء الكنائس المجاورة أنه من الأفضل رسامة أسقف آخر، وكان اسمه ديوس· ولم تدم رئاسته إلا وقتا قصيرا، فخلفه جرمانيو· وتبعه جورديوس، الذى ظهر فى عصره نركيسوس ثانية، كأنه قد قام من بين الأموات· وللحال طلب إليه الاخوة أن يتسلم الاسقفية، لأن الكل ازدادوا اعجابا به بسبب عزلته وفلسفته، وبنوع خاص بسبب القصاص الذى انتقم له به الله·

الفصل الحادى عشر

الإسكندر

(١) على أن نركيسوس لم يعد فى استطاعته تأدية اعماله الرسمية بسبب تقدمه فى السن، فاستدعت العناية الإلهية الاسكندر السابق ذكره برؤيا فى الليل ليكون معه فى وظيفته، وقد كان وقتئذ أسقفا على أبروشية أخرى. -

(٢) وللحال ارتحل - كأنه بارشاد الهى - من أرض كبدوكية، التى كان أسقفا فيها، إلى أورشليم ايفاء لنذر سابق، ورغبة فى الحصول على معلومات عن أماكنها. فقبلوه هناك بكل ترحيب، ولم يسمحوا له بالعودة، بسبب رؤيا أخرى رأوها ليلا أعطت رسالة واضحة جدا إلى الغيورين منهم. لأنها أعلمتهم أنهم أن خرجوا خارج الأبواب استقبلوا الاسقف الذى عينه الله لهم مقدما. وإذ فعلوا هذه الزموه على البقاء، وذلك بموافقة الكنائس المجاورة بالاجماع.

(٣) ويذكر الاسكندر نفسه، فى رسائل خاصة أرسلها إلى أهل أنتينوس،[١] لا تزال باقية عندنا، الأسقفية المشتركة بينه وبين نركيسوس. وهذا ما كتبه فى نهاية الرسالة:

(٤) «يسلم عليكم نركيسوس الذى شغل مركز الأسقفية قبلى، والذى يشترك معى الآن فى الصلاة، إذ عمره الآن مائة وست عشرة سنة. وهو يقدم لكم النصحية - وهكذا أنا أيضا - لكى تكونوا برأى واحد».

هذه الأمور حدثت هكذا. ولكن عند موت سرابيون[٢] خلفه على أسقفية كنيسة انطاكية اسكلبيادس، الذى برز بين المعترفين أثناء الاضطهاد. ويشير الاسكندر إلى اقامته أسقفا عندما كتب ما يلى إلى كنيسة انطاكية.

(٥) «الاسكندر، عبد وأسير يسوع المسيح، إلى كنيسة انطاكية المباركة، تحية فى الرب. لقد جعل الرب قيودى خفيفة وسهلة وقت سجنى، إذ علمت أن اسكلبيادس الخبير بالإيمان الحقيقى قد أقامته العناية الإلهية أسقفا لكنيستكم المقدسة فى انطاكية».

(٦) وأشار إلى أنه أرسل هذه الرسالة بيد اكليمنضس،[٣] إذ كتب فى ختامها ما يلى:

«يا اخوتى المكرمين، لقد أرسلت إليكم هذه الرسالة بيد اكليمنضس، القس المبارك، وهو رجل فاضل مشهود له، تعرفونه أنتم أيضا وسوف تتحققون منه. وإذ أرسلته العناية الإلهية إلى هنا شدد وبنى كنيسة الرب».

---

(١) ك ٤ ف ٨ : ٢. (٢) ك ٥ ف ١٩. (٣) بخصوص اكليمنضس الاسكندرى انظر ك ٥ ف ١١.

الفصل الثانى عشر

سرابيون ومؤلفاته التى لا تزال باقية

(١) لم يصل إلينا من مؤلفات سرابيـون النفيسة سوى تلك الرسائل الموجهـة إلى شخص أسمه دومنينوس، الذى فى أيام الاضطهاد انحـرف عن الإيمان بالمسيح إلى العبادة اليـهودية النافلة، ولو أنه من المرجح أن الكثيرين احتفظوا بمؤلفات أخـرى له. ووصل إلينا تلك الموجهة إلى بونتيوس وكاريكوس،[١] وهما من رجال الكنيسة، ورسائل أخرى موجهة إلى أشخاص آخرين.

(٢) ومؤلف آخر أيضا كتـبه عما يسمى إنجيل بطرس.[٢] وقد كتب هذا المؤلـف الأخير لتنفيذ الأباطيل التى يتضمنها ذلك الإنجيل، نظرا لأن البعض فى أبروشية روسوس(٣) قد انجرفوا فى آراء كفرية بسببه. ويحسن اقتباس بعض فقرات موجزة من مؤلفه لاظهار آرائه عن الكتاب. وقد كتب ما يلى:

(٣) «لأننا أيها الاخـوة نقبل كلا من بطرس وسـائر الرسل كرسل المسيح، ولـكننا نرفض بشدة الكتابات المنسوبة إليهم زورا، عالمين أن مثل هذه لم تسلم إلينا».

(٤) لما زرتكم كنت أعتـقد أنكم جمـيعا مـتمسكون بـالإيمان الصحيح، وإذ كنت لم أقـرأ بعد الإنجيل، الذى أبرزوه تحت اسم بطرس، قلت: إن كـان هذا هوالمصدر الوحيد للنزاع بينكم فليـقرأ. أما الآن وقد علمت مما قيل لى أن أفكاركم قد انحرفت إلى بدعة ما، فأننى سأسرع فى الحضور إليكم ثانية. لذلك توقعوا مجيئى قريبا أيها الاخوة.

(٥) «ولكنكم سوف ترون مما كتب لكم أيهـا الاخوة أننا قد عرفنا طبيعة بدعـة مركيانوس. وأنه ناقض نفسه بنفسه إذ لم يفهم ما قاله».

(٦) «لأننا إذ حصلنا على هذا الإنجيـل من أشخاص آخرين درسوه دراسة وافـية، أى من خلفاء أول من استعـملوه، الذين نسميهم «مـوكاتى»[٤] (لأن معظم آرائهم تـتصل بتعليم هذه العقيـدة)، فقد استطعنا قراءته ووجدنا فيه أشياء كثيرة تتفق مع تعاليم المخلص الصحيحة، غير أنه اضيفت لتلك التعاليم اضافات أشرنا اليكم عنها فيما بعد».

هذا ما يختص بسرابيون.

---

(١) انظر ك ٥ ف ١٩ : ١. (٢) ك ٣ ف ٣. (٣) احدى مدن سوريا شمال غرب انطاكية.

(٤) الذين اعتـقدوا أن المسيح لم يكن له جـسد حـقيقى بل شبه جـسد. ويرجـع تاريخ هذا الاعتقـاد إلى القرن الأول (انظر ١يو ٤ : ٢ ، ٢ يو ٧).

الفصل الثالث عشر

كتابات أكليمنضس

(١) أن جميع مؤلفات اكليمنضس[١] الثمانية المسماه «ستروماتا» لا زالت محفوظة عندنا، وقد سماها هو «ستروماتا تيطس فلافيوس اكليمنضس عن الملاحظات اللادرية المتعلقة بالفلسفة الحقيقية».

(٢) أما الكتب المعنونة «وصف المناظر» فهى بنفس العدد. وفيها يذكر بونتينوس بالاسم كمعلمه، وينقل آراءه وتعاليمه.

(٣) وعلاوة على هذه يوجد له مؤلف بعنوان «نصائح لليونانيين»، وكتاب فى ثلاثة مجلدت بعنوان «المعلم»، ومؤلف آخر بعنوان «أيمكن أن يخلص الغنى»، ومؤلف عن الفصح، وبحث عن الصوم وعن الكلمات الشريرة، وكتاب يتضمن نصائح عن الصبر أو «إلى المعتمدين حديثا»، ومؤلف عن «القوانين الكنسية»، أو «المتهودين» أهداه إلى الاسكندر، الأسقف السابق ذكره.

(٤) وفى مؤلفه المسمى «ستروماتا» لم يتحدث بتوسع عن الأسفار الإلهية فحسب، بل اقتبس أيضا من الكتاب اليونانيين كل ما رآه نافعا، وشرح آراء الكثيرين، يونانيين وبرابرة.

(٥) وقد فند أيضا التعاليم الكاذبة التى نادى بها زعماء الهراطقة. وعلاوة على هذا راجع جزءا كبيرا من التاريخ، مقدما إلينا عينات من مختلف التعاليم. أما ما تبقى فأنه يمزج به آراء الفلاسفة. ولعله لهذا السبب أطلق على مؤلفه ذلك اللقب المناسب «ستروماتا».[٢]

(٦) ويستخدم أيضا فى هذه المؤلفات شهادات من الأسفار المتنازع عليها،[٣] مثل حكمة سليمان، وحكمة يشوع ابن سيراخ، ورسالة العبرانيين، ورسائل برنابا، وأكليمنضس، ويهوذا.

(٧) ويذكر أيضا حديث تاتيان إلى اليونانيين، ويتحدث عن كاسيانوس كمؤلف لكتاب تاريخى. ويشير إلى المؤلفين اليونانيين، فيلو وأرسطوبولس ويوسيفوس وديمتريوس وبوبوليموس، مبينا بأنهم جميعا أثبتوا فى مؤلفاتهم أن موسى والجنس اليهودى كانوا كائنين قبل أقدم اليونانيين.

---

(١) انظر ك ٥ ف ١١، قال ناشر الترجمة الانكليزية عن اكليمنضس انه كان «كاتبا غزير المادة كما يستدل من قائمة مؤلفاته المذكورة فى هذا الفصل».

(٢) أى متنوعات.

(٣) ك ٣ ف ٢٥.

(٨) وتمتاز هذه الكتب أيضا بعلوم أخرى كثيرة. ففى أولها تحدث المؤلف عن نفسه بأنه التالى لخلفاء الرسل. وفيها يعد أيضا بكتابة تفسير لسفر التكوين.

(٩) وفى كتابه عن الفصح اعترف بأن أصدقاءه قد طلبوا منه بالحاح أن يكتب - من أجل الانسال المتعاقبة - التقاليد التى سمعها من الشيوخ الأقدمين. وفى نفس الكتاب يذكر ميليتو وايريناوس وآخرين، واقتبس بعض فقرات من كتاباتهم.

الفصل الرابع عشر

الأسفار المقدسة التى ذكرها

(١) وبالاختصار لقد قدم فى مؤلفه «وصف المناظر» وصفا مؤجزا عن جميع الأسفار القانونية، دون أن يحذف الاسفار المتنازع عليها،[١] أعنى رسالة يهوذا والرسائل الجامعة الأخرى، ورسالة برنابا،[٢] والسفر المسمى رؤيا بطرس.[٣]

(٢) ويقول أن الرسالة إلى العبرانيين من تأليف بولس، وأنها كتبت إلى العبرانيين باللغة العبرانية، ولكن لوقا ترجمها بدقة ونشرها إلى اليونانيين، ولذا فأنه يوجد فى هذه الرسالة نفس أسلوب التعبير الذى فى سفر الأعمال.

(٣) ويرجح بأن كلمتى «بولس الرسول» لم توضعا فى مقدمة الرسالة لأنه إذ أرسلها إلى العبرانيين المتحاملين عليه والمتشككين فيه كان حكيما فى أنه لم يشأ أن ينفرهم منها منذ البداية بذكر اسمه.

(٤) بعد ذلك يقول «والآن، كما قال الشيخ المبارك، لأن الرب رسول القدير أرسل إلى العبرانيين، فإن بولس إذ أرسل إلى الأمم لم يشأ أن يعتبر نفسه رسول العبرانيين وذلك تأدبا منه. وهو إذ كان سفيرا ورسولا للامم لم يكتب إلى العبرانيين إلا لغزارة مادته».

(٥) وفى نفس الكتب زيضا يقدم اكليمنضس تقليد الآباء الأولين عن ترتيب الأناجيل علي هذا الوجه التالى: فيقول إن الإنجيلين المتضمنين نسب المسيح كتبا أولا.

---

(١) بخصوص الأسفار المتنازع عليها وأسفار العهد الجديد القانونية بصفة عامة انظر ك ٣ ف ٢٥.

(٢) انظر ك ٣ ف ٢٥. (٣) ك ٣ ف ٣.

(٦) أما إنجيل مرقس فقد كانت مناسبة كتابته هكذا:[٤] لما كرز بطرس بالكلمة جهارا فى روما، وأعلن الإنجيل بالروح، طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله، لأنه لازمه وقتا طويلا، وكان لا يزال يتذكرها. وبعد أن كتب الإنجيل سلمه لمن طلبوه.

(٧) ولما علم بطرس بهذا لم يمنعه من الكتابه ولا شجعه عليها. وآخر الكل لما رأى يوحنا أن الحقائق الخارجية قد دونت بوضوح فى الإنجيل كتب إنجيلا روحيا[٥] بعد الحاح من أصدقائه وارشاد من الروح. هذه هى رواية أكليمنضس.

(٨) ثم إن الاسكندر السابق ذكره أشار - فى رسالة إلى أوريجانوس - إلى اكليمنضس، وإلى بنتينوس فى نفس الوقت، كشخصين من أخلص أصدقائه. وهذا ما كتبه:

«لأنك تعلم أن هذه كانت ارادة الله أن تبقى علاقات القرابة بيننا غير متزعزعة، بل بالأحرى تزداد متانة وقوة.

(٩) «لأننا نعرف جيدا أولئك الاباء المباركين الذين سلكوا الطريق قبلنا، والذين سوف نلحقهم سريعا: وبنتينوس الرجل المبارك حقا والمعلم المقتدر، وأكلمينضس القديس معلمى والمحسن إلى، وأن كان هنالك آخرون مثلهما الذين تعرفت بهم معك يا معلمى وأخى».

هذا ما يتعلق بهذه الأمور.

(١٠) أما أدامانتيوس[٦] - لأن هذا الاسم أيضا كان يطلق على أوريجانوس - فقد زار روما لما كان زفيرينوس أسقفا لها، وذلك كما قال هو فى موضع آخر لرغبته فى أن يرى كنيسة روما القديمة جدا. وبعد اقامة قصيرة هناك عاد إلى الاسكندرية.

(١١) وقد قام بمهمة التعاليم الإيمانية هناك بغيرة شديدة، لأن ديمتريوس الذى كان أسقفا هناك وقتئذ كان يحثه بل يرجوه أن يعمل بجد من أجل منفعة الاخوة.[٧]

---

(٤) بخصوص كتابة انجيل مرقس انظر ك ٢ ف ١٥. (٥) ك ٣ ف ٢٤.

(٦) معنى الاسم باليونانية «لا يغلب» وقال جيروم أنه أطلق عليه بسبب جهاده الذى لم يكمل وقال فوتيوس أنه بسبب قوة حجته التى لا تغلب. (٧) انظر ف ٨.

الفصل الخامس عشر

هراكلاس[١]

وإذ وجد أن ليس لديه وقت لزيادة التعمق فى دراسة اللاهوتيات، ولبحث الأسفار المقدسة وتفسيرها، وأيضا لتعليم الذين كانوا يأتون إليه - لأنهم لم يعطوه وقتا حتى للتنفس إذ كانوا يأتون، الواحد بعد الآخر، من الصباح إلى المساء ليتعلموا منه - فكان يقسم الجموع. ومن بين الذين عرفهم معرفة جيدة اختار هراكلاس الذى كان عالما بالالهيات ومقتدرا جدا فى العلم فى نواحى أخرى، ومقتدرا أيضا فى الفلسفة، وأشركه معه فى مهمة التعليم. وقد أوكل إليه التعليم الأولى للمبتدئين، واحتفظ لنفسه بمهمة تعليم المتقدمين.

الفصل السادس عشر

دراسة أوريجانوس العميقة للأسفار الإلهية

(١) ولقد بلغت الغيرة والمثابرة فى دراسة أوريجانوس للاقوال الالهية حدا شديدا حتى أنه تعلم اللغة العبرانية،[١] وحصل على نسخة من الأسفار العبرانية التى كانت فى أيدى اليهود. ودرس أيضا ترجمات أخرى للأسفار المقدسة خلاف السبعين.[٢] وعلاوة على الترجمات المشهورة جدا التى قام بها اكيلا[٣] وسيماخوس[٤] وثيودوتيون[٥] فقد اكتشف ترجمات أخرى كانت مختفية منذ وقت طويل مضى - لست أدرى فى أى ركن كانت منزوية- وببحثه أظهرها إلى الوجود.

(٢) ولأنه لم يتمكن من معرفة المترجمين فقد ذكر أنه وجد الواحدة فى نيكوبوليس بقرب اكتيوم، والأخرى فى مكان آخر.

---

(١) أو يراكلاس . انظر ف ٣.

---

(١) قال جيروم أن دراسة أوريجانوس للغة العبرانية كانت بخلاف عادة جيله وجنسه. ولكن لا غرابة فى الأمر فقد أراد أن يجعل هذه اللغة أساس دراساته ويقارن بين أسفار العهد القديم فى لغتها الأصلية والترجمات اليونانية.

(٢) بخصوص الترجمة السبعينية انظر ك ٥ ف ٨.

(٣) كان ايريناوس أول من ذكر اكيلا (انظر ك ٥ ف ٨ : ١٠) وقد قال عنه انه متنصر من بنطس. وقد عاش فى أوائل القرن الثانى. ترجم العهد القديم إلى اللغة اليونانية ترجمة تمسك فيها بحرفية اللغة العبرانية على حساب اللغة =

(٣) وفى سداسيته (Hexapla) [٦] عن المزامير أضاف إلى الترجمات الأربعة المشهورة لا ترجمة خامسة فحسب بل سادسة وسابعة. وتحدث عن احدى هذه قائلا أنه قد وجدها فى قدر فى أريحا فى عصر أنطونينوس بن ساويرس.

(٤) وإذ جمع كل هذه قسمها إلى أقسام، ووضعها مقابل بعضها مع النص العبرانى نفسه وهكذا ترك لنا ما يسمى السداسية (Hexapla). ثم أنه رتب أيضا نسخة مستقلة متضمنة ترجمات أكيلا وسيماخوس وثيودوتيون مع الترجمة السبعينية فى المجلد المسمى الرباعى (Tetrapla):

الفصل السابع عشر

سيماخوس[١] المترجم

أما عن هؤلاء المترجمين فيجب أن يذكر هنا أن سيماخوس كان أبيونيا. على أن بدعة الأبيونيين - كما يلقبونها - تؤكد أن المسيح كان ابن يوسف ومريم، معتبرة اياه مجرد انسان، ومصرة بشدة على حفظ الناموس بطريقة يهودية، كما سبق أن رأينا فى هذا السفر.[٢] ولا تزال بين أيدينا تفاسير لسيماخوس يدعم فيها هذه البدعة بمهاجمة إنجيل متى. ويذكر أوريجانوس أنه حصل على هذه التفاسير وتفاسير أخرى لسيماخوس عن الأسفار المقدسة من فتاة تدعى جوليانا[٣] يقول عنها انها وصلت إليها هذه الكتب من سيماخوس نفسه عن طريق الميراث.

= اليونانية. ولذا كان اليهود يفضلونها على السبعينية. وللاسف لقد فقدت هذه الترجمة مع الترجمتين الأخريين ولم يبق منها كلها سوى آثار بسيطة.

(٤) قال يوسابيوس عنه فى الفصل التالى إنه ابيونى. وقال البعض انه كان يهوديا وقد بذل جهده لكى تكون اللغة اليونانية سليمة بغض النظر عن التقيد بحرفية اللغة العبرانية. وكان جيروم مغرما بهذه الترجمة.

(٥) تمسك هو أيضا بحرفية اللغة العبرانية ولكن أكيلا كانت أدق. على أن المسيحيين فضلوا ترجمة ثيودوتيون لنبوة دانيال على الترجمة السبعينية لهذه النبوة.

(٦) أودع فيها أوريجانوس العهد القديم بالنص العبرانى، ثم النص بحروف يونانية. ثم ترجمتى اكيلا وسيماخوس، ثم الترجمة السبعينية، وترجمة ثيودوتيون، مرتبة فى ستة أعمدة بهذا الترتيب، مع ترجمات يونانية خامسة وسادسة وسابعة فى بعض المواضع. أما المواضع التى كانت تتضمن هذه الترجمات الأخيرة فكانت تسمى أحيانا المثمنة (Octapla) أما ترتيب الأعمدة على هذا الوضع فقد لجأ إليه على أساس أن ترجمة اكيلا كانت أقرب إلى اللغة العبرانية موضعها بجوار النص العبرانى، تليهم ترجمة سيماخوس التى كانت ملتزمة النص العبرانى، أما ترجمة ثيودوتيون التى كانت مبنية على الترجمة السبعينية فقد جاءت بعدها.

(١) انظر الفصل السابق. (٢) ك ٣ ف ٢٧.

(٣) يقال أنها كانت عذراء فى قيصرية الكبادوك، وإنها آوت أوريجانوس فى أحد عصور الاضطهاد.

الفصل الثامن عشر

أمبروسيوس

(١) ونحو هذا الوقت اقتنع أمبروسيوس[١] بالحق كما قدمه إليه أوريجانوس، بعد أن كان يعتقد ببدعة فالنتينوس،[٢] ثم قبل تعاليم الكنيسة المستقيمة الرأى كأن عقله قد استنار بالنور.

(٢) وإذ لفتت سمعة أوريجانوس العلمية أنظار أشخاص آخرين كثيرين، بعد أن رن صداها فى كل مكان، أتوا إليه ليختبروا مقدار ذكائه فى العلوم الدينية. فدرس على يديه الكثيرين من الهراطقة، وعدد غير قليل من أبرز الفلاسفة وتلقوا التعليم منه لا فى الأمور الدينية فحسب بل حتى فى الفلسفة العالمية.

(٣) لأنه لما كان يرى أى شخص له ذكاء غير عادى يعلمه أيضا فى فروع الفلسفة - فى الهندسة والحساب وغيرهما من الدراسات الأولية - وبعد ذلك يتقدم إلى طرق الفلاسفة ويشرح كتاباتهم ويقدم ملاحظات وتعليقات على كل منهم وبذلك أشتهر كفيلسوف عظيم حتى بين اليونانيين أنفسهم.

(٤) وعلم الكثيرين، من بسطاء المتعلمين، فروع العلم العادية،[٣] قائلا إن هذه سوف تعينهم كثيرا على دراسة الأسفار الإلهية وفهمها. ولهذا السبب وجده من الضرورى أن ينبغ هو نفسه فى العلوم العالمية والفلسفية.

الفصل التاسع عشر

بعض الظروف المتصلة بأوريجانوس

(١) ويشهد لنبوغه فى هذه العلوم فلاسفة عصره اليونانيون. فكثيرا ما ذكروه فى كتاباتهم، وفى بعض الأحيان كانوا يدونون فى مقدمة مؤلفاتهم أنها مهداة إليه، ثم إنهم أيضا كانوا يقدمون إليه مؤلفاتهم كمعلم ليعطى رأيه عنها.

---

(١) كان غنيا ومن عائلة طيبة، والأرجح إنه كان يشغل مركزا ممتازا. ولما قبل الإيمان الحق على يدى أوريجانوس صار صديقا له. وسنرى فى فصل ٢٣ أنه هو الذى حث أوريجانوس على كتابة تفسير للكتاب المقدس، وأنه قدم له مساعدات مالية لاتمام هذه الغاية. وقد كان هو أيضا من جهابذة العلماء كما يستنتج من نفس الفصل. وفى فصل ٢٨ نرى أنه كان من ضمن المعترفين أثناء اضطهاد مكسيمينوس.

(٢) بخصوص فالنتينوس انظر ك ٤ ف ١١.

(٣) الأصل اليونانى يحمل معنى «تلك العلوم والفنون التى كان كل شاب يولد حرا فى اليونان مضطرا أن يتعلمها قبل أن يتقدم إلى دراسات للتخصص».

(٢) ولماذا نحتاج لذكر هذه الأمور حينما نرى أنه حتى بروفيرى[١] الذى كان يعيش فى صقلية فى عصرنا، وألف كتبا ضدنا محاولا استخدامها للطعن فى الأسفار الإلهية، يذكر أولئك الذين فسروها، ولما عجز عن أن يجد أى طعن فى التعاليم بأى حال من الأحوال. لأن الحجة أعوزته، اتجه ناحية الطعن فى مفسريها، محاولا بصفة خاصة الطعن فى أوريجانوس الذى عرفه فى حداثته على حد قوله.

(٣) ولكنه فى الواقع مدحه وهو لا يدرى، إذ ذكر عنه الحق فى بعض الحالات التى لم يكن ممكنا أن يفعل فيها غير هذا، ولكنه تحدث بالأكاذيب حيث ظن أنه لا يمكن افتضاح أمره. تراه فى بعض الأحيان يتهمه كمسيحى، وفى أحيان أخرى يصف مقدرته فى العلوم الفلسفية، واسمع كلماته:

(٤) «لما أراد بعض الأشخاص أن يجدوا تعليلا لانحطاط الأسفار اليهودية بدلا من تركها، لجأوا إلى بعض شروحات تتناقض مع ما هو مكتوب، هذه الشروحات التى تتضمن مدحا وثناء لأنفسهم بدلا من تقديمهم الحجج ضد الغرباء. لأنهم يفخرون بأن كلمات موسى الواضحة ألغاز، ويعتبرونها مليئة بالأسرار الغامضة، ويقدمون شرحهم محاولين سبى العقول بجهلهم» وبعد قليل يقول:

(٥) «وكدليل على هذه السخافة خذ انسانا قابلته لما كنت صغير السن، كان مشهورا جدا، ولا يزال، بسبب الكتابات التى تركها. أعنى أوريجانوس المكرم جدا من معلمى هذه التعاليم.

(٦) «لأن هذا الرجل إذ كان من بين المستمعين لامونيوس، أبرز فيلسوف فى عصرنا، استفاد كثيرا من معلمه فى معرفة العلوم، أما من ناحية اختيار طريق الحياة المستقيم فقد سلك طريقا عكس طريقه.

(٧) فإن أمونيوس إذ كان مسيحيا، ونشأ من والدين مسيحيين، وبدأ ينصرف إلى الدرس والفلسفة، سلك للحال فى طريق الحياة التى تقتضيها النواميس. أما أوريجانوس فإذ درس الآداب اليونانية كيونانى انحرف إلى الطياشة البربرية.[٢] وإذ حمل العلم الذى حصل عليه نقله إلى كل الأرجاء، وكان فى سلوكه كمسيحى مضادا للنواميس، أما فى آرائه عن الماديات وعن اللاهوت فكان كيونانى يمزج التعاليم اليونانية بالأساطير الغريبة.

(١) من أكبر الفلاسفة فى القرن الثالث. وقد كان عمليا فى تفكيره، فكانت غاية فلسفته لا المعرفة بل القداسة وخلاص النفس. وكان كاتبا قديرا، ولو أنه لم يبق شىء من كتبه. من هذا الفصل نعلم أنه التقى بأوريجانوس لما كان صبيا (لأنه وقت وفاة أوريجانوس كان عمره حوالى العشرين). وقد عاش حتى كان عمره ٦٨ سنة على الأقل. ويقال إنه مات فى عهد دقلديانوس.

(٢) يقصد بروفيرى أن يقول بأن أوريجانوس كان وثنيا فى الأصل ثم انضم إلى المسيحية فيما بعد. ولكن كل الأدلة أجمعت، وكل المؤرخين أكدوا، أنه كان مسيحيا من البداية، ويؤكد يوسابيوس فيما يلى أن هذا الرأى (رأى بروفيرى) باطل من أساسه.

(٨) «لأنه كـان بصفـة مستـمـرة يدرس أفلاطون، وانكب على دراسـة كتـابات نومينـيوس[٣] وكرونيوس[٤] وأبولوفانـس[٥] ولونجينوس[٦] وموديراتوس[٧] ونيوكوماخـوس[٨] والذين اشتهروا بين اتباع فيثاغورس. واستعمل مؤلفـات كيريمون[٩] الرواقى وكورينوتس.[١٠] وإذ وقف منهم على التفسير الرمزى للاسرار اليونانية طبقه على الأسفار المقدسة اليهودية.[١١]

(٩) هذا ما قاله بروفيرى فى الكتاب الثالث من مؤلفه ضـد المسيحيين. ولقد تكلم الصدق فيما يختص بجد الرجل واجـتهاده وعلمه، ولكنه كذب (ومـاذا ينتظر غير هذا من شخص يقاوم المسـيحيين) عندما قال إنه انتقل من بين اليونانيين.[١٢] وإن أمونيوس انحرف عن حياة التقوى إلى العادات الوثنية.

(١٠) وأوريجانوس علمـه والداه التعاليم المسيـحية كما بينا سـابقا. وأمونيوس تمسك بالـفلسفة الروحية سليمة دون أن تشوبها أقل شائبة إلى نهاية حياته. يؤيد هذا مؤلفاته التى لا تزال بين أيدينا، لأنه مشهور بين الكثيرين بكتاباته التى تركها، كمؤلفه المعنون (التوافق بين موسى ويسوع)، وغيره من المؤلفات التى فى حوزة العلماء.

(١١) وفى هذا ما يكفى للرد على هذا الاتهام الباطل، ولتـوضيح مقدرة أوريجانوس فى العلوم اليونانيـة. وقد دافع فى احدى الرسـائل عن اهتمامه بهـذه الناحية، وردا على البـعض الذين لاموه من أجلها، وهاك ما كتبه.

---

(٣) فيلسوف سورى عاش حوالى منتصف القرن الثانى. (٤) فيلسوف مشهور من اتباع فيثاغورس.

(٥) فيلسـوف انطاكى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد. (٦) فيلسوف من أثينا ولد حوالى سنة ٢١٣م.

(٧) و (٨) فيلسوفان من اتباع فيثاغورس عاشا فى القرن الأول.

(٩) فيلســوف ومؤرخ اسكندرى. كـان يعمل كـأمين لمكتبة الـسرابيوم فى الأسكندريـة، ثم ذهب إلى روما ليكون مـعلما لنيرون. وأشهر مؤلفاته: تاريخ لمصر، اللغة الهيروغليفية، النجوم المذنبة الخ.

(١٠) فيلسوف رواقى عاش فى روما فى عهد نيرون.

(١١) لم يكن أوريجانوس هو أول من يفـسر الكتاب رمزيا. فـإن هذه الطريقة من التفـسير بدأ بها يهـود الاسكندرية قبل العصر المسيحى، وكان قصدهم التوفيق بين الناموس الموسوى والفلسفة اليونانية. وكان اكليمنضس الاسكندرى يعتقد أن كل عبارة تحمل مـعنيين المعنى الحرفى، وهو فقط للمبتدئين فى الإيمان، أما، المعنى الرمـزى فهو وحده الذى يؤدى إلى المعرفة الروحية. أما أوريجانوس فقد ذهب فى التفـسير الرمزى إلى مدى أبعد، إذ علم بأن الكتاب المقدس يحمل ثلاثة معان تتناسب مع الجسد والنفس والروح.

(١٢) أى انتقل إلى المسيحية. انظر الملاحظة (١) صفحة ٣١٩.

(١٢) «عندما كرست نفسى للدرس، وذاعت فى الخارج شهرتى عن كفاءتى وعندما أتى إلى هراطقة وأشخاص شغوفون بالعلوم اليونانية، سيما بالفلسفة، بدا لى أنه من الضرورى أن أفحص تعاليم الهراطقة، وأقف على ما يقوله الفلاسفة عن الحق.

(١٣) «وفى هذا اقتفينا آثار بنتينوس[١٣] الذى أفاد الكثيرين قبل عصرنا بسبب استعداده الكامل فى هذه الأمور، وأيضا هراكلاس(١٤) أحد قسوس الاسكندرية الآن. لقد وجدته مع معلم الفلسفة الذى لبث معه خمس سنوات قبل أن بدأت استمع إلى أية محاضرة عن تلك المواضيع.

(١٤) «وبالرغم من أنه كان يلبس سابقا الملابس العادية فقد طرحها جانبا وبدأ يلبس - ولا يزال يلبس - ملابس الفيلسوف، وهو لا يزال مستمرا فى دراسة المؤلفات اليونانية باجتهاد».

هذا ما قاله دفاعا عن نفسه بسبب دراسته للآداب اليونانية.

(١٥) ونحو هذا الوقت، إذ كان لايزال فى الإسكندرية، أتى عسكرى وسلم خطابا من حاكم بلاد العرب[١٥] إلى ديمتريوس أسقف الأبروشية، وإلى والى مصر الذى كان متقلدا زمام الأمر وقتئذ، طالبا أن يرسلا أوريجانوس إليه بأقصى سرعة ليتحدث إليه. وإذ أرسلا ذهب إلى بلاد العرب. وبعد أن تمم القصد من زيارته فى وقت وجيز عاد إلى الإسكندرية.

(١٦) ولكن حدث بعد ذلك أن نشبت حرب شعواء فى المدينة،[١٦] فغادر الإسكندرية. ولما رأى بأن البقاء فى مصر خطر على حياته ذهب إلى فلسطين وأقام فى قيصرية. وبينما هو هنالك طلب منه أساقفة الكنيسة فى تلك المملكة[١٧] أن يعظ ويفسر الكتاب علنا رغم أنه لم يكن قد رسم قسا بعد.

---

(١٣) بخصوص بنتينوس انظر ك ٥ ف ١٠. (١٤) انظر ف ٣.

(١٥) يبدو أنه كان حاكما رومانيا، وكان قد عين على ولاية بلاد العرب الرومانية التى أنشاها الامبراطور تراجان عام ١٠٦. ومما ورد فى ف ٣٣ و ٣٧ يتضح أن أوريجانوس استدعى مرتين إلى تلك البلاد ليساعد على حل بعض المشاكل العقائدية.

(١٦) زار كاراكلا الاسكندرية فى السنة السادسة من حكمه (٢١٦م) وانتهز الفرصة للانتقام من سكان المدينة بسبب قتل أخيه، فقتل الكثيرين، شبانا وشيوخا، أثمة وأبرياء واشتد سخطه على العلماء بصفة خاصة. وهذا ما دعا أوريجانوس للهرب من المدينة والالتجاء إلى فلسطين.

(١٧) أى فلسطين.

(١٧) هذا يتضح مما كتبه الإسكندر[١٨] أسقف أورشليم وثيوكتستوس[١٩] أسقف قيصرية إلى ديمتريوس فى هذا الصدد مدافعين عن نفسيهما هكذا:

«لقد ذكر فى رسالته أنه لم يسمع عن أمر كهذا من قبل، ولا حدث إلى الإن أن يعظ العلمانيون فى حضرة الأساقفة. ولست أدرى كيف يقرر أمرا غير صحيح.

(١٨) «لأنه حينما وجد أشخاص قادرون على تعليم الاخوة حثهم الأساقفة المقدسون على أن يعظوا الشعب. هذا ما حدث فى لاراندا، عندما طلب ذلك نيون من يولبس، وفى أيقونية عندما أمر كلسس بولينوس، وفى سينادا عندما طلب ذلك أتيكوس من ثيودورس، اخوتنا المباركون والأرجح أن هذا حدث فى أماكن أخرى لا نعلمها».

وهكذا نرى أنه قد أكرم، وهو لا يزال شابا، لا من بنى وطنه فحسب، بل أيضا من الأساقفة الغرباء.

(١٩) أما ديمتريوس فقد أرسل إليه خطابا، وحثه - بواسطة بعض أعضاء الكنيسة وشمامستها - على العودة للاسكندرية. فعاد واستأنف خدماته كالمعتاد.



(١٨) ف ٨.

(١٩) كان من أقدر أساقفة الشرق فى عصره. وقد لعب دورا هاما فى النزاع الذى ثار بخصوص نوفاتوس كما نرى فى ف ٤٦ وكذا ك ٧ ف ٥. وكان كذلك صديقا لاوريجانوس سنوات طويلة إلى أن مات أوريجانوس.

الفصل العشرون

مؤلفات كتبة ذلك العصر التى لا تزال باقية للآن

(١) ازدهر فى الكنيسة فى ذلك العصر كثيرون من العلماء الذين قد احتفظ بالرسائل التى تبادلوها بين بعضهم البعض، ولا يزال الوصول إليها سهلا. وقد حفظت حتى عصرنا بدار الكتب فى إليا[١] التى أسسها الإسكندر رئيس تلك الكنيسة وقتئذ. وقد استطعنا أن نجمع، من دار الكتب هذه، مادة لمؤلفنا هذا.

(٢) بين هذه ترك لنا بيريلوس[٢] مؤلفات قيمة مختلفة، عدا الرسائل والمقالات. وقد كان أسقفا فى بوسترا ببلاد العرب. وترك لنا أيضا هيبوليتس[٣] بعض الكتابات، وكان يرأس كنيسة أخرى.

(٣) ووصلت إلينا أيضا محاورة لكايوس[٤] - وهو من جهابذة العلماء - تمت فى عهد رفيرينوس،[٥] مع بروكلوس الذى كان يناضل عن البدعة الفريجية. فى هذه المحاورة يكبح جماح خصومه بسبب تهورهم وجرأتهم على ابراز أسفار جديدة. ويذكر فقط ثلاث عشرة رسالة للرسول المبارك، غير حاسب رسالة العبرانيين[٦] مع الرسائل الأخرى. وإلى يومنا هذا لا يزال بين أهل روما من لا يعتبرون هذه الرسالة ضمن كتابات الرسول.

---

(١) هى المدينة التى بناها أدريان مكان مدينة أورشليم ك ٤ ف ٦.

(٢) انظر ف ٣٣. (٣) انظر ف ٢٢. (٤) ك ٢ ف ٢٥ : ٦.

(٥) أسقف روما من سنة ١٩٨ - ٢١٧ أنظر ك ٥ ف ٢٨.

(٦) بخصوص رسالة العبرانيين ورأى الكنيسة الأولى عنها انظر ك ٣ ف ٣.

الفصل الحادى والعشرون

الأساقفة الذين اشتهروا فى ذلك الوقت

(١) وبعد أن حكم أنطونيوس[١] سبع سنوات وستة أشهر خلفه مكرينوس. وهذا لم يحكم سوى سنة واحدة، وخلفه شخص آخر باسم أنطونينوس. وفى السنة الأولى من حكمه مات زفيرينوس[٢] أسقف روما، بعد أن ظل فى مركزه ثمانى عشرة سنة، وقبل الأسقفية كالستوس.

(٢) وهذا ظل خمس سنوات ثم خلفه أوربانوس. بعد هذا أقيم الاسكندر امبراطور لروما. ولم يكن أنطونينوس قد حكم سوى أربع سنوات، وفى هذا الوقت أقيم فيليتس على كنيسة أنطاكية خلفا لاسكلبيادس.[٣]

(٣) وكانت أم الامبراطور، واسمها ماميا، امرأة تقية جدا، تعيش حياة فاضلة. وعندما امتدت شهرة أوريجانوس إلى كل مكان، ووصلت إلى أذنيها، أظهرت رغبة ملحة لترى الرجل، وفوق كل شىء لتمتحن ما اشتهر به من فهم للروحيات.

(٤) وإذ كانت تقضى بعض الوقت فى انطاكية أرسلت حامية حربية لاستدعائه. وبعد أن لبث معها بعض الوقت بين لها فيه أشياء كثيرة لمجد الرب ورفعة التعاليم الروحية أسرع فى العودة إلى عمله العادى.

الفصل الثانى والعشرون

مؤلفات هيبوليتس التى وصلت إلينا

(١) وفى هذا الوقت كتب هيبوليتس مؤلفا عن الفصح عدا مقالات أخرى كثيرة. فى هذا المؤلف يقدم جدولا تاريخيا، وقانونا فصحيا لستة عشر عاما، يرجع فيه إلى السنة الأولى من حكم الامبراطور الاسكندر.

(٢) أما عن مؤلفاته الأخرى فقد وصل إلينا ما يأتى: مؤلف عن ستة أيام الخلقة، وآخر عما تم بعد ستة أيام الخلقة، وآخر ضد مركيون وآخر عن نشيد الانشاد، وآخر عن بعض أجزاء من حزقيال، ثم عن الفصح، وكذا ضد كل الهرطقات. وانك لتستطيع أن تجد مولفات أخرى كثيرة يحتفظ بها الكثيرون.

---

(١) أن كاركلا الذى قتل يوم ٨ إبريل سنة ٢١٧ وبعد أربعة أيام خلفه مرقس أوبيليوس مكرينوس الذى هزم بعد أن حكم أربعة عشر شهرا وخلفه فاريوس افيتوس باسيانوس ابن عم كاركلا وسمى فيها بعد مرقس أوريليوس أنطونينوس.

(٢) ك ٥ ف ٢٨ : ٧. (٣) ف ١١.

الفصل الثالث والعشرون

غيرة أوريجانوس ، وارتقاؤه إلى درجة القسوسية

(١) فى ذلك الوقت بدأ أوريجانوس تفاسيره عن الأسفار الإلهية، بعد أن حثه على هذا امبروسيوس[١] الذى استخدم محرضات لا تحصى غير مقتصر على حثه بالكلام بل مقدما إليه أيضا وسائل كثيرة جدا.

(٢) وكان يملى على أكثر من سبعة سكرتيرين كانوا يتبادلون الكتابة فى أوقات محددة. واستخدم عددا كبيرا من النساخ، عدا البنات اللاتى أجدن الكتابة. وكان أمبروسيوس ينفق على جميع هؤلاء بسخاء مظهرا غيرة على الكلمة الإلهية لا يعبر عنها، وهو بهذا دفعه لاعداد تفاسيره.

(٣) وبينما كانت هذه الأمور تحدث أقيم بونتيانوس أسقفا على كنيسة روما خلفا لاوربانوس[٢] الذى ظل أسقفا ثمان سنوات، وأقيم زبينوس خلفا لفيليتوس فى أنطاكية.

(٤) فى هذا الوقت أرسل أوريجانوس إلى اليونان لضرورة ملحة تتعلق ببعض شئون كنسية، فذهب عن طريق فلسطين، ورسمه أساقفة تلك المملكة قسا فى قيصرية. أما الأمور التي أثيرت حوله فى هذا الصدد، والقرارات التى اتخذها رؤساء الكنائس عن هذه الأمور، وكذا المؤلفات الأخرى التى كتبها عن الكلمة الإلهية والتى نشرها وهو لا يزال فى عنفوان شبابه، فإنها تتطلب مؤلفا خاصا. وقد كتبنا عنها إلى حد ما فى الكتاب الثانى عن «الدفاع» الذى كتبناه دفاعا عنه.

---

(١) بخصوص أمبروسيوس وعلاقته باوريجانوس انظر ف ١٨ .

(٢) انظر ف ٢١ .

الفصل الرابع والعشرون

التفاسير التى أعدها فى الإسكندرية

(١) ومن المناسب أن نضيف هنا بأنه فى الكتاب السادس من تفسيره لإنجيل يوحنا يذكر بأنه اعد الخمسة الأول لما كان فى الاسكندرية. ولم يصلنا من تفسيره عن كل الإنجيل إلا اثنان وعشرون مجلدا.

(٢) وفى الكتاب التاسع من تفسيره عن سفر التكوين، وجملته اثنا عشر كتابا، يذكر أنه لم يكتب فى الإسكندرية الثمانية السابقة فقط، بل أيضا تفاسيره عن الخمسة والعشرين مزمورا الأولى، وعن المراثى. ولم يصلنا من هذه الأخيرة سوى خمسة مجلدات. وفيها يذكر أيضا مؤلفاته عن «القيامة» التى لم يبق منها سوى اثنين.

(٣) وكتب أيضا كتبه «عن المبادىء» قبل مغادرة الاسكندرية. والإبحاث المعنونة «ستروماتا» وعددها عشرة، وقد كتبها في نفس المدينة أثناء حكم الاسكندر، كما يتبين من المذكرات التى دونها بنفسه فى مقدمة تلك المجلدات.

الفصل الخامس والعشرون

مراجعة للأسفار القانونية

(١) وعند تفسيره للمزمور الأول قدم قائمة لأسفار العهد القديم[١] كما يلى:

«يجب أن يقرر بأن الأسفار القانونية كما سلمها إلينا العبرانيون أثنان وعشرون، وهى تتفق مع عدد حروفهم الهجائية». وبعد ذلك يقول.

(٢) أما أسفار العبرانيين الاثنان والعشرون فهى كما يلى: السفر الذى نسميه نحن التكوين، ولكن العبرانيين يسمونه بأول كلمة فيه «براشيت» ومعناها «فى البدء» - الخروج، واسمه ولسموث أى «هذه الأسماء» - اللاويون، واسمه ويكرا، أى «ودعا» - العدد، واسمه امسفيكوديم - التثنية، واسمه اليادباريم، أى هذا هو الكلام - يشوع بن ناف، أويوسو بن نون - القضاة وراعوث فى سفر واحد

(١) بخصوص أسفار العهد القديم انظر ك ٣ ف ١٠. ويلاحظ فى البيان الوارد بهذا الفصل أن أوريجانوس أغفل أسفار الأنبياء الصغار وأضاف رسالة ارميا. انظر ملاحظة ٢ صفحة ١٢٣.

واسمه سفاتيم- الملوك الأول والثانى فى سفر واحد، واسمه صموئيل، أى المدعو من الله - الملوك الثالث والرابع فى سفر واحد، واسمه وملش داود، أى مملكة داود - أخبار الأيام الأول والثانى فى سفر واحد، واسمه دبرايمن، أى أخبار الأيام - عزرا[٢] الأول والثانى، واسمه عزرا، أى مساعد - المزامير، واسمه سفارثليم - أمثال سليمان، واسمه ملوث - الجامعة، واسمه كولث - نشيد الانشاد (لا انشاد الانشاد كما يزعم البعض)، واسمه سير هساريم - أشعيا، واسمه يسيا - ارميا مع المراثى والرسالة فى سفر واحد، اسمه ارميا - دانيال، واسمه دانيال - حزقيال، واسمه يزقيال - أيوب، واسمه أيوب - استير، واسمه استير.

وعلاوة على هذه يوجد سفرا المكابيين، واسمهما ساربث سابانيل.[٣]

هذا ما ذكره فى المؤلف السابق ذكره.

(٣) وفى كتابه الأول عن إنجيل متى، الذى يبين فيه عقيدة الكنيسة، يشهد بأنه لا يعرف سوى أربعة أناجيل، ويكتب الآتى:

(٤) «بين الأناجيل الأربعة، وهى الوحيدة التى لا نزاع بشأنها فى كنيسة الله تحت السماء، عرفت من التقليد أن أولها كتبه متى، الذى كان عشارا، ولكنه فيما بعد صار رسولا ليسوع المسيح، وقد أعد للمتنصرين من اليهود، ونشر باللغة العبرانية.»[٤]

(٥) «والثانى كتبه مرقس وقد كتبه وفقا للتعليمات التى تلقاها من بطرس[٥] الذى فى، رسالة الجامعة يعترف به ابنا قائلا: تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم، وكذا مرقس ابنى.[٦]

(٦) «والثالث كتبه لوقا، وهو الإنجيل الذى أقره بولس،[٧] وكتب من أجل المتنصرين من الأمم. وآخر الكل الإنجيل الذى كتبه يوحنا».

(٧) وفى الكتاب الخامس من تفسيره لإنجيل يوحنا يتحدث هكذا عن رسائل الرسل.

«أما ذاك الذى جعل كفئا لأن يكون خادم عهد جديد، لا الحرف بل الروح،[٨] أى بولس، الذى أكمل التبشير بالإنجيل من أورشليم وما حولها إلى الليريكون،[٩] فإنه لم يكتب إلى كل الكنائس التى علمها، ولم يرسل سوى أسطر قليلة[١٠] لتلك التى كتب إليها.

---

(٢) أى عزرا ونحميا.

(٣) الأرجح أنه لم يدرجهما ضمن الأسفار القانونية. انظر الملاحظة ٢ صفحة ١٢٣.

(٤) ك ٣ ف ٢٤.　(٥) ك ٢ ف ١٥.　(٦) ١ بط ٥ : ١٣.

(٧) انظر ك ٣ ف ٤.　(٨) (٢ كو ٣ : ٦).　(٩) (رو ١٥ : ١٩).　(١٠) انظر ك ٣ ف ٢٤.

(٨) «وبطرس الذى بُنِيَت عليه كنيسة المسيح التى لا تقوى عليها أبواب الجحيم[١١] ترك رسالة واحدة معترف بها، ولعله ترك رسالة ثانية أيضا، ولكن هذا أمر مشكوك فيه.[١٢]

(٩) «وهل نحن فى حاجة للتحدث عن ذاك الذى اتكأ فى حضن يسوع،[١٣] أى يوحنا الذى ترك لنا انجيلا واحدا،[١٤] رغم أنه اعترف بأنه كان ممكنا له أن يكتب كثيرا جدا مما لا يسعه العالم.[١٥] وكتب أيضا سفر الرؤيا، ولكنه أمر بأن يصمت ولا يكتب الكلمات التى تكلمت بها الرعود السبعة.[١٦]

(١٠) «وترك أيضا رسالة قصيرة جدا، وربما أيضا رسالة ثانية وثالثة، ولكنهما ليسا معترفا بصحتهما من الجميع، وهما معا لا تحتويان على مائة سطر».

(١١) وعلاوة على هذا يقرر ما يأتى بخصوص الرسالة إلى العبرانيين فى عظاته عنها:

«إن كل من يستطيع تمييز الفرق بين الألفاظ اللغوية يدرك أن أسلوب الرسالة إلى العبرانيين ليس عاميا كلغة الرسول الذى اعترف عن نفسه بأنه عامى في الكلام[١٧] أى فى التعبير، بل تعبيراتها يونانية أكثر دقة وفصاحة».

(١٢) «بل لابد أن يعترف، كل من يفحص النص الرسولى بدقة، أن أفكار الرسالة عجيبة وليست دون الكتابات الرسولية المعترف بها».

---

(١١) هذا خطأ فى تفسير عبارة المسيح لبطرس «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى» (مت ١٦ : ١٨). فالمسيح لم يبن كنيسته على بطرس، بل على الصخرة أى الإيمان الذى دفع بطرس على الإعتراف به بأنه هو ابن الله. وحاشا له أن يبنى كنيسته على شخص غير ثابت كبطرس. والجدير بالملاحظة ان كلمة «بطرس» فى النص اليونانى تعنى قطعة صغيرة من الصخرة الكبيرة. علاوة على أن الكلمتين لم تردا بنص واحد، فالأولى بتروس (أى بطرس). والثانية بترا (أى صخرة).

(١٢) انظر ك ٣ ف ٣. (١٣) (يو ١٣ : ٢٣).

(١٤) بخصوص إنجيل يوحنا ورسائله ورؤياه انظر ك ٣ ف ٢٤.

(١٥) (يو ٢١ : ٢٥). (١٦) (رؤ ١٠ : ٤) (١٧) (٢كو ١١ : ٦).

(١٣) بعد ذلك يضيف ما يأتى:

«وإن سمح لى بابداء رأيى قلت إن الأفكار هى أفكار الرسول، أما الأسلوب والتعبيرات فهى لشخص تذكر تعاليم الرسول، ودون ما قاله معلمه عندما سمحت له الفرصة. لذلك إن اعتقدت أية كنيسة أن بولس هو الذى كتب هذه الرسالة فلتقبل لأجل هذا. لأنه لابد أن يكون للاقدمين تعليلهم عندما سلموها الينا على أساس أنها للرسول.

(١٤) «أما من كتب الرسالة يقينا فالله يعلم. يقول بعض من سبقونا إن اكليمنضس أسقف روما كتب الرسالة، والاخرون إن كاتبها هو لوقا، مؤلف الإنجيل وسفر الأعمال».

وفى هذا ما يكفى فى هذا الصدد.

الفصل السادس والعشرون

إقامة هراكلاس أسقفا للإسكندرية

وفى السنة العاشرة من الحكم السابق ذكره انتقل أوريجانوس من الاسكندرية إلى قيصرية[١] تاركا لهراكلاس[٢] إدارة المدرسة التعليمية فى تلك المدينة. وبعد ذلك بوقت قصير مات ديمتريوس أسقف كنيسة الاسكندرية، بعد أن ظل فى مركزه ثلاثا وأربعين سنة كاملة،[٣] فخلفه هراكلاس. وفى ذلك الوقت اشتهر فرمليانوس[٤] أسقف قيصرية فى كبادوكية.

(١) أى فى السنة العاشرة من حكم الاسكندر ساويرس أعنى سنة ٢٣١م. (٢) انظر ف ٣.

(٣) بخصوص أسقفية ديمتريوس انظر ك ٥ ف ٢٢. أما الثلاث والأربعون سنة فتبدأ من سنة ١٨٩ وتنتهى سنة ٢٣٢ وهذا يتفق تماما مع رواية يوسابيوس.

(٤) كان من أقدر الآباء فى عصره. ومما يلاحظ أن قيصرية الكبادوك غير قيصرية فلسطين.

الفصل السابع والعشرون

احترام الأساقفة لأوريجانوس

وكان يميل بكليته لأوريجانوس حتى إنه رجاه بالحاح أن يأتى إلى تلك المملكة من أجل خير الكنائس، وعلاوة على هذا زاره فى اليهودية، ولبث معه بعض الوقت حبا فى الاستزادة من الأمور الروحية، وكان يستمع إليه بصفة مستمرة الإسكندر[١] أسقف أورشليم وثيوكتستوس أسقف قيصرية كمعلمهما الوحيد، وسمحا له بتفسير الأسفار الإلهية، وتأدية الواجبات الأخرى المتعلقة بالشعائر الكنسية.

الفصل الثامن والعشرون

الاضطهاد الذى حصل فى عهد مكسيمينوس

وإذ انتهى حكم الاسكندر، الامبراطور الرومانى، بعد ثلاث عشرة سنة، خلفه مكسيمينوس قيصر.[١] وبسبب بغضه لأهل بيت الاسكندر،[٢] الذى شمل كثيرين من المؤمنين، بدأ يضطهد الكنيسة، وأصدر أمرا بأن لا يقتل إلا قادة الكنائس، على أساس إنهم هم المسئولون عن التعليم بالإنجيل. وعلى أثر ذلك كتب أوريجانوس مؤلفه عن الإستشهاد،[٣] وأهداه إلى أمبروسيوس[٤] وبروتوكتيتس، وهو قس فى أبروشية قيصرية، وذلك لأنهما أثناء الاضطهاد تكبدا تعذيبا غير عادى، وقيل إنهما اعترفا اعترافا مجيدا أثناء حكم مكسيمينوس الذى لم يدم سوى ثلاث سنوات. وقد دون أوريجانوس فى الكتاب الثانى والعشرين من تفسيره لإنجيل يوحنا، وفى عدة رسائل، أن ذلك الوقت كان هو وقت الاضطهاد.

---

(١) بخصوص الاسكندر أسقف أورشليم انظر ف ٨.

---

(١) قتل الاسكندر ساويرس فى بداية سنة ٢٣٥ وخلفه فى الحال قائده العام مكسيمينوس.

(٢) ليس المقصود أقاربه فقط بل حاشيته وكل المتصلين به.

(٣) لا يزال هذا المؤلف موجودا. (٤) انظر ف ١٨.

الفصل التاسع والعشرون

فابيانوس الذى عينه الله أسقفا لروما بكيفية عجيبة

(١) أما مكسيمينوس أمبراطور الرومـان فقد خلفه جورديانوس. ثم إن بونتيانوس[١] الذى ظل أسقفا لكنيسة روما ست سنوات خلفه أنتيروس. وبعد أن لبث فى مركزه شهرا خلفه فابيانوس.

(٢) ويقال إن فـابيانوس إذ أتى إلى رومـا مـع آخرين مـن أنحاء المملكة بعد موت أنتـيروس مكث فيهـا (أى فى روما)، وبينما هـو مقـيم فيها اختـير للاسقفـية باعلان عجيب جـدا مـن النعمة الإلهية السماوية.

(٣) لأنه عندما اجتمع جميع الإخـوة ليختاروا بالاقـتراع من يقام أسـقفا على الكنيسـة، كان الكثيرون يفكرون فى عـدة أشخاص بارزين وموقرين، أما فابـيانوس فلم يخطر على بال أحد بالرغم من أنه كان موجودا. ولكن يقال إن حمامة استقرت بغتة على رأسه مشابهة نزول الروح القدس على المخلص فى شكل حمامة.

(٤) وعلى أثر ذلك صرخ كل الشعب - كأنهم جميعـا قد حركهم روح الله الواحد - بالإجماع وبحماس شديد أنه هو المستحق. وبدون ابطاء أخذوه، وأقاموه على كرسى الأسقفية.

(٥) ونحو هذا الوقت مات زبنيوس[٢] أسقف أنطاكية وخلفه بابيلاس.[٣] وفى الإسكندرية لما أقيم هراكلاس[٤] أسـقفا بعد ديمتريوس[٥] خلفه فى ادارة المدرسـة التعليمية ديونيسـيوس[٦] الذى كان أيضا من بين تلاميذ أوريجانوس.

---

(١) انظر ف ٢٣ : ٣. (٢) انظر ف ٢٣ : ٣.

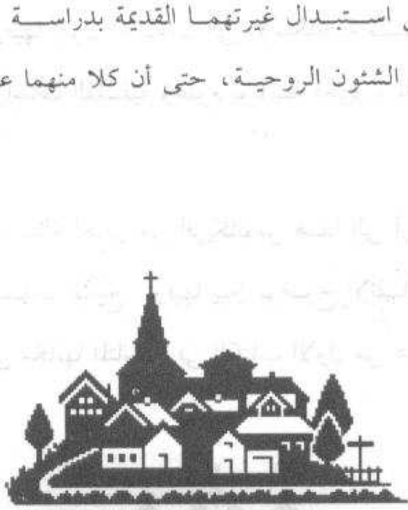
(٣) كان من أبرز شخصيات قدماء الشهداء. ويروى أن معجزات حدثت بسبب عظامه. وقد ذكره فم الذهب كثيرا.

(٤) ف ٣. (٥) ك ٥ ف ٢٢. (٦) ف ٤٠.

الفصل الثلاثون

تلاميذ أوريجانوس

وبينما كان أوريجانوس يقوم بواجباته المعتادة فى قيصرية أتى إليه تلاميذ كثيرون، ليس فقط من البلاد المجاورة بل أيضا من ممالك أخرى. من بين هؤلاء ثيودوروس، وهو نفسه أحد أساقفة عصرنا، الذى برز جدا، واشتهر باسم غريغوريوس،[١] وأخوه أثينودورس. هذان هما اللذان وصل إلى علمنا أنهما اشتهرا بصفة خاصة. وإذ وجدهما مهتمين اهتماما عظيما بالعلوم اليونانية والرومانية غرس فيهما محبة الفلسفة، وحملهما على استبدال غيرتهما القديمة بدراسة اللاهوت. وإذ لبثا معه خمس سنوات أظهرا تقدما عظيما فى الشئون الروحية، حتى أن كلا منهما عين أسقفا فى كنائس بنطى رغم حداثة سنهما.



---

(١) هو غريغوريوس الصانع العجائب الوارد ذكره فى صلاة المجمع بالقداس. وقد ذكره يوسابيوس أيضا فى ك ٧ ف ١٤ و ٢٨. وكان فى بلده الجديدة قيصرية فى بنطس وهى التى رسم عليها أسقفا فيما بعد. كان من والدين غنيين. وبدأ دراسة القانون، وهو لا يزال صغيرا. وإذ مر على قيصرية فلسطين فى طريقه إلى بيريتس، حيث كان هو وأخوه اثينودورس يعتزمان تكلمة دراسة القانون، التقى بأوريجانوس، فقضى معه خمس سنوات درس فيها على يديه المنطق والطبيعيات والرياضيات والفلسفة اليونانية واللاهوت. بعد ذلك عاد مع أخيه إلى وطنهما فرسما أسقفين. ويقال إنه أكمل التعليم فى الإسكندرية. وقد اشتهر بصنع الكثير من العجائب: وكتب الكثير من المؤلفات.

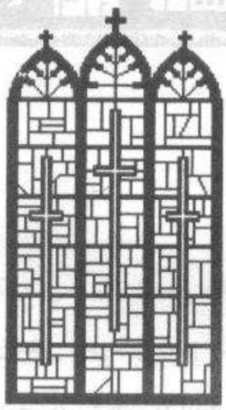
الفصل الحادى والثلاثون

أفريكانوس

(١) وفى ذلك الوقت أيضا اشتهر أفريكانوس مؤلف الكتب المسماة «سستى»· ولا يزال توجد بين أيدينا رسالة له أرسلها إلى أوريجانوس، يبين فيها شكوكه عن رواية سوسنة فى سفر دانيال، باعتبارها مزيفة وملفقة· فرد أوريجانوس عليها بكل تفصيل·

(٢) ومما وصلنا من مؤلفات أخرى لافريكانوس هذا كتبه الخمسة التاريخية، وقد كتبها بمنتهى الدقة باذلا فيها الجهد الجهيد· وفيها يقول إنه ذهب إلى الإسكندرية بسبب شهرة هراكلاس[١] العظيمة، الذى تفوق بصفة خاصة فى الدراسات الفلسفية وعلوم يونانية أخرى، والسابق التحدث عن أقامته اسقفا للكنيسة هناك·

(٣) ولا يزال باق أيضا رسالة أخرى من أفريكانوس هذا إلى أرستيدس فى التناقض المزعوم بين روايتى متى ولوقا عن سلسلة أنساب المسيح· وفيها يبين بوضوح الإتفاق التام بين الإنجيليين، من رواية وصلت إليه سبق أن شرحناها فى مكانها المناسب فى الكتاب الأول من هذا المؤلف·[٢]



(١) انظر ف ٣· (٢) ك ١ ف ٧·

الفصل الثاني والثلاثون

التفاسير التى ألفها أوريجانوس فى قيصرية فلسطين

(١) ونحو هذا الوقت أعد أوريجانوس تفاسيره عن اشعياء وحزقيال. أما تفاسيره عن السفر الأول فقد وصلنا منها ثلاثون كتابا، يصل فيها إلى الجزء الثالث من أشعياء،[١] حتى رؤيا بهائم البرية.[٢] وأما تفاسيره عن حزقيال فبلغت خمسة وعشرين كتابا، وهى كل ما كتبه عن كل النبوة.

(٢) وإذ كان وقتئذ فى أثينا أكمل تفسيره لسفر حزقيال، وبدأ تفسيره لسفر نشيد الأنشاد، وصل فيها إلى الكتاب الخامس. وبعد عودته إلى قيصرية أكمل هذه أيضا، فوصلت إلى عشرة كتب.

(٣) ولماذا نقدم فى كتاب التاريخ هذا قائمة دقيقة عن مؤلفات الرجل التى تحتاج إلى مؤلف خاص. وقد فعلنا هذا فى حديثنا عن حياة بمفيليوس،[٣] وهو شهيد مبارك من شهداء عصرنا. فبعد أن بينا كيف كان اجتهاد بمفيليوس فى الأمور الروحية عظيما، قدمنا قائمة عن المكتبة التى جمعها من مؤلفات أوريجانوس، وغيره من الكتاب الكنسيين. وكل من أراد يستطيع أن يعرف من هذا ما وصل إلينا من مؤلفات أوريجانوس. أما الآن فلنقدم خطوة أخرى فى بحثنا التاريخى هذا.



(١) أى إلى أش ٣٠ : ٦.

(٢) حسب الترجمة السبعينية أو «بهائم الجنوب» حسب ترجمة بيروت للامريكان.

(٣) انظر ك ٧ ف ٣٢.

الفصل الثالث والثلاثون

ضلالة بيريلوس

(١) وقد انحرف بيريلوس[١] - السابق التحدث عنه كأسقف لبوسترا ببلاد العرب - عن تعاليم الكنيسة، وحاول ادخال آراء غريبة عن الإيمان. فقد تجاسر على القول إن مخلصنا وربنا لم يكن له وجود سابق بكيفية متميزة، وإنه لم يكن موجودا من تلقاء ذاته قبل حلوله بين البشر، وإنه ليس فيه أى شيء من اللاهوت بذاته، بل لاهوت حلول الآب فيه.

(٢) وقد تناقش معه أساقفة كثيرون فى هذا الصدد، أما أوريجانوس فإذ دعى مع غيره نزل إليه أولا للتحدث معه للتأكد من آرائه الحقيقية. وإذ وقف على آرائه وعرف خطأها، وأقنعه بالحجج والبراهين المختلفة، رده إلى العقيدة القويمة، وأعاده إلى آرائه السابقة السليمة.

(٣) ولا تزال هنالك باقية كتابات لبيريلوس، وكتابات من المجمع الذى عقد بسببه تتضمن الأسئلة التى وجهها إليه أوريجانوس، والمناقشات التى تمت فى أبروشيته. وجميع الأمور التى حدثت وقتئذ.

(٤) وقد سلم إلينا الإخوة المتقدمون فى السن بيننا حقائق أخرى كثيرة عن أوريجانوس رأيت من المناسب تجنبها لأنها لا تمت بصلة إلى مؤلفنا هذا. على أن كل ما رؤى ضروريا تدوينه عنه يمكن أن يوجد فى «الدفاع» عنه الذى كتبناه بالاشتراك مع بمفيليوس، شهيد عصرنا المبارك. وقد كتبنا هذا بدقة، واشتركنا فى تأليفه بسبب الأشخاص الذين يتصيدون عيوب الناس.

---

(١) انظر ف ٢٠. لما سقط فى ضلالته رده عنها أوريجانوس. ومما ورد فى ف ٢٠ يتضح أنه كان رجلا عالما وكتب عدة مؤلفات.

الفصل الرابع والثلاثون

فيليپ قيصر

لما أكمل جـوردیانوس[١] ست سنوات امبراطورا على الامبـراطورية الرومانية، خلفـه فيليب مع ابنه فيليب. ويقـال إنه إذ كان مسيحـيا،[٢] وأراد أن يشترك مع الشـعب فى الصلاة بالكنيسة لـيلة عيد الفصح، لم يسمح له رئيس الكنيـسة[٣] وقتئذ بالدخول إلا بعـد أن يعترف، ويعتبر نفـسه ضمن الخطاة الذين يقفون موقف التـائبين.[٤] ولو لم يفعل هذا لما كان قد قبله بسبب الجرائم الكثـيرة التى ارتكبها. ويقال إنه أطاع فى الحال. مظهرا بمسلكه خوفا حقيقيا نقيا لله.

الفصل الخامس والثلاثون

ديونيسيوس يخلف هيراكلاس فى الأسقفية

وفى السنة الثالثـة[١] من حكم هذا الامبراطور مـات هراكلاس[٢] بعد أن ظل فى مـركزه ست عشرة سنه، ونال ديونيسيوس[٣] أسقفية كنائس الإسكندرية.

---

(١) ملك من سنة ٢٣٨ - ٢٤٤ ثم قتله الجنود، فخلفه فيليب والى بلاد العرب. أمـا ابنه فيليب، وكان عمره سبع سنوات وقتئذ، فقد نودى به قيصرا فى الحال، ثم أعطى فيما بعد لقب أوغسطس.

(٢) يشك الكثيرون فى أن فيليب كان مسيحيا، إذ يعتبرون أن قسطنطين كان أول امبراطور مسيحى.

(٣) قيل إنه هو بابيلاس أسقف أنطاكية.

(٤) أى المكان المعد للتائبين. وكان المسيـحيون الذين يرتكبون خطايا فاحشة يبعدون عن تناول الإسـرار المقدسة مدة معينة قبل أن يقبلوا ثانية فى الكنيسة.

---

(١) حوالى سنة ٢٤٦ أو ٢٤٧. (٢) انظر ف ٣. (٣) بخصوص ديونيسيوس انظر ف ٤٠.

الفصل السادس والثلاثون

مؤلفات أخرى لأوريجانوس

(١) وفى هذا الوقت، إذ كان الإيمان قد انتشر، وكان ينادى بتعاليمنا بجسارة أمام الجميع، سمح أوريجانوس للكتاب أن يدونوا محاضراته العامة، الأمر الذى لم يكن يسمح به من قبل، ويقال إنه كان وقتئذ قد تجاوز الستين عاما وكان قد اكتسب مرونة عظيمة من اختباره الطويل.

(٢) وقد كتب أيضا فى هذا الوقت مؤلفا من ستة كتب، ردا على المؤلف المعنون «بحث حقيقى» كتبه ضد ناكلسس[١] الابيكورى، كما كتب خمسة وعشرين كتابا عن إنجيل متى. وعلاوة على هذه كتب تفسيرا عن الإنبياء الاثنى عشر، لم نجد منه سوى خمسة وعشرين كتابا.

(٣) ولا يزال أيضا باقيا رسالة له كتبها إلى الامبراطور فيليب، وأخرى كتبها إلى سفيرا زوجته، مع رسائل أخرى عديدة كتبها لأشخاص مختلفين. وقد جمعنا ما أمكن جمعه من هذه الرسائل ورتبناها فى كتب مستقلة حتى وصل العدد إلى مائة كتاب، لكى لا تتبعثر أو تضيع، وكان قد حفظها أشخاص مختلفون هنا وهناك.

(٤) وكتب أيضا إلى فابيانوس، أسقف روما، كما كتب عن استقامة رأيه إلى أشخاص كثيرين آخرين من قادة الكنائس، وفى الكتاب الثامن من مؤلفنا «الدفاع» الذى كتبناه دفاعا عنه، تجد أمثلة لهذه الرسائل.

الفصل السابع والثلاثون

انشقاق العرب

ونحو هذا الوقت قام آخرون فى بلاد العرب منادين بتعليم غريب عن الحق. إذ قالوا إن النفس البشرية فى الوقت الحاضر تموت وتبيد مع الجسد، ولكنهما يتجددان معا فى وقت القيامة. وفى هذا الوقت أيضا اجتمع مجمع كبير، دعى إليه أوريجانوس أيضا، فتكلم فى الموضوع بكل قوة، حتى تغيرت آراء الذين سبقوا أن سقطوا.

(١) كان فيلسوفا أبيكوريا. وقد كتب مؤلفه ضد المسيحية لاعتقاده بأن الوثنية لازمة للدولة، أما المسيحية فهى عدوة لها.

الفصل الثامن والثلاثون

بدعة الألكسيين

وقد ظهرت فى هذا الوقت أيضا ضلالة أخرى تدعى بدعة الإلكسيين،[١] أطفئت منذ بدايتها. وقد تحدث عنها أوريجانوس فى الكلمات التالية، وذلك فى عظة عامة عن المزمور الثانى والثمانين:

«ظهر الآن مباشرة شخص معين،[٢] انتفخ جدا بسبب مقدرته، مناديا بذلك الرأى الكفرى الذى ظهر أخيرا فى الكنائس، إلا وهو بدعة الإلكسيين. وسأبين لكم مقدار ما ينطوى عليه هذا الرأى من شرور، لكى لا يضلكم. فهو يرفض أجزاء معينة من كل سفر. وأيضا يسلم بأجزاء معينة من العهد القديم والإنجيل، ولكنه يرفض الرسول[٣] كلية. ويقول إن إنكار المسيح أمر قليل الأهمية، وإن الفهيم يمكنه عند الضرورة أن ينكر بفمه لا بقلبه. ثم إنهم يبرزون كتابا معينا يقولون إنه نزل من السماء، ويعتقدون أن من يسمعه ويؤمن به ينال مغفرة الخطايا، وهى مغفرة أخرى خلاف تلك التى أعطاها المسيح».

هذا ما قيل عن هؤلاء الأشخاص.

---

(١) Elkesites.

(٢) يقال أن اسمه السيابادس Alciabades.

(٣) أى الرسول بولس.

الفصل التاسع والثلاثون

الاضطهاد الذى حدث فى عهد ديسيوس[١] والآلام التى تكبدها أوريجانوس

(١) وبعد أن حكم فيليب سبع سنوات خلفه ديسيوس. ونظرا لحنقه على فيليب شرع فى اضطهاد الكنائس، وفى هذا الاضهاد استشهد فابيانوس[٢] فى روما، فخلفه كرنيليوس فى الأسقفية.

(٢) وفى فلسطين سيق الإسكندر[٣] أسقف كنيسة أورشليم ثانية أمام كرسى الوالى فى قيصرية من أجل المسيح. وبعد أن برأ نفسه بشجاعته فى اعتراف ثان ألقى فى السجن مكللة هامته بمشيب السن الوقور.

(٣) وبعد اعترافه الجليل أمام ساحة الوالى رقد فى السجن وخلفه مازابانس فى أسقفية أورشليم.

(٤) ولما رقد بابيلاس الانطاكى[٤] أيضا فى السجن بعد اعترافه كالإسكندر خلفه فابيوس فى أسقفية كنيسة انطاكية.

(٥) أما مقدار البلايا التى حلت بأوريجانوس أثناء الإضطهاد، ومقدار شناعتها، وماذا كانت نتيجتها النهائية (فإن شيطان الشر جرد كل قواته، وحارب الرجل بكل حيلة وبأقصى جهده، هاجما عليه بعنف أشد من سواه ممن هجم عليهم وقتئذ)، ومقدار ما تحمله من أجل كلمة المسيح، والقيود، والتعذيبات الجسدية، والتعذيبات بالطرق الحديدى، وفى السجن، وكيف مدت قدماه فى المقطرة أياما كثيرة، وكيف تحمل بصبر التهديد بالنار، وكل ما عذبه به الأعداء، وكيف وضح حدا لآلامه نظرا لأن قاضيه بذل أقصى جهده لانقاذ حياته، وما هى الكلمات التى تركها بعد هذا الأشياء مليئة بالتعزية لكل من يحتاج إلى العون - كل هذه تبينها كثير من رسائله بدقة وأمانة:

---

(١) ينطقها البعض داكيوس.

(٢) بخصوص فابيانوس أسقف روما أنظر ف ٢٩.

(٣) بخصوص الإسكندر أسقف أورشليم انظر ف ٨.

(٤) ف ٢٩.

الفصل الأربعون

الخوادث التى حلت بديونيسيوس[١]

(١) سوف أقتبس من رسالة ديونيسيوس إلى جرمانوس[٢] وصف ما حل بالأول. فقد كتب ما يلى متحدثا عن نفسه: .

«أتكلم أمام الله، وهو يعلم أننى لا أكذب، إننى لم أهرب بدافع من نفسى، أو بدون أرشاد إلهى.

(٢) «وحتى قبل هذا، فى نفس الساعة التى بدأ فيها اضطهاد ديسيوس، أرسل سابينوس جنديا للبحث عنى، ولبثت فى البيت أربعة أيام منتظرا قدومه، ولكنه تجول باحثا فى كل مكان - فى الطرق والأنهار والحقول - حيث ظن أننى مختبىء فيها، أو فى الطريق إليها، فطمست بصيرته ولم يجد البيت،[٣] لأنه لم يخطر بباله أن أبقى فى البيت فى الوقت الذى يجرى البحث فيه عنى.

(٣) «وبعد اليوم الرابع أمرنى الله بمغادرة البيت، وفتح أمامى طريقا بكيفية عجيبة، فارتحلت أنا وأتباعى وكثيرون من الإخوة. أما أن هذا حصل بتدبير الله فقد اتضح مما حدث بعد هذا من الأمور، التى ربما كنا فيها نافعين لبعض أشخاص».

---

(١) ديونيسيوس العظيم ولد فى أواخر القرن الثانى، وتتلمذ لأوريجانوس، ثم خلف هراكلاس فى ادارة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية (انظر ف ٢٩) حوالى سنة ٢٣١، ثم خلفه فى أسقفية الإسكندرية حوالى سنة ٢٤٦ (انظر ف ٣٥) والمرجح أنه استمر فى ادارة المدرسة بعد ارتقائه للاسقفية. وقد ترك عدة مؤلفات، منها مؤلف «عن الطبيعة»، وآخر عن سفر الرؤيا وهو من أقوى ما كتب (انظر ك ٧ ف ٢٥). وقد اشترك فى حل كثير من المشاكل التى أثيرت فى عصره، كمسألة إعادة قبول الساقطين، وإعادة تعميد المهرطقين، ومسألة بولس السيساطى. وأظهر مقدرة فائقة فى حل هذه المشاكل، وحكمة ورزانة وتعقلا (انظر فى ٤٤ الخ، ك ٧ ف ٥و٧ الخ وف ٢٧). وقد سجن أثناء اضطهاد ديسيوس، ولكنه نجا من السجن كما يرى من هذا الفصل. ثم نفى فى اضطهاد فاليريان (ك ٧ ف ١١) ولكنه عاد إلى الإسكندرية فى عهد جالينوس (ك ٧ ف ٢١). وكتب عدة رسائل أشير إليها فى ف ٤١ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ وك ٧ ف ١ و٢ و٤ و٥ و٦ و٧ و٩ و ١٠ و١١ و ٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٨. وقد هوجم كثيرا، وكان اثناسيوس ممن دافعوا عنه وقال ناشر تاريخ يوسابيوس بالانكليزية «ومما لا شك فيه أن ديونيسيوس أخذ على عاتقه المحافظة على التعليم بلاهوت الابن».

(٢) كان أسقفا لابروشية غير معلومة (ك ٧ ف ١١) وقد اتهم ديونيسيوس بالجبن فى وجه الاضطهاد.

(٣) وليس المقصود أنه لم يتمكن من وجود البيت بل لم يفكر فى الذهاب إليه لأنه طمست بصيرته، وهذا هو معنى النص اليونانى.

(٤) وبعد ذلك يروى ما حدث له بعد هروبه.

«ونحو غروب الشمس ألقى على مع من كانوا معى، وأخذنى العسكر إلى تابوسيرس،[٤] ولكن العناية الإلهية رتبت أن لا يكون تيموثاوس حاضرا، وأن لا يلقى القبض عليه. وإذ أتى فيما بعد وجد البيت مهجورا يحرسه العسكر وأننا قد أسرنا».

(٥) وبعد ذلك بقليل يقول

«وماذا كان التدبير العجيب الذى دبره؟ لأنه ينبغى ذكر الحق. لقد قابل أحد أفراد الشعب تيموثاوس هاربا ومنزعجا، وسأل عن سبب استعجاله، فأخبره بالحق كاملا».

(٦) «ولما سمع الرجل بالأمر (وكان فى طريقه إلى وليمة عرس، لأن العادة جرت أن يصرف الليل كله فى اجتماعات كهذه) دخل وقص الرواية على من كانوا على المائدة، أما هم فقاموا كلهم بالإجماع - كأنهم قد أعطيت إليهم اشرة بتدبير سابق - واندفعوا إلى الخارج بسرعة، وهجموا علينا بصراخ شديد. وللحال هرب العسكر الذين كانوا يحرسوننا، أما هم فأتوا إلينا، وكنا مضطجعين على الأرائك عارية.

(٧) «أما أنا فيعلم الله أننى ظننتهم فى بادىء الأمر لصوصا أتوا إلينا للنهب والسلب. لذلك بقيت على السرير الذى كنت مضطجعا عليه، مرتديا ثوبا كتانيا فقط، وقدمت إليهم بقية ثيابى التى كانت موضوعة بجوارى. ولكنهم أشاروا إلى بالقيام واتباعهم بسرعة.

(٨) «وعندئذ أدركت سبب مجيئهم، فصرخت ورجوتهم وتوسلت إليهم أن يذهبوا ويتركونا وحدنا. وطلبت إليهم أن يقطعوا رأسى هم أنفسهم، إن سمحوا بتقديم أية خدمة لى، قبل أن يقطع رأسى أولئك الذين ألقوا القبض على. وعندما صرخت بهذه الكيفية، كما يعلم زملائى وشركائى فى كل شىء، رفعونى بالقوة فطرحت نفسى على ظهرى إلى الأرض، وعندئذ أمسكوا بيدى ورجلى وجرونى.

(٩) أما شهود كل هذه فهم غايوس وفوستوس وبطرس وبولس.[٥] غير أن الذين أمسكونى حملونى خارج القرية بسرعة، واضعين اياى على حمار بدون سرج، وأخرجونى بعيدا.[٦]

هذا ما رواه ديونيسيوس عن نفسه.

---

(٤) قيل إنها كانت مدينة صغيرة مجاورة للاسكندرية.

(٥) كانوا زملاء فى اضطهاد ديسيوس. انظر ك ٧ ف ١١ حيث ترى أيضا أن غايوس وبطرس لازماه فى البرية فى ليبيا. وفى نفس ذلك الفصل فقرة ٣ ترى أن فوستوس كان شماسا.

(٦) فى ك ٧ ف ١١ : ٢٣ نرى أن هذه الجماعة التى أنقذته حملته إلى صحراء ليبيا حيث لبث مع زميلين حتى انتهى الاضطهاد.

الفصل الحادى والأربعون

شهداء الإسكندرية

(١) ويروى نفس الكاتب - فى رسالة إلى فابيوس أسقف انطاكية - الآلام التى تكبدها الشهداء فى الإسكندرية فى عهد ديسيوس، كما يلى:

«لم يبدأ اضطهادنا بصدور الأمر الملكى، بل سبقه بسنة كاملة.[١] إن مخترع ومصدر الشرور فى هذه المدينة، أيا كان قد سبق فحرض وهيج ضدنا جماعات الأمميين. ونفث فيهم من جديد سموم خرافات بلادهم».

(٢) «وإذ هيجهم بهذه الكيفية، ووجدوا الفرصة كاملة لارتكاب أى نوع من الشر، اعتبروا أن أقدس خدمة يقدمونها لشياطينهم هى أن يقتلونا.

(٣) «فألقوا القبض أولا على رجل متقدم فى السن اسمه متراس، وأمروه بأن ينطق بكلمات كفرية. ولكنه أبى أن يطيعهم، فضربوه بالهراوات، ومزقوا وجهه وعينيه بعصى حادة، وجروه خارج المدينة ورجموه.

(٤) «بعد ذلك حملوا إلى هيكل صنمهم امرأة مؤمنة اسمها كوينتا، لعلهم يجبرونها على عبادته. ولما استقبحت الأمر أوثقوا رجليها، وجروها فى كل المدينة على الشوارع المرصوفة بالحجارة، ورضضوا جسمها فوق حجارة الطاحون، وفى نفس الوقت جلدوها. وبعد ذلك أخذوها إلى نفس المكان ورجموها حتى فاضت روحها».

(٥) «ومن ثم هجموا كلهم بنفس واحدة على بيوت الأتقياء، وأخرجوا منها كل من أرادوا، ونهبوهم وسلبوهم. وأخذوا لأنفسهم كل الأمتعة النفيسة، أما الغثة، والمصنوعة من خشب، فبعثروها وأحرقوها فى الشوارع، وبذا بدت المدينة كأن عدوا قد غزاها».

(٦) «على أن الإخوة انسحبوا وغادروا المدينة، قابلين سلب أموالهم[٢] كأولئك الذين شهد لهم بولس. ولست أعرف واحدا إلى الان أنكر الرب، إلا إن كان أحد قد وقع فى أيديهم، وهذا أمر مشكوك فيه».

---

(١) صدر أمر ديسيوس سنة ٢٥٠ ولذا فيكون الاضطهاد فى الإسكندرية بدأ سنة ٢٤٩.

(٢) (عب ١٠ : ٣٤).

(٧) «وبعد ذلك ألقوا القبض على تلك العذراء الجليلة القدر، أبولونيا، وهى سيدة متقدمة فى السن، وضربوها على فكيها، فكسروا كل أسنانها، وأوقدوا نارا خارج المدينة وهددوها بالحرق حية إن لم تشترك معهم فى هتافاتهم الكفرية. وبعد صلاة قصيرة قفزت بحماسة إلى النار فاحترقت».

(٨) «ثم ألقوا القبض على سرابيون فى بيته، وعذبوه بقسوة وحشية، وبعد أن كسروا كل أطرافه طرحوه من طبقة عليا. ولم يكن هناك مفتوحا أمامنا شارع أو طريق عام أو عطفة، نهارا أو ليلا، لأنهم كانوا يصيحون دوما وفى كل مكان بأنه إن كان أحد لا يردد كلماتهم الكفرية وجب أن يجر فى الحال خارجا ويحرق».

(٩) «واستمر الحال على هذا المنوال طويلا. ولكن فتنة وحربا أهلية نشبتا بين الشعب التعس، فحولتا قسوتهم ضدنا إلى بعضهم البعض، وهكذا تنفسنا الصعداء قليلا، إذ كفوا عن هياجهم ضدنا. ولكن سرعان ما أذيع إلينا نبأ استبدال الحكم الرحيم بحكم قاس.[٣] فتملكنا خوف شديد مما هددنا به».

(١٠) «لأن الأمر الملكى وصلنا، وكادت الحالة تماثل تلك الحالة المروعة التى سبق أن أنبأ بها الرب، التى تضل لو أمكن المختارين أيضا[٤]. والواقع أن الجميع انزعجوا».

(١١) «وتقدم[٥] فى الحال الكثيرون من البارزين ممن اشتدت بهم حالة الخوف، وانجرف الآخرون بتيار واجباتهم الرسمية، إذ كانوا فى الخدمة العامة [٦] والآخرون دفعوا دفعا بواسطة معارفهم. ولدى المناداة بأسمائهم اقتربوا من الذبائح الدنسة، واصفر وجه البعض، وارتعشت فرائصهم، كأنهم كانوا يساقون لا لكى يقدموا ذبائح للاوثان، بل لكى يقدموا هم أنفسهم ذبائح لها، لذلك هزأت بهم الجماهير التى كانت واقفة حولهم، لأنه كان واضحا لكل واحد إنهم كانوا خائفين من أن يقتلوا إن لم يذبحوا للاوثان».

(١٢) «على أن البعض تقدموا إلى مذابح الأوثان بكل جرأة، معلنين أنهم لم يكونوا قط مسيحيين. وعن هؤلاء تصدق نبوة ربنا بأنهم يعسر خلاصهم.[٧] أما الباقون فالبعض تبعوا هذه الجماعة، والآخرون تبعوا جماعة أخرى، البعض هربوا والآخرون ألقى القبض عليهم».

---

(٣) اشارة إلى موت فيليب واقامة ديسيوس بدلا عنه وقد كان مضطهدا للمسيحية.

(٤) (مت ٢٤ : ٢٤).

(٥) أى ليذبحوا للاصنام.

(٦) كان كل موظف حكومى ملزما بتقديم الذبائح للاصنام لدى قبوله فى وظيفته، وكذا فى مناسبات أخرى معينة.

(٧) (مت ١٩ : ٢٣).

(١٣) «وبعض هؤلاء الآخرين ظلوا أمناء حتى القيود والسجون، والبعض جحدوا الإيمان قبل تقديمهم للمحاكمة، حتى بعد سجنهم أياما كثيرة. والآخرون تراجعوا بعد أن تحملوا التعذيب وقتا ما».

(١٤) «أما أعمدة الرب الثابتون المباركون فإنهم إذ نالوا قوة وقدرة يتناسبان مع الإيمان القوى الذى تمسكوا به، أصبحوا شهودا رائعين لملكوته».

(١٥) «كان أول هؤلاء يوليانوس، وكان يشكو كثيرا من داء المفاصل حتى عجز عن الوقوف أو المشى. فقدموه مع اثنين آخرين يحملانه. وللحال أنكر أحدهما الإيمان. أما الآخر واسمه كرونيون يونس فبعد أن اعترف بالرب مع يوليانوس نفسه المتقدم فى السن حملا على جملين فى كل المدينة، وهى كبيرة جدا كما تعلم، وفى هذا الوضع المرتفع ضربا، وأخيرا أحرقا بنار شديدة، تحيط بهم كل العامة».

(١٦) «على أن جنديا اسمه بيساس وبخ معيريهما إذ كان واقفا بجوارهما وهما يساقان. فصاحوا فى وجهه، وحوكم هذا البطل العظيم، وقطعت رأسه بعد أن وقف موقفا نبيلا فى النضال من أجل التقوى».

(١٧) «وطلب القاضى من آخر بعنف أن ينكر الإيمان، وقد كان ليبى المولد، واسمه مقار، وهو خليق بهذا الاسم، مبارك[٨] حقا. وإذ لم يذعن أحرق حيا. وبعدهم بقى بيماخوس والإسكندر فى القيود مدة طويلة، وتحملا آلاما لا تحصى بالمقشطة[٩] والجلدات، ثم أحرقا فى نار متلظية».

(١٨) «وكان معهما أربع نساء هن: أموناريوم، وهى عذراء عفيفة، عذبها القاضى بلا هوادة ولا رحمة، لأنها حرصت منذ البداية على أن لا تنطق بأية كلمة مما أمرها به، وإذ بقيت أمينة لعهدها جروها خارجا. والأخريات هن مركوريا، وهى أمرأة مشهورة جدا متقدمة فى السن، وديونيسيا، وكانت أما لأبناء كثيرين، لم تحب أبناءها أكثر من الرب.[١٠] ولأن الوالى خجل من أن التعذيب كان بلا جدوى، ولأن النساء كن دواما ينتصرن عليه، فقد قتلن بالسيف دون محاولة التعذيب، لأن البطلة أموناريوم تحملت التعذيب عوض الجميع».

(١٩) «وقد أسلم المصريون هيرون، واتر، وايسيذوروس، ومعهم ديسيقوروس، وهو صبى عمره نحو خمس عشرة سنة. حاول القاضى فى البداية أن يضلل الصبى بكلمات معسولة كأنه كان من الميسور التأثير عليه بسهولة، ثم يضغط عليه بالتعذيب ظانا أنه من الميسور أن يستسلم بسهولة. ولكن ديوسقوروس لم يقتنع ولم يستسلم».

---

(٨) الاسم «مقار» معناه فى اليونانية مبارك.

(٩) آلة كانت تمر فوق الجسم فتمزقه.

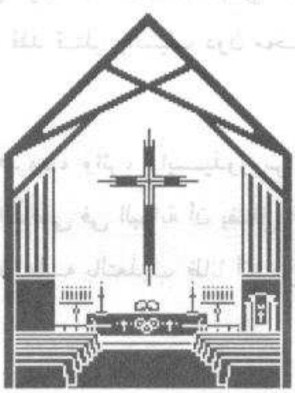
(١٠) قيل بإن اسم الرابعة ذكر بعد ذلك مباشرة «وأخرى اسمها أموناريا».

(٢٠) «وإذ لبث الباقون ثابتين جلدهم بوحشية، ثم أسلمهم للنيران، ولما أعجب بالطريقة التى بها أبرز ديوسقوروس نفسه جهارا، وبأجوبته الحكيمة تلقاء الاغراءات التى قدمت إليه، طرده قائلا إنه سيعطيه فرصة للتوبة نظرا لحداثة سنه، ولا يزال ديوسقوروس التقى هذا بيننا الإن، فى انتظار اضطهاد أطول وتعذيب أشد».

(٢١) «واتهم شخص آخر اسمه نمسيون، وهو مصرى أيضا، بأنه ينتمى لعصابة لصوص. ولما برأ نفسه أمام قائد المئة من هذه التهمة البعيدة عن الحق كل البعد، وشى به بأنه مسيحى، وأخذ فى القيود أمام الوالى. أما ذلك الوالى الظالم فقد حكم عليه بتعذيبات وجلدات ضعف ما كان يحكم به على اللصوص، ثم أحرقه بين لصين، وهكذا أكرم ذلك الرجل المبارك بأنه شبهه بالمسيح».

(٢٢) «وكان واقفا أمام جماعة من الجند هم أمون وزينو وبطليموس وانجينس، ومعهم رجل متقدم فى السن اسمه ثيوفيلس، وإذ ظهر أن شخصا معينا يحاكم كمسيحى كان على وشك انكار الإيمان، أصروا على أسنانهم، لأنهم كانوا واقفين بجواره، وأشاروا بوجوهم ومدوا أيديهم وحركوا أجسادهم».

(٢٣) «وعندما اتجهت أنظار الجميع إليهم، وقبل أن يلقى أى واحد الأيدى عليهم، اندفعوا نحو المحكمة قائلين إنهم مسيحيون، حتى انزعج الوالى هو ومجلسه. فازدادت شجاعة الذين كانوا يحاكمون، ولم يرهبوا الآلام، أما قضاتهم فارتعدت فرائصهم. وهكذا خرجوا من المحاكمة فرحين بشهادتهم، لأن الله نفسه مجدهم فى انتصارهم».



الفصل الثانى والأربعون

أشخاص أخرون تحدث عنهم ديونيسيوس

(١) «وهنالك آخرون كثيرون، فى المدن والقرى، مزقهم الوثنيون اربا، سأتحدث عن واحد فقط كمثل للباقين. كان اسخيرون يعمل كوكيل لأحد الحكام. ولما أمره رئيسه أن يذبح للاوثان رفض، فأهانه رئيسه، ولما ظل ثابتا فى رفضه أساء إليه. ولما استمر فى ثباته أمسك عصا طويلة ودفعها فى أحشائه وقتله».

(٢) «وهل يحتاج الأمر للتحدث عن الجماهير التى تجولت فى البرارى والجبال، وهلكوا بسبب الجوع والعطش والبرد والمرض واللصوص والوحوش؟ فإن الباقين الذين نجوا منهم شهوده للدعوة التى أتتهم ولنصرتهم».

(٣) «على أننى سأذكر حادثة واحدة من باب التمثيل، فإن كرمون، وكان متقدما جدا فى السن، كان أسقفا لمدينة تدعى نيلوس[١] هذا هرب مع زوجته إلى جبل العرب[٢] ولم يعودا. ورغم أن الأخوة جدوا فى البحث عنهما فإنهم لم يجدوهما ولا وجدوا جثتيهما».

(٤) «والكثيرون ممن هربوا إلى نفس الجبل أخذتهم العرب أسرى. وقد افتدى البعض بصعوبة بثمن باهظ، والآخرون لم يفتدوا إلى الآن. وإننى لم أرو هذه الأمور يا أخى بلا غاية، بل لكى تعلم مقدار وفرة وشدة الضيقات التى حلت بنا والذين كانت لهم اختبارات أوفر فيها هم أكثر الناس معرفة بها فعلا».

(٥) وبعد ذلك بقليل يضيف قائلا:

«وهؤلاء الشهداء المباركون الذين بيننا، الجالسون مع المسيح الآن، شركاء فى ملكوته، وشركاء فى الدينونة، ويدينون معه، قد قبلوا بعض الإخوة الذين سقطوا واتهموا بجريمة الذبح للاوثان. فلما أدركوا أن تجديدهم وتوبتهم كافيا ليقبلا أمام ذاك الذى لا يشاء موت الخاطىء قط بل توبته، اختبروهم فقبلوهم ثانية، وأعادوهم، والتقوا بهم، واشتركوا معهم، فى الصلوات والولائم.[٣]

(٦) «فإية نصيحة تقدمونها إلينا أيها الإخوة عن مثل هؤلاء الأشخاص؟ ماذا نفعل؟ هل نعطى نفس الحكم الذى أعطوه، ونراعى قرارهم ومحبتهم، ونظهر الرحمة لمن أشفقوا عليهم؟ أم نعلن بأن قرارهم ظالم، ونقيم أنفسنا كقضاة لرأيهم، ونتحدى الرحمة ونقلب النظام».

هذه هى الكلمات التى أضافها ديونيسيوس بحق عند التحدث عن الذين ضعفوا وقت الاضطهاد.

---

(١) كانت فى جزيرة بالنيل جنوب منف. (٢) أى الجبل الشرقى. (٣) الأرجح أن المقصود وليمة العشاء الربانى.

الفصل الثالث والأربعون

نوفاتوس، طريقة حياته، وهرطقته

(١) بعد هذا انتفخ نوفاتوس، وهو قس فى كنيسة روما، فى عجرفته على هؤلاء الأشخاص كأنه لم يعد لهم أى رجاء فى الخلاص، حتى ولو عملوا كل ما يتصل بالتجديد الحقيقى النقى. ثم تزعم شيعة أولئك الذين فى كبرياء أوهامهم دعوا أنفسهم «كثارى»[١].

(٢) وعلى أثر ذلك انعقد مجمع كبير جدا فى روما من ستين أسقفا، وعدد أوفر من القسوس والشمامسة. وفى الوقت نفسه تناقش رعاة الأقاليم الأخرى على حدة فى أماكنهم فيما يجب أن يعمل. فصدر قرار بالاجماع بأن نوفاتوس، ومن اشتركوا معه، ومن شايعوه فى رأيه عديم الإنسانية المبغض للأخ، يجب أن تعتبرهم الكنيسة خارجين عنها، وأنهم يجب أن يشفوا أمثال هؤلاء الأخوة الذين سقطوا فى التجربة، ويقدموا إليهم أدوية التوبة.

(٣) وقد وصلت إلينا رسائل كرنيليوس أسقف روما إلى فابيوس أسقف كنيسة أنطاكية، تبين ما تم فى مجمع روما. وما رؤى مناسبا فى أعين جميع الذين فى ايطاليا وافريقيا والأقطار المجاورة. ووصلت أيضا رسائل أخرى كتبت باللغة اللاتينية، منسوبة إلى سيبريان ومن معه فى أفريقيا، وهى تبين أنهم قد اتفقوا على ضرورة مساعدة من سقطوا فى التجربة، كما اتفقوا على أن يقطع من الكنيسة الجامعة مبتدع الهرطقة وكل من اشتركوا معه.

(٤) وأرفق بهذه رسالة أخرى لكرنيليوس عن قرارات المجمع. وهنالك أيضا رسائل أخرى عن أخلاق نوفاتوس. خليق بنا أن نقتبس منها بعض فقرات لكى يعرف شيئا عنه كل من يطلع عليها.

(٥) وفى الكلمات التالية نرى كرنيليوس يحدث فابيوس عن نوفاتوس.

«وأريد أن أحدثك لكى تعرف كيف أن هذا الرجل اشتهى الأسقفية منذ زمن طويل، ولكنه أخفى هذه الرغبة الجامحة وأبقاها لنفسه فقط، مستخدما أولئك المعترفين الذين التصقوا به منذ البداية كستار لتمرده».

(٦) «وإن مكسيموس، أحد قسوسنا، وأوربانوس، الذى حصل مرتين على أعظم شرف باعترافه، وسيدونيوس وكيليرينوس، وهو رجل تحمل كل أنواع العذاب بشهامة نادرة وبفضل نعمة الله،

---

(١) كلمة يونانية معناها «نقى».

وتغلب على ضعف الجسد بقوة ايمانه، وقهر الخصم باقتدار - هؤلاء فضحوه وكشفوا حيله ونفاقه وأضاليله وأكاذيبه وصداقته الزائفة. فرجعوا إلى الكنيسة المقدسة، وصرحوا بحضور الكثيرين من الأساقفة والقسوس وعدد وفير من العلمانيين بكل حيله وخبثه وشروره التى أخفاها زمنا طويلا. وقد فعلوا هذا ببكاء وأسف شديد، لأنهم كانوا قد تركوا الكنيسة وقتا ما بسبب اغراءات ذلك الوحش الماكر الخبيث».

وبعد ذلك بقليل يقول:

(٧) «وكان غريبا جدا، أيها الأخ الحبيب، ذلك التغيير الذى رأيناه يحدث فيه فى وقت قصير. لأن هذا الشخص الغريب جدا، الذى أقسم بأغلظ الإيمان أن لا يسعى للاسقفية، ظهر بغتة كأسقف كأن ماكينة قد قذفت به بيننا.

(٨) «لأن هذا المتصلف، المدعى الدفاع عن عقيدة الكنيسة، إذ حاول الحصول على الأسقفية التى لم تعط له من فوق، اختار اثنين من رفاقه تنازلا عن خلاصهما، وأرسلهما إلى ركن صغير مهمل فى ايطاليا، لعله ببعض الحجج المزورة يستطيع أن يخدع ثلاثة أساقفة سذج وفى غاية البساطة، فأكدوا وشددوا بأنه من الضرورى أن يذهبوا سريعا إلى روما مع أساقفة آخرين حتى يمكن حسم كل نزاع قام هناك بوساطتهم ووساطة أساقفة آخرين:

(٩) «وعندما وصلوا أغلق عليهم مع بعض أشخاص آخرين مثله، لأنهم كما قلنا كانوا فى غاية البساطة. وفى الساعة العاشرة، إذ سكروا واعتلت صحتهم، أجبرهم بالقوة أن يرسمو أسقفا بوضع الأيدى بطريقة مزيفة باطلة. ولأن الأسقفية لم تأت إليه انتقم لنفسه واختلسها بالحيلة والخيانة.

(١٠) «وبعد ذلك بوقت قصير عاد إلى الكنيسة أحد هؤلاء الأساقفة باكيا ومعترفا بتعديه. ونحن تحدثنا معه كما إلى أحد العلمانيين، وتشفع من أجله كل الشعب الحاضرين. ثم رسمنا خلفين للاسقفين الآخرين، وأرسلناهما إلى حيث كانا».

(١١) ولم يدر هذا المنتقم من الإنجيل أنه يجب أن يكون هنالك أسقف واحد فى كنيسة جامعة.[٢] ومع ذلك فإنه لم يجعل (وكيف كان ممكنا أن يجهل) أنه كان فيها ستة وأربعون قسيسا، وسبعة شمامسة،[٣] وسبعة شمامسة مساعدين،[٤] واثنان وأربعون قندلفت[٥] واثنان وخمسون طاردى الأرواح النجسة،[٦] وقارئون،[٧] وبوابون، وأكثر من ألف وخمسمائة أرملة وشخص فى ضيقة، ينعمون كلهم بنعمة ورحمة السيد.

(٢) كان الرأى السائد أن يكون هنالك أسقف واحد فى المدينة.

(١٢) «على إن كل هذا الجمع الغفير، اللازمين فى الكنيسة، وكل الذين كانوا بنعمة الله أغنياء وممتلئين، وكل الشعب الذى لا يحصى، هؤلاء كلهم لم يستطيعوا أن يرجعوه عن غطرسته ووقاحته أو يردوه إلى الكنيسة».

(١٣) بعد قليل يضيف أيضا هذه الكلمات.

«واسمح لى أن أقول أكثر: بسبب أى أعمال أو تصرفات كانت له الجرأة لكى يناضل من أجل الأسقفية؟ هل لأنه نشأ فى الكنيسة منذ البداية، وتحمل آلاما كثيرة فى سبيل النضال عنها، وجاز وسط أخطار كثيرة من أجل المسيحية؟ يقينا أن هذا لم يحصل».

(١٤) «ولكن الشيطان الذى دخله وسكن فيه طويلا كان هو علة اعتقاداته. وإذ أسلمه طاردو الأرواح حل به مرض شديد. ولما بدا كأنه أوشك على الموت قبل المعمودية بالرش على السرير الذى كان مضطجعا عليه، إن جاز لنا القول إن شخصا كهذا قبل المعمودية».

(١٥) «وعندما شفى من مرضه لم يقبل الأشياء الأخرى التى يفرضها قانون الكنيسة، حتى ولا ختم الأسقف. [٨] وإن كان لم يقبل هذا فكيف يمكن أن يكون قد قبل الروح القدس؟».

(١٦) وبعد ذلك بقليل يقول أيضا:

«وفى وقت الاضطهاد أنكر أنه قس، وذلك بسبب الجبن والخوف على حياته. لأنه لما توسل إليه الشمامسة ورجوه أن يخرج من الغرفة التى حبس نفسها فيها، ويقدم المساعدة اللازمة للاخوة كما كان يحتمه الواجب على القس أن يساعد الأخوة الذين فى الخطر والمحتاجين للمساعدة، لم يأبه لتوسلات الشمامسة، بل انصرف فى غضب. وقال إنه لا يرغب فى أن يكون قسا بعد إذ كان معجبا بفلسفة أخرى».

---

(٣) جرت العادة أن يكون بالكنيسة سبعة شمامسة اقتداء بالكنيسة الأولى (اع ٦).

(٤) كانت وظيفتهم مساعدة الشمامسة فى اعداد أوانى الخدمة على المذبح، مراقبة الأبواب أثناء التناول، وكثيرا ما كانوا يحملون رسائل الأساقفة إلى الكنائس البعيدة.

(٥) كانت وظيفتهم اضاءة الأنوار فى الكنيسة وتقديم الخمر لخدمة التناول.

(٦) كانت وظيفتهم مراقبة الأشخاص الذين فيهم أرواح نجسة، والعناية بهم والصلاة من أجلهم لطرد الأرواح.

(٧) لعلهم هم الاغنسطيون.

(٨) الاشارة إلى سر التثبيت وكان يقوم به الأسقف إن كان حاضرا.

(١٧) وعلاوة على أشياء أخرى قليلة أضاف الكلمات التالية:

«لأن هذا الشخص العجيب ترك كنيسة الله التى إذ آمن حسب فيها أهلا للقسيسية بفضل الأسقف الذى رسمه قسيسا. وقد اعترض على هذا كل الاكليروس، وكثيرون من الشعب، لأنه كان لا يحل أن يقبل أية رتبة كهنوتية شخص رش على فراشه بسبب مرضه كما تم له. ولكن الأسقف طلب أن يسمح له برسامة هذا الشخص فقط».

(١٨) ثم يضيف إلى ذلك جريمة أخرى هى أسوأ جرائم هذا الشخص كما يلى:

«وعندما قدم القرابين، ووزعها على كل واحد، ألزم ذلك الرجل الشقى وهو يناوله أن يحلف بدل البركة. وإذ أمسك يديه بكلتا يديه لم يرد أن يطلقه ولا بعد أن حلف بهذه الكيفية (وقد أردت أن أثبت كلماته): احلف لى بجسد ودم ربنا يسوع المسيح إن لا تتركنى ولا ترجع إلى كرنيليوس».

(١٩) «ولم يشأ الشقى أن يذوق قبل أن يربط نفسه بهذا الرباط، وبدلا من أن يقول آمين وهو يتناول الخبز قال لن أعود إلى كرنيليوس».

(٢٠) وبعد ذلك يقول أيضا.

«لكن اعلم أنه قد أصبح الآن مجردا ومهجورا. لأن الإخوة يتركونه كل يوم ويرجعون إلى الكنيسة. وموسى أيضا، الشهيد المبارك، الذى استشهد بيننا استشهادا مجيدا عجيبا، إذ شهد جرأته وحماقته وهو لا يزال حيا، رفض الاختلاط به أو بالقسوس الخمسة الذين فصلوا أنفسهم معه عن الكنيسة».

(٢١) «وفى ختام رسالته يقدم قائمة عن الأساقفة الذين أتوا إلى روما، وحكموا على سخافة نوفاتوس، مع ذكر أسمائهم والإبروشيات التى كانوا يرأسونها.

(٢٢) ويذكر أيضا من لم يحضروا إلى روما، ولكنهم عبروا بالرسائل عن موافقتهم على آراء هؤلاء الأساقفة، ويذكر أسماءهم والمدن التى أرسلوا منها رسائلهم. وقد كتب كرنيليوس هذه الأمور إلى فابيوس أسقف انطاكية.

الفصل الرابع والأربعون

رواية ديونيسيوس عن سرابيون

(١) وكتب ديونيسيوس الاسكندرى أيضا رسالة إلى فابيوس هذا نفسه الذى يبدو أنه كان يميل بعض الميل إلى هذه البدعة · وفيها كتب أمورا أخرى كثيرة عن التوبة، وروى تفاصيل النضال الذى كافح به أولئك الذين استشهدوا أخيرا فى الإسكندرية · وبعد الرواية الأخرى يذكر حقيقة عجيبة تستحق الذكر فى هذا المؤلف · وهى كما يلى:

(٢) «وسأقدم لك هذا المثال الواحد الذى حدث بيننا · كان معنا شخص اسمه سرابيون، وهو مؤمن متقدم فى السن، عاش زمنا طويلا بلا لوم، ولكنه سقط فى التجربة · ولقد توسل كثيرا، ولكن لم يلتفت إليه أحد لأنه ذبح للأوثان · فاعتراه مرض، وفقد النطق والوعى ثلاثة أيام متوالية» ·

(٣) «وإذ تحسنت صحته قليلا فى اليوم الرابع أرسل إلى إبن ابنته قائلا: إلى متى تعوقوننى يا ابنى · أتوسل إليك أن تعجل وتحلونى بسرعة · ادع لى أحد القسوس · ولما قال هذا فقد النطق ثانية · فركض الصبى إلى القس · وكان الوقت ليلا، والقس مريضا، فلم يقدر أن يأتى» ·

(٤) «ولأننى كنت قد أمرت بأن الأشخاص الذين على حافة الموت يجب أن تعطى لهم المغفرة إن طلبوها، سيما إن كانوا قد طلبوها من قبل، لكى ينطلقوا برجاء حسن، لذلك أعطى الصبى جزءا صغيرا من سر الأفخارستيا، وقال له أن يغمسه ويدع النقط تسقط فى فم الرجل الشيخ» ·

(٥) «فعاد به الصبى · وإذ اقترب، وكان لم يدخل بعد، تحرك سرابيون ثانية وقال: لقد أتيت يا ابنى ولم يقدر القس أن يأتى · ولكن افعل بسرعة ما أمرك به ودعنى أنطلق · عندئذ غمسه الصبى وجعل النقط تسقط فى فمه · وإذ بلع قليلا أسلم الروح فى الحال» ·

(٦) أليس واضحا أنه قد بقى حيا حتى نال الحل · وإذ مسحت خطيته أمكن الاعتراف به بسبب الإعمال الصالحة الكثيرة التى فعلها؟» ·

هذا ما رواه ديونيسيوس ·

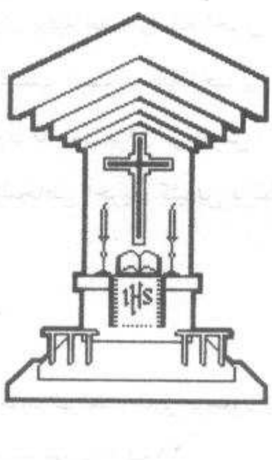
الفصل الخامس والأربعون

رسالة من ديونيسيوس إلى نوفاتوس

لكن لننظر الإن كيف وجه نفس هذا الشخص رسالة إلى نوفاتوس لما كان يزعج الإخوة الرومانيين. وإذ ادعى أن بعض الإخوة كانوا سبب ارتداده وانشقاقه، كأنهم قد أجبره على هذا، فلاحظ كيف كتب إليه:

«سلام من ديونيسيوس إلى أخيه نوفاتوس، إن كنت كما تقول قد دفعت دفعا بغير ارادتك فبرهن على هذا بانسحابك بارادتك. لأنه كان خيرا أن تتحمل كل ألم عن أن تقسم كنيسة الله، وحتي الاستشهاد من أجل تجنب الانقسام لا يكون أقل مجدا منه لأجل رفض عبادة الأوثان. بل إنه يبدو فى نظرى أعظم. لأنه فى الحالة الأخيرة يستشهد المرء من أجل نفسه، وفى الحالة الأولى من أجل الكنيسة بأجمعها. والآن إن أمكنك اقناع الإخوة، أو حملهم على اتفاق ارائهم زاد برك عن زلتك، وهذه لا تحسب عليك، بل يمدح برك. ولكن إن لم تستطع أن تفلح مع المتمردين، فعلى الأقل خلص نفسك. أتوسل إليك أن تحسن التبصر فى الأمر وتبقى فى سلام مع الرب».

هذا ما كتبه إلى نوفاتوس.



الفصل السادس والأربعون

رسائل أخرى لديونيسيوس

(١) وكتب أيضا رسالة إلى الإخوة في مصر عن التوبة. وفيها يدون ما بدا صائبا في رأيه عمن سقطوا، ويصف درجات التعدي.

(٢) ولا يزال باقيا أيضا خطاب خاص عن التوبة كتبه إلى كونون أسقف أبروشية هرموبوليس، ورسالة أخرى وعظية إلى رعيته في الإسكندرية. وبينها أيضا تلك التي كتبها إلى أوريجانوس عن الإستشهاد، وإلى الأخوة في لاودكية التي كان ثيليمدرس أسقفا عليها. كذلك أرسل رسالة عن التوبة إلى الأخوة في أرمينيا التي كان ميروزانس أسقفا عليها.

(٣) وعلاوة على كل هذه كتب إلى كرنيليوس[١] أسقف روما عندما استلم منه رسالة ضد نوفاتوس. وفي هذه يذكر أنه قد دعي من هيلينوس[٢] أسقف طرسوس في كليكية، والآخرين اللذين كانا معه: فرميليانوس[٣] أسقف كبدوكية، وثيوكتستوس[٤] أسقف فلسطين. ليقابلهم في المجمع في أنطاكية حيث كان البعض يحاولون تدعيم بدعة نوفاتوس.

(٤) وعلاوة على هذا فقد كتب يقول إنه علم بأن فابيوس[٥] رقد، وإن ديمتريانوس[٦] عين خليفة له في أسقفية أنطاكية. وكتب أيضا هذه الكلمات عن أسقف أورشليم:

«وبعد أن سجن المغبوط الإسكندر[٧] انطلق بسلام».

(٥) وعلاوة على هذه لا تزال باقية أيضا رسالة أخرى عن وظيفة الشماسية، أرسلها ديونيسيوس إلى أهل روما عن يد هيبوليتس، وكتب إليهم رسالة إخرى عن السلام، وأخرى عن التوبة، وأخرى للمعترفين هناك، الذين كانوا لا يزالون يدينون برأي نوفاتوس. وأرسل رسالتين آخريين لنفس الأشخاص بعد عودتهم إلى الكنيسة. واتصل بأشخاص آخرين كثيرين برسائل تركها وراءه لمنفعة الذين يدرسون الآن كتاباته باجتهاد.

---

(١) انظر ف ٣٩.

(٢) كان من رأى هيلينوس ضرورة اعادة تعميد الهراطقة الذين يرجعون (انظر ك ٧ ف ٥) وكان له نصيب في الاشتراك في النزاع الذى حدث بخصوص بولس السميساطى ك ٧ ف ٢٨.

(٣) انظر ف ٢٦ (٤) ف ١٩ : ١٧ (٥) ف ٣٩ (٦) ك ٧ ف ٥ و١٤ و٢٧ و ٣ (٧) ف ٨

الكتاب السابع

مقدمة

فى هذا الكتاب السابع من تاريخ الكنيسة يساعدنا ثانية أسقف الإسكندرية العظيم ديونيسيوس[١] بكتاباته· متحدثا عن شئون عصره المختلفة فى الرسائل التى تركها· وسأبدأ الآن بها·

الفصل الأول

خبث ديسيوس وجالوس

وإذ لم يكد ديسيوس[١] يكمل سنتين فى الحكم قتله أبناؤه وخلفه جالوس· وفى هذا الوقت مات أوريجانوس وكان عمره تسعا وستين سنة· ويتحدث ديونيسيوس عن جالوس[٢] بالكلمات التالية وهو يكتب إلى هرمامون·

«ولم يعترف جالوس بخبث ديسيوس، ولا فكر فيما أدى به إلى الهلاك، بل عثر بنفس الحجر، رغم أنه كان ملقى أمام عينيه· لأنه إذ كان حكمه مزدهرا، والأمور تسير وفق ارادته، هجم على الرجال الأتقياء الذين كانوا يتوسلون إلى الله من أجل سلامه وخيره· وهكذا باضطهاده اياهم حرم نفسه بنفسه من صلواتهم لأجله»·

هذا ما قيل عنه·

---

(١) بخصوص ديونيسيوس انظر ك ٦ ف ٤٠·

---

(١) حكم ديسيوس من سنة ٢٤٩ إلى سنة ٢٥١م·

(٢) حكم من سنة ٢٥١ إلى سنة ٢٥٣ حيث قتله جنوده هو وابنه·

الفصل الثانى

أساقفة روما فى ذلك الوقت

وبعد أن ظل كرنيليوس فى أسقفية مدينة روما نحو ثلاث سنوات خلفه لوسيوس . وهذا مات بعد أقل من ثمانية شهور، وانتقلت وظيفته إلى استفانوس . وقد كتب إليه ديونيسيوس أولى رسائله عن المعمودية، إذ كانت قد قامت مناقشة حادة عما إذا كان الذين رجعوا من أية هرطقة يجب أن يطهروا بالمعمودية أم لا . لأن العادة القديمة التى كانت سارية بصدد أمثال هؤلاء هى مجرد وضع الأيدى عليهم مع الصلاة .

الفصل الثالث

كيف نادي كبريانوس ومن معه من الأساقفة أولا بأن الراجعين من الهرطقة يجب أن يطهروا بالمعمودية

وأول كل شيء أصر كبريانوس، راعى أبروشية قرطاجنة، على أنهم يجب أن لا يقبلوا إلا إذا تطهروا بالمعمودية من زلاتهم . ولكن استفانوس اشتد غضبه، ورآه غير ضرورى ادخال أية بدعة تخالف التقليد السارى منذ البداية .

الفصل الرابع

الرسائل التي كتبها ديونيسيوس عن هذا الموضوع

وإذ راسله ديونيسيوس بتوسع بصدد هذا الموضوع، بين له أخيرا بأنه طالما كان الاضطهاد قد خفت وطأته فإن الكنائس فى كل مكان رفضت بدعة نوفاتوس وصارت فى سلام بين بعضها البعض، وقد كتب ما يلى :

الفصل الخامس

الهدوء الذى جاء عقب الاضطهاد

(١) «لكن اعلموا الآن يا اخوتى أن جميع الكنائس فى الشرق، وما بعد الشرق، التى كانت منقسمة، قد اتحدث كلمتها. وأصبح جميع الأساقفة فى كل مكان برأى واحد، مغتبطين جدا بالسلام الذى جاء، فوق ما كان منتظرا. هكذا اغتبط ديمتريانوس[١] فى أنطاكية، وثيوكتستوس فى قيصرية. ومازابانس فى اليا، ومارينوس فى صور (إذ كان الاسكندر قد رقد)، وهليودورس فى لادوكية (إذ كان ثيليميدرس قد مات)، وهيلينوس فى طرسوس، وجميع كنائس كيليكية، وفرميليانوس، وجميع كبادوكية. ولم أذكر سوى أبرز الأساقفة لكى لا تكون رسالتى طويلة، وكلماتى ثقيلة».

(٢) «وجميع سوريا وبلاد العرب التى ترسلون إليها المساعدات عند الحاجة، والتى كتبتم إليها الآن مباشرة، وما بين النهرين وبنطس وبيثينيا. وبالايجاز إن الجميع فى كل مكان مغتبطون، ويمجدون الله من أجل الوحدة والمحبة الأخوية». هذا ما ذكره ديونيسيوس.

(٣) أما استفانوس فاذ شغل مركزه سنتين خلفه زيستوس. وقد كتب إليه ديونيسيوس رسالة أخرى عن المعمودية، بين له فيها فى نفس الوقت رأى وحكم استفانوس والأساقفة الآخرين، وروى ما يلى عن استفانوس:

(٤) «لذلك سبق أن كتب عن هيلينوس وفرمليانوس وجميع من فى كيليكية كبادوكية وغلاطية والأمم المجاورة، قائلا انه لا يريد الاختلاط بهم لهذا السبب، أى لأنهم أعادوا معمودية الهراطقة. لكن تأمل أهمية الموضوع».

(٥) «صحيح إنه صدرت من أكبر مجامع الأساقفة - على ما أعلم - قرارات فى هذا الموضوع، متضمنة بأن القادمين من الهراطقات يجب تعليمهم، وبعد ذلك يغسلون وينظفون من الخميرة العتيقة الدنسة. وقد كتبت إليه متوسلا من أجل جميع هذه الأمور». وبعد ذلك يقول:

(٦) «وقد كتبت أيضا، بكلمات قليلة فى البداية، وبكلمات كثيرة أخيرا، إلى زميلينا القسين المحبوبين ديونيسيوس[٢] وفليمون[٣] اللذين كانا يدينان بنفس رأى استفانوس، وكتب إلى عن نفس الأمور».

هذا ما قيل عن المناقشة السابق ذكرها.

---

(١) بخصوص ديمتريانوس وثيليميدرس وهيلينوس انظر ك ٦ ف ٤٦. وبخصوص ثيوكتستوس انظر ك ٦ ف ١٩ : ١٧ وبخصوص فرمليانوس انظر ك ٦ ف ٢٦ وبخصوص مازابانس انظر ك ٦ ف ٣٩.

(٢) أقيم فيما بعد أسقفا لروما خلفا لزيستوس. انظر فيما يلى ف ٢٧

(٣) كان قسا فى روما وقتئذ.

الفصل السادس

هرطقة سابيليوس

وفى نفس الرسالة يشير أيضا إلى تعاليم سابيليوس[١] الهرطوقية، التى ازدادت انتشارا فى وقته، ويقول:

«أما عن التعليم الذى أثير الإن فى بيولمايس التى فى بنتابوليس[٢]، المملوء كفرا وتجديفا على الله القدير الآب، وربنا يسوع المسيح، والمتضمن شكوكا كثيرة يخصوص ابنه الوحيد بكر كل خليقة، الكلمة المتأنس، وقصورا شديدا فى معرفة الروح القدس. فنظرا لأنه قد وصلتنى رسائل من كلا الطرفين، ومن الإخوة لمناقشة الأمر، فقد كتبت بضع رسائل لمعالجة الموضوع، وضعت فيهما بمساعدة الله كثيرا من التعاليم على قدر استطاعتى. وها أنا أرسل إليك نسخا منها».

الفصل السابع

سقطة الهراطقة الشنيعة. الرؤيا الإلهية التى رآها ديونيسيوس والقانون الكنسي الذى قبله

(١) وقد روى ديونيسيوس هذا نفسه ما يلى فى الرسالة الثالثة من المعمودية التى كتبها إلى فليمون القس الرومانى:

«وقد فحصت أعمال وتقاليد الهراطقة، مدنسا عقلى وقتا قصيرا بآرائهم الكريهة، ولكننى حصلت على هذه الفائدة منهم، وهى أننى قد فندت آراءهم بنفسى، وازددت لهم كرها».

(٢) «وعندما حاول أحد الإخوة من القسوس أن يمنعنى خشية أن أحمل فى تيار شرهم ونجاستهم (الذى قد يدنس نفسى)، وكنت أرى أيضا إنه يقول الحق، أتتنى من الله رؤيا شددتنى. والكلمة التى أتتنى أمرتنى قائلة بكل وضوح»:

---

(١) كان رئيس شيعة فى روما أثناء أسقفية زفيرينوس (١٩٨ - ٢١٧م).

(٢) الخمس المدن.

(٣) «أقرأ كل ما يمكن أن تصل إليه يدك، لأنك تستطيع أن تصحح كل شيء وتمتحنه، وهذا هو سبب ايمانك من البداية».

«فقبلت الرؤيا على أساس أنها تتفق مع الكلمة الرسولية القائلة لمن هم أقوى منى: كونوا صيارفة ماهرين».[١]

(٤) وبعد التحدث عن كل الهراطقات يضيف قائلا:

«لقد قبلت هذه القاعدة وهذا الترتيب من أبينا الطوباوى هراكلاس.[٢] لأن الذين عادوا من الهرطقات، رغم ارتدادهم عن الكنيسة، أو بالأحرى لم يرتدوا بل بدا كأنهم قد اجتمعوا معهم واتهموا بالالتجاء لأحد المعلمين الكذبة، فإنه عندما طردهم من الكنيسة لم يقبلهم ثانية، رغم توسلاتهم، إلا بعد أن قصوا علانية كل ما سمعوه من خصومهم. وعندئذ قبلهم دون أن يتطلب منهم معمودية أخرى. لأنهم كانوا قد قبلوا منه سابقا الروح القدس».

(٥) وأيضا بعد معالجة الموضوع بالتفصيل يضيف ما يأتى:

«وقد علمت أيضا أن هذه[٣] لم تكن بدعة دخلت أفريقيا وحدها، بل أن هذا الرأى كان مقبولا فى أشهر الكنائس منذ زمن طويل أيام الأساقفة الذى سبقونا، وفى مجامع الإخوة فى ايقونية وسنادا،[٤] كما كان مقبولا من أشخاص آخرين كثيرين. وأنا لا أستطيع أن أحتمل بأن أقلب آراءهم، وأطوح بهم إلى الخصام والنزاع. لأنه قيل: لا تنقل تخم صاحبك الذى نصبه آباؤك».[٥]

(٦) أما رسالته الرابعة عن المعمودية فقد كتبت إلى ديونيسيوس الرومانى[٦] الذى كان وقتئذ قسا، ولكنه ارتقى إلى أسقفية تلك الكنيسة بعد ذلك بوقت قصير. وواضح مما قاله عنه ديونيسيوس الإسكندرى إنه هو أيضا كان رجلا متعلما مقتدرا، وضمن ما كتبه ذكر له ما يلى عن نوفاتوس:

---

(١) يقال أنها مقتبسة من (١تس ٥ : ٢١ و٢٢).

(٢) بخصوص هراكلاس انظر ك ٦ ف ٣.

(٣) أى اعادة المعمودية.

(٤) مدينة فى فريجية.

(٥) (تث ١٩ : ١٤).

(٦) بخصوص ديونيسيوس الرومانى انظر فيما يلى ف ٢٧.

الفصل الثامن

هرطقة نوفاتوس

«ونحن بحق نشعر بالكراهيــة نحو نوفاتوس الذى قسم الكنيسة، ودفع ببــعض الإخوة إلى الكفر والتجديف، وأدخل تعاليم كفرية عن الله، وأخرى على ربنا يسوع المسيح الكلى الرأفة، مدعيا بأنه غير رحيم. وعــلاوة على كل هذا فــإنه يرفــض المعــموديــة المقــدسة، ويــقلب الإيمان والإعــتــراف اللذين يسبقانها.[١] ويمنع عنهم كلية الروح القدس. إن كان هنالك أى رجاء أن يبقى معهم أو يعود إليهم».

الفصل التاسع

معمودية الهراطقة الخاطئة

(١) أما رسالته الخامسة[١] فقد كتبت إلى ريستوس[٢] أسقف روما. وبعد الــتحدث كثيرا فى هذه الرسالة عن الهراطقة روى حادثة حدثت فى عصره كما يلى:

«لأننى حقــا أيها الأخ فى حــاجة إلى المشورة، وأنــنى أطلب حكمك فى موضــوع عرض على، خشية أن أكون على خطأ».

(٢) «فقد كان أحد الأخوة الذين يجتمعون يعتبر مؤمنا منذ زمن طويل، وكان عضوا فى الجماعة قبل رسامتى، بل قبل رســامة المغبوط هراكلاس[٣] على ما أظن. وكان حاضــرا مع من تعمدوا أخيرا. وعندما ســمع الأسئلة والأجوبة أتانى باكيــا ونادبا سوء حظه، وسقط عند قــدمى، واعترف محتــجا بأن المعمودية التى عمد بــها مع الهراطقة لم تكن كهذه المعمودية بأى حــال من الأحوال إذ كانت مملوءة كفرا وتجديفا».

(٣) وقال إن نفسه قــد انكسرت حزنا، وإنه ليست له دالة ليرفع عينيه إلى الله لأنه كــان موافقا على تلك الأقوال والأفعال الكفرية. ولهذا طلب أن ينال هذا التطهير الكامل وهذه النعمة الجزيلة.

---

(١) كانت العادة أن الداخلــين إلى الإيمان يمكثون تحت التعليم مدة طويلة. ومــتى حل وقت المعمودية كان على المتــعمد أن يتلو صيغة خاصة من الاعتراف.

(١) أى رسالته الخامسة عن المعمودية. (٢) بخصوص ريستوس انظر ف ٥. (٣) بخصوص هراكلاس انظر ك ٦ ف ٣.

(٤) «ولكننى لم أجسر على أن أفعل هذا، وقلت إن شركته الطويلة كافية، لأننى يجب أن لا أجسر على أن أجدد من البداية شخصا سمع الشكر، واشترك فى ترديد آمين، ووقف أمام المائدة ومد يديه ليتناول الطعام المبارك، وتناوله فعلا، واشترك وقتا طويلا فى جسد ودم ربنا يسوع المسيح. على أننى نصحته بأن يتشجع ويقترب إلى شركة القديسين بإيمان ثابت ورجاء صالح».

(٥) «لكنه لا يكف عن النحيب، ويتحاشى الإقتراب من المائدة، ويندر أن يحضر الصلاة رغم الإلحاح عليه».

(٦) وعلاوة على هذه لاتزال باقية أيضا رسالة أخرى لنفس الرجل عن المعمودية، موجهة منه ومن أبروشيته إلى زيستوس وكنيسة روما. وفيها يناقش الموضوع الذى أثير ويفند بحجج أقوى. ولا يزال باقيا أيضا رسالة أخرى بعد هذه موجهة إلى ديونيسيوس الرومانى بخصوص لوسيان.

هذا ما قيل عن هذه الأمور.

الفصل العاشر

قاليريان والاضطهاد الذى حلّ فى عهده

(١) وبعد أن حكم جالوس[١] وغيره من الحكام أقل من سنتين قوضت عروشهم، وتقلد زمام الامبراطورية مع ابنه جالينوس.

(٢) أما الظروف التى رواها ديونيسيوس، فنستطيع معرفتها من رسالته إلى هرمانون[٢] التى فيها يقدم الوصف التالى:

«وهذا ما أعلن إلى يوحنا أيضا، لأنه كما يقول: أعطى فما يتكلم بعظائم وتجاديف، وأعطى سلطانا واثنين وأربعين شهرا.[٣]

(١) حكم Gallus وابنه فولوسيان Volusian من أواخر سنة ٢٥١ إلى منتصف سنة ٢٥٣، حيث قلب الامبراطورية عدوه وخليفته إميليان Aemilian. وهذا سرعان ما قُتل هو وابنه بعد أربعة أشهر. وخلفه قاليريان Valerian قائد جالوس الأول.

(٢) بخصوص هذه الرسالة انظر ف ١.

(٣) رؤ ١٣: ٥.

(٣) «والعجيب أن كلا هذين الأمرين حدثا فى عهد فاليريان. وعندما نتأمل فى أخلاقه السابقة نزداد تعجبا، لأنه كان لطيفا نحو رجال الله، ومحبا لهم، إذ لم يعاملهم أحد من الأباطرة قبله بهذا اللطف وهذه الرقة. وحتى الذين قيل عنهم علانية بأنهم مسيحيون[٤] لم يظهروا لهم مثل تلك المحبة والود والكرم التى أظهرها هو فى بداية حكمه لأن بيته بأكمله كان مليئا بالأشخاص الأتقياء، وكان كنيسة الله.

(٤) «ولكن معلم ورئيس مجمع المجوس المصرى أقنعه بأن يغير خطته، وحضه على قتل واضطهاد الأتقياء، لأنهم قاوموا وعطلوا التعاويذ القبيحة الدنسة، إذ كان ولا يزال هنالك أشخاص قادرون على نشر آراء الشياطين، وأغراه على ممارسة أعمال السحر والعرافة وتقديم الذبائح المرذولة وقتل أطفال لا حصر لهم، وذبح ذرية الآباء المساكين، وشق بطون الأطفال حديثى الولادة، وتشويه خليقة الله أو تمزيقها إربا، كأنهم بأمثال هذه التصرفات ينالون السعادة.»

(٥) ثم يضيف إلى هذه ما يلى :

«وكانت عظيمة حقا تقدمات الشكر[٥] التى أتى بها مكريانوس لأجل الإمبراطورية التى كانت موضوع آماله وأحلامه. ويقال إنه كان سابقا وزير خزانة الإمبراطور، ومع ذلك فإنه لم يفعل شيئا يستحق المدح أو يعود بالخير العام، بل تم فيه القول النبوى :

(٦) «ويل لمن يتنبأون من تلقاء ذواتهم دون مراعاة لصالح العام[٦] لأنه لم يدرك أعمال العناية العامة، وأبعد نفسه عن رحمة الله، وهرب من خلاصه لأبعد حد، وبهذا أظهر حقيقة اسمه».[٧]

(٧) وبعد ذلك يقول أيضا :

«لأن فاليريان، إذ أغراه هذا الرجل على هذه الأعمال، حلّت به التعييرات والإهانات وفقا لما قاله إشعياء: هم اختاروا طرقهم ومكرهاتهم التى سُرّت به أنفسهم. فأنا أيضا أختار ضلالاتهم، وخطاياهم أجلبها عليهم.[٨]

---

(٤) أى من الأباطرة. كان فيلبس أول إمبراطور سابق قيل عنه أنه مسيحى : ك ٦ ف ٣٤.

(٥) أى الأرواح النجسة. والمعنى : إنه بما أن الأرواح النجسة وعدته بالقوة ، فقد أظهر شكره لها بإغراء الإمبراطور فاليريان لاضطهاد المسيحيين.

(٦) حز ١٣ : ٢ و ٣. (٧) اسمه «مكريانوس» مشتق من «مكران» ومعناها : «بعيد». (٨) إش ٦٦ : ٣ و ٤.

(٨) «على أن هذا الشخص[٩] اشتهى المُلك شهوة جنونية، وهو غير أهل له. وإذ لم يستطع وضع الثوب الملكى على جسده الكسيح، قدم ابنيه لحمل خطايا أبيهما،[١٠] وقد حق عليهما التصريح الذى صرح به الله: أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضىّ.[١١]

(٩) «لأن الله إذ كدس على رأسى ابنيه شهواته الردية التى نجح فيها، جلب عليهما شره وبغضته لله».

هذا ما رواه ديونيسيوس عن فاليريان.

الفصل الحادى عشر

الحوادث التى حدثت وقتئذ لديونيسيوس والذين فى مصر

(١) أما عن الاضطهاد الذى حدث بوحشية فى عهده، والآلام التى تحملها ديونيسيوس مع غيره من أجل تقوى إله الكون، فتبينها كلماته التى كتبها ردا على چرمانوس[١] الأسقف المعاصر الذى حاول الطعن فيه. وهاك كلماته:

(٢) «يقينا أننى فى خطر السقوط فى حماقة شديدة وغباوة شنيعة لاضطرارى إلى التحدث عن عناية الله العجيبة بنا. ولكن طالما كان قد قيل:[٢] وأما سر الملك فخير أن يُكتم، وأما أعمال الله فإذاعتها والاعتراف بها كرامة، فإننى سأذيع ظلم چرمانوس.

(٣) «إننى لم أذهب وحدى إلى أمليانوس،[٣] بل ذهب معى زميلى القس مكسيموس[٤] والشمامسة فوستوس[٥] ويوسابيوس[٦] وكريمون، وذهب معى أيضا أخ من روما كان حاضرا.

---

(٩) أى مكريانوس.

(١٠) يقرر ديونيسيوس (ف ٢٣) أن مكريانوس خدع فاليريان فى الحرب. وقد سقط فاليريان فى أيدى الفرس (سنة ٢٦٠م) فنادى الجند بمكريانوس إمبراطورا، ونظرا لعرجه أو لتقدم سنه، أشرك معه ابنيه كيتوس ومكريانوس.

(١١) خر ٢٠ : ٥.

(١) بخصوص چرمانوس ورسالة ديونيسيوس إليه انظر ك ٦ ف ٤٠ : ١. (٢) طوبيت ١٢ : ٧.

(٣) والى مصر الذى تم على يديه الاضطهاد فى الإسكندرية فى عهد فاليريان، ثم فى عهد جالينوس. وقد تمرد على جالينوس. ولكنه قُتل فى السجن.

(٤) بعد موت ديونيسيوس أسقف الإسكندرية، خلفه مكسيموس. انظ ف ٢٨ و ٣٠ و ٣٢.

(٥) ك ٦ ف ٤٠ : ٩. (٦) صار فيما بعد أسقفا لكنيسة لاودكية ف ٣٢.

(٤) «على أن أمليانوس لم يقل لى فى البداية: لا تعقد اجتماعات،[٧] لأن هذا كان أمرا خارجا عن حدود تفكيره، وآخر ما يفكر فيه شخص يطلب إتمام الأمر الأول لأنه لم يكن يبالى باجتماعاتنا، بل كان كل ما يهمه أن لا نكون مسيحيين. وقد أمرنى أن أكف عن أن أكون مسيحيا، ظنا منه بأننى إن تحولت عن المسيحية تبعنى الآخرون.

(٥) «ولكننى أجبته. لا بطريقة خارجة عن حدود اللياقة ولا بكلمات كثيرة، بل قلت: ينبغى أن نطيع الله أكثر من الناس.[٨] وشهدت علانية بأننى أعبد الله الواحد ولا سواه، وأننى لن أتحول عن هذا، ولن أكف عن أن أكون مسيحيا. وعلى أثر ذلك. أمرنا بالذهاب إلى قرية قرب الصحراء تدعى سفرو.[٩]

(٦) لكن اصغ إلى نفس الكلمات التى قالها الطرفان كما سجلت:

«إذ دعى إلى المحاكمة ديونيسيوس وفوستوس ومكسيموس ومارسيلوس وكريمون. قال أمليانوس الوالى: لقد ناقشناكم شفويا عن الرأفة التى أظهرها نحوكم حكامنا.

(٧) «لأنهم أعطوكم الفرصة لتنجوا أنفسكم إن رجعتم إلى ما يتفق مع الطبيعة، وعبدتم الآلهة التى تحرس إمبراطوريتها، وتركتم ما يخالف الطبيعة. بماذا تجاوبون إذن؟ لأننى لا أظن أنكم تنكرون جميلهم نحو رأفتهم بكم طالما كانوا يريدون أن يردوكم إلى طريق أفضل.

(٨) «فأجاب ديونيسيوس: إن كل البشر لا يعبدون كل الآلهة، بل كل واحد يعبد من يستحسنه. لذلك فإننا نكرم ونعبد الإله الواحد بارىء الكل، الذى أعطى الامبراطورية إلى الجليل الشأن فاليريان وجالينوس المنعم عليهما من الله. ونحن نصلى إليه دواما من أجل إمبراطوريتهما، لكى تبقى غير متزعزعة.

(٩) «فقال لهم أمليانوس الوالى: ومن أمركم أن تعبدوه إن كان إلها مع تلك التى بالطبيعة آلهة. لأنكم قد أمرتم أن توقروا الآلهة، والآلهة التى يعرفها الجميع. فأجاب ديونيسيوس: نحن لن نعبد آخر.

(٧) كان چرمانوس قد اتهم ديونيسيوس بإهمال الاجتماعات كالعادة المتبعة، والهروب لإنقاذ حياته. يؤيد هذا ما ورد فى الفقرة (١١) التالية.

(٨) أع ٥: ٢٩

(٩) من الفقرة (١٠) التالية. يتضح أن «سفرو» كانت فى ليبية.

(١٠) «فقال لهم أمليانوس الوالي : أنا أرى أنكم ناكروا الجميل ، وغير شاعرين برأفة حكامنا · لذلك لن تبقوا في هذه المدينة ، بل سترسلون إلى أقاليم ليبيا ، إلى مكان يدعى سفرو · لأنني اخترت هذا المكان كأمر حكامنا ، ولن يُسمح لكم ولا لغيركم بأي حال من الأحوال بعقد اجتماعات ، أو الدخول إلى مساكنكم ·

(١١) «وإن رُؤى أي واحد خارج المكان الذي أمرتم به ، أو وُجد في أي اجتماع عرض نفسه للخطر · لأننا سوف لا نتردد عن القصاص المناسب · فاذهبوا إلى حيث أمرتم»

«وعجلني بالخروج رغم أنني كنت مريضا ، دون إعطائي مهلة حتى يوما واحدا · فأية فرصة كانت لي حينئذ لعقد اجتماعات أو عدم عقدها ·[١٠]

(١٢) وبعد ذلك يقول :

«ولكننا بمعونة الرب لم نبطل الاجتماعات العلنية · بل دعوت باجتهاد أوفر أولئك الذين كانوا في المدينة ليجتمعوا معا ، كأنني كنت معهم ، إذ كنت كما قيل حاضرا بالروح ولو كنت غائبا بالجسد ·[١١] وفي سفرو اجتمعت معنا كنيسة عظيمة من الإخوة الذين تبعونا من المدينة والذين رافقونا من مصر · وهنالك فتح لنا الرب بابا للكلمة ·[١٢]

(١٣) «وفي بداية الأمر اضطُهدنا ورُجمنا ، ولكن فيما بعد ترك الكثيرون من الإخوة العبادة الوثنية ، ورجعوا إلى الله · لأنهم إلى ذلك الوقت لم يكونوا قد سمعوا الكلمة إلى أن غرسناها نحن أولا ·

(١٤) «وكأن الله قد أتى بنا إليهم لهذا الغرض · وعندما أتممنا هذه الخدمة ، نُقلنا إلى مكان آخر · لأنه يبدو أن أمليانوس أراد أن ينقلنا إلى أمكنة أردأ ، وأكثر شبها بصحراء ليبيا · لذلك أمرهم أن يجتمعوا من كل الأقطار إلى مريوط ،[١٣] وحدد لهم قرى مختلفة في ذلك القطر ، ولكنه أمر بأن نوضع نحن في أقرب مكان للطريق العام لكي نكون أول من يُلقى القبض عليهم · لأنه واضح أنه رتب الأمور بحيث يستطيع أن يلقى القبض على جميعنا بسهولة حينما يريد ·

---

(١٠) انظر الملاحظة (٧) بالصفحة السابقة · (١١) ١ كو ٥ : ٣ · (١٢) كو ٤ : ٣ ·

(١٣) كانت إقليما واسعا ضمن أقاليم (مديريات «محافظات») مصر ، كما كانت أبروشية عظيمة ·

(١٥) «وعندما صدر الأمر فى بداية الأمر بالذهاب إلى سفرو، لم أكن أعرف المكان، بل لم أسمع عنه من قبل، ومع ذلك ذهبت إليه باشًا مسرورا، ولكن عندما أُمِرتُ بالانتقال إلى إقليم كولوثيون، فإن من كانوا معنا يعرفون كيف تأثرت بالخبر.

(١٦) «وهنا، سوف أتهم نفسى بنفسى. ففى البداية حزنت واضطربت جدا. إذ أن تلك الأمكنة، وإن كانت أكثر شهرة، ومعروفة لنا أكثر، إلا أنه كان يقال بأنها خالية من الإخوة، من الأشخاص ذوى الأخلاق الطيبة، ومعرضة للإزعاج من المسافرين وسطو اللصوص.

(١٧) «ولكننى تعزيت لما ذكّرنى الإخوة بأنها أقرب إلى المدينة، وأنه إن كانت سفرو قد قدمت لنا فرصة واسعة للاختلاط بالإخوة من مصر، وبذا استطعنا أن نزيد الكنيسة اتساعا، فإن قرب هذا المكان من المدينة سيقدم لنا فرصة أوسع لنرى أحباءنا وأقرب الناس إلينا وأكثرهم معزة. لأنهم يستطيعون أن يأتوا ويمكثوا معنا، ويمكن عقد اجتماعات خاصة كما لو كنا فى أبعد الضواحى. وهذا ما حدث بالفعل.»

وبعد التحدث عن أمور أخرى، كتب ثانية كما يلى عما حدث له:

(١٨) «يفتخر جرمانوس باعترافات كثيرة، وهو بكل تأكيد يستطيع التحدث عن شدائد كثيرة تحمّلها. ولكنه أيستطيع أن يحصى ما نستطيع نحن إحصاءه من أحكام ومصادرة أملاك ونفى ونهب الممتلكات، وتشهير واحتقار مجد العالم، وعدم مبالاة بتملق الولاة والأعيان، وتهديد الخصوم وصخب وأخطار، واضطهادات وتشريد وأحزان وكل أنواع الضيقات، كما حلّ بى فى عهد ديسيوس وسابينوس، ولا تزال مستمرة إلى الآن فى عهد أمليانوس؟ ولكن أين رؤى جرمانوس؟ وأين ورد ذكره؟

(١٩) «وسأكف الآن عن هذه الحماقة الشديدة التى سقطت فيها بسبب جرمانوس، ولنفس السبب أتحاشى أن أقدم للإخوة وصفا لكل ما حدث.»

(٢٠) ويذكر نفس الكاتب أيضا - فى رسالته إلى مودتيوس وديديموس - بعض التفاصيل عن الاضطهاد، كما يلى:

«نظرا لأن شعبنا كثيرون وغير معروفين لكما، فمن باب تحصيل الحاصل أن أذكر أسماءهم. ولكن اعلما أن الرجال والنساء، الصغار والكبار، الخادمات والسيدات، الجند والمدنيين، من كل جنس وعمر، قد انتصروا فى جهادهم ونالوا أكاليلهم، البعض بالجَلد والنار، والآخرون بالسيف.

(٢١) «وفى حالة البعض، لم يكن الوقت الطويل كافيا لإظهارهم مقبولين أمام الرب، كما يبدو أيضا فى حالتى أنه لم يمض الوقت الكافى. لذلك أبقانى إلى الوقت الذى يراه مناسبا، قائلا: فى وقت مقبول سمعتك وفى يوم الخلاص أعنتك.[١٤]

(٢٢) «ولأنكما استعلمتما عن أحوالنا، وأردتما أن نخبركما عن موقفنا، فقد سمعتما بالتمام أننا عندما اقتادونا كأسرى - أى أنا وغايوس وفوستوس وبطرس وبولس-[١٥] قائد المائة والولاة، مع جنودهم وخدمهم، إلى بعض أشخاص من مريوط وجرّونا بعنف، لأننا لم نرد اتباعهم.

(٢٣) «أما الآن، فإننا، أنا وغايوس وبطرس، صرنا وحدنا، وحُرِمنا باقى الإخوة، وأُغلق علينا فى برية ومكان جاف فى ليبيا، يبعد ثلاثة أيام عن باراتونيوم.»[١٦]

(٢٤) وبعد ذلك يقول:

«إن القسوس، مكسيموس وديوسقورس وديمتريوس ولوسيوس، أخفوا أنفسهم فى المدينة وزاروا الإخوة خفية. لأن فوستينوس وأكيلا، وهما من أبرز الشخصيات فى العالم، يتجولان فى مصر. أما الشمامسة فوستوس ويوسابيوس وكريمون، فقد نجوا من الوبأ. وقد شدد الله يوسابيوس وأغدق عليه بعض المواهب من البداية لإتمام الخدمة بنشاط للمعترفين والمسجونين، والقيام بالمهمة الخطرة نحو دفن أجساد الشهداء المباركين الذين أكملوا جهادهم.

(٢٥) «لأن الوالى لا يزال حتى الآن - كما قلت سابقا - يقتل بقسوة كل من يقدَّمون للمحاكمة. وهو يقتل البعض بتعذيب عنيف، والآخرون بالسجن والقيود. ولا يسمح لأحد بالاقتراب منهم، بل يبحث عما إذا كان أحد قد اقترب منهم فعلا. ومع ذلك، فالله يغيث المكروبين بغيرة الإخوة ومثابرتهم.»

(٢٦) هذا ما قاله ديونيسيوس. ولكن أن يكون معلوما أن يوسابيوس، الذى يدعوه شماسا، صار بعد ذلك بوقت قصير أسقفا لكنيسة لاودكية فى سوريا،[١٧] وأن مكسيموس، الذى يتحدث عنه بأنه كان قسا وقتئذ، خلف ديونيسيوس نفسه كأسقف للإسكندرية.[١٨] أما فوستوس الذى كان معه، والذى امتاز وقتئذ باعترافه، فقد بقى حيا، حتى وقت الاضطهاد الحاصل فى أيامنا،[١٩] حيث ختم حياته بالاستشهاد بقطع الرأس، وكان قد أصبح شيخا وشبعان أياما.

هذا ما حل بديونيسيوس وقتئذ.

(١٤) إش ٤٩ : ٨.

(١٥) انظر ك ٦ ف ٤٠ : ٩.

(١٦) كانت ميناء هامة على البحر الأبيض المتوسط، تبعد ١٥٠ ميلا عن الإسكندرية. أما المكان الذى أخذ إليه، ويبعد ثلاثة أيام عن باراتونيوم، فكان يبعد نحو ٦٠ أو ٧٠ ميلا عنها (والأرجح إلى الجنوب)، على أساس حوالى ٢٢ ميلا فى اليوم.

(١٧) انظر ف ٣٢ : ٥ فيما يلى.

(١٨) انظر ف ٢٨.

(١٩) أى اضطهاد دقلديانوس الذى بدأ من سنة ٣٠٣.

الفصل الثانى عشر

الشهداء فى قيصرية فلسطين

وفى أثناء الاضطهاد السابق ذكره الذى حدث فى عهد فاليريان، كان هناك ثلاثة رجال فى قيصرية فلسطين، بارزين جدا بسبب شهادتهم للمسيح، وهؤلاء تزينوا بالاستشهاد الإلهى إذ صاروا طعاما للوحوش؛ يُدعَى أحدهم بريسكوس، والثانى ملخس، واسم الثالث الإسكندر. ويقال إن هؤلاء الرجال الذين عاشوا فى البلاد، تصرفوا فى البداية بجبن، كأنهم كانوا عديمى الاكتراث والتفكير. لأنه لما أعطيت الفرصة لمن يتوقون للجزاء برغبة سماوية، استخفوا بالأمر لئلا ينالوا إكليل الشهادة قبل الوقت. ولكنهم بعد التفكير فى الأمر أسرعوا إلى قيصرية، وتقدموا للقاضى، ولقوا الغاية السابق ذكرها. ويُروى أنه علاوة على هؤلاء، لقيت امرأة نفس المصير فى نفس الاضطهاد ونفس المدينة. ولكن قيل أنها كانت تنتمى لحزب مركيون.[١]

الفصل الثالث عشر

السلام الذى ساد فى عهد جالينوس

(١) وبعد هذا بوقت قصير، وقع فاليريان أسيرا فى أيدى البرابرة.[١] أما ابنه، فإذ صار الحاكم الوحيد، أدار الحكم بأكثر حكمة. وللحال، أوقف الاضطهاد الحال بنا بنداء علنى، وطلب من الأساقفة أن يمارسوا وظائفهم المعتادة بحرية، وذلك بأمر كتابى جاء فيه:

(٢) «الإمبراطور قيصر بليوس ليسينيوس جالينوس، بيوس فيلكس أوغسطس، إلى ديونيسيوس وبيناس وديمتريوس والأساقفة الآخرين: لقد أصدرت أمرى بإغداق هباتى على كل العالم، وأن يبتعدوا عن أماكن العبادة.[٢] ولهذا يمكنكم استخدام هذه الصورة من أمرى لكى لا يزعجكم أحد. وهذا الذى

---

(١) سبق أن ذكر يوسابيوس الشهداء المركيونيين فى ك ٤ ف ١٥. وإن كانت الكنيسة لم تعتبر أتباع مركيون مسيحيين، إلا أن الدولة كانت تعتبر الجميع مسيحيين.

---

(١) أسره ملك الفرس، ربما فى سنة ٢٦٠م، ومات فى الأسر. وبمجرد أسره، تولى الإمبراطورية ابنه جالينوس Gallienus الذى كان يشترك معه فى الحكم.

(٢) أى أن يبتعد الوثنيون عن أماكن العبادة.

تستطيعون فعله الآن شرعا قد سبق أن منحته منذ زمن طويل .[٣] لذلك فسيتولى تنفيذ أمرى هذا الذى أعطيته أوريليوس كيرينيوس المتولى إدارة جميع الشئون . »

هذا ما ترجمته عن اللغة اللاتينية ليسهل فهمه . ولا يزال باقيا أيضا أمر ملكى آخر أصدره ووجهه إلى أساقفة آخرين يسمح لهم فيه بامتلاك أماكن عبادتهم ثانية .

الفصل الرابع عشر

الأساقفة الذين ازدهروا وقتئذ

فى ذلك الوقت، كان زيستوس[١] لا يزال يرأس كنيسة روما، وديمتريانوس[٢] خليفة فابيوس[٣] يرأس كنيسة أنطاكية، وفرميليانوس[٤] يرأس كنيسة قيصرية كبادوكية . وعلاوة على هؤلاء، كان غريغوريوس وأثينودوروس أخوه[٥] صديقا أوريجانوس، يرأسان كنائس بنطس . وإذ مات ثيوكتستوس[٦] أسقف قيصرية فلسطين، نال دومنوس الأسقفية هناك، ولكنه لم يلبث فيها إلا وقتا قصيرا، فخلفه ثيوتكنس[٧] معاصرنا، وكان هو أيضا عضوا فى مدرسة أوريجانوس . أما فى أورشليم، فإنه بعد موت مازابانس ،[٨] خلفه هيمينايس[٩] الذى اشتهر بيننا سنوات طويلة .

---

(٣) يشير إلى الحرية التى يتمتعون بها والتى قد أصدر بها أمرا منذ زمن طويل بعد ارتقائه عرش الإمبراطورية مباشرة، ولكنها لم تنفذ فى مصر فى الحال بسبب مكريانوس الوالى الشرير .

---

(١) بخصوص زيستوس الثانى : انظر ف ٥ . (٢) ك ٦ ف ٤٦ . (٣) ك ٦ ف ٣٩ .

(٤) ك ٦ ف ٢٦ . (٥) ك ٦ ف ٣٠ . (٦) ك ٦ ف ١٩ .

(٧) كان بارزا جدا فى تاريخ الكنيسة، وقد حضر المجمعين اللذين عقدا فى أنطاكية (المذكورين فى ف ٢٧ و ٣٠) للنظر فى هرطقة بولس السيمساطى .

(٨) ك ٦ ف ٢٩ . (٩) كان أسقفا لأورشليم من سنة ٢٦٥ - ٢٩٨م .

الفصل الخامس عشر

استشهاد مارينوس فى قيصرية

(١) وفى هذا الوقت، إذ كـان السـلام قـد عـاد إلى الكنيسـة فى كل مكان،[١] قُطعت رأس مارينوس، الذى من قيصرية فلسطين، من أجل شهادته للمسيح بالكيفية الآتية، وقد كان مكرّما من أجل أعماله الحربية، وذا شخصية بارزة بسبب نسبه وثرائه.

(٢) إن غصن الكرمـة[٢] علامة احترام بين الرومـانيين، ويقال إن من يحصل عليه يـصبح قائد مائة. وإذ خلا مـكان، رُشح له مارينوس بحسب ترتيب الأقدمـية. ولكنه، إذكان على وشك التـرقية، تقدم شخص آخر أمام القضاء مدعيا بأنه غير قانونى - وفقا للقوانين القديمة - أن ينال الشرف الرومانى، لأنه مسيحى، ولا يقدم الذبائح للإمبراطور، وأنه هو أحق بالوظيفة.

(٣) فاضطرب القـاضى، واسمه أخايوس، وسأل أولا عن مـعتقد مـارينوس، وعندما علم أنه بصفة مستمرة يعترف بأنه مسيحى، أعطاه فرصة ثلاث ساعات للتفكير.

(٤) وعندما خرج من المحكمة، أخذه على انفراد ثيوتكنس[٣] الأسقف هناك، وتحدث معه، ثم أخذ بيده وقاده إلى الكنيسة. وإذ وقف معه فـى الهيكل، رفع عباءته قليلا وأشار إلى السيف المعلق على جانبه، وفى نفس الوقت، وضع أمامه كتاب الأناجـيل الإلهية، وطلب منه أن يختار أحد الاثنين. ودون أقل تردد، مد يده اليمنى وأخذ السفـر الإلهى. فقل له ثيوتكنس: «اثبت إذن، اثبت فى الله، وإذ تتشدد به، أرجو أن تنال ما اخترت، اذهب بسلام.»

(٥) ولدى عودتـه مباشـرة، صاح الحـاجب مناديا إياه إلى المحكمـة، إذ كان الوقت المحـدد قد كمل. ولما وقف أمام المحكمة، أظهـر غيرة شديدة نحو الإيمان. وللحال، أُخرِجَ خارجـا، وكمّل سعيه بالموت.

---

(١) إن استشهاد مـارينوس فى الوقت الذى ساد فيه السلام يرجع إلى أن مكريانوس، عدو المسيـحية، كان لا يزال ذا نفوذ واسع فى الشرق، وقد تلكأ فى تنفيذ أوامر جالينوس.

(٢) كان قائد المائة يحصل على شارة تسمى «غصن الكرمة».

(٣) ف ١٤ .

الفصل السادس عشر

رواية عن استيريوس

وقد احتفظ بذكرى استيريوس أيضا بسبب جرأته النادرة فى هذه الناحية. وهذا كان رومانيا، له كرسى فى مجلس الأعيان، محبوبا من الأباطرة، ومعروفا لدى الجميع بسبب طيب مُحتَدَه وثروته. وإذ كان حاضرا لدى موت الشهيد، حمل جسده على كتفه، وكفّنه بثوب غالى الثمن، وأعد كل ما يلزم لدفنه بكيفية مجيدة، ودفنه دفنا لائقا به.

ويروى أصدقاء هذا الرجل، الذين لا يزالون أحياء، حقائق أخرى كثيرة عنه.

الفصل السابع عشر

العلامات التى تمت فى بانياس عن قدرة مخلّصنا العظيمة

بين هذه أيضا، توجد الأعجوبة التالية: فى قيصرية فيلبس، التى يدعوها الفينيقيون بانياس،[١] توجد ينابيع عند سفح جبل بانيوس، ينبع منها الأردن. ويقال إنه فى أحد الأعياد ألقيت إحدى الضحايا فى الماء، فاختفت بقوة الشيطان بشكل عجيب، مما أذهل جميع الحاضرين. وكان استيريوس حاضرا فى إحدى المرات إذ كانت هذه الأمور تجرى، وإذ رأى الجماهير منذهلين مما حدث، أشفق عليهم بسبب ضلالتهم. فتطلع إلى فوق إلى السماء، وتضرع إلى الله بالمسيح لينتهر الشيطان الذى أضل الشعب، ويضع حدا لخداع الناس. ويقولون إنه لما صلّى هكذا، طفت الضحية فى الحال على وجه الينبوع، وهكذا لم يبق أثر للمعجزة، ولم تتم أية أعجوبة أخرى مطلقا فى ذلك المكان فيما بعد.

(١) قرية صغيرة حاليا بنفس الاسم عند سفح جبل حرمون، مشهورة بأنها أحد منابع الأردن بسبب الينابيع التى تنبع من تحت صخور جبل حرمون هناك.

الفصل الثامن عشر

التمثال الذى أقامته المرأة نازفة الدم

(١) وطالما كنت قد ذكرت هذه المدينة، فلا أظنه لائقا أن أتجنب ذكر رواية تستحق التسجيل للأجيال المتعاقبة. لأنه يقال إن المرأة نازفة الدم، التى نالت البرء من دائها على يد المخلّص، كما نعرف من الإنجيل المقدس، كانت من سكان تلك المدينة، وإن بيتها معروف فيها، وإنه لا تزال باقية هنالك آثار لتعطف المخلّص عليها.

(٢) لأنه قد أقيم على حجر مرتفع بباب بيتها تمثال نحاسى لامرأة جاثية، ويداها مبسوطتان كأنها تصلى. وتجاه هذا تمثال من نفس المادة لرجل فى هندام أنيق مرتد عباءة مزدوجة أنيقة، مادا يداه نحو المرأة، وعند قدميه، بجانب النُصب نفسه، نبات غريب يرتفع إلى هدب العباءة النحاسية، وهو دواء لكل أنواع الأمراض.

(٣) ويقولون إن هذا النُصب تمثال ليسوع. وقد بقى إلى يومنا هذا، حتى إننا نحن أنفسنا أيضا رأيناه عندما كنا مقيمين فى المدينة.

(٤) وليس غريبا على الذين من الأمم، الذين منذ القدم انتفعوا من المخلّص، أن يفعلوا هكذا، طالما كنا قد علمنا أن رسوما مماثلة لرسوليه بولس وبطرس، والمسيح نفسه محفوظة بالتصوير، إذ جرت العادة بين الأقدمين، على ما يظهر، حسب تقليد الأمم، أن يقدموا، بلا تمييز، مثل هذا الإكرام لمن يعتبرونهم منقذين لهم.

الفصل التاسع عشر

كرسى الأسقفية الذى ليعقوب

أما كرسى يعقوب الذى نال أسقفية كنيسة أورشليم من المخلّص نفسه[١] والرسل، والذى كان يسمى أخا المسيح،[٢] كما تبيّنه الأسفار الإلهية، فقد بقى إلى الآن. أما الإخوة الذين خلفوه، فقد أظهروا للجميع الإكرام الذى أظهره القدماء، ولا يزال يظهره رجال العصر الحاضر للقديسين بسبب تقواهم. هذا ما قيل عن هذا الأمر.

الفصل العشرون

رسائل ديونيسيوس الفصحية التى فيها يقدم أيضا قانونا فصحيا

وعلاوة على رسائل ديونيسيوس، السابق ذكرها، فقد كتب أيضا فى الوقت رسائله الفصيحة[١] التى لا تزال باقية، يستخدم فيها كلمات ثناء وتبجيل عن عيد الفصح. وقد وجه إحدى هذه إلى فلافيوس، وأخرى إلى دومتيوس وديديموس، بيّن فيها قاعدة ممارسة الفصح لثمانى سنوات، موضحا أنه لا يليق ممارسة عيد الفصح إلا بعد الاعتدال الربيعى. وعلاة على هذه، أرسل رسالة أخرى إلى زملائه قسوس الإسكندرية، وكذا رسائل أخرى لأشخاص مختلفين أثناء الاضطهاد.

---

(١) هذا هو الرأى السائد قديما. انظر أيضا ك ٢ ف ١. (٢) غل ١ : ١٩. انظر أيضا ك ١ ف ١٢.

---

(١) قال ناشر الترجمة الإنجليزية: «كانت عادة أساقفة الإسكندرية إرسال رسالة قبيل عيد الفصح كل سنة تتضمن بعض النصائح وتحدد وقت العيد. ولا شك أن جميع أساقفة الإسكندرية فى تلك الأجيال كتبوا هذه الرسائل، ولكن لم يبق منها سوى بعض لأثناسيوس، وقليل لثاوفيلس، وثلاثين لكيرلس.»

الفصل الحادى والعشرون

الحوادث التى تمت فى الإسكندرية

(١) ولم يكد السلام يستقر، حتى عاد[١] إلى الإسكندرية. ولكن، إذ أثيرت الفتنة والحرب مرة أخرى، مما جعل الأمر مستحيلا عليه أن يفتقد كل الإخوة الذين بعثرتهم القلاقل فى أمكنة مختلفة، فقد وجه إليهم رسالة أخرى يوم عيد الفصح كأنه لا يزال منفيا من الإسكندرية.

(٢) وفى رسالة فصحية أخرى كتبها فيما بعد إلى هيراكس، أحد أساقفة مصر، يذكر الفتنة التى كانت ثائرة فى الإسكندرية وقتئذ، وذلك كما يلى:

«أية غرابة إن عسر علىّ الاتصال بالرسائل بمن يقيمون بعيدا طالما كان فى غير مقدورى محاجة نفسى، أو مشاورة أحد لإنقاذ حياتى؟

(٣) «إننى أريد أن أرسل بعض الرسائل لمن هم كأحشائى،[٢] وهم إخوة يعيشون فى بيت واحد، بنفس واحدة، وأبناء كنيسة واحدة، ولكننى لست أعرف كيف أرسل هذه الرسائل. لأنه أيسر أن يعبر الإنسان لا حدود المملكة فحسب، حتى من الشرق إلى الغرب، عن أن يذهب من الإسكندرية إلى الإسكندرية نفسها.

(٤) «فقلب المدينة شائك جدا، واجتيازه أصعب من اجتياز الصحراء الواسعة المقفرة التى عبرها جيلان من بنى إسرائيل. أما موانئنا الهادئة فقد أصبحت كالبحر الذى انشق، وأصبحت له أسوار، وعبره إسرائيل، وابتُلع فيه المصريون، لأنها كثيرا ما بدت كالبحر الأحمر بسبب كثرة القتلى فيها.

(٥) «وأما النهر الذى يجرى بجوار المدينة، فكان يبدو أحيانا أجف من البرية، وأشد قفرا من تلك التى إذ عبرها إسرائيل قاسوا مرارة العطش، حتى تذمروا على موسى، ففاضت المياه من الصخرة، بنعمة ذلك الذى يستطيع وحده صنع العجائب.

(٦) «وكانت تفيض بغزارة شديدة حتى غطت كل الأراضى المجاورة والطرق والحقول، مهددة بإعادة الفيضان الذى حدث أيام نوح. وكانت تفيض بصفة مستمرة، وملوثة دواما بالدماء والقتلى والغرقى، كما حدث لفرعون، عن يد موسى، عندما تحولت إلى دم وأنتنت.

---

(١) أى ديونيسيوس. (٢) نظر : فليمون ١٢

(٧) «وأى مياه أخرى تطهّر المياه التى تطهر كل شىء؟ كيف يستطيع المحيط العظيم، الذى يعجز البشر عن اجتيازه، أن يطهر هذا البحر المر لو أنه سُكِبَ فيه؟ أو كيف يستطيع النهر العظيم، الذى فاض من عدن، أن يطهر هذا الفساد لو أنه سكب رؤوسه الأربعة التى يتفرع إليها عند نهر جيجون؟

(٨) «أو كيف يمكن أن يتطهر الجو وقد تسمم بهذه الأنفاس النجسة؟ فالأبخرة تتصاعد من الأرض، والرياح من البحر، والنسيم من النهر، والضباب من الموانى، وأصبح الندى كأنه إفرازات الجثث التى تعفنّت وتحللّت إلى كل العناصر المحيطة بنا.

(٩) «ومع ذلك، فالناس يتعجبون، ولا يستطيعون أن يدركوا من أين هذه الأوبئة المستمرة، والأمراض الشديدة، والأسقام القاتلة من كل نوع، وحالات الهلاك المختلفة، وإفناء البشرية على نطاق واسع، لماذا لم يعد بهذه المدينة مثل تلك الكثرة من السكان، من الأطفال الرُضَّع إلى المتقدمين فى السن، كما كانت تضم من قبل من بين أولئك الذين كانت تدعوهم شيوخا أقوياء. فالرجال من سن الأربعين إلى السبعين كانوا وقتئذ أكثر عددا جدا، حتى أصبح عددهم الآن لا يوازى السكان من سن الأربعة عشر إلى الثمانين، عند عمل الإحصائية من أجل مؤونة الطعام العامة.

(١٠) «وأصبح شكل الأصغر كأنه مساوٍ فى العمر لمن كانوا سابقا أكبر، ورغم أنهم يرون الجنس البشرى فى تناقص مستمر، ورغم أن حالات الإفناء العامة فى تزايد، فإنهم لا يرتعبون ولا يقشعرون.»



الفصل الثانى والعشرون

الوبأ الذى حلَّ بهم

(١) وبعد هذه الحوادث، حلَّ مرض وبائى فى إثر الحرب. وإذ اقترب العيد، كتب أيضا إلى الإخوة واصفا الآلام التى نتجت عن هذه المصيبة:

(٢) «قد يبدو لأشخاص آخرين[١] أن هذا الوقت ليس مناسبا للعيد. والواقع أن لا هذا الوقت مناسب لهم ولا غيره. فلا الأوقات المحزنة مناسبة، ولا حتى التى يظنّ أنها مبهجة.[٢] نحن الآن لا نرى إلا الدموع، وكل واحد ينوح، والعويل يرن صداه كل يوم فى المدينة بسبب كثرة الموتى.

(٣) «لأنه كما كُتب عن أبكار المصريين، هكذا حدث الآن صراخ عظيم. لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت.[٣] وليت الأمر اقتصر عند هذا الحد.

(٤) «فقد حدثت أمور مروّعة كثيرة. أولا أنهم طردونا. ولكننا احتفلنا بالعيد حتى فى ذلك الوقت، ونحن وحدنا، مضطهدون، ومحكوم علينا بالموت من الجميع. وكل مكان كابدنا فيه المصائب كان لنا مكان أعياد، الحقول والبرارى والسفن والفنادق والسجون. أما الشهداء الذين كمّلوا جهادهم، فقد احتفلوا بأبهج عيد، إذ عيّدوا فى السماء.

(٥) «وبعد هذا، حلّت الحرب والمجاعة، الأمر الذى تحملناه بالسوية مع الوثنيين. أما نحن، فقد تحملنا وحدنا تلك الأمور التى عذبونا بها، وفى نفس الوقت تحملنا نتائج ما عذبوا به بعضهم البعض. ثم اننا فرحنا بسلام المسيح الذى وهبه لنا وحدنا.

(٦) «ولكن بعد أن تمتعنا، نحن وهم، بفترة راحة قصيرة داهمنا هذا الوبأ، وقد كان لهم مروعا جدا أشد من أى شىء آخر مخيف، كما كان عديم الاحتمال، أشد من أية مصيبة أخرى، وكما قال أحد كتابهم كان هو الوحيد الذى ينتفى معه كل رجاء، أما لنا فلم يكن الأمر كذلك، بل كان كغيره فرصة للتدريب والاختبار. ومع أننا لم نكن بمأمن منه إلا أنه هاجم الوثنيين بأشد قسوة».

---

(١) أى للوثنيين. (٢) أى لا يوجد أى وقت يحق فيه للوثنيين أن يفرحوا. (٣) خر ١٢ : ٣٠.

(٧) وبعد ذلك يضيف الآتى :

«ولقد كان أكثر اخوتنا أسخياء حدا فى محبتهم الزائدة وعطفهم الأخوى. فازدادت رابطتهم بعضهم ببعض، وزاروا المرضى بلا خوف، وخدموهم بصفة مستمرة، خادمين اياهم فى المسيح. وماتوا معهم بأعظم فرح متحملين نكبات الاخرين، وناقلين المرض من جيرانهم إلى أنفسهم، ومتقبلين آلامهم عن طيب خاطر. وكثيرون ممن كانوا يعنون بالمرضى وشددوا غيرهم ماتوا هم أنفسهم ناقلين موتهم إلى أنفسهم. وقد حققوا بالفعل المثل السائر الذى كان يبدو دوامـا مجرد تعبير للمجاملة، بأنهم اعتبروا أقذار الاخرين وسيلة لارتحالهم».

(٨) «والواقع إن صفوة اخوتنا ارتحلوا من هذه الحياة بهذه الكيفية، بما فى ذلك بعض القسوس والشمامسة، وأبرز الشخصيات بين الشعب. وهكذا أصبح هذا النوع من الموت لا يقل شأنا عن الاستشهاد، بسبب ما تجلى فيه من التقوى العميقة والإيمان القوى».

(٩) «وقد أخذوا أجساد القديسين على يديهم، وفى أحضانهم، وأغمضوا عيونهم وأغلقوا أفواههم، وحملوها على أكتافهم، وأخرجوها خارجا، وتشبثوا بها وعانقوها ورتبوا لها كل ما يليق بها من غسل وأكفان. وبعد قليل كانوا هم أنفسهم يلقون هذه المعاملة، لأن الذين كانوا ينجون من الموت كانوا بصفة مستمرة يلحقون سابقيهم».

(١٠) «أما الوثنيون فكان كل شىء على العكس من هذا. فقد كانوا يهجرون كل من بدأت تدب فيهم أعراض المرض، ويهربون من أعز أصدقائهم. وكانوا يطرحونهم خارجا فى الشوارع عندما يوشكون على الموت، ويتركون الموتى كالزبالة دون دفنهم. وكانوا يتجنبون أى اتصال بالموتى، ولكنهم مع كل ما اتخذوه من احتياطات لم ينجوا من الموت».

(١١) وبعد هذه الرسالة، إذ عاد السلام إلى المدينة، كتب رسالة فصحية أخرى إلى الاخوة فى مصر، ثم رسائل أخرى عديدة علاوة على هذه. وهنالك أيضا رسالة أخرى، لا زالت باقية، عن السبت، وأخرى عن التدريب.

(١٢) وعلاوة على ذلك كتب أيضا رسالة إلى هرمامون والاخوة فى مصر، متحدثا فيها بالتفصيل عن شر ديسيوس وخلفائه وعن السلام فى عهد جالينوس.

الفصل الثالث والعشرون

حكم جالينوس

(١) ولكن لا شيء أفضل من سماع كلماته وهي كما يلي:

«وبعد أن خان[١] أحد الأباطرة الذى سبقه، وشن الحرب على آخر[٢] هلك هو وكل أسرته هلاكا سريعا كاملا. على أن جالينوس نودى به فى الحال وبالإجماع امبراطورا قديما وجديدا، إذ كان قبلهم واستمر بعدهم».

(٢) «لأنه كما قال النبى اشعياء: هوذا الأوليات قد أتت، والحديثات سوف تقوم الآن.[٣] فالسحابة إذ تمر أمام أشعة الشمس تحجبها وقتا قليلا، وتظهر بدلا عنها. ولكن عندما تمر السحابة أو تنقشع تظهر ثانية الشمس التى سبق أن أشرقت. هكذا الحال مع مكريانوس الذى أبرز نفسه، واقترب من امبراطورية جالينوس الكائنة، فإنه لا يمكن أن يكون له وجود لأنه لم يكن كائنا من قبل. أما الآخر فإنه هو هو كما كان.

(٣) «ومملكته تزدهر الآن بقوة أعظم، ويزداد الناس رؤيتها والسماع بها، وتمتد فى كل جهة، كأنها قد طرحت عنها شيخوختها، وتطهرت من أرجاسها الماضية».

(٤) بعد ذلك يبين بالكلمات التالية الزمن الذى كتب فيه هذا:

«وجدير بى أن أذكر أيام سنوات الامبراطورية. لأننى أرى أن أسماء هؤلاء الأشرار قد زالت فى وقت قصير، ولو كانوا قد ذاع صيتهم فى حياتهم. أما الأمير[٤] التقى المبارك فإذ قد جاوز السنة السابعة يكمل الآن التاسعة التى سنعيد فيها».

---

(١) أى أن مكريانوس خان فالريان.

(٢) وإذ خان فالريان وقع فى أيدى الفرس، وشن الحرب على جاليتوس ابنه وخليفته.

(٣) (اش ٤٢ : ٩).

(٤) أى جالينوس. ولم يكن ديونيسيوس مبالغا فى وصفه له لأنه شمل المسيحيين بعطف جزيل.

الفصل الرابع والعشرون

نيپوس وبدعته

(١) وعلاوة على كل هذه فإنه هو الذى كتب أيضا الكتابين عن المواعيد. أما سبب كتابتهما فهو إن نيپوس[١] أحد أساقفة مصر نادى بأن المواعيد التى أعطيت للاتقياء فى الأسفار الإلهية يجب أن تفهم بروح يهودية، وأنه سوف يكون هنالك ألف سنة تقضى فى تمتع جسدى على هذه الأرض.

(٢) وإذ توهم بأنه يستطيع أن يدعم رأية الشخص من رؤيا يوحنا، كتب كتابا عن هذا الموضوع عنوانه «تفنيد الرأى القائل بتفسير الكتاب مجازيا». [٢]

(٣) ويقاوم ديونيسيوس هذا الكتاب فى كتابيه عن «المواعيد». ففى الأول يبين رأيه عن العقيدة، وفى الثانى يتحدث عن رؤيا يوحنا. وإذ يذكر اسم نيپوس فى البداية يكتب عنه ما يلى:

(٤) «ولأنهم يقدمون مؤلفا لنيپوس، يعتمدون عليه كلية، كأنه قد أثبت اثباتا قاطعا أن هنالك سيكون ملك للمسيح على الأرض، فإننى اعترف بتقديرى ومحبتى لنيپوس من نواح أخرى كثيرة، لأجل إيمانه ونشاطه واجتهاده فى الأسفار المقدسة، ولأجل تسابيحه العظيمة التى لا يزال الكثيرون من الاخوة يتلذذون بها، ويزداد احترامى له لأنه سبقنا إلى راحته على أن الحق يجب أن يحب ويكرم قبل كل شىء. ومع أننا يجب أن نمتدح ونصادق على كل ما يقال صوابا، دون أى تحيز، فإننا يجب أن نمتحن كل ما يبدو أنه لم يكتب صوابا، ونصححه».

(٥) «ولقد كان يكفى أن يكون موجودا لشرح رأيه شفويا واقناع مقاوميه دون حاجة إلى تدوين مناقشاته كتابة. ولكن نظرا لأن البعض يظنون أن مؤلفه لا غبار عليه، ونظرا لأن بعض المعلمين يعتبرون أنه لا أهمية للناموس والأنبياء، ولا يتبعون الإناجيل، ويستخفون بالرسائل الرسولية، وينظرون إلى المواعيد – وفق تعليم هذا الكتاب – كأنها أسرار خفية، ولا يسمحون لاخوتنا البسطاء بتكوين آراء سامية

---

(١) Nepos لم يكن هو الوحيد الذى انحرف فى تفسير الوعد بالألف سنة، بل تعداه الأمر إلى الكثيرين إلى هذا اليوم. انظر أيضا ك ٣ ف ٣٩ : ١٢.

(٢) والواضح إنه موجه ضد أوريجانوس ومن تمشوا معه فى رأيه.

رفيعة عن ظهور ربنا المجيد الإلهى، وقيامتنا من الأموات، واجتماعنا معا إليه، وتغييرنا على صورته، بل بالعكس يدفعونهم إلى أن يرجوا أمورا تافهة زمنية فى ملكوت الله، أمورا كالموجودة الآن - نظرا لأنه هذا هو الموقف، فمن الضرورى أن نناقش أخانا نيبوس كأنه موجود».

وبعد ذلك يقول:

(٦) «ولما كنت فى اقليم أرسينوى،[٣] حيث سادت هذه التعاليم زمنا طويلا، كما تعلم، الأمر الذى نشأ عنه انشقاق بل ارتداد كنائس برمتها، دعوت قسوس ومعلمى الاخوة فى القرى والاخوة الذين أرادوا أيضا الحضور، ونصحتهم بفحص هذا الأمر علانية».

(٧) «وإذ قدموا إلى هذا الكتاب، كأنه سلاح ماض وحصن لا يغلب، وجلست معهم من الصباح إلى المساء ثلاثة أيام متوالية، جاهدت لتصحيح ما كتب فيه».

(٨) «واغتبطت بمثابرة وإخلاص الاخوة ودماثة خلقهم إذ كنا نبحث بالترتيب وبهدوء المسائل والصعوبات التى تحت البحث، والنقط التى اتفقنا عليها. وقد تحاشينا كلية، ومن دون أن نزاع، الدفاع عن أى رأى كنا نعتقده سابقا، إلا إذا اتضحت صحته. كما أننا لم نتجنب أى اعتراض، واجتهدنا على قدر استطاعتنا أن نثبت ونؤيد الأمور المعروضة علينا وإن اقتنعنا بالبراهين المقدمة لم نخجل من تغيير آرائنا وموافقة الآخرين. بالعكس إننا بكل اخلاص ونزاهة، وبقلوب مكشوفة أمام الله، قبلنا كل ما أيدته بالبراهين تعاليم الأسفار الإلهية».

(٩) «وأخيرا اعترف منشىء وباعث هذا التعليم - ويدعى كوراسيون - على مسمع كل الاخوة الحاضرين، وشهد لنا بأنه لن يتمسك بعد بهذا الرأى، أو يناقشه، أو يذكره أو يعلم به، إذ اقتنع اقتناعا كليا بفساده. وأبدى بعض الاخوة الاخرين سرورهم بالمؤتمر، وبروح الصفاء والوفاق التى أظهرها الجميع».

---

(٣) Arsinoe على الشاطىء الغربى للنيل جنوب غرب ممفيس.

الفصل الخامس والعشرون

رؤيا يوحنا[١]

(١) بعد هذا تحدث[٢] هكذا عن رؤيا يوحنا:

«لقد رفض البعض ممن سبقونا السفر وتحاشوه كلية، منتقدينه أصحاحا أصحاحا، ومدعين بأنه بلا معنى، وعديم البراهين، وقائلين بأن عنوانه مزور».

(٢) «لأنهم يقولون إنه ليس من تصنيف يوحنا، ولا هو رؤيا، لأنه يحجبه حجاب كثيف من الغموض، ويؤكدون أنه لم يكتبه أى واحد من الرسل، أو القديسين، أو أى واحد من رجال الكنيسة، بل أن كيرنثوس مؤلف الشيعة التى تدعى الكيرنثيون، إذ أراد أن يدعم قصته الخيالية نسبها إلى يوحنا».

(٣) «وهذا ما نادى به: إن ملكوت المسيح سوف يكون ملكوتا أرضيا، ولأنه كان منغمسا فى ملذات الجسد، وشهوانيا جدا، فقد علم بأن الملكوت سوف يكون قائما على هذه التى أحبها، أى فى شهوة البطون والشهوة الجنسية، أو بتعبير آخر فى الأكل والشرب والتزوج والولائم والذبائح وذبح الضحايا، ظنا منه بأنه تحت هذا الستار يستطيع اشباع شهواته بطريقة أكثر قبولا.[٣]

(٤) «على أننى لم أتجاسر أن أرفض السفر لأن الكثيرين من الأخوة كانوا يجلونه جدا ولكننى أعتبر أنه فوق ادراكى، وأن فى كل جزء معانى عجيبة جدا مختفية لأننى إن كنت لا أفهم الكلمات فأظن أن وراءها معنى أعمق».

(٥) «وإننى لا أريد أن أقيسها أو أحكم عليها بعقلى، بل أعتبرها أعلى من أن أدركها، تاركا مجالا أوسع للايمان. ولست أرفض ما لا أدركه، بل بالعكس أتعجب لأننى لا أفهمه».

(٦) بعد هذا يفحص كل سفر الرؤيا وبعد أن يبرهن استحالة فهمه حرفيا يبدأ القول.

«بعد أن أكمل النبى كل النبوة، كما دعيت، يصرح بغبطة من يحفظونها وغبطة نفسه إذ يقول: طوبى لمن يحفظ أقوال نبوة هذا الكتاب، ولى أنا يوحنا الذى كان ينظر ويسمع هذا.[٤]

---

(١) انظر ك ٣ ف ٢٤.

(٢) أى ديونيسيوس أيضا.

(٣) أظر ك ٣ ف ٢٨.

(٤) (رؤ ٢٢: ٧ و ٨).

(٧) «لأجل هذا لا أنكر أنه كان يدعى يوحنا، وإن هـذا السفر من كتـابة شخص يدعى يوحنا. وأوافق أيضا أنه من تصنيف رجـل قديس ملهم بالروح القدس. ولكننى لا أصـدق بأنه هو الرسول ابن زبدى، أخ يعقوب كاتب انجيل يوحنا والرسالة الجامعة.[٥]

(٨) لأننى أستطيع الحكم من طبيعة كليهما، ومن صيـغة التعابير، ومـن مضمون كل السفر، أنه ليس من تصنيفـه. لأن الإنجيلى لم يذكر اسـمه فى أى مكـان، ولم يعلن عـن ذاته لا فى الإنجيل ولا فى الرسالة».

(٩) وبعد ذلك يضيف قائلا:

«ويوحنا لم يتحدث قط مشيرا إلى نفسه، أو إلى شخص آخر.[٦] أما كاتب سـفر الرؤيا فيقدم نفســه فى البادية: اعلان (رؤيا) يسوع المسيح الذى أعطاه له ليرى عبـيده سريعـا. وهو أرسله وبينه بيد ملاكه لعبده يوحنا الذى شهد بكلمة الله وبشهادته بكل ما رآه.[٧]

(١٠) «ثم كتب رسالة أيضا: يوحنا إلى السبع الكنائس التى فى أسـيا نعمة لكم وسلام[٨] أما الإنجيلى فإنه لم يصدر حـتى الرسالة الجامعة باسمـه، بل يبدأ بسر الرؤيا الإلهية نفسهـا دون أية مقدمة: الذى كان من البدء، الذى سمعناه ورأيناه بعيـوننا.[٩] لأنه من أجل اعلان كهذا بارك الرب أيضا بطرس قائلا: طوبى لك يا سمعان بن يونا لأن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى السماوى.[١٠]

(١١) «واسم يوحنا لم يظهر حتى فى رسالتى يوحنا الثانية والثـالثة المشهورتين رغم قصرهما بل تبدآن بهذه الكلمـة: الشيخ، دون ذكر أى اسم. أما هذا المؤلف فـإنه لم يكتف بذكر اسـمه مرة ثم يبدأ مؤلفه، بل يكرره ثانية: أنـا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسـوع المسيح وصبره كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس من أجل كلمة الله وشهادة يسوع.[١١] وقبيل الختام يتحدث هكذا: طوبى لمن يحفظ أقوال نبوة هذا الكتاب، ولى أنا يوحنا الذى كان ينظر ويسمع هذا».[١٢]

---

(٥) بخصوص الإنجيل والرسالة انظر ك ٣ ف ٢٤.

(٦) أى لم يتحدث عن نفسه بصيغة المتكلم «أنا يوحنا»، ولا بصيغة الغائب كقوله مثلا «عبده يوحنا».

(٧) (رؤ ١ : ١ و ٢). (٨) (رؤ ١ : ٤). (٩) (١ يو ١ : ١). (١٠) (مت ١٦ : ١٧).

(١١) (رؤ ١ : ٩). (١٢) (رؤ ٢٢ : ٧ و ٨).

(١٢) «ولكن يجب التسليم بأن كاتب هذه الأمور كان يدعى يوحنا كما يقرر هو. ولو إنه غير واضح من هو يوحنا هذا. لأنه لم يقل، كما قيل مرارا فى الإنجيل، أنه هو التلميذ المحبوب من الرب،[١٣] أو الذى اتكأ على صدره،[١٤] أو أخ يعقوب، أو الذى شهد وسمع الرب».

(١٣) «لأنه لو أراد أن يبين نفسه بوضوح لذكر هذه الأمور. ولكنه لم يذكر منها شيئا، بل تحدث عن نفسه كأخينا، وشريكنا، وشاهد ليسوع، ومغبوط لأنه رأى وسمع الرؤى».

(١٤) «وفى اعتقادى إنه كان هنالك كثيرون بنفس اسم الرسول يوحنا، الذين بسبب محبتهم له وإعجابهم به واقتدائهم به ورغبتهم فى أن يكونوا محبوبين من الرب مثله، اتخذوا نفس اللقب كما يسمى الكثيرون من أبناء المؤمنين بولس وبطرس».

(١٥) «فمثلا يوجد أيضا يوحنا آخر ملقب مرقس ذكر اسمه فى سفر أعمال الرسل،[١٥] أخذه برنابا وبولس معهما، وقيل عنه أيضا: وكان معهما يوحنا خادما.[١٦] ولكننى لا أقصد القول أنه هو الذى كتب هذا السفر لأنه لم يكتب إنه ذهب معهما إلى آسيا، بل قيل: ولما اقلع من بافوس بولس ومن معه أتوا إلى برجة بمفيلية. وأما يوحنا ففارقهم ورجع إلى أورشليم».[١٧]

(١٦) «ولكننى أعتقد أنه كان شخصا آخر ممن كانوا فى آسيا، إذ يقولون إنه يوجد نصبان تذكاريان فى أفسس يحمل كل منهما اسم يوحنا».

(١٧) «ومن مجموعة الآراء، ومن الكلمات وترتيبها، يستنتج أن هذا يختلف عن ذلك.[١٨]

(١٨) «لأن الإنجيل والرسالة يتفقان مع بعضهما، ويبدآن بأسلوب واحد. الأول يقول: فى البدء كان الكلمة، والثانى يقول: الذى كان من البدء. الأول يقول: والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب، الثانى يقرر نفس الأمر مع تغيير طفيف: الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحيوة فإن الحياة أظهرت».

---

(١٣) انظر (يو ١٣ : ٢٣، ١٩ : ٢٦، ٢٠ : ٢، ٢١ : ٧و٢٠). (١٤) (يو ١٣ : ٢٣، ٢٥).

(١٥) (اع ١٢ : ١٢و٢٥، ١٣ : ٥و١٣، ١٥ : ٣٧). وبخصوص مرقص والإنجيل الثانى انظر ك ٢ ف ١٥.

(١٦) (اع ١٣ : ٥). (١٧) (اع ١٣ : ١٣).

(١٨) أى أن كاتب سفر الرؤيا يختلف عن كاتب الإنجيل والرسائل.

(١٩) «لأنه يبدأ بهذه متمسكا بها - كما يتضح مما يلى - احتجاجا على من قالوا إن الرب لم يأت فى الجسد. ولذلك حرص أيضا على أن يقول: وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحيوة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به أيضا».

(٢٠) «ثم إنه يتمسك بهذا ولا يتحول عن موضوعه، بل يناقش كل شىء تحت نفس رؤوس المواضيع والأسماء، سوف نذكر بعضها بإيجاز».

(٢١) «والباحث المدقق يجد هذه التعابير تتردد مرارا فى كليهما: الحياة، النور، الانتقال من الظلمة. وبصفة مستمرة أيضا ترد هذه العبارات: الحق، النعمة، الفرح، جسد ودم الرب، الدينونة، مغفرة الخطايا، محبة الله من نحونا، الوصية أن نحب بعضنا بعضا، وأن نحفظ كل الوصايا، دينونة العالم وابليس وضد المسيح، موعد الروح القدس، التبنى لله، الإيمان المطلوب منا بصفة مستمرة، الإب والإبن. هذه وردت فى كل مكان. والواقع أنه يمكن بوضوح أن يرى نفس الطابع الواحد يحمله الإنجيل والرسالة».

(٢٢) «أما سفر الرؤيا فيختلف عن هذه الكتابات وغريب عنها. ولا يمس موضوع السفرين من قريب أو بعيد. ويكاد يخلو من أى تعبير يوجد فيهما».

(٢٣) «والإكثر من هذا الرسالة - ولانجاوز عن الإنجيل - لا تذكر سفر الرؤيا ولا تتضمن أية اشارة لها، كذلك لا يشير سفر الرؤيا إلى الرسالة. مع أن بولس فى رسائله يشير إلى رؤاه ولو لم يدونها منفردة».

(٢٤) «وعلاوة على هذا فإن أسلوب الإنجيل والرسالة يختلف عن أسلوب سفر الرؤيا».

(٢٥) «لأنهما لم يكتبا فقط دون أى خطأ فى اللغة اليونانية بل أيضا بسمو فى التعبير والمنطق وفى فحواهما بكليته. إنهما أبعد ما يكون عن اعثار أى بربرى أو عامى. لأن الكاتب كانت له على ما يظهر موهبتا الحديث، أى موهبة العلم وموهبة التعبير، اللتين وهبه الرب اياهما».

(٢٦) «وأنا لا أنكر أن الكاتب الآخر رأى رؤيا، ونال علما ونبوة. ولكننى مع ذلك أعتقد أن لهجته ولغته لا تتفقان مع اللغة اليونانية الفصحى، بل هو يستعمل اصطلاحات بربرية، وفي بعض المواضع أغلاطا نحوية».

---

(٢٧) «ولا يعنينا الإشارة إليها، لأننى لا أريد أن يظن أى واحد أننى أذكر هذه الأمور بروح التهكم، إنما قلت هذا بقصد إيضاح الخلاف بين الكتابات المختلفة».

الفصل السادس والعشرون

رسائل ديونيسيوس

(١) وعلاوة على هذه فلا تزال توجد رسائل أخرى كثيرة «لديونيسيوس، كتلك التى كتبها ضد سابيليوس،[١] وتلك الموجهة إلى أمون، أسقف كنيسة برنيكى، وأخرى إلى تلسفورس، وواحدة إلى يوفرانور، وأخرى إلى أمون ويوفورس، وكتب أيضا أربعة كتب أخرى عن نفس الموضوع وجهها إلى سميه ديونيسيوس فى روما.

(٢) وعلاوة على هذه فإن بين أيدينا الكثير من رسائله، وكتبا ضخمة كتبت بشكل رسائل، كتلك التى كتبها عن الطبيعة موجهة إلى الشاب تيموثاوس، وواحدة عن التجارب أهداها أيضا إلى يوفرانور.

(٣) وفضلا عن هذا فإنه فى رسالة إلى باسيليوس أسقف أبروشيات بنتابوليس[٢] يقول إنه كتب تفسيرا لبداية سفر الجامعة. - ثم أنه ترك لنا أيضا رسائل مختلفة موجهة لنفس هذا الشخص.

هذا ما كتبه ديونيسيوس من المصنفات العديدة.

والآن وقد تم وصفنا لهذه الأمور، اسمح لنا بأن نوضح للإجيال القادمة طبيعة جيلنا.

---

(١) انظر ف ٦.

(٢) أى الخمس المدن الغربية. وكانت اقليما كبيرا غرب القطر المصرى.

الفصل السابع والعشرون

بولس السميساطى والبدعة التى أدخلها فى أنطاكية

(١) بعد أن رأس زيستوس كنيسة روما أحدى عشرة سنة خلفه ديونيسيوس سمى ديونيسيوس الاسكندرى. وحوالى نفس الوقت مات ديمتريانوس[١] فى انطاكية ونال تلك الأسقفية بولس السميساطى.[٢]

(٢) ولأنه كان يعتقد اعتقادات وضيعة عن المسيح - مخالفة لتعاليم الكنيسة - أى أنه كان فى طبيعته انسانا عاديا، فقد توسلوا إلى ديونيسيوس الاسكندرى ليحضر المجمع. ولما لم يتمكن من الحضور بسبب تقدمه فى السن وضعف جسمه أعطى رأيه فى الموضوع الذى تحت البحث برسالة أرسلها اليهم. ولكن جميع رعاة الكنائس من كل جهة أسرعوا ليجتمعوا فى انطاكية كأنهم قد اجتمعوا ضد مبدد قطيع المسيح.

---

(١) انظر ك ٦ ف ٤٦.

(٢) كان من أكبر هراطقة الكنيسة فى العصور الأولى. وقد كان أسقفا لانطاكية وفى نفس الوقت نائبا للملكة زنوبيا ملكة بالميرا. وكانت رسامته أسقفا حوالى سنة ٢٦٠ وخلعه سنه ٢٦٥. وقد أعاد بولس هذا بدعة أرتيمون (ك ٥ ف ٢٨) القائلة بأن المسيح كان مجرد انسان ولو أنه كان ممتلئا قوة إلهية من وقت ميلاده، وليس فقط من وقت معموديته، كما كان يدعى الأبيونيون. ووافق أيضا على ميلاده من الروح القدس. وقد أنكر أقنوم «الكلمة» وأقنوم الروح القدس، معتبرا اياهما مجرد قوتين فى الله كقوتى العقل والتفكير فى الإنسان، ولكنه اعتقد أن «الكلمة» حل فى المسيح بمقياس أكبر مما حل فى رسل الله السابقين. وصرح بأن المسيح بقى خاليا من الخطية وأنه تغلب على خطية أجدادنا وعندئذ صار مخلص الجنس البشرى. وقد عقدت مجامع مختلفة فى أنطاكية بقصد حرمه فلم تفلح. وأخيرا حرمه أحد المجامع فخلفه دومنوس وكان ذلك حوالى سنة ٢٦٨.

الفصل الثامن والعشرون

أساقفة ذلك العصر البارزون

(١) ومن بين هؤلاء كان فرمليانوس[١] العظيم أسقف قيصرية كبادوكية، والاخوان غريغوريوس[٢] واثينودورس، وبعض الرعاة من كنائس بنطس، وهيلينوس[٣] أسقف أبروشية طرسوس، ونيكوماس أسقف أيقونية. وعلاوة على هؤلاء هيمينايس[٤] أسقف كنيسة أورشليم، وثيوتكنس أسقف كنيسة قيصرية المجاورة. يضاف إلى هؤلاء مكسيموس الذى رأس الاخوة فى بوسترا[٥] بكيفية ممتازة. وإن أراد أحد احصاءهم لوجد آخرين كثيرين، علاوة على القسوس والشمامسة الذين اجتمعوا وقتئذ لنفس الغرض فى المدينة السابق ذكرها.[٦] ولكن هؤلاء كانوا أبرزهم.

(٢) وحينما اجتمع كل هؤلاء فى أوقات مختلفة لبحث هذه المواضيع، كانت الحجج والأسئلة تناقش فى كل اجتماع. وكان أنصار السميساطى يحاولون أن يداروا ويخفوا هرطقته، وحاول الاخرون بكل غيرة أن يفضحوا ويعلنوا هرطقته وتجديفه على المسيح.

(٣) وفى نفس الوقت مات ديونيسيوس فى السنة الثانية عشرة من حكم جالينوس بعد أن لبث أسقفا للاسكندرية سبع عشرة سنة، وخلفه مكسيموس.

(٤) وبعد أن لبث جالينوس فى الحكم خمس عشرة سنة خلفه كلوديوس الذى سلم الحكم إلى أوريليان بعد سنتين.



---

(١) ك ٦ ف ٢٦. (٢) غريغوريوس صانع العجائب. انظر ك ٦ ف ٣٠.

(٣) ك ٦ ف ٤٦ : ٣. (٤) ف ١٤. (٥) ك ٦ ف ٣٣. (٦) انطاكية

الفصل التاسع والعشرون

وبعد أن دحض ملخيون - أحد القسوس الفلاسفة - أراء بولس ، صدر الحكم بحرمه

(١) وفى أثناء حكمه عقد مجمع آخر مؤلف من أساقفة كثيرين، وكشف عن منشىء الهرطقة فى انطاكية، وفضحت تعاليمه الكاذبة أمام الجميع، فحرم من الكنيسة الجامعة تحت السماء.

(٢) وقد أخرجه ملخيون من مخبه ودحض آراءه. وهذا كان رجلا متعلما فى نواح أخرى، وكان رئيسا للمدرسة الفلسفة اليونانية فى انطاكية. ونظرا لسمو إيمانه بالمسيح، رسم قسا لتلك الأبروشية. وإذ ناقشه هذا الرجل مناقشة خطيرة دونها الكتاب الحاضرون، ولا زالت باقية إلى الإن، استطاع وحده أن يكشف حقيقة الرجل الذى ضلل وخدع الآخرين.

الفصل الثلاثون

رسالة الأساقفة ضد بولس

(١) أما الرعاة الذين اجتمعوا من أجل هذا الأمر فقد أعدوا بإجماع الآراء رسالة موجهة إلى ديونيسيوس أسقف روما ومكسيموس أسقف الإسكندرية، وأرسلوها إلى جميع الأقطار. وفى هذه بينوا للجميع غيرتهم وهرطقة بولس، والحجج والمناقشات التى دارت معه، كما بينوا حياة الرجل وتصرفاته. وخليق بنا أن ندون فى الوقت الحاضر الاقتباسات التالية من كتابتهم:

(٢) «إلى ديونيسيوس ومكسيموس، وإلى كل زملائنا الخدام فى كل العالم، الأساقفة والقسوس والشمامسة، وإلى كل الكنيسة الجامعة تحت السماء، هيلينوس وهيمنايس وثيوفيلس وثيوتكنس ومكسيموس وبروكلوس ونيكوماس واليانوس وبولس وبولانس وبروتوجينيس وهيراكس واوطاخى وثيودوروس وملخيون ولوسيوس وجميع الباقين المقيمين معنا فى المدن والأمم المجاورة، أساقفة وقسوس وشمامسة، وكنائس الله. سلام للاخوة المحبوبين فى الرب».

(٣) وبعد ذلك بقليل بدأوا قائلين:

«لقد أرسلنا ودعونا أساقفة كثيرين من أماكن بعيدة ليخلصونا من هذه التعاليم المميتة كديونيسيوس الإسكندرى وفرمليانوس الكبادوكى، هذين المباركين. أما الأول فإذ اعتبر منشىء هذه البدعة غير جدير بأن يوجه إليه أى خطاب أرسل رسالة إلى انطاكية موجهة لا إليه بل إلى كل الأبروشية، وقد أثبتنا صورتها فيما بعد».

(٤) «وأما فرمليانوس فقد أتى مرتين، وشجب بدعته، كما نعرف، ونشهد نحن الذين كنا موجودين، وكما يعرف آخرون كثيرون. ولكنه إذ وعد بتغيير آرائه صدقه، ورجا أن تتخذ الإجراءات اللازمة دون أن تلحق أية اهانة للكلمة. ولذلك أرجأ الأمر إذ خدعه ذاك الذى أنكر حتى إلهه وربه، ولم يحفظ الإيمان الذى كان يعتقده سابقا».

(٥) «ولقد كان فرمليانوس الآن فى طريقه ثانية إلى أنطاكية، ووصل حتى طرسوس، لأنه علم بالإختبار شره وانكاره لله. ولكنه مات بينما كنا مجتمعين ومنتظرين وصوله».

(٦) وبعد التحدث عن أمور أخرى وصفوا فيما يلى نوع الحياة التى عاشها: «ولأنه قد انحرف عن جادة الإيمان، وارتد بعد المناداة بتعاليم وضيعة زائفة، فليس من الضرورى - طالما كان قد أخرج خارجا - اصدار أى حكم على تصرفاته».

(٧) «فمثلا مع أنه كان سابقا فقيرا معدما، لم يرث أية ثروة من آبائه، ولم يجن أية ثروة من تجارة أو أى عمل آخر، إلا أنه الآن أصبح يمتلك ثروة طائلة بسبب شروره وانتهاكه حرمة المعابد وسلبه للاخوة، وحرمان المظلومين من حقوقهم، ووعده لهم بمساعدتهم نظير أجر معين مع أنه يضللهم، وينهب أولئك الذين فى ضيقهم يكونون مستعدين أن يعطوا ليصطلحوا مع ظالميهم، ظانين أن التقوى تجارة». [١]

(٨) «أو كغطرسته وكبريائه وانتفاخه وادعائه الكرامة العالمية، مفضلا أن يدعى نائب الملكة عن أن يدعى أسقفا، وزهوه وهو يسير فى الأسواق قارئا بعض الرسائل بصوت مسموع وهو يمشى علنا يحف به حرس وتتقدمه وتتبعه الجماهير، حتى أصبح الإيمان مكروها بسبب كبريائه وغطرسة قلبه».

(٩) «أو كممارسة الألاعيب الخداعة فى الاجتماعات الكنسية، محاولا تمجيد نفسه وتضليل الآخرين واذهال عقول البسطاء، معدا لنفسه محكمة وعرشا مرتفعا، الأمر الذى لا يليق به كتلميذ للمسيح، ومكانا سريا كحكام العالم، ضاربا بيده على فخذه، وبقدميه عند الدخول إلى المحكمة».

«أو كتوبيخه واهانته لمن لا يصفقون له، ويلوحون بمناديلهم، كما يحدث فى المسارح، ولا يصيحون ويقفزون كالرجال والنساء المحيطين به، الذين يصغون إليه بهذه الطريقة الشائنة، بل يصغون

(١) (١ تى ٦ : ٥).

بوقار كأنهم فى بيت الله · أو كمهاجمته العنيفة العلانية لمفسرى الكلمة ممن غادروا هذه الحياة، وتعظيمه لنفسه لا كأسقف بل كفيلسوف ومشعوذ» ·

(١٠) «وابطاله الترانيم الموجهة إلى ربنا يسوع المسيح كأنها اختراعات عصرية للرجال العصريين، وتدريبه النسوة لانشاد الترانيم لشخصه وسط الكنيسة يوم عيد الفصح العظيم، مما تقشعر له الأبدان عند سماعها، ومحاولته اقناع الأساقفة والقسوس فى الأقاليم والمدن المجاورة الذين يتمنتونه، لعلهم يتبعون نفس الخطة فى اختلاطهم بالشعب» ·

(١١) «وقد رفض الأعتراف بأن ابن الله نزل من السماء، وهذا ما سنبينه فيما بعد · وليس هذا مجرد كلام، بل قد قامت عليه الأدلة الكثيرة من الكتابات التى أرسلناها إليكم، والأدهى من هذا قوله أن يسوع المسيح من أسفل ·[٢] أما من يرغمون له ويمدحونه بين الشعب فيقولون إن معلمهم الفاجر نزل ملاكا من السماء · وذلك المتغطرس لم يأمر بمنع هذه، بل لا يستنكف حينما تقال بحضوره» ·

(١٢) «وهنالك النساء اللاتى يسميهن أهل انطاكية «أمينات الدار» المنتميات له وللقسوس والشمامسة الذين معه · وبالرغم من أنه يعرف هؤلاء الأشخاص وأثبت عليهم جريمتهم، إلا أنه تستر على هذه الخطية وخطاياهم الأخرى الشنيعة، ولكى يكونوا مدينين له، ولكى لا يجرأوا على اتهامه بسبب أقواله وأفعاله الخبيثة خوفا على أنفسهم، على أنه قد جعلهم أيضا أثرياء، لهذا أحبه الطامعون فى هذا الثراء واعجبوا به» ·

(١٣) «نحن نعلم أيها الأحباء أن الأسقف وكل الالكليروس يجب أن يكونوا أمثله للشعب فى كل الأعمال الصالحة · ونحن لا نجهل كم من أشخاص قد سقطوا · أو تشككوا، بسبب النسوة اللاتى أتوا بهن · لذلك فحتى لو افترضنا أنه لم يرتكب أى عمل خاطىء إلا أنه كان يجب أن يتجنب التشكك الناشىء من أمر كهذا، لئلا يعثر أحدا، أو يدفع الآخرين للاقتداء به» ·

(١٤) «وكيف يستطيع توبيخ أو تحذير أى شخص آخر من الاختلاط الكثير بالنساء لئلا يسقط كما هو مكتوب،[٣] إن كان هو نفسه قد طرد واحدة · ومعه الآن اثنتان جميلتان متوردتا الوجه، يأخذهما معه أينما ذهب، وفى نفس الوقت يعيش فى البذخ والتنعم؟» ·

(١٥) «بسبب هذه الأمور يكتئب الجميع وينوحون · ولكنهم إذ يخشون ظلمه وبطشه، لا يجرؤون على اتهامه» ·

(١٦) لكن كما قلنا إذ كان يجوز للمرء استدعاء الرجل لمحاسبته عن هذه التصرفات لو كانت عقيدته سليمة، ولو كان معدودا معنا، فإننا لا نراه من الضرورى أن نطلب منه تفسيرا لهذه الأمور طالما كان قد أهان السر، وطالما كان يتمشدق مفاخرا بهرطقة أرتيماس[٤] (لأنه لماذا لا نذكر أباه؟)» ·

(٢) قارن هذه بما ورد فى يو ٣ : ٣١ «الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع» · (٣) حكمة يشوع بن سيراخ (ص ٢٥) ·

(٤) بخصوص ارتيماس أو ارتيمون انظر ك ٥ ف ٢٨ ·

(١٧) وبعد ذلك أضافوا هذه الكلمات فى ختام الرسالة:

«لذلك اضطررنا لحرمه طالما كان مقاوما لله، ورافضا الطاعة، واضطررنا لاقامة أسقف آخر للكنيسة الجامعة بدلا منه. ونعتقد أننا بإرشاد الهى قد أقمنا دومنوس المتزين بكل الصفات اللائقة بالاسقف، وهو ابن لديمتريانوس المبارك، الذى سبق أن رأس نفس الابروشية بكيفية ممتازة. وقد أعلمناكم بهذا لكى تكتبوا إليه المشايعون لارتيماس».

(١٨) وحالما سقط بولس من الأسقفية، ومن الإيمان المستقيم، أقيم دومنوس - كما قيل - أسقفا لكنيسة انطاكية.

(١٩) ولكن إذ رفض بولس تسليم بناء الكنيسة التجىء إلى الامبراطور أوريليان، فحسم الأمر بالعدل، وأمر بتسليم البناء لمن يراه أساقفة ايطاليا ومدينة روما. وهكذا طرد هذا الشخص من الكنيسة، بفضيحة شنيعة، بأمر السلطات العالمية.

(٢٠) هكذا كانت معاملة أوريليان لنا وقتئذ. ولكنه فى أثناء حكمه غير تفكيره من جهتنا، وأوحى إليه بعض المستشارين وليثير علينا اضطهادا. وصارت مباحثة كبيرة عن هذا من كل جانب.

(٢١) وإذ كان على وشك تنفيذ هذا، وكان على أهبة التوقيع على الأوامر ضدنا، حلت به الدينونة الإلهية، ومنعته من إتمام غرضه وهو على حافة تنفيذه، وبذلك بين الله بكيفية ظاهرة يراها الجميع بوضوح أن حكام هذا العالم لن يستطيعوا مقاومة كنائس المسيح، إلا إن سمحت بذلك اليد التى تحميها، بتدبير إلهى سماوى، من أجل التأديب والتقويم، وفى الأوقات التى تراها مناسبة.

(٢٢) وبعد أن حكم أوريليان ست سنوات[٥] خلفه بروبس. وهذا حكم عددا مماثلا من السنين وخلفه كاروس وابناه كارينوس ونيوميريانوس. وبعد أن حكموا أقل من ثلاث سنوات آل الحكم إلى دقلديانوس وشركائه،[٦] وفى عصرهم حدث الإضطهاد الذى نعانى مرارته، مع ما تبعه من هدم الكنائس.

(٢٣) وقبل ذلك بوقت قصير مات ديونيسيوس أسقف روما بعد أن ظل فى مركزه تسع سنوات، وخلفه فيلكس.

---

(٥) حكم من سنة ٢٧٠ - ٢٧٥ وخلفه تاشيتوس الذى لم يحكم سوى ستة شهور وهذا خلفه بروبس (٢٧٦ - ٢٨٢) ثم جاء بعده كاروس وابناه، وبعدهم دقلديانوس سنة ٢٨٤.

(٦) اشرك معه مكسيميان فى الحكم سنة ٢٨٦ وأرسله ليحكم الغرب بلقب أوغسطس. وفى سنة ٢٩٣ أقام قنسطنيوس كلورس وغاليريوس بلقب قيصرين، أعطى الأول حكم بلاد الغال وبريطانيا والثانى بحر الادرياتيك. وظل مسكيميان فى افريقيا وايطاليا، وأبقى دقلديانوس لنفسه مقاطعات آسيا. وقد أصدر أمره المشهور فى ٢٣ فبراير سنة ٣٠٣ باضطهاد المسيحيين، الأمر الذى سنقرأ عنه فى الكتاب التالى.

الفصل الحادى والثلاثون

هرطقة المانيكيين[١] المضلة التى بدأت وقتئذ

(١) فى هذا الوقت ظهر ذلك الرجل المجنون.[٢] واسمه مشتق من هرطقته الجنونية، وحصن نفسه بقلب أوضاع عقله وتفكيره، كما أبرزه ابليس، الشيطان، عدو الله، لهلاك كثيرين. وقد كانت حياته وحشية فى القول والفعل، وطبيعته شيطانية جنونية. ونتيجة لهذا تظاهر بموقف كموقف المسيح. وإذ انتفخ فى جنونه نادى بنفسه بأنه البارقليط، الروح القدس نفسه. من ثم اقتدى بالمسيح فاختار اثنى عشر تلميذا كشركاء له فى تعليمه الجديد.

(٢) ومزج معا تعاليم مزورة وكفرية، جمعها من بعض الآباء الالحادية التى انقرضت منذ عهد طويل، وبعث بها، كسموم قاتلة، من الفرس إلى هذا الجزء من العالم الذى نعيش فيه. وإليه يرجع ذلك الاسم البغيض «المانيكيون» الذى لا يزال سائدا بين الكثيرين.

هذا هو أساس ذلك «العلم الكاذب الاسم[٣]» الذى برز وقتئذ.



(١) Maniceans أو «المانيين» نسبة إلى مانى.

(٢) كلمة «مانى» معناها الرجل المجنون. وقد ظهر فى أواخر القرن الثالث. وكان فيلسوفا من بلاد الفرس. حاول ايجاد ديانة توفق بين الديانة الفارسية والبوذية والمسيحية. وقد رحب به سابور الأول ملك الفرس فى بداية الأمر. ولكن كهنة المجوس ثاروا ضده فاضطر إلى الهروب من البلاد. وإذ عاد تبعه جمع كثير ولكن الملك فارانس الأول حكم عليه بالاعدام سنه ٢٧٦. وقد انتشرت شيعته بسرعة بين المسيحيين وظلت أجيالا عديدة. ومما جعلها محببة للكثيرين من المفكرين، ومن بينهم أوغسطينوس، غموض تعاليمها، واحكام نظامها، وتظاهرها بحل مشكلة الشر، ومظهرها نحو القداسة والتقشف. ونظريتها الأساسية الاعتقاد بوجود إلهين، إله للخير وإله للشر، إله للنور وإله للظلمة.

(٣) (١ تى ٦ : ٢٠).

الفصل الثاني والثلاثون

رجال الكنيسة البارزون فى عصرنا ومن منهم بقى حيا حتى هدم الكنائس

(١) وإذ رأس الكنيسة فى روما وقتئذ فيلكس خمس سنوات خلفه أوتيخيانوس · ولكنه فى أقل من عشرة شهور ترك المركز إلى كايوس الذى عاصرناه · وهذا شغله نحو خمس عشرة سنة، وبدوره خلفه ماركيلينوس الذى جرفه الإضطهاد ·

(٢) وفى نفس الوقت تقريبا ارتقى تيماوس أسقفية أنطاكية بعد دومنوس، ثم خلفه كيرلس الذى عاصرناه · وفى عصره تعرفنا بدوروثيوس، أحد رجال العلم بين معاصريه، الذى تشرف بمركز القسوسية فى انطاكية · وقد كان محبا للجمال فى الإلهيات، وانكب على دراسة اللغة العبرانية، حتى صار يقرأ الأسفار العبرانية بسهولة ·

(٣) وكان ينتمى لحرى التفكير، ولم يكن يجهل مبادىء العلوم اليونانية ·[١] وعلاوة على هذا فقد كان خصيا منذ ولادته ·[٢] ولهذا أخذه الامبراطور[٣] إلى أسرته - كأن ذلك كان بمعجزة - وكرمه بإقامته مشرفا على أعمال الصباغة الإرجوانية فى مدينة صور · وقد سمعناه يفسر الكتاب المقدس بحكمة فى الكنيسة ·

(٤) وبعد كيرلس أعطيت أسقفية أبروشية انطاكية إلى تيرانس · وفى عصره هدمت الكنائس ·

أما يوسابيوس[٤] الذى أتى من مدينة الإسكندرية فقد تولى إدارة أبروشيات لادوكية بعد سقراط، وقد نقل إلى هناك بمناسبة بحث موضوع بولس · فقد ذهب لهذه الغاية إلى سوريا، ومنعه

---

(١) قارن ذلك بما ورد فى ك ٦ ف ١٨ : ٣.

(٢) يقضى القانون الأول من مجمع نيقية أن من خصى نفسه وجب عزله عن خدمته · أما من خصاه الأطباء أو الأعداء - وبالتالى من كان خصيا منذ ولادته - فلا مانع من بقائه بالخدمة ·

(٣) أى دقلديانوس ·

(٤) انظر ف ١١ : ٢٦ · كان شماسا فى كنيسة الاسكندرية · وكان قد حضر أحد المجامع الأولى فى انطاكية التى انعقدت لبحث موضوع بولس السميساطى والأرجح أنه كان ممثلا لديونيسيوس الذى منعته شيخوخته من الحضور (ف ٢٧) · وإذ تعرف به أهل لاودكية هناك أجبروه على قبول أسقفية كنيستهم وكانت شاغرة وقتئذ ·

الغيورون فى الروحيات من العودة إلى وطنه، وكان مثلا رائعا، بين معاصرينا، فى الروحيات، كما سبق أن اتضح من كلمات ديونيسيوس السابق اقتباسها.[٥]

(٦) وقد خلفه أناطول.[٦] وهكذا رأينا خير خلف لخير سلف كما يقولون وهو أيضا كان اسكندرى المولد. وكان أقدر علماء عصرنا فى الفلسفة اليونانية، كالرياضيات، والهندسة والفلك والمنطق والنظريات الطبيعية. وكان كذلك أبرز البارزين فى علم البلاغة. ويقال أنه لهذا السبب طلب منه أهل الإسكندرية أن يؤسس بها مدرسة لتدريس فلسفة أرسطوطاليس.[٧]

(٧) ويروون عنه أعمالا أخرى كثيرة جليلة أثناء حصار بيروكيوم[٨] بالإسكندرية، أكرم بسببها من جميع ذوى المناصب الرفيعة، ولكننى سأقدم ما يلى فقط كمثال لهذه الأعمال.

(٨) يقال أن الخبز نفذ من المحاصرين، حتى أصبح احتمال العدو من الخارج أيسر من احتمال المجاعة، أما هو فإذ كان موجودا امدهم بالخبز بالكيفية التالية. لما كان الجزء الآخر من المدينة متحالفا مع الجيش الرومانى، وبالتالى لم يكن تحت الحصار، فقد أرسل أناطول إلى يوسابيوس (لأنه كان لا يزال هناك قبل نقله إلى سوريا، وكان بين غير المحاصرين، كما كان يتمتع بسمعة طيبة وصيت عظيم وصل حتى إلى القائد الرومانى) وأعلمه بمن كانوا يهلكون فى الحصار بسبب المجاعة.

(٩) ولما علم هذا رجا القائد الرومانى لكى يعفو عن الهاربين من العدو، وهذه أعظم منه ممكنة، وإذ أجيب طلبه أبلغ الأمر إلى أناطول. وحالما وصلته الرسالة أبلغ الأمر إلى مجلس الأعيان بالإسكندرية، واقترح فى بداية الأمر أن يعقد الجميع صلحا من الرومانيين. ولكنه إذ أدرك أن هذه النصيحة أغضبتهم قال «ولكننى أعتقد أنكم لا تقاوموننى إن قدمت النصيحة بأن تخرجوا من المدينة الأشخاص الذين يصح تسميتهم «كمالة عدد»، والذين ليس لنا من ورائهم أقل نفع بأى حال من الأحوال، كالنساء المتقدمات فى السن، والأطفال، والشيوخ، فيذهبون أينما أرادوا. لأنه لماذا نبقى بلا

(٥) ف ١١ : ٢٦.

(٦) برز بعلمه ورجاحة عقله فى الإسكندرية. ولم تكن له أية وظيفة كنسية. وبعد انتهاء حصار الإسكندرية هجرها فرسمه ثيوتكنس أسقف قيصرية مساعد أسقف، وزامله وقتا قصيرا. وبعد موت صديقه يوسابيوس. ألزمه أهل لاودكية على قبول منصب الأسقفية. ومما هو جدير بلفت النظر اختيار كنيسة لاودكية اثنين من كنيسة الإسكندرية لشغل مركز الأسقفية.

(٧) أو على نظام فلسفة أرسطوطاليس.

(٨) حى من أحياء الاسكندرية الثلاثة وكانت تقطنه العائلة المالكة واليونانيون.

مبرر أولئك الذين لابد أن يموتوا سـريعا؟ ولماذا نهلك بالجوع العجزة والمشـوهى الأجساد فى الوقت الذى يجب أن نوفر الـطعام فقط للرجـال والشباب، ونـوزع الخبز الضـرورى لمن يحتاج الأمـر اليهم لحـماية المدينة؟».

(١٠) بأمثال هذه الحجج أقنع المجتمـعين. - وإذ وقف أولا أعطى صوته بأن كل الجماعة رجالا أو سيدات، الذين لا يحـتاج لهم الأمر فى الجيش يجب أن يغادروا المدينة، لأنهم أن بقـوا واستمروا في المدينة بلا مبرر، لم يبق لهم أى أمل فى النجاة، بل لابد أن يهلكوا من المجاعة.

(١١) وإذ وافق كل الباقين فى مجلس الأعـيان على هذا أنقذ كل المحاصرين تقـريبا. وقد رتب إن الذين ينتمون إلى الكنيسة يجب أن ينجوا أولا، وبعد ذلك سائر سكان المدينة، من كل الأعمار، ليس فقط الفئات التى تتضـمنها الأوامر، بل جماهير أخرى تحت ستار هذه الفئـات، متخفين فى زى ملابس السيـدات، وبتدبيره خرجـوا من الأبواب ليلا وهربوا إلى محلـة الرومانيين. وهنالك استـقبلهم جميـعا يوسابيـوس كأب وطبـيب، وكانوا قد وهـنت قواهم بسبب الحـصار الطويل، وهكذا أنقـذهم بكل أنواع العناية والحكمة.

(١٢) ولقد تشرفـت كنيسة لاودكية براعـيين كهذين أتيا بعـناية الله وتدبيره من الإسكندرية إلى تلك المدينة بعد الحرب السابق ذكرها.

(١٣) لم يكتب أناطول كتبا كثيـرة، ولكن مما وصل إلينا من الرسائل القليلة نسـتطيع أن نتبين فصاحته وسـعة اطلاعه. فى هذه يبين بصفة خاصة آراءه عن الفـصح. ويبدو أنه من الضرورى أن نثبت هنا الإقتباسات التالية منها:

بعض قوانين أناطول الفصحية

(١٤) «أما الهـلال الجديد للشهـر الأول فى السنة الأولى، فهو بداية كل دورة ذات تسع عـشرة سنة، وذلك فى اليوم السادس والعشـرين من الشهر المصرى فامنيوث،[٩] أو فى اليـوم الثانى والعشرين من شهـر ديستـروس بحسب الشـهور المقـدونية، أو قبل شـهر ابريل بأحـد عشـر يوما بحسـب تقويم الرومانيين».

(٩) كان هو الشهر السابع المصرى وكانت بدايته تعادل ٢٥ فبراير.

(١٥) «فى اليوم المذكور، السادس والعشرين من شهر فامينوث، لا تدخل الشمس البرج الأول فقط بل تكون قد بدأت تمر فعلا فيه منذ اليوم الرابع ·-وقد اعتادوا تسمية هذا البرج بالاثنى عشرى، أو الاعتدال الشمسى، أو بداية الشهور، أو رأس الدورة، أو نقطة بداية الدورة الكوكبية· على أنهم يسمون الشهر الذى يسبقه بآخر الشهور، أو البرج الثانى عشر، أو الاثنى عشرى الأخير، أو نهاية الدورة الكوكبية· الذلك فإننا نعتقد بأن من يضعون الشهر الأول فيه، وبموجبه يحددون اليوم الرابع عشر الخاص بالفصح، يرتكبون خطأ جسيما»·

(١٦) «وليس هذا رأينا، بل قد كان معروفا لليهود منذ القديم، حتى قبل المسيح، وكانوا يحافظون عليه بدقة، هذا ما يكمن معرفته مما قاله فيلو ويوسيفوس وموسايوس· وليس مما قاله هؤلاء فقط بل أيضا ممن هم أسبق منهم، أن الاغاثوبيولان الملقبان بالمعلمين، وارسطوبولس الشهير[١٠] الذى اختاره بطليموس فيلادلفوس وأبوه ليكون ضمن السبعين الذين ترجموا الأسفار اليهودية المقدسة الإلهية، والذى أهدى كتبه التفسيرية عن ناموس موسى إلى نفس الملكين»·

(١٧) «ويقول هؤلاء الكتاب، فى تفسيرهم للخروج، إن الجميع يجب أن يذبحوا تقدمات الفصح بعد الاعتدال الربيعى فى منتصف الشهر الأول، ولكن هذا يحدث إذ تكون الشمس مارة فى برج الشمس الأول، أو كما يلقبه البعض دورة البرج، ويضيف أرسطوبولس إلى هذا أنه من الضرورى لعيد الفصح لا أن تمر الشمس فى برج الاعتدال فقط بل القمر أيضا»·-

(١٨) «لأنه كما يوجد برجان للاعتدال الربيعى والاعتدال الخريفى، مقابلان لبعضهما تماما، وبما أن عيد الفصح حدد له اليوم الرابع عشر من الشهر، مبتدئا من المساء، فإن القمر يحتل موقفا مقابل الشمس على خطا مستقيم، كما يرى في حالة البدر الكامل، وتكون الشمس فى برج الاعتدال الربيعى، والقمر بالضرورة فى برج الاعتدال الخريفى»·

(١٩) «وأنا أعلم أنهم تحدثوا عن أمور أخرى كثيرة، بعضها محتملة التصديق، واخرى تقرب أن تكون مصدقة تصديقا مطلقا، وبها حاولوا تقديم البراهين على أنه من الضرورى جدا حفظ الفصح وعيد الفطير بعد الاعتدال· على أننى أتحاشى طلب هذا النواع من البراهين عن أمور أزيل عنها برقع ناموس

(١٠) فيلسوف اسكندرى عاش فى القرن الثانى قبل المسيح· وكان خبيرا بالفلسفة اليونانية·

موسى، حتى أننا الإن أخيرا ننظر دواما بوجه مكشوف، كما فى مرآة، المسيح وتعاليم المسيح وآلامه. [١١] أما أن شهر العبرانيين الأول كان قريبا من الاعتدال فهذا ما تبينه أيضا تعاليم سفر أخنوخ[١٢]».

(٢٠) وترك نفس الكاتب أيضا مؤلفا عن «القوانين الحسابية» فى عشرة كتب، وبراهين أخرى عن خبرته ومقدرته في الروحيات.-

(٢١) وقد رسمه أولا ثيوتكنس أسقف قيصرية فلسطين أسقفا، قاصدا بذلك أن يخلفه فى أبروشيته بعد موته. ولقد رأسا معا الكنيسة فترة قصيرة. على أن المجمع الذى عقد للنظر فى قضية بولس استدعاه إلى انطاكية. وبينما هو يجتاز مدينة لاودكية حجزه الاخوة هناك إذ كان يوسابيوس قد مات.

(٢٢) وبعد أن ارتحل من هذه الحياة كان استفانوس هو آخر أسقف فى تلك الأبروشية قبل الاضطهاد. وكان الكثيرون يعجبون به بسبب درايته بالفلسفة وسائر العلوم اليونانية. ولكن ايمانه لم يكن فى نفس القوة كما دل على ذلك ازدياد الاضطهاد الذى أظهره جبانا لا فيلسوفا حقيقيا.

(٢٣) على أن هذا لم يسبب للكنيسة أذى خطيرا، لأن ثيودوتس أصلح أحوالهم إذ أقامه الله نفسه مخلص الجميع أسقفا لتلك الأبروشية بعد ذلك مباشرة. وقد أثبت بأعماله إنه خليق باسمه النبيل[١٣] وبمركزه كأسقف. لأنه تفوق فى فن طب الأجساد وفن شفاء الأرواح. ولم يعادله انسان آخر فى الشفقة والإخلاص والعطف والغيرة فى مساعدة المحتاجين إلى مساعدته. وكان أيضا منكبا على دراسة الروحيات. هكذا كانت حياة هذا الرجل.

(٢٤) وفى قيصرية فلسطين أقيم أغابيوس خلفا لثيوتكنس الذى أكمل واجبات الأسقفية بكل غيرة. والذى نعرفه أنه هو أيضا جاهد بكل نشاط، وأظهر حكمة عظيمة فى رعاية شعبه، ومظهرا، بصفة خاصة، عناية لأجل الفقراء بسخاء.

---

(١١) ٢ كو ٣ : ١٨.

(١٢) أحد الأسفار المزعوم أنها ضمن أسفار العهد القديم. رسالة يهوذا عدد ١٤ والكنيسة الأثيوبية هى الوحيدة التى تعتقد بقانونيته.

(٢٥) وفى عصره تعرفنا ببمفيلوس،[١٤] ذلك الرجل الفصيح، الفيلسوف، الذى اعتبر جديرا برتبة القسوسية فى تلك الأبروشية. وليس بالأمر الهين أن نبين طبيعة ذلك الرجل أو من أين أتى. على أننا قد بينا - فى مؤلفنا الخاص عنه - جميع تفاصيل حياته والمدرسة التى أسسها، والمحن التى احتملها فى اعترافات كثيرة أثناء الإضطهاد، واكليل الشهادة الذى توج به أخيرا. ولقد كان فى الواقع أبرز جميع من كانوا هناك.

(٢٦) ومن أقرب الأشخاص إلى عصرنا بيريوس[١٥] أحد قسوس الاسكندرية، وميليتيوس أسقف كنائس بنطس، ويندر أن يوجد نظيرهما.

(٢٧) اشتهر الأول بفقره الشديد وعلومة الفلسفية الغزيرة، وكان عميقا فى التأملات الروحية، مجدا فى تفسير الروحيات والمباحثات العلنية فى الكنيسة. أما ميليتيوس الذى لقبه العلماء «عسل اتيكا» فقد وصفه الجميع بأنه برز فى كل أنواع العلوم، ومن المستحيل وصف براعته الخطابية وصفا كافيا. قد يقال إنه ملك هذه الموهبة بالطبيعة، ولكن من ذا الذى يفوقه فى سموا اختباراته وسعة اطلاعه؟

(٢٨) لأنك لو اختبرته ولو مرة واحدة فى جميع أنواع العلوم لقلت إنه أقدر وأمهر المتعلمين. وعلاوة علي هذا فقد كانت فضائله سامية جدا. وقد راقبناه جيدا فى أيام الاضطهاد عندما هرب من نيرانها سبع سنوات كاملة فى أقاليم فلسطين.

(٢٩) وقد أقيم زامبداس أسقفا على كنيسة أورشليم بعد الأسقف هيمينايس السابق ذكره.[١٦] وهذا مات بعد وقت قصير وارتقى هرمون - الأخير قبل الاضطهاد الحاصل على عصرنا - الكرسى الرسولى الذى بقى هناك حتى العصر الحاضر.

---

(١٣) ثيودوتس معناها عطية الله.

(١٤) كان بمفيلوس قسا فى قيصرية وهو معلم يوسابيوس صاحب هذا الكتاب. وقد أكمل دراسته فى الإسكندرية. جمع مكتبة عظيمة فى قيصرية كانت أهم مرجع ليوسابيوس. وكان شغوفا جدا بأوريجانوس حتى إنه كتب - بمساعدة يوسابيوس - مؤلفا فى «الدفاع عن أوريجانوس» فى خمسة كتب - وأضاف إليها يوسابيوس سادسا.

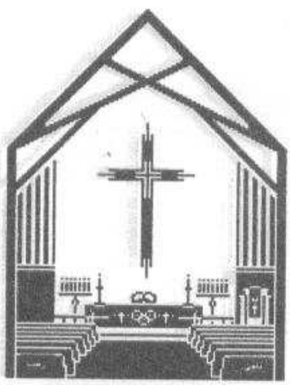
(١٥) Pierlus كان من زقدر الشخصيات حتى دعى «أوريجانوس الصغير».

(١٦) ف ١٤.

(٣٠) وفى الإسكندرية أقيم ثيوناس (ثاونـا)[١٧] خلفا لمكسيموس[١٨] الذى ظل أسقـفا ثمانى عشرة سنة بعد موت ديونيسيوس.[١٩] وفى عصـره اشتهر اكيلا الذى أقيم قسا فى الإسكندرية فى نفس الوقت مع بيريوس. وقد عهدت إليه ادارة مدرسة الإيمان المقدس. وأظهر ثمار الفلسفة بكيفية ممتازة، كما كان مبشرا قديرا.

(٣١) وبعـد أن ظل ثيـوناس فى الأسـقفـيـة تسع عـشـرة سنة أقيـم بطرس[٢٠] أسقـفـا فى الإسكندرية، «وكان بارزا جـدا بينهم اثنى عشرة سنة كاملة، قـضى منها أقل من ثلاث سنوات فى ادارة الكنيسـة قبل الاضطهاد، كـما قضى بقـية أيام حياته فى الـزهد الشديد، وعنى بأحوال الكنائس العـامة جهارا. لهذا قطعت رأسه فى السنة التاسعة من الاضطهاد، وكلل باكليل الشهادة.

(٣٢) وإذ دوّنا فى هذه الكتب وصف آباء الكنيـسة من ولادة مخلّصنا إلى هدم أماكن العـبادة، وهى فترة ثلاثـمائة وخمس سنوات، اسمح لى بالانتـقال إلى نضال أولئك الذين كافـحوا فى أيامنا من أجل المسيحية، لكى نترك للأجيال القادمة وصفا كتابيا عن مدى وعظمة هذا النضال.



(١٧) قال ناشر الترجمة الانكليزية لهذا المؤلف إن ثيموناس كتب رسالة هامة وعجيبة إلى لوسيان رئيس وزراء الامبراطور، تتضمن بعض نصائح له فيما يتعلق بمهام مـركزه، وإن الرسالة لا تزال باقية إلى الآن. وترجمت إلى الانكليزية ونشرت بالمجلد السـادس من كتاب «الإباء السابقين لمجمع نيقيـة» بالصفحات ١٥٨ - ١٦١. ويرجع الناشر أن الامبراطور المشار إليه هو دقلديانوس.

(١٨) ف ٢٨.

(١٩) فيما يتعلق بديونيسيوس انظر بصفة خاصة ك ٦ ف ٤٠.

(٢٠) هو الأنبا بطرس خـاتم الشهداء والبطريرك السـابع عـشر. وقد ورد ذكره أيضـا فى ك ٨ ف ١٣، ك ٩ ف ٦. قال ناشر الترجمة الانكليـزية إنه كتب ١٤ قانونا تتضمن بعض الارشادات للساقطين ولا تزال باقيـة، وقد نشرت فى كتاب «الإباء السـابقين لمجمـع نيقية» ص ٢٦٩ - ٢٧٨، كمـا كتب مؤلفا عن الفصح، وآخـر عن اللاهوت، وثالثا عن مجىء المخلص، وآخر عن النفس.

الكتاب الثامن

مقدمة

وإذ بينا فى سبعة كتب الحوادث التى حدثت من وقت الرسل، نراه مناسبا - فى هذا الكتاب الثامن - أن ندون للاجيال القادمة قليلا من أهم حوادث عصرنا التى تستحق التسجيل الدائم. وستبدأ روايتنا من هذه النقطة.

الفصل الأول

الحوادث السابقة للاضطهاد الذى تم فى عصرنا

(١) إنه لأمر فوق طاقتنا أن نصف بطريقة ملائمة مدى وطبيعة المجد والحرية اللتين أكرمت بهما بين جميع البشر، يونانيين وبربريين، قبل الاضطهاد الحاصل فى عصرنا، كلمة تقوى إله الكون، التى أعلنت للعالم فى المسيح.

(٢) يؤيد هذا ما وجده شعبنا من حظوى لدى الحكام. إذ أنهم عهدوا إليهم بحكم المقاطعات. وبسبب الترحيب العظيم الذى رحبوا به بتعاليمهم أعفوهم من هم تقديم الذبائح للاوثان.

(٣) وهل هنالك أية ضرورة للتحدث عمن فى القصور الملكية والحكام الرئيسيين الذين سمحوا لأعضاء عائلاتهم وزوجاتهم[١] وأطفالهم وخدمهم بالتحدث أمامهم علانية عن الكلمة الإلهية والحياة الروحية، كما سمحوا لهم أيضا بالإفتخار بحرية إيمانهم. والواقع إنهم كانوا يجلونهم جدا، وكانوا يفضلونهم عن زملائهم الخدام.

(٤) من بين هؤلاء دوروثيوس،[٢] وهو من اتقى الجميع وأكثرهم اخلاصا لهم، ولذا فإنهم بصفة خاصة يكرمونه بين ذوى المناصب الرفيعة. واشتهر معه أيضا جورجو نيوس.[٣] وكثيرون ممن استحقوا نفس الإكرام بسبب كلمة الله.

---

(١) كانت بريسكا زوجة دقلديانوس، وفاليريا أخته، وكذا زوجته غاليريوس، تعطف على المسيحين.

(٢) ورد ذكره أيضا فى ف ٦.

(٣) ورد ذكره أيضا فى ف ٦ وكان من البيت الملكى، وقد شنق مع دوروثيوس وآخرين بسبب حريق قصر نيكوميديا.

(٥) وكان المرء يستطيع أن يرى قادة كل الكنائس ينالون أعظم اكرام من الولاة والحكام.

وكيف يستطيع أى امرىء وصف تلك الإجتماعات العظيمة، والجماهير التى اكتظت معا فى كل مدينة، والإجتماعات الرائعة فى بيوت الصلاة. الأمر الذى بسببه لم يكتفوا بالأبنية القديمة بل أسسوا كنائس عظيمة جديدة فى كل المدن.

(٦) لم يكن الحسد حائلا دون تقدم هذه الأمور التى تقدمت تدريجيا، ونمت وازدادت يوما بعد يوم، كما إنه لم يستطيع أى روح شرير أن يفترى عليهم، أو يعطلهم بالتدابير البشرية طالما كانت اليد الإلهية السماوية تسهر على شعبه وتحرسهم.

(٧) ولكن عندما سقطنا فى التراخى والكسل - بسبب زيادة الحرية - وصرنا نحسد ونهين بعضنا بعضا، ونشهر العداء ضد بعضنا البعض، فالرؤساء يهاجمون الرؤساء بالكلمات القارسة كالحراب، والشعب يؤلب الأحزاب ضد الشعب، وبلغ الرياء والنفاق أعظم حدود الشر، فإن العدل الإلهى، ممتزجا بالصبر والاحتمال وطول الأناة، سمح بإزعاج الأسقفية بلطف واعتدال.

(٨) بدأ هذا الاضطهاد بالإخوة الذين فى الجيش. ولكننا لم تكن لنا الغيرة الكافية للدفاع عن اللاهوت، كأننا قد فقدنا كل احساس، وظن البعض كالملحدين أن شئوننا متروكة بغير رعاية، وهكذا أضفنا شرا إلى شر. والذين كانوا يوقرون رعاتنا نبذوا قيود التقوى فصاروا يحاربون بعضهم بعضا، ولم يفعلوا شيئا آخر سوى تكديس المنازعات، والتهديدات، والغيرة، والعداوة، والبغض نحو بعضهم البعض، كالطغاة الذين يتلهفون على اظهار قوة بطشهم. وتمت فيهم كلمة أرميا «غطى السيد بغضبه ابنة صهيون. ألقى من السماء إلى الأرض فخر اسرائيل ولم يذكر موطىء قدميه فى يوم غضبه. ابتلع السيد أيضا كل ما هو جميل فى اسرائيل، نقض كل حصونه.[٤]

(٩) ووفقا لما تنبأت به المزامير «نقض عهد عبده. نجس مقدسه فى التراب - بتخريب الكنائس - هدم كل حصونه وجعل قلاعه جبانة. نهب كل عابرى الطريق جمهور الشعب. صار عارا عند جيرانه. لأنه رفع يمين أعدائه، ورد معونة سيفه، ولم يأخذ نصيبه فى الحرب. بل حرمه من التطهير، وألقى عرشه إلى الأرض. قصر أيام زمانه. وفوق الكل سكب عليه خزيا».[٥]

---

(٤) (مراثى ٢ : ١و٢).

(٥) (مز ٨٩ : ٣٩ - ٤٥).

الفصل الثانى

هدم الكنائس

(١) كل هذا تم فينا عندما رأينا بأعيننا بيوت الصلاة تهدم إلى الأساس، والأسفار المقدسة الإلهية تلقى فى النار وسط الأسواق، ورعاة الكنائس يختبئون بخزى هنا وهناك، ويلقى القبض عليهم بحالة مزرية ويهزأ بهم من أعدائهم. كذلك أيضا عندما تمت الكلمة النبوية «انسكب الهوان على الرؤساء وأضلهم فى تيه بلا طريق».[١]

(٢) وليس هذا مجالنا لوصف البلايا المحزنة التى حلت بهم أخيرا، لأننا لا نراه لائقا أن نسجل انقساماتهم وتصرفاتهم المعيبة بعضهم نحو بعض قبل الاضطهاد. لذلك اعتزمنا أن لا نروى عنهم شيئا إلا ما نراه ضروريا لاظهار العدل الإلهى.

(٣) لذا فلن نذكر شيئا عمن تزعزعوا أمام الاضطهاد، أو الذين انكسرت بهم السفينة من أجل الخلاص، أو الذين غرقوا فى أعماق الطوفان بارادتهم. بل سندون بصفة عامة فى هذا السفر التاريخى تلك الحوادث فقط التى قد تكون نافعة لنا أولا، وبعد ذلك للاجيال القادمة. فلنبدأ إذن بوصف موجز عن المعارك المقدسة التى انخرط فيها شهود الكلمة الإلهى.

(٤) فى السنة التاسعة عشرة من حكم دقلديانوس،[٢] فى شهر ديستروس، الذى يسميه الرومانيون مارس، إذ كان عيد آلام المخلص قد قرب، أذيعت أوامر ملكية فى كل مكان تأمر بهدم الكنائس إلى الأساس، وحرق الكتب المقدسة فى النار، وطرد جميع ذوى المناصب الرفيعة، وحرمان خدم البيت من الحرية إذ أصروا على الإعتراف بالمسيحية.

(٥) هذا هو الأمر الأول الصادر ضدنا. وبعد ذلك بوقت قصير صدرت أوامر أخرى تأمر بأن جميع رؤساء الكنائس فى كل مكان يجب أن يزجوا فى السجن أولا، وبعد ذلك يلزموا بالذبح للاوثان بعد استخدام كل حيلة معهم.

---

(١) (مز ١٠٧ : ٤٠).

(٢) بدأ حكم دقلديانوس فى ١٧ سبتمبر سنة ٢٨٤ فتكون السنة التاسعة عشرة قد بدأت فى ١٧ سبتمبر ٣٠٣.

الفصل الثالث

طبيعة المعارك التى تحملوها فى الاضطهاد

(١) والواقع إن الكثيرين من رؤساء الكنائس تحملوا بحماسة آلاما مبرحة، وقدموا أمثله للكفاح النبيل. على آخرين كثيرين إذ خارت عزائمهم بسبب الخوف، وهنت قواهم بسهولة فى بداية الأمر. أما الباقون فقد تحمل كل واحد أنواعا مختلفة من التعذيب. فجلد الواحد بالعصى، وعذب الآخر بالأمشاط المدببة بكيفية لا تحتمل، حتى إنها كانت تسبب الموت الشنيع للبعض.

(٢) ومكابد للأخرون معارك مختلفة، فالواحد كان المحيطون به يدفعونه بالقوة ويجرونه إلى الذبائح النجسة الكريهة، ومن ثم يطردونه كأنه قد ضحى للأوثان، مع أنه لم يضح. والأخر مع إنه لم يقرب إليها على الأطلاق، ولا مس أن نجس، كان ينصرف حاملا التهمة فى صمت، إن قال الأخرون أنه ضحى للاوثان. والأخر إذ كان يرفع وهو على وشك الموت، كان يطرح جانبا كأنه قد مات فعلا.

(٣) والآخر إن وجد راقدا على الأرض كل يجر مسافة طويلة من قدميه، ويحسب ضمن من ذبحوا للاوثان. والواحد كان يصرخ وبصوت عال يشهد بأنه يرفض أن يضحى. والأخر يصيح بأنه مسيحى، مفاخرا بالاعتراف بالاسم المخلص والأخر يحتج بأنه لم ولن يضحى. ولكنهم كانوا يضربون على الفم ويسكتون بواسطة فرقة كبيرة من الجنود أتى بهم لهذا الغرض.

(٤) وكانوا يضربون على الوجه والخد ويطردون بعنف. وكما كان أعداء التقوى يبذلون كل ما فى وسعهم ليتظاهروا بأنهم أتموا غرضهم.

ولكن كل هذه الأمور لم تجدهم نفعا ولم تنلهم غرضهم من الشهداء الأطهار، الذين لا تكفى كلماتنا لكتابة وصف دقيق عنهم.

الفصل الرابع

شهداء الله المشهورون الذين ملأوا كل مكان بذكرياتهم ونالوا أكاليل مختلفة دفاعا عن المسيحية

(١) ونحن نستطيع التحدث عن الكثيرين ممن اظهروا غيرة عجيبة من أجل ديانة إله الكون، ليس فقط منذ بدء الاضطهاد العام، بل قبل ذلك بوقت طويل، إذ كان السلام لا يزال سائدا.

(٢) لأنه بالرغم من إن ذاك الذى تشدد تظاهر الآن كأنه قد استيقظ من نوم عميق، إلا أنه منذ عهد ديسيوس وفالريان كان يتآمر سرا ضد الكنائس وبدون انذار. وهو لم يشهر الحرب ضد جميعنا مرة واحدة، بل بدأ مجهوده أولا مع من فى الجيش فقط. لأنه افترض امكانية أخذ الباقين بسهولة لو إنه هجم على هؤلاء أولا وأخضعهم. لذلك كان الكثيرون من الجند يعيشون حياة العزلة لكى لا ينكروا عبادتهم لخالق الكون.

(٣) لأنه لما بدأ قائد الجيش - أيا كان - يضطهد الجند، عازلا اياهم فى جماعات، وفارزا أولئك المدرجين فى الجيش، مخيرا اياهم بين الطاعة لينالوا شرف مراكزهم، أو الحرمان منها إن رفضوا اطاعة الأوامر، فإن عددا كبيرا من جند ملكوت المسيح لم يترددوا فى أن يفضلوا فى الحال الاعتراف به عن المجد المزعوم، والمراكز التى كانوا يتمتعون بها.

(٤) وكانوا، الواحد بعد الاخر، من وقت لاخر، لا يخسرون مراكزهم فحسب، بل ينالون الموت من أجل ثباتهم المبارك. على أن منشىء هذه المؤامرة بدأ الأمر باعتدال، وإلى ذلك الوقت لم يلجأ إلى سفك الدماء، إلا فى بعض حالات قليلة. لأن كثرة عدد المؤمنين بعثت فيه الخوف على ما يظهر، ومنعته من اشهار الحرب مرة واحدة ضد الجميع.

(٥) ولكنه لما هجم بأكثر جسارة، فإنه يستحيل علينا التحدث عن عدد ونوع شهداء الله بين سكان كل المدن والممالك.

الفصل الخامس

الذين في نيكوميديا[١]

(١) وحالما أذيع الأمر الملكى ضد الكنائس فى نيكوميديا تقدم شخص معين، لم يكن خامل الذكر · بل ذا مركز رفيع، حركته الغيرة لله واشتعلت فيه نيران الإيمان، وأمسك بالأمر الملكى إذ كان معلقا علانية، ومزقه اربا كشىء دنس وقح · [٢] وقد تم هذا بينما كان اثنان من الملوك[٣] فى نفس المدينة · كان الأول أكبر الجميع سنا، والثانى يحتل رابع مكان فى الحكم بعده ·

(٢) على أن هذا الشخص، وقد كان أول شهداء ذلك المكان، بعد أن أبرز نفسه بهذه الكيفية، تحمل تلك الآلام التى كان محتما أن تنتج عن جراة كهذه، وظل محتفظا بالثبات وبهجة الروح حتى الموت ·

الفصل السادس

الذين فى القصر

(١) وقد أبرز هذا العصر شهداء أجلاء، كان يتغنى بمدحهم، اشتهروا بالشجاعة، سواء بين اليونانيين أو البربريين، فى شخص دوروثيوس[١] والخدم الذين كانوا معه فى القصر · ومع أنهم نالوا من سادتهم اكرام، وعوملوا منهم كأبنائهم، فقد حسبوا الاهانات والمحن من أجل المسيحية، وأنواع الموت الكثيرة التى اخترعت من أجلهم غنى أعظم من كل أمجاد وتنعمات هذه الحياة ·

---

(١) عاصمة بيثينيا · جعلها دقلديانوس عاصمة الامبراطورية فى الشرق ·

(٢) ويقال إن هذا الشخص هو القديس العظيم مارجرجس ·

(٣) أى دقلديانوس وغاليروس ·

---

(١) انظر ف ١ ·

ولنصف الآن الكيفية التى بها أنهى أحـدهم حياتـه، ونترك لقرائنا أن يستنتجوا مـن حـالته الام الآخرين.

(٢) فقد قدم شخص فـى المدينة السابق ذكرها أمام الحاكمين السابق التحـدث عنهما، وأمر بأن يضحى للاوثان، ولكنه إذ رفض صـدر الأمر بإن يعرى ويرفع ويضرب بالعصى على كل جسـمه إلى أن يطيع ما أمر به رغم أنفه بعد أن يغلب على أمره.

(٣) ولكنه إذ لم تزعزعه هذه الآلام، وقد ظهرت عظامه، مزجوا خلا وملحا وصبوا المزيج على أجزاء جسـمه المتهرئة. وإذ هزأ بهذه الآلام أتوا بمشـواة ونار، ووضعت بقية جسـمه على النار، كاللحم الذى يشوى للاكل، ولم يتم ذلك فى الحـال بل قليلا قليلا لئـلا يموت سريعا. ولم يسمح لمـن وضعوه فوق كومة الحطب المعدة للاحراق بأن يكفوا إلا إن أطاع الأوامر بعد هذه الآلام.

(٤) ولكنه تلقى الأمر بثبات، وأسلم الروح بانتصار عظيم، بينما كان التعذيب لا يزال مستمرا. هكذا كان استشهاد أحد خدم القصر، الذى كان جديرا باسمه، إذ كان يدعى بطرس.

(٥) وسنضـرب صفحـا عن استـشهـاد الباقين - من باب الإيجـاز - ولو لم يكونوا أقل منه، ذاكرين فقط دوروثيوس وجورجونيوس، مع كثيـرين من خدم البيت الملكى أنهوا حياتهم شنقا، بعد الام متنوعة، حاملين علامات النصر الإلهى.

(٦) فى هذا الوقت قطعت رأس أنثيـموس رئيس كنيسة نيكومـيديا من أجل شهادته للـمسيح. وقد أضيف إليه عدد غفير من الشهداء، إذ شبت النيران فى تلك الأيام فى قصر نيكوميديا، ولست أدرى كيف شبت، ولكن شعبنا اتهم زورا باشعالها. وقـد حكم بالاعدام على عائلات بأكملها من من الأتقياء فى ذلك المكان بناء على أمر ملكى، البـعض بالسيف، والاخرون بالنار. وقيل إن الرجـال والنساء كانوا يندفعون إلى النار بغـيرة الهية لا توصف. وربط منفذو الاعـدام كثيرين آخرين، ووضـعوهم فى سفن، وألقوهم فى أعماق البحر.

(٧) أما سادتهم فقـد رأوا أنه من الضرورى اخراج جثث خدم الامبـراطور التى كانت قد دفنت بتوقير واجلال وطرحها فى البحر لئلا يعبدها أحد كآلهة وهى فى قبورها كزعمهم.

هذا ما حدث فى نيكوميديا فى بداية الاضطهاد.

(٨) وبعد ذلـك بقليل حاول بعض الأشـخاص فى المملكة التى تدعى ملتـين،[٢] وآخرون فى

---

(٢) Melitene فى كبادوكية الشرقية.

سوريا، أن يقلبوا الحكومة، فصدر أمر ملكى يأمر بأن يزج رؤساء الكنائس فى كل مكان فى السجون ويوثقوا بالقيود.

(٩) أما ما رؤى بعد هذا فإنه يفوق كل وصف. فقد سجن عدد وفير فى كل مكان، وامتلأت السجون، فى كل الأرجاء، المعدة للقتلة ولصوص المقابر، وبالأساقفة والقسوس والشمامسة، والقراء وطاردى الأرواح النجسة، حتى لم يبق فيها مكان للمجرمين.

(١٠) وإذ صدرت أوامر ملكية أخرى بعد الأمر الأول، آمرة باطلاق من في السجون أحرارا إن ذبحوا للاوثان، أما من يرفضون فيجب أن يعذبوا بألوان مختلفة من التعذيب. وكيف يستطيع أى امرىء احصاء عدد الشهداء العظيم فى كل قطر، سيما فى افريقيا، وموريتانيا، وطيبة، ومصر؟ ومن هذه المملكة الأخيرة ذهب الكثيرون إلى مدن وأقطار أخرى، وتلألأت نجومهم بالاستشهاد.

الفصل السابع

المصريون فى فينيقية

(١) ونحن نعرف الذين برزوا منهم فى فلسطين، وكذا من كانوا فى صور بفينيقية.[١] ومن ذا الذى رآهم ولم يدهش بسبب الجلدات التى لا حصر لها والثبات العجيب الذى أظهره فى أثنائها أولئك الأبطال؟ وصراعهم، بعد الجلد مباشرة، مع الوحوش الكاسرة، إذ طرحوا أمام النمور والدبب والخنازير البرية والثيران التى نخست بالنيران والحديد المحمى، وقوة الاحتمال العجيبة التى أظهرها هؤلاء النبلاء فى وجه كل أنواع الوحوش البرية.

(٢) ونحن أنفسنا كنا حاضرين عندما تمت هذه الحوادث، ودونا قوة مخلصنا يسوع المسيح الإلهية التى تجلت وأظهرت نفسها بقوة فى الشهداء. وقد ظلت الوحوش الملتهمة البشر وقتا طويلا لا تتجاسر على أن تلمس أو تقترب من أجساد أعزاء الله هؤلاء، بل هجمت على الاخرين الذين كانوا

---

(١) مما ورد فى «شهداء فلسطين» التالى لهذا الكتاب الثامن نرى أن الكثيرين من مسيحيى مصر أرسلوا إلى فلسطين للعمل مناجمها، وذلك فى السنة السادسة من الإضطهاد وما بعدها.

يستحثونها من الخارج ويحفزونها · ولم يجرؤ قط على أن تمس الأبطال المباركين وهم واقفون وحدهم عرايا يلوحون بأيديهم إليها ليقربوها إلى أنفسهم حسب الأوامر الصادرة إليهم · ولكنها كلما هجمت عليهم كانت تقف وتتراجع كأن قوة إلهية قد صدتها ·

(٣) ظل هذا وقتا طويلا، وأحدث دهشة كبيرة للمتفرجين · ولما كان الوحش الأول لا يفعل شيئا كان يطلق سراح وحش ثان وثالث، ضد نفس الشهيد الواحد ·

(٤) ولم يكن المرء يتمالك نفسه من الدهشة أمام الثبات الذى لا يقهر، الذى أبداه هؤلاء المباركون، والصبر الذى لا يتزعزع الذى أظهره أولئك الذين كانت أجسادهم لا تزال غضة · فكنت ترى شابا لم يكمل بعد السنة الثانية والعشرين واقفا غير موثق، وباسطا يديه على شكل صليب، بعقل غير متخوف، أو مرتعب، منشغلا فى صلاة حارة لله، دون أن يتراجع على الاطلاق عن المكان الذى وقف فيه، بينما تكاد النمور والدبب تلمس جسده وهى تنفث تهديدا وقتلا · ومع ذلك ظلت أفواهما مغلقة (ولست أدرى كيف كان ذلك) بقوة إلهية لا تدرك، وعادت ثانية إلى مكانها ·

هذا ما كان من أمر هذا الشخص ·

(٥) وكنت ترى آخرين - لأنهم كانوا خمسة - طرحوا أمام ثور برى كان يقذف فى الهواء بقرنيه كل من اقترب إليه من الخارج، ويمزقه، ويتركه بين حى وميت · ولكنه عندما هجم بوحشية على الشهداء الإطهار، وكانوا واقفين وحدهم، لم يستطع أن يقترب منهم · ورغم أنه رفس بقدميه، أو بهز قرنيه فى كل جهة، ونفث تهديدا وقتلا، بسبب تهيجه من الحديد المحمى الذى كان ينخس به، فقد تراجع إلى الوراء بقوة إلهية · وإذ لم يلحق بهم أى أذى أطلقوا عليهم وحوشا أخرى ·

(٦) وأخيرا، وبعد هذه الهجمات المروعة عليهم، قتلوا جميعا بالسيف · وبدلا من دفنهم فى الأرض طرحوا فى أعماق البحر ·

الفصل الثامن

الذين فى مصر [١]

(١) هذا ما كان من أمر نضال هؤلاء المصريين الذين كافحوا ببسالة من أجل المسيحية فى مدينة صور. ولكننا نعجب أيضا بمن استشهدوا فى وطنهم، حيث مات ميتات مختلفة ألوف من الرجال والنساء والأطفال، محتقرين الحياة الحاضرة من أجل تعاليم مخلصنا.

(٢) فالبعض ألقوا فى النيران بعد كشط أجسادهم، وجلدها جلدات قاسية جدا، وأنواع لا عدد لها من التعذيب بطريقة تقشعر منها الأبدان، حتى من مجرد سماعها. والبعض أغرقوا فى البحر. والبعض قدموا رؤوسهم بشجاعة لمن قطعوها. والبعض ماتوا تحت أيدى معذبيهم. والآخرون هلكوا جوعا، وآخرون صلبوا، بعضهم بالطريقة المعتادة لصلب المجرمين، والآخرون بطريقة أشنع إذ كانوا يسمرون على الصليب ورؤوسهم منكسة إلى أسفل، ويتركون أحياء على الصليب حتى يموتوا جوعا.

الفصل التاسع

الذين فى طيبة [١]

(١) من المستحيل وصف التعذيبات التى تكبدها الشهداء فى طيبة. فقد كانت تكشط كل أجسادهم بالمحار بدل المناجل حتى يموتوا. وكانت النساء توثقن من احدى القدمين ويرفعن فى الجو بماكينات خاصة، وبأجسامهن عارية ويعرض هذا المنظر المخجل القاسى لكل المتفرجين.

(٢) والاخرون كانوا يقضون إذ يوثقون لفروع الأشجار وجذوعها. لأنهم كانوا يقربون أضخم الفروع إلى بعضها بماكينات، ويوثقون إليها أطراف الشهداء، ثم يتركون الفروع لتعود إلى وضعها الأصلى، وهكذا تتمزق فى الحال أعضاء من دبروا لهم هذه الطريقة.

---

(١) قال ناشر الترجمة الانكليزية: لم يقاس أى جزء فى العالم المسيحى أثناء تلك السنوات ما قاسته منطقة الظالم مكسيمينوس الذى كان يحكم على مصر وسوريا.

---

(١) Thebais أحد الأقاليم الثلاثة التى كانت تتكون منها مصر. وكانت طيبة كما يقول الناشر تقع بين مصر السفلى واثيوبيا.

(٣) استمرت كل هذه الأمور لا أياما قليلة أو وقتا قصيرا بل سنوات طويلة. فى بعض الأحيان كان يحكم بالاعدام على أكثر من عشرة، وفى أحيان أخرى على أكثر من عشرين. وفى بعض الأحيان كان العدد لا يقل عن ثلاثين، بعد ذلك وصل إلى ستين. وفى أحيان أخرى كان يقتل فى يوم واحد مائة رجل عدا الأطفال والنساء، بعد أن يعانوا ألوانا مختلفة من التعذيب.

(٤) ونحن أيضا إذ كنا معاينين الأمر بأنفسنا رأينا جماهير غفيرة فى يوم واحد، كان البعض تقطع رؤوسهم، والاخرون يعذبون بالنيران. حتى كل حد السيف، وإذ ضعف انكسر، ووهنت قوى منفذى الاعدام فكانوا يتبادلون الأمر معا للاستراحة.

(٥) وشاهدنا الحماسة العجيبة جدا، والنشاط والغيرة التى أبداها من آمنوا بمسيح الله. لأنه حالما كان يصدر الحكم على أول شخص كان الباقون يندفعون الواحد تلو الآخر إلى كرسى القضاء، ويعترفون بأنهم مسيحيون. وكانوا لا يبالون بأشد أنواع التعذيب فيعترفون بكل جرأة وبسالة بديانة إله الكون. وكانوا يتقبلون حكم الموت النهائى بفرح وضحك وبشاشة. لذلك كانوا يرنمون ويتهللون ويقدمون التسابيح والتشكرات لإله الكون إلى النفس الأخير.

(٦) كان هؤلاء يدعون فعلا إلى العجب والدهشة، ولكن الذين يدعون إلى دهشة أشد هم أولئك الأشخاص الذين يمتازون بسبب ثروتهم أو محتدهم أو مراكزهم أو علمهم وفلسفتهم، الذين حسبوا كل شىء ثانويا بجانب الديانة الحقيقية والإيمان بمخلصنا وربنا يسوع المسيح.

(٧) من بين هؤلاء فيلورومس[٢] الذى كان يشغل مركزا ممتازا فى الحكومة الامبراطورية بالإسكندرية، والذى كان يجرى العدل كل يوم. وكان يحف به حرس حربى كما يليق بمقامه ومركزه الرومانى الرفيع. وكذا فيلياس أسقف كنيسة ثمويس،[٣] وهو رجل اشتهر بمحبته لوطنه والخدمات التى أداها لبلاده وعلومه الفيلسوفية.

(٨) ورغم أن الكثيرين من أقارب هذين الشخصين وأصدقائهما، والكثيرين من ذوى المناصب الرفيعة، بل القاضى نفسه، رجوهما بالحاح أن يشفقوا على نفسيهما ويرحما أولادهما وزوجتيهما إلا أنهما لم تؤثر فيهما كل هذه التوسلات ليختارا الحياة ويحتقرا أوامر مخلصنا فيما يتعلق بالاعتراف والأفكار. ولكنهما ثبتا أمام تهديدات واهانات القاضى، بكل بسالة وعزم ثابت، بل بنفس تقية محبة لله. وأخيرا قطعت رأس كل منهما.

---

(٢) قال عنه فالسيوس إنه كان وزير المالية فى مصر.

(٣) Thmuis كانت مدينة مشهورة فى الوجة البحرى. أما فيلياس Phileas فكان من أقدر رجال الكنيسة.

الفصل العاشر

كتابات فيلياس الشهيد فى وصف حوادث الإسكندرية

(١) وطالما كنا قد ذكرنا بأن فيلياس كانت له شهرة عظيمة فى العلوم العالمية فليشهد لنفسه فى العبارة المقتبسة من كتاباته التى يكشف لنا فيها عن شخصيته، وفى نفس الوقت يصف - بتدقيق أكثر منا - الاستشهادات التى حدثت فى عصره فى الإسكندرية.

(٢) «إن الشهداء المباركين الذين كانوا معنا، إذ كانت أمامهم كل هذه الأمثلة، والعينات المباركة المعطاة لنا فى الأسفار المقدسة، لم يترددوا مطلقا، بل ثبتوا أعين نفوسهم باخلاص نحو الله العلى، وإذ ركزوا تفكيرهم فى الموت من أجل المسيحية، ثبتوا فى دعوتهم بعزم وطيد. لأنهم عرفوا أن ربنا يسوع المسيح تأنس من أجلنا لكى يقطع كل خطية، ويمدنا بوسائط دخول الحياة الأبدية. لأنه لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله. لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد. وإذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه حتى الموت موت الصليب[١]»

(٣) «وإذ كان هؤلاء الشهداء حاملو المسيح غيورين أيضا للمواهب الأفضل، تحملوا كل المحن وكل أنواع المؤامرات والتعذيب، لامرة واحدة فقط، بل بعضهم مرتين. وبالرغم من أن الحراس تنافسوا مع بعضهم البعض فى تهديدهم بكل الأنواع والطرق، لا بالكلام فقط بل بالأعمال، فإنهم لم ينثنوا عن عزمهم، لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج.[٢]

(٤) «وأية كلمات تستطيع وصف شجاعتهم وبسالتهم وسط كل تعذيب؟ وإذ أعطيت الحرية لكل من أراد الإساءة إليهم كان البعض يضربونهم بالعصى، والإخرون بهراوات، والآخرون بجلدات، والبعض بكرابيج، واخرون بحبال».

(٥) «أما النظارة فقد اختلفت درجت هياجهم، والكل أظهروا سخطا شديدا. وكان البعض يشدون على الدهق،[٣] وقد أوثقت أيديهم خلفهم، وكل عضو يشد بآلة خاصة. بعد ذلك يؤمر المعذبون بتمزيق كل أجسادهم بالات التعذيب، ليس فقط جنبهم كما هو مع القتلة، بل أيضا بطونهم وركبهم وخدودهم. والآخرون كانوا يرفعون إلى فوق ويعلقون من أحدى أيديهم، فيقاسون الأهوال المروعة وذلك بجذب أطرافهم ومفاصلهم. وغيرهم كانوا يوثقون إلى الأعمدة دون أن يستقروا على أقدامهم، بل كان ثقل كل أجسادهم يعلق على القيود التى ربطوا بها والتى كانوا يحكمون ربطها جدا».

---

(١) (فى ٢ : ٦ - ٨). (٢) (١ يو ٤ : ١٨).

(٣) خشبتان فيهما ثقوب يقمط بهما على ساقى المذنب.

(٦) «كل هذه قاسوها، لا فى الفترة التى كان الحاكم يتحدث معهم فيها، بل طول النهار. لأنه إذ كان يجتاز إلى غيرهم كان يترك الأولين لحراسة موظفين تحت سلطته، لكى يراقب إن كان أحدهم قد انغلب من التعـذيب وبدت عليه علامات التسليم. ثم إنه كان يأمر بأن يوثقوا فى سلاسل بلا رحمة، وعندما يصلون إلى النفس الأخير كانوا يطرحون على الأرض ويخرون خارجا».

(٧) «لأنه أمر بأن لا توجه إلينا أية عناية قط، بل كانوا يفكرون ويتصرفون كأنه لا وجود لنا بعد. وهكذا اخترع أعداؤنا هذا النوع من التعذيب علاوة على الجلد».

(٨) «وبعد هذه الثورات كان يوضع البعض على الدهق، وتمد قدما الواحد فى الثقوب الأربعة حتى يضطر للرقاد على ظهره فوق الدهق، وهو عاجز عن الانتصاب بسبب الجروح الجديدة التى غطت كل جسده نتيجة الجلد. والآخرون كانوا يلقون على الأرض فينالون أقسى أنواع التعذيب، فيرى المتفرجون مظاهر قسوة أشد هولا، إذ كانوا يحملون فى أجسادهم علامات التعذيب المختلفة التى اخترعوها».

(٩) «وبينما كانت هذه الأمور تجرى كان البعض يموتون تحت التعذيب، مخجلين الخصم بثباتهم العجيب. والآخرون كانوا يطرحون فى السجون وهم يوشكون أن يفارقوا الحياة، وبعد أن يتجرعوا مرارة آلامهم يموتون في أيام قليلة. أما الباقون، فإذ كانوا يشفون بسبب ما يلقونه من عناية، كانوا ينالون ثقة بمرور الوقت، وبحجزهم طويلا فى السجن».

(١٠) «ولما كانوا يؤمرون بأن يختاروا اما الإعفاء من التعذيب إن لمسوا الذبائح الدنسة، وبذا ينالون منهم الحرية اللعينة، أو الحكم عليهم بالموت إن رفضوا أن يذبحوا، فإنهم كانوا لا يترددون، بل كانوا يسارعون إلى الموت بابتهاج، لأنهم عرفوا ما سبق أن أعلنته الكتب المقدسة، لأنه قيل: من ذبح لإلهة أخرى يهلك،[٤] وقيل أيضا: لا يكن لك آلهة أخرى أمامى[٥]».

(١١) هذه هى كلمات الشهيد الفيلسوف الحقيقى محب الله التى وجهها إلى الإخوة فى أبروشيته، وكان لا يزال فى السجن، وقبل أن يصدر عليه الحكم النهائى. وفيها بين لهم ظروفه الخاصة، وفى نفس الوقت حثهم على الثبات فى ديانة المسيح حتى بعد أن رأى الموت يقترب إليه.

(١٢) ولماذا نطيل التأمل فى هذه الأمور ونستمر فى اضافة أمثلة جديدة عن نضال الشهداء الإطهار فى كل العالم سيما إذا عرفنا أنهم كانوا لا يعاملون بمقتضى أى قانون، بل كان يهجم عليهم كأعداء فى الحرب.

---

(٤) (خر ٢٢ : ٢٠).

(٥) (خر ٢٠ : ٣).

الفصل الحادى عشر

الذين فى فريجية

(١) كانت هنالك مدينة صغيرة فى فريجية، لا يقطنها إلا المسيحيون، وقد أحيطت كلها بالجند أثناء وجود الرجال فيها. فألقوا النار فيها، وأحرقوهم مع النساء والأطفال وهم يدعون المسيح، وقد فعلوا هذا لأن كل سكان المدينة، والوالى نفسه والحاكم وكل الموظفين وجميع الشعب اعترفوا بأنهم مسيحيون، ورفضوا بتاتا اطاعة من أمروهم بعبادة الأوثان.

(٢) وكان هنالك شخص آخر ذو مركز رفيع رومانى يدعى أدوكتس، من عائلة ايطالية شريفة، ارتقى اسمى المناصب تحت الأباطرة، حتى أنه شغل مناصب القضاء السامية بلا لوم، بل وصل إلى مركز وزير المالية. وعلاوة على هذه فقد فاق فى أعمال التقوى والاعتراف بمسيح الله، وكلل بأكاليل الشهادة. وقد ناضل من أجل المسيحية وهو لا يزال يشغل مركز وزير المالية.

الفصل الثانى عشر

آخرون كثيرن - رجالا ونساء - تحملوا الآلام بطرق مختلفة

(١) ولماذا يحتاج الأمر لذكر الباقين بالاسم، أو احصاء عدد الجماهير من الرجال، أو تصوير الآلام المختلفة التى تكبدها شهداء المسيح العجيبون؟ فقد قتل البعض بالفاس كما حدث فى بلاد العرب. وكسرت أطراف البعض كما حدث فى كبادوكية. ورفع البعض إلى فوق من أقدامهم، منكسة رؤوسهم إلى أسفل، وأشعلت نار هادئة تحتهم، فاختنقوا بالدخان المتصاعد من الخشب المشتعل، كما حدث فى بلاد ما بين النهرين. والآخرون شوهوا بقطع أنوفهم وآذانهم وأيديهم، ثم قطعت باقى أعضاء جسمهم اربا كما حدث فى الإسكندرية.

(٢) ولماذا نعيد إلى الذاكرة أولئك الذين شويت أجسادهم فى انطاكية، لا بقصد قتلهم بل لاطالة تعذيبهم، أو الذين فضلوا دفع أيديهم اليمنى فى النار عن أن يلمسوا الذبائح الدنسة. والبعض ألقوا بأنفسهم من فوق المنازل المرتفعة لتجنب الوقوع فى أيدى أعدائهم، مفضلين الموت على قسوة الأشرار.

(٣) وقد كانت هنالك شخصية طاهرة - فى النفس ممتازة بفضيلتها، وفى الجسم امرأة - برزت أكثر من جميع من فى أنطاكية بسبب ثروتها وأسرتها وصيتها، ربت ابنتيها على مبادىء التقوى، وكانتا فى زهرة العمر. وقد حسدهن الجميع، فاتخذت كل وسيلة للعثور عليهن فى مخبأهن. وعندما تأكد الجميع من عدم وجودهن استدعين بخدمة إلى انطاكية. وهكذا أوقعن فى شراك الجند. وعندما رأت المرأة أنها وابنتيها لا حول لهن ولا قوة، وعرفت ما ينوى الرجال فعله فيهن من قبائح، بل هتك عفتهن، الأمر الذى لا يحتمل، وهو أشد الأهوال شناعة، نصحت نفسها والفتاتين بضرورة عدم الاذعان حتى لسماع هذا. لأنها قالت إن تسليم نفوسهم لعبودية الشياطين أشر من كل أنواع الموت. ووضعت أمامها الوسيلة الوحيدة للخلاص من كل هذا - وهى الالتجاء إلى المسيح.

(٤) عندئذ أصغيتا إلى نصيحتها. وبعد ترتيب ملابسهن انتحين ناحية فى الطريق، وطلبن من الحراس فرصة قصيرة للعزلة، وبعد ذلك ألقين بأنفسهن فى نهر بجانب الطريق. وهكذا تخلصن من الحياة.

(٥) ولكن كانت هنالك عذراوان أخريان فى نفس المدينة (أنطاكية)، خدمتا الله فى كل شىء، وكانتا أختين شقيقتين، تحدرتا من أسرة عريقة، وبرزتا فى الحياة، وكانتا فى عنفوان الشباب جميلتين، راجحتى العقل، حسنتى السلوك، متوقدتى الغيرة، فأمر عابدوا الشياطين بطرحهما فى البحر، وهذا ما تم فعلا، كأن الأرض لا تحتمل سموا كهذا.

(٦) وفى بنطس تكبد آخرون آلاما تقشعر الأبدان من مجرد سماعها. فقد ثقبت أصابعهم بأخشاب حادة تحت أظافرهم. وصب فوق ظهور الآخرين رصاص مغلى، وأحرقوا فى أكثر أعضاء الجسم حساسية.

(٧) وتحمل الآخرون على بطونهم وأعضائهم السرية تعذيبات مخجلة قاسية لايمكن ذكرها اخترعها القضاة كمظاهر للحكمة، وهى لم تظهر إلا قسوتهم. ثم إنهم كانوا بصفة مستمرة يستدعون أنواعا جديدة من التعذيب، كأنهم كانوا يحاولون ربح جوائز فى السباق بمنافستهم بعضهم لبعض.

(٨) ولكنهم فى ختام هذه المصائب، لما عجزوا نهائيا عن تدبير أنواع من القسوة أشد، ووهنت قواهم من تنفيذ أحكام الموت، وشبعوا بل بشموا من سفك الدماء، تحولوا إلى معاملة اعتبروها رحمة انسانية، وهى أنهم تظاهروا بأنهم قد كفوا عن أن يدبروا أهوالا ضدنا.

(٩) لأنهم قالوا إنه لا يليق أن تتلطخ المدن بدماء شعبهم، أو أن تشوه سمعة حكومتهم، الرخيمة بالجميع، بسبب القسوة المتناهية، بل بالأحرى يجب أن تشمل الرحمة والانسانية الجميع، وأننا يجب أن لا يحكم علينا بالموت فيما بعد. لأنه يجب أبطال توقيع هذه العقوبة علينا بسبب انسانية الحكام.

(١٠) لذلك أمروا بقلع عيوننا، وجدع أحد أطرافنا. واعتبرت هذه فى نظرهم شفقة، وأخف أنواع القصاص لنا. ونتيجة لهذه المعاملة الرحيمة التى اتبعها معنا الأشرار يستحيل التحدث عن العدد الذى لا يحصى ممن فقئت عيونهم اليمنى أولا بالسيف، ثم كويت بالنار، أو الذين شلت أقدامهم اليسرى بحرق المفاصل، ثم حكم عليهم بعدئذ بالعمل فى مناجم النحاس بقصد التنكيل بهم أكثر مما هو بقصد الخدمة. وعلاوة على هذه كلها كابد آخرون أنواعا أخرى من المحن يستحيل سردها، لأن قوة احتمالهم العظيمة تفوق كل وصف.

(١١) وفى كل هذا النضال أضاء شهداء المسيح النبلاء العالم كله؟ وأذهلوا فى كل مكان كل من شهد بسالتهم وقد تجلت فيهم أدلة قوة مخلصنا الحقيقية الإلهية التى لا يعبر عنها، ومن المتعذر، إن لم يكن من المستحيل، ذكر كل واحد باسمه.

الفصل الثالث عشر

أساقفة الكنيسة الذين برهنوا بدمائهم على نقاء الديانة التى كرزوا بها

(١) أما عن رؤساء الكنيسة الذين استشهدوا فى المدن الرئيسية فإن أول شهيد لملكوت المسيح نذكره بين آثار الأتقياء هو انثيموس[١] أسقف كنيسة نيكوميديا الذى قطعت رأسه.

(٢) وكان بين شهداء انطاكية لوسيان،[٢] وهو قس فى تلك الأبروشية، سمت حياته كل السمو. فإنه فى نيكوميديا، أمام الامبراطور، نادى بملكوت المسيح السماوى، أولا بدفاع شفوى، وبعد ذلك بالأعمال أيضا.

(١) ف ٦.

(٢) ك ٩ ف ٦

(٣) وكان أبرز شهداء فينيقية أولئك الرعاة الاجلاء الذين أقيموا على قطيع المسيح الروحى، وهم تيرانيون أسقف كنيسة صور، وزنوبيوس وكان قسا فى كنيسة صيدا، وسلوانس[٣] أسقف كنائس أميسا.

(٤) وقد جعل آخر هؤلاء - مع غيره - طعاما للوحوش فى أميسا، وهكذا حسب فى عداد الشهداء. أما الاثنان الاخران فقد مجدا كلمة الله فى انطاكية بصبرهما حتى الموت. فالأسقف[٤] ألقى فى أعماق البحر. أما زنوبيوس، وكان طبيبا ماهرا، فقد مات بسبب تعذيب شديد لقيه على جنبيه.

(٥) أما عن شهداء فلسطين فقد قطعت رأس سلوانس[٥] أسقف كنائس غزة مع تسعة وثلاثين آخرين فى مناجم النحاس بفينو.[٦] وهنالك أيضا أحرق الأسقفان المصريان بيليوس[٧] ونيلوس مع غيرهما.

(٦) بين هؤلاء يجب أن نذكر بمفيلوس، وهو قس كان مجد أبروشية قيصرية، وكان من أبرز رجال عصرنا، وقد سجلنا أعماله العظيمة فى المكان المناسب.[٨]

(٧) وبين الذين قتلوا بحاله مجيدة فى الإسكندرية وفى كل أرجاء مصر وطيبة يجب أن يذكر أولا بطرس[٩] أسقف الإسكندرية، وهو من أبرز معلمى ديانة المسيح. ومن القسوس معه فوستوس[١٠] وديوس وأمونيوس، وهم شهداء للمسيح كاملون، وأيضا فيلياس[١١] وهيسيكيوس وباخوميوس وثيودوروس وهم أساقفة فى الكنائس المصرية. وعلاوة عليهم أشخاص آخرون كثيرون بارزون أحيت ذكراهم أبروشيات بلادهم وأقاليمهم.

وليس من اختصاصنا أن نصف نضال من قاسوا الاهوال من أجل الديانة الإلهية فى العالم كله، ونتحدث بدقة عما حدث لكل منهم. فهذا أمر خليق بمن شهدوا الحوادث بأنفسهم، ولكننى سأصف فى مؤلف آخر[١٢] تلك التى رأيتها بنفسى، وذلك لفائدة الأجيال القادمة.

---

(٣) ك ٩ ف ٦.   (٤) أى تيرانيون.   (٥) ورد ذكره أيضا «فى شهداء فلسطين» بالفصلين ٧ و ١٣.

(٦) كانت فينو مدينة فى شرق الأردن اشتهرت بمناجمها النحاسية.

(٧) انظر «شهداء فلسطين» ف ١٣.   (٨) ك ٧ ف ٣٢.   (٩) ك ٧ ف ٣٢.

(١٠) هو على الأرجح نفس الشماس الوارد ذكره فى ك ٦ ف ٤٠ ـ ك ٧ ف ١١.   (١١) ف ٩.

(١٢) يشير إلى مؤلفه التالى «شهداء فلسطين».

(٨) أمـا فى هذا المؤلف فسأضيف إلى مـا قدمـت تلك الأوامر الناسخة[١٣] التى أصدرها مضطهدونا، والحوادث التى حصلت فى بدء الاضطهاد، مما يكون نافعا للقراء.

(٩) أى كلمات تكفى لوصف عظمة تقدم ونجاح الحكومة الرومـانية قبل اشهار الحرب علينا، إذ كان الحكام فى سلام ومـحبة معنا؟ فى ذلك الوقت كان ذو المـناصب الرفيعة، الذين لبثـوا فى مراكزهم عشر سنوات أو عشـرين، يقضون وقتهم فى هدوء وسلام فى الولائم والحفـلات والألعاب العامة، بكل بهجة وحبور.

(١٠) وإذ كانـت سلطتهم تنمـو هكذا تدريجيـا دون أى مكدر، وتزداد يومـا بعد يوم، غـيروا موقفهم السلمى من نحونا فجـأة، وبدأوا يشهرون حربا بلا هوادة. ولكن لم تمض السنة الثانية على هذه الحركة حتي حدثت ثورة فى كل الحكومة وقبلت كل شىء.

(١١) لأن مرضـا شديدا حل برئيس القـوم السابق التحـدث عنهم، اختل مـعه توازن فهـمه. فاعـتزل فى حيـاة انفرادية مع الشخص التـالى له فى مركزة.[١٤] ولم يـكد يفعل هذا حتى انقـسمت الامبراطورية كلها. الأمر الذى لم يكتب أنه حدث نظيره من قبل.

(١٢) وبعد ذلك بقليل ختم الامبراطور قسطنطيوس حياته بموت طبيعى، وقد كان كل أيام حياته رحيما برعـاياه ومحبا للكلمة الإلهى. وبموته ترك بدلا عنه ابنه قسطنطين كـامبراطور وأوغسطس.[١٥] وكان أول من اعتبر إلها، ونال بعد موته كل اكرام يمكن تقديمه لامبراطور. وكان أرق امبراطور، وأكثرهم شفقة ورحمة.

(١٣) كان هو الوحيد بين أباطرة عصرنا الذى قضى كل وقت حكمه بكيفية تتناسب مع مركزه. وعلاوة على هذا فـقد تصـرف مع الجميع بكل رقـة وصلاح. ولم يشهـر ضدنا أقل حـرب، بل حفظ الأتقيـاء الذين كانوا تحت ادارته دون أن يمسـهم أقل أذى. لم يهدم أبنية الكـنائس ولا دبر أى شىء آخر ضدنا. وكانت خاتمة حياته مكرمة، ومثلثة الطوبى. فـهو الوحيد الذى ترك الامبراطورية فى حالة سعيدة ومجيدة لابنه خليفة له، وهذا كان فى كل ناحية حكيما حصيفا تقيا.

---

(١٣) أى التى تنسخ ما قبلها.

(١٤) فى أول مايو سنة ٣٠٥ تنازل دقلديانوس عن العرش هو ومكسيميان، أى بعد سنتين من تاريخ اصدار أول أوامره.

(١٥) مات قسطنطيوس فى يورك ببريطانيا فى ٢٥ يولية سنة ٣٠٦ وخلفه قسطنطين العظيم صديق المسيحية والمسيحيين.

(١٤) تولى الحكم مباشرة ابنه قسطنطين، إذ نودى به امبراطورا ساميا وأوغسطسا من قبل الجند، بل من قبل الله نفسه ملك الجميع، قبل ذلك بوقت طويل. وقد اقتدى بتقوى أبيه وعطفه على تعاليمنا. هذا ما كان من أمره.

ولكن بعد هذا أقام الحكام بالاجماع ليسينيوس امبراطورا وأوغسطسا.

(١٥) على أن هذه الأمور أغضبت مكسيمينوس جدا، لأنه إلى ذلك الوقت كان الجميع يطلقون عليه لقب قيصر فقط. لهـذا فإنه إذ كان مستبدا جدا قبض على السلطة بنفسـه، وأقام نفسه أوغسطسا. وفى نفس الوقت مات ميتة شنيعة ذاك الذى ذكرنا عنه أنه استأنف سلطته بعد تنازله،[١٦] وذلك بعد أن اكتشفت مؤامرته ضد قسطنطين. وقـد كان هو أول من أبيدت أوامره وتماثيله وآثاره العامة، وذلك بسبب شروره وفجوره.

الفصل الرابع عشر

صفات أعداء المسيحية

(١) أما مكسنتيـوس ابنه الذى حكم فى روما فإنه، فى بداية الأمر تظاهر بالايمان بتعـاليمنا تملقا للشعب الرومانى، وترضيـه له. ولهذا أمر رعاياه بالكف عن اضطهاد المسيحـيين متظاهرا بالتدين، لكى يظهر أنه أكثر رحمة وشفقة من سابقيه.

(٢) ولكنه لم يبرهن بأعماله أنه هو الشـخص المنتظر، بل أسرع إلى كل أنواع الشر، ولم يكف عن أى نوع من النجـاسة والفسـاد، مرتكبـا رذيلة الزنى، وكل ضـروب الفجور. لأنه إذ فـصل بعض الزوجات عن أزواجـهن الشرعيين، دنسـهن وأعادهن بمنتهى الخـزى إلى أزواجهن. ولم يرتكب هذا مع المجهولين وغير المعروفين فقط، بل أساء بنوع خاص إلى أبرز أعضاء مجلس الأعيان الرومانى.

(٣) وقد ضجر منه جدا كل رعاياه، الشعب والحكام، الشرفاء والأدنياء، بسبب مظالمه البغيضة. كـذلك لم تكن هنالك وسيـلة للانقاذ من بطش هذا الـطاغيـة بالرغم أنهم لزمـوا الصمت، متحـملين العبودية المرة.

---

(١٦) الإشارة هنا إلى أوغسطس مكسيميان، الذى بـعد أن تنازل عن العرش أقنعـه ابنه مكسنتيـوس بالخروج من عـزلته والعدول عن تنازله. وبعد ذلك شنق نفسه.

فى احدى المرات سلط حراســه على الشعب لقتلهم لأتفه الأسباب المفتعلة. فقتل عــدد غفير مــن عـامــة الشعب الرومـانيين، فى وســط المدينة، لا بحـراب وأسلحة السكيـثيين والبـربريين، بل بأسلحة أهل وطنهم.

(٤) ومن المستحيل احصاء عدد أعضـاء مجلس الأعيان الذين قتلوا لأجل ثروتهم، فـقد كانت الجماهير العديدة تقتل بسبب الادعاءات المختلفة.

(٥) ولجأ الطاغية إلى السحر ليتوج به كل شروره. وفى تنبؤاته الكاذبة كان يشق الحوامل، يفحص احشاء الأطفال حـديثى الولادة. كان يقتل السباع، ويمارس أنواعا مختلـفة من الأعمال الكريهة لاستحضار الشياطين، وتجنب الحروب، وكان كل غرضه من هذه الوسائل أن تكون النصرة بجانبه.

(٦) ومن المستحيل أن نذكر الطرق التى بها ظلم هذا الطاغية رعـايه فى روما حتى إنهم وصلوا إلى حالة مجاعة شديدة، أعوزتهم فيهـا ضروريات الحياة مما لم يسبق له مثيل فى روما، أو فى أى مكان آخر كما روى لنا معاصرونا.

(٧) على أن مكسـيمـينوس الطاغيـة فى الشـرق، إذ أقام مـعاهدة صـداقة سـرية مع الطاغيـة الرومانى، كما لو كان مع أخ فـى الشر، سعى لاخفائها زمنا طويلا. ولكنها إذ اكتـشفت أخيرا، نال ما يستحقه من قصاص.[١]

(٨) والعجيب أنه كان على وفاق فى الشر مع الطاغيـة فى روما، بل فاقه فيه. لأنه أكرم رؤساء العرافين والمنجـمين والسحـرة بأرفع الرتب. وإذ كان فى غاية الجبن خـاضعا لـلخرافات كـان ينقاد إلى ضـلالات الاصنام والشيـاطين. والواقع إنه كان لا يجـرؤ على أن يحـــرك اصـبعـا دون الإلتجـاء إلى العرافين والألهة.

(٩) لذلك اضطهدنا بعنـف أشد من سابقيـه، وبصفة مـستمرة. وأمـر باقامة الهـياكل فى كل مدينة، وسرعة اعادة الاحراش المقدســة[٢] التى كانت قد أزيلت على مر الزمن، وعين كهنة للاصنام فى كل مكان، فى كل مدينة، وأقـام عليهم فى كل مقاطعة مـوظفا سياسيـا، كرئيس كهنة، كان يميـز نفسه بصفـة خاصــة فى كل أنواع الخدمـة، تحف به ثلة من الجنود وحـرس خاص. ومنح جـميع المشـعوذين وظائف ادارية، مع أعظم الامتيازات، كأنهم أتقياء ومحبوبون من الآلهة.

(١) بخصوص ماهدة مكسيمينوس مع مكسنتيوس، وحربه مع لسينيوس وموته انظر ك ٩ ف ٩ . وبخصوص اغتصابه لقب أوغسطس انظر الفصــلين السابقين ١٣ : ٥ ، ١٢ : ٣) (السوارى) تقام للعـبادة الوثنية، وترتكب فيها أقبـح الرذائل (نث ٧).

(٢) كانت الأحراش.

(١٠) ومن ذلك الوقت فصاعدا ثقل لا على مدينة أو مقاطعة واحدة، بل على جميع الأقطار الخاضعة له بفرض ضرائب فادحة من الذهب والفضة والبضائع، وباجراء محاكمات ظالمة، وتوقيع غرامات متنوعة. واغتصب من الأثرياء أملاكهم التى ورثوها عن أجدادهم، ومنح ثروات طائلة ومبالغ جسيمة للمتملقين المحيطين به.

(١١) ووصل إلى درجة كبيرة من الحماقة وأسرف فى السكر حتى أرتبك عقله، وجن بالملذات. وفى حالة السكر كان يصدر الأوامر التى يندم عليها فى حالة الصحو. ولم يسمح لأى واحد بالتفوق عليه فى الدعارة والخلاعة، بل كان يحرض من حوله، حكاما ورعية على ارتكاب القبائح، وكان يدفع الجيش إلى الحياة الفاسدة وكل أنواع الرذيلة، ويشجع الحكام والقواد على اساءة رعاياهم بالسلب والنهب والطمع، كأنهم كانوا حكاما معه.

(١٢) وهل هنالك حاجة لذكر تصرفات الرجل الشهوانية المخجلة، أو احصاء العدد الوفير ممن ارتكب معهن الزنى؟ لأنه لم يكن ممكنا أن يمر فى مدينة دون افساد النساء، واغتصاب العذارى بصفة مستمرة.

(١٣) وفى هذا أفلح مع الجميع عدا المسيحيين. لأنهم إذ احتقروا الموت ولم يبالوا ببطشه. فالرجال احتملوا النار والسيف والصلب والوحوش وأعماق البحر وقطع الاطراف والحرق وفقأ العيون وتشويه كل الجسد والجوع والعمل فى المناجم والقيود. وفى هذه جميعا أظهروا الصبر دفاعا عن المسيحية، دون أن يحولوا إلى الأصنام الإكرام اللائق بالله.

(١٤) والنساء لم يكن أقل من الرجال بسالة فى الدفاع عن تعاليم الكلمة الإلهية، إذ اشتركن فى النضال مع الرجال، ونلن معهم نصيبا مساويا من الأكليل من أجل الفضيلة. وعندما كانوا يجروهن لأغراض دنسة كن يفضلن تسليم حياتهن للموت عن تسليم أجسادهن للنجاسة.

(١٥) وقد انتصرت احدى هؤلاء اللاتى قبض عليهم الطاغية لأجل الأغراض الدنسة، وهى أمرأة مسيحية سامية جليلة القدر بارزة جدا فى الإسكندرية - انتصرت على روح مكسيمينوس الشهوانية بثباتها العجيب. فإنها إذ كانت رفيعة القدر بالنسبة إلى ثروتها وأسرتها وتعليمها حسبت كل هذه نفاية بجانب العفة. وقد حرضها مرارا، ولكن بالرغم من أنها كانت مستعدة للموت فإنه لم يقتلها لأن شهوته كانت أقوى من غضبه.

(١٦) لذلك عاقبها بالنفى واستولى على كل أملاكها. وكثيرات أخر لم يستطعن حتى الاصغاء إلى تهديد الحكام الوثنيين بهتك أعراضهن، فتحملن كل أنواع التعذيب والتنكيل والقصاص المميت.

والواقع إن هؤلاء النسوة خليقات بالإعجاب والتقدير. ولكن الإعجاب يزداد بتلك المرأة فى روما التى كانت أنبل وأكثر عفة من الجميع، التى أراد الطاغية مكسنتيوس اغتصابها، متشبها بمكسيمينوس فى تصرفاته.

(١٧) لأنها إذ علمت أن الذين يخدمون الطاغية فى مثل هذه القبائح موجودون فى البيت (وكانت هى أيضا مسيحية)، وأن زوجها، ولو كان حاكما فى روما، ويسمح لهم بأخذها واقتيادها إلى الطاغية، طلبت أن تعطى لها فرصة للتزين، فدخلت غرفتها، وإذ كانت وحدها طعنت نفسها بسيف، وماتت فى الحال تاركة جثتها لمن جاء لدفنها. وهكذا بينت بأعمالها، بقوة أشد جدا من أى كلمات، لجميع الأجيال الحاضرة واللاحقة، إن الفضيلة التى يغلب بها المسيحيون هى أقوى ما يمتلكون.

(١٨) هكذا كانت حياة الشر التى سلكها فى وقت واحد الطاغيان اللذان حكما الشرق والغرب. ومن ذا الذى يتردد فى الحكم، بعد فحص دقيق، على أن اضطهادهم أيانا هو سبب هذه الشرور التى حلت بهم، سيما وأن هذه الفوضى المتناهية لم تكف إلا بعد حصول المسيحيين على الحرية؟

الفصل الخامس عشر

الحوادث التى حلّت بالوثنيين

(١) وفى أثناء سنوات الاضطهاد بأكملها[١] كانوا هم بصفة مستمرة يتآمرون ضد بعضهم البعض ويحاربون بعضهم البعض. فالبحر تعذرت الملاحة فيه، ولم يكن ممكنا للناس الابحار من أى ميناء دون تعريض أنفسهم لكل أنواع الثورات، إذ كانوا يمدون على آلات التعذيب ويجلدون على جنبهم للتأكد، بعد تعذيبات منوعة، عما إذا كانوا قد أتوا من عند العدو. وأخيرا كانوا يعاقبون بالصلب أو بالنار.

(٢) وعلاوة على هذا فقد كانت الدروع والتروس والسهام والحراب وسائر المعدات الحربية تعد بصفة مستمرة، والسفن والأدوات الحربية البحرية تجمع فى كل مكان. ولم يكن أحد يتوقع شيئا سوى هجوم الأعداء عليه أى يوم. وفضلا عن هذا فقد حلت بهم المجاعات والأوبئة، وفى المكان المناسب[٢] سنبين الضرورى منها.

(١) صدر أول أمر لدقلديانوس فى ٢٤ فبراير سنة ٣٠٣ وانتهى الاضطهاد بالأمر الذى أصدره قسطنطين فى أواخر سنة ٣١٢ فيكون قد استمر عشر سنوات.

(٢) ك ٩ ف ٧.

الفصل السادس عشر

تغير الأمور إلى أفضل

(١) هكذا سارت الأمور طول مدة الاضطهاد. ولكنه فى السنة العاشرة توقف نهائيا بنعمة الله، إذ بدأ يتناقص بعد السنة الثامنة. لأنه عندما تعطفت علينا النعمة الإلهية السماوية غير حكامنا رأيهم بكيفية عجيبة جدا، حتى نفس الأشخاص الذين أشهروا علينا الحرب، وألغوا الأوامر السابقة، وأطفأوا نار الإضطهاد العظيمة التى كانت مشتعله، وبدلوها بأوامر رحيمة من نحونا.

(٢) ولكن هذا لم يكن نتيجة تدخل أية يد بشرية، ولا كان نتيجة شفقة حكامنا أو محبتهم للبشر. حاشا، لأنهم منذ البداية حتى ذلك الوقت كانوا كل يوم يزدادون امعانا فى اضطهادنا، وبصفة مستمرة يخترعون تعذيبا بوسائل أشد عنفا. بل كان ظاهرا أن هذا راجع إلى تدخل العناية الإلهية، فمن الناحية الواحدة اصطلحوا مع شعبه، ومن الناحية الأخرى هجموا على مدبر[١] هذه الشرور، وأظهروا سخطهم عليه إذ كان هو السبب فى كل الأهوال التى ارتكبت طول مدة الإضطهاد.

(٣) ومع أنه كان من الضرورى أن تتم هذه كلها وفقا للعدل الإلهى، إلا أن الكلمة قال "ويل لمن تأتى به العثرة"[٢] لذلك حل به القصاص من قبل الله، مبتدئا بجسمه، ومتقدما إلى نفسه.[٣]

(٤) لأن خراجا ظهر فى وسط أجزاء جسمه السرية، وانتشرت منه قروح ردية حتى وصلت إلى أحشائه الداخلية. وانبعثت منها ديدان كثيرة جدا لا توصف، ورائحة قاتلة، لأنه قبل المرض تحول جسمه، بسبب نهمه، إلى كمية من الشحم، وهذه تعفنت فصار منظره كريها جدا لكل من يقترب منه.

(٥) وقد مات بعض الأطباء إذ لم يتحملوا قط تلك الرائحة الكريهة، وقتل الآخرون بلا رحمة إذ عجزوا عن تقديم أية مساعدة لأن الجسم كله انتفخ وأصبح عديم الشفاء.

---

(١) أى غالريوس. (٢) (مت ١٨ : ٧).

(٣) ضرب غالريوس بقروح ردية عافت منها المدينة كلها. ورجال القصر، وذلك قبل نهاية عام ٣١٠ ومات فى مايو ٣١١.

الفصل السابع عشر

إلغاء الحكام لأوامرهم السابقة

(١) وبعد ارتكاب كل هذه الشرور العديدة بدأ يفكر فى الأهوال التى نكل بها الأتقياء. وإذ رجع إلى نفسه كان أول ما فعله أنه اعترف أولا لاله الكون علانية ثم استدعى أتباعه وأمرهم بإيقاف اضطهاد المسيحيين دون ابطاء، واصدار أمر ملكى يحثونهم فيه على بناء كنائسهم، واقامة شعائرهم الدينية كالمعتاد، وتقديم الصلوات من أجل الامبراطور. وللحال وضع كلامه موضع التنفيذ.

(٢) ونشرت الأوامر الملكية فى المدن متضمنة ايقاف التصرفات التى كانت تجرى ضدنا. وهاك نص أحدها:

(٣) «الأمبراطور قيصر غالريوس مكسيمينوس، انفكتس، أوغسطس، رئيس الكهنة مكسيموس، قاهر الألمان، قاهر المصريين، قاهر أهل طيبة، قاهر السرماتيين خمس مرات، قاهر الفرس، قاهر أهل كربات مرتين قاهر الأرمن سبع مرات، قاهر الميديين، قاهر الاديابيين، المحامى عن حقوق الشعب للمرة العشرين، الامبراطور للمرة التاسعة عشرة، الوالى للمرة الثامنة، أب مملكته، نائب الوالى».

(٤) والامبراطور قيصر فلافيوس فالريوس قسطنطينوس، بيوس فيلكس انفكتس أوغسطس رئيس الكهنة مكسيموس، المحامى عن حقوق الشعب، الامبراطور للمرة الخامسة، الوالى، أب مملكته، نائب الوالى.

(٥) «والامبراطور قيصر فالريوس ليسينيوس، بيوس فيلكس اتفكتس أوغسطس رئيس الكهنة مكسيموس، المحامى عن حقوق الشعب للمرة الرابعة، والامبراطور للمرة الثالثة، الوالى، أب مملكته، نائب الوالى. إلى شعب بلادهم سلام».

(٦) «بين الأمور الأخرى التى رتبناها للصالح العام سبق أن أبدينا الرغبة لرد كل شىء إلى الحالة اللائقة بالقوانين القديمة ونظام الرومانيين العام، ولضمان رجوع المسيحيين الذين هجروا ديانة أجدادهم إلى حالة طيبة».

(٧) «لأنه قد استولى عليهم الكبرياء إلى حد ما، وغلبت عليهم الغباوة، حتى إنهم لم يتبعوا الفرائض القديمة التى سبق أن أسسها أجدادهم، بل أقاموا لأنفسهم قوانين حسب أهوائهم، واتبعوها، وهكذا اجتمعوا جماعات متفرقة فى أماكن مختلفة».

(٨) «ولما أصدرنا هذا الأمر الملكى بضرورة رجوعهم إلى الفـرائض التى أسسها الأقدمون خضع الكثيرون أمام الخطر، ولكن عددا وفيرا جدا تضايقوا وتحملوا كل أنواع الموت».

(٩) «ونظرا لأن الكثيرين استمروا فى حماقتهم، ونحن نلاحظ أنهم لا يقدمون للآلهة السماوية العبادة اللائقة، ولا يقدمون الإكرام لإله المسيحيين، فمـراعاة لمحبتنا للبشرية، وعادتنا الثابتة، التى اعتدنا بموجبها أن نصفح عن الجـميع، اعتزمنا أ يشمل صفحنا هذه الأمور أيضـا بكل سرور، حتى يرجعوا إلى مسيحيـتهم مرة أخرى، ويعيدوا بناء الأماكن التى اعـتادوا الإجتماع فيها، على شرط أن لا يعـملوا شيئا ضد النظام. وفى رسالة أخرى سوف نبين للولاة ما يجب عليهم اتباعه».

(١٠) «وبناء على هذا الصفح الذى ادعناه يجب أن يتـضرعوا لإلههم من أجل سلامـتنا وسلامة الشعب، ولكى يتم الصالح لهم ولعامة الشعب فى كل مكان، ولكى يعيشوا فى بيوتهم آمنين».

(١١) هذه هى فحـوى الأمر الملكى. متـرجمة بدقـة على قدر الإمكان من اللغة الرومـانية إلى اليونانية. وقد حان الوقت للتأمل فيما يحدث بعد هذه الأمور.

وقد وجدنا ما يلى فى بعض النسخ فى الكتاب الثامن

(١) أما الذى أصدر هذا الأمر فإنه بعد هذا الإعتـراف مباشرة تخلص من آلامه ثم مات. ويقال إنه كان هو الباعث الأصلى لنكبة الاضطهاد، إذ كان قـد سعى قبل حركة الأباطرة الآخرين بوقت طويل أن يحول المسيحيين فى الجيش عن الأيمان، وقبل كل شىء جـميع من فى بيته، مجردا البعض من الرتب الحربية، ومسيئا إلى الآخرين بطريقة مخزية جـدا، ومهددا غيرهم بالموت، وأخيرا موعزا إلى شركائه فى الامبراطورية بالاضطهاد العام. وليس من اللائق التجاوز عن ذكر موت هؤلاء الأباطرة.

(٢) فأنه إذ كان أربعة منهم متمتـعين بالسلطة المطلقة تنازل المتقدمون فى السن والمركز عن الحكم كما بينا - ولم يكن قد مر على الاضطهاد سنتان - وقضوا بقية أيام حياتهم فى عزلة.

(٣) وكانت نهاية حياتهم كما يلى. إن المتقدم فـيهم فى المركز والسن مات بعد ضعف جسمانى طويل أليم جدا.[١] وأنـهى التالى له حيـاته شنقا، وقـد فعل هذا وفقـا لنبوة شيطانيـة بسبب جـرائمه الكثيرة.[٢]

---

(١) مات دقلديانوس سنة ٣١٣ فى سن السابعة والستين وقد برحت بجسمه الأمراض.

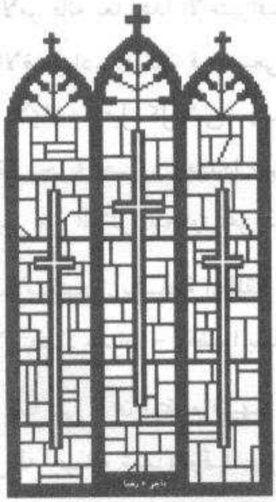
(٢) بخصوص موت مكسيميان انظر ف ١٣ : ١٥.

(٤) أما عمن جاءوا بعدهما فإن الأخير[٣] السابق التحدث عنه كمنشىء للاضطهاد، عانى تلك الأمور السابق الاشارة إليها. أما من سبقه أى الامبراطور الكثير الشفقة والرحمة قسطنطيوس، فقد قضى كل أيام حكمه بحالة تتفق مع مركزه. وعلاوة على هذا فقد تصرف نحو الجميع بكل خير وصلاح. ولم يكن له أقل نصيب فى الحرب ضدنا، وحفظ الأتقياء الذين تحت ادارته دون أن يمسهم أقل ضرر. ولم يهدم أبنية الكنائس ولا دبر شيئا آخر ضدنا، وكانت خاتمة حياته سعيدة ومثلثة الطوبى. وهو الوحيد الذى ترك امبراطوريته بعد موته بحالة سعيدة مجيدة لابنه[٤] خليفة له، وهذا كان فى كل ناحية حكيما تقيا. وقد تولى الحكم فى الحال، إذ نادى به الجنود امبراطورا ساميا وأوغسطسا.

(٥) واقتدى بتقوى أبيه ورضائه على تعاليمنا.

هكذا كانت ميتات الاربعة الذين كتبنا عنهم، التى حدثت فى أوقات مختلفة.

(٦) من بين هؤلاء أذاع جهارا للجميع الشخص الوحيد المشار إليه أعلاه[٥] - مع من اشتركوا فى الحكم فيما بعد - الاعتراف السابق ذكره، وذلك بالأمر الكتابى الذى أصدره.



(٣) أى غالريوس. انظر ف ١٦ فيما يختص بمرضه وموته. (٤) قسطنطين. (٥) أى غالريوس.

شهداء فلسطين

شهداء فلسطين

وجدنا ما يلى أيضا فى احدى النسخ ملحقا بالكتاب الثامن

وفى السنة التاسعة عشر من حكم دقلديانوس، فى شهر زانثيكوس، الذى يدعوه الرومانيون ابريل، نحو عيد آلام مخلصنا، بينما كان فلافيانوس واليا على اقليم فلسطين، أذيعت رسائل فى كل مكان تأمر بهدم الكنائس حتى الاساس، واحراق الكتب المقدسة بالنار، وعزل كل الموظفين، وحرمان خدم البيت من الحرية، إن أصروا على الإعتراف بالمسيحية.

هكذا كانت قوة الإمر الإول الصادر ضدنا. على أن رسائل أخرى صدرت بعد ذلك بقليل تأمر بأن يزج فى السجن جميع أساقفة الكنائس فى كل مكان، وبعد ذلك تستخدم كل حيلة لالزامهم بالذبح للاوثان.

الفصل الأول

(١) كان أول شهداء فلسطين بروكوبيوس الذى قبل أن يسجن صرح، حال ظهوره أمام محكمة الوالى، بأنه لا يعرف إلا واحدا يقدم له الذبائح، وذلك عندما أمر بأن يذبح للآلهة المزعومة، وعندما أمر بتقديم سكيب للاباطرة الاربعة نطق بعبارة أغضبتهم فقطعت رأسه فى الحال.

وكانت العبارة مقتبسة من الشاعر[١] القائل :

حكم الكثيرين ليس بصالح

فليكن هناك حاكم واحد وملك واحد

(٢) كان اليوم السابع من شهر ديسيوس،[٢] أى السابع قبل منتصف يونية بحساب الرومانيين، واليوم الرابع من الاسبوع، حينما قدم هذا المثال الأول فى قيصرية فلسطين.

(٣) بعد ذلك تحمل كثيرون من رؤساء كنائس المملكة فى نفس المدينة أهوالا كثيرة، وقدموا للناظرين مثلا فى النضال النبيل. ولكن غيرهم خارت نفوسهم رعبا، وضعفوا لأول وهلة. أما الآخرون فقد تحمل كل واحد أنواعا مختلفة من التعذيب، كالجلدات بلا عدد، وكشط الجلد، وتمزيق الجنب، والقيود غير المحتملة التى بسببها خلعت أيدى البعض.

---

(١) مقتبسة من الياذة هومر.

(٢) أى شهر يونية.

(٤) غير أنهم تحملوا ما حل بهم، وفقا لمقاصد الله غير المدركة. وكان يقبض على يدى الواحد، ويؤخذ إلى المذبح، وتدفع إلى يده اليمنى تلك الذبيحة الدنسة، ثم يخلى سبيله كأنه قد ذبح للاوثان. وكان الآخر لا يمسها ولكنه كان يخلى سبيله فى سكون إذا ما قال الاخرون بأنه قد ذبح. وكان يؤخذ الاخر بين الحياة والموت، ثم يطرح جانبا كأنه قد مات فعلا، وتفك قيوده، ويحسب فى عداد الذين ذبحوا. وعندما كان يصبح آخر شاهدا بأنه لن يطيع، كان يضرب على الفم، ويخرسه جماعة ممن أتى بهم لهذا الغرض، ويدفع خارجا بعنف، ولو لم يكن قد ذبح. وهكذا اعتبروا أنهم قد تمموا غرضهم.

(٥) أما الوحيدان اللذان من كل هذا العدد كللا بأكاليل الشهادة فهما حلفى وزكا. وقد قطعت رأس كل منهما كالشهيد السابق، بعد أن كابدا الجلد، وكشط الجلد، والوثق الشديدة، والتعذيبات الاضافية، والمحن الأخرى المتنوعة، وبعد أن مدت أقدامهما ليلا ونهارا فى أربعة ثقوب في الدهق فى اليوم السابع عشر من شهر ديوس - أى الخامس عشر قبل أول ديسمبر بحساب الرومانيين - وبعد أن اعترفا بالإله الواحد الوحيد ويسوع المسيح ملكا، كأنهما قد نطقا تجديفا.

الفصل الثاني

(١) أما ما حل بروميانوس فى نفس اليوم فى انطاكية فحرى بالتدوين أيضا. كان هذا مواطنا فلسطينيا، وشماسا وطاردا للارواح فى أبروشية قيصرية. وإذ كان حاضرا لدى هدم الكنائس رأى رجالا كثيرين من النساء والأطفال صاعدين زرافات إلى الأصنام ليذبحوا لها. ولكنه بسبب غيرته الشديدة للمسيحية لم يحتمل المنظر، فوبخهم بصوت مرتفع.

(٢) وإذ قبض عليه بسبب جرأته، برهن على أنه من أنبل الشهود للحق. لأنه عندما أخبره القاضى بأنه يجب أن يموت حرقا تقبل الحكم بوجه باش وجنان ثابت، وعندئذ أخرج خارجا. ولما شد علي المقمطة، وكدست أكوام الخشب حول جسمه، وكانوا ينتظرون وصول الامبراطور قبل اشعال النار صرخ قائلا «أين النار التى أعدت لى؟».

(٣) وإذ قال هذا استدعى ثانية للمثول بين يدى الأمبراطور، وعذب بتعذيب غير عادى بقطع لسانه. ولكنه تحمل هذا ببسالة، وبرهن للجميع بأعماله أن القوة الإلهية تحل مع كل من يتحملون أية صعوبة من أجل المسيحية. مخففة الامهم ومشددة غيرتهم. ولما علم ذلك الرجل النبيل بهذه الطريقة الغريبة من التعذيب لم يفزع. بل أخرج لسانه بارتياح، وقدمه بكل سرور لمن قطعوه.

(٤) وبعد هذا التعذيب زج به فى السجن، ولبث فيه وقتا طويلا، وأخيرا إذ اقترب عيد الامبراطور العشرون[١] حيث منحت الحرية لجميع من كانوا فى القيود طبقا للعادة المتبعة، بقى هو وحده مشدودة قدماه فى خمسة ثقوب الدهق، ومن ثم شنق، وهكذا نال اكليل الشهادة كرغبته.

(٥) وبالرغم من أنه كان خارج بلاده إلا أنه كان مواطنا فلسطينيا، ومن اللائق اعتباره ضمن شهداء فلسطين.

حدثت هذه الأمور على هذا الوجه فى السنة الأولى، عندما كان الاضطهاد موجها إلى رؤساء الكنيسة فقط.

الفصل الثالث

(١) وفى السنة الثانية اشتد جدا الاضطهاد الموجه إلينا، فى ذلك الوقت كان أوربانوس[١] واليا لتلك المنطقة، ووصلته أوامر من الامبراطور تأمر بأن جميع الشعب يجب أن يذبحوا للاوثان فى الحال، فى المدن المختلفة، ويقدموا إليها سكائب.[٢]

وفى غزة - أحدى مدن فلسطين - عانى تيموثاوس تعذيبات لا تحصى، ثم عرض لنار بطيئة ضعيفة. وإذ قدم بصبره فى كل الامه دليلا قويا على التقوى الحقيقية من نحو الله حمل اكليل النصر الذى يحمله أبطال الإيمان. وفى نفس الوقت أظهر أغابيوس[٣] وتكلا معاصرينا ثباتا عجيبا فحكم عليهما بأن يجعلا طعاما للوحوش.

(٢) ومن ذا الذى شهد هذه الأمور دون أن يعجب بها، أو من ذا الذى سمع بأنبائها دون أن يدهش؟ لأنه عندما كان الوثنيون فى كل مكان يحتفلون بأحد الأعياد ويقيمون المعارض المعتادة أطلق نداء بأنه علاوة على المسامرات الأخرى سيطرح للوحوش أولئك الذين حكم عليهم أخيرا بهذا.

---

(١) انظر ك ٨ ف ٢.

---

(١) انظر ايضا ف ٤ و ٧ و ٨.

(٢) هذا هو الأمر الملكى الرابع الذى أصدره دقلديانوس سنة ٣٠٤.

(٣) انظر ف ٦.

(٣) ولما ازداد انتشار هذه الأنباء فى كل مكان تقدم ستة من الشبان، وهم تيمولاوس من أهل بنطس، وديونيسيوس من طرابلس فى فينيقية، وروميلوس وهو شماس مساعد فى أبروشية ديوسبوليس،[٤] وبيسيس والإسكندر وهما مصريان، وشخص آخر باسم الاسكندر من غزة. وإذ أوثقت أيدى الجميع أولا، ذهبوا مسرعين إلى أوربانوس الذى كان موشكا أن يفتح المعرض، وأظهروا حماسة شديدة نحو الاستشهاد. واعترفوا بأنهم مسيحيون، وبترحيبهم بكل الأهوال أظهروا أن الذين يفتخرون بديانة إله الكون لا يخورون أمام هجمات الوحوش.

(٤) وللحال طرحوا فى السجن بعد أن بعثوا اندهاشا عجيبا جدا فى نفس الوالى والذين معه. وبعد أيام قليلة أضيف إليهم اثنان آخران. أحدهما اسمه أغابيوس، وقد تحمل فى اعترافات سابقة أهوالا مروعة فى أشكال منوعة. والثانى اسمه ديونيسيوس، وكان قد أمدهم بضروريات الحياة. جميع هؤلاء الثمانية قطعت رؤوسهم فى يوم واحد بقيصرية، فى اليوم الرابع والعشرين من شهر ديستروس، وهو اليوم التاسع قبل بداية ابريل.

(٥) وفى نفس الوقت حدث تغيير بين الأباطرة، فالأول اعتزل بكرامة، والثانى اعتزل ليتفرغ لشئونه الخاصة،[٥] وابتدأت الشئون العامة تضطرب.

(٦) وبعد ذلك بقليل ابتدأت الحكومة الرومانية تنقسم على ذاتها، ونشبت بينهم حرب مروعه.[٦] ولم تستقر الأمور أثناء هذا الانقسام وما تبعه من اضطرابات إلا بعد استقرار السلام من نحونا فى كل أرجاء الامبراطورية الرومانية.

(٧) لأنه لما استتب هذا السلام للجميع. كبزوغ نور النهار بعد ليل حالك الظلام، استتبت الأمور العامة في الحكومة الرومانية، وصارت سعيدة وهادئة، وعاد الوئام القديم بين الواحد والآخر. على أننا سنتحدث بالتفصيل عن هذه الأمور فى الوقت المناسب والإن لنعد إلى سير الحوادث الطبيعى.

(٤) هى نفسها لدة (اع ٩ : ٣٢) وكانت أسقفية عظيمة.

(٥) اعتزل كل من دقلديانوس ومكسيميان فى أول مايو سنة ٣٠٥. انظر ك ٨ ف ١٣.

(٦) لما اغتصب مكسنتيوس الملك فى روما سنة ٣٠٦. انظر ك ٨ ف ١٣.

الفصل الرابع

(١) وإذ وصل إلى الحكم وقتئذ مكسيمينوس قيصر، حصن نفسه لاضطهادنا بكيفية أشنع من سابقيه، كأنه أراد أن يظهر للجميع دلائل عداوته لله التى ولد فيها، ودلائل شروره وفجوره.

(٢) ونتيجة لهذا حدث انزعاج وتشتتوا هنا وهنالك، ومحاولين النجاة من الخطر بأية طريقة من الطرق، وحدث اضطراب فى كل مكان.

وأية كلمات تكفى لوصف المحبة الإلهية، والجرأة اللتين أظهرهما، فى الاعتراف بالله، الحمل الوديع الهادىء، أعنى الشهيد أبيفانيوس، الذى أظهر أمام أعين الجميع فى أبواب قيصرية مثالاً عجيبا لتقوى الله الوحيد.

(٣) لم يكن فى ذلك الوقت قد اكتمل العشرين من العمر. وكان قد صرف أولا وقتا طويلا فى بريتوس،[١] للتزود من العلوم اليونانية العالمية، إذ كان ينتمى إلى أسرة غنية جدا، ومما يدهش أن نروى كيف أنه، فى مدينة كهذه، تغلب على الشهوات الشبابية، وتمسك بأهداب الفضيلة. لم تدنسه القوة الجسدية ولا رفقاؤه الشبان. وعاش حياة العفة والفضيلة والطهارة والتقوى وفقا للتعاليم المسيحية وحياة معلميه.

(٤) وإن كان من الضرورى ذكر بلاده، وتقديم الإكرام اللائق بها، لانتاجها بطلا عظيما من أبطال التقوى كهذا، فلنفعل هذا بسرور.

(٥) لقد أتى الشاب من باجى - إن كان أحد يعرف المكان - وهى مدينة هامة فى ليسيا. وبعد عودته من دراسته فى بريتوس لم يحتمل أن يعيش مع أبيه وأقاربه، رغم أن أباه كان يحتل أبرز مركز فى وطنه، وذلك لم يرضوا أن يعيشوا وفق نواميس المسيحية. لهذا ترك أسرته سرا كأنه كان مقتادا بالروح القدس، وبمتضى فلسفة حقيقية روحانية طبيعية، معتبرا هذا أفضل مما يعتبر أنه أمجاد العالم، ومحتقرا كل الملذات الجسدية. وإذ لم يعبأ بحاجياته اليومية بسبب ايمانه ورجائه بالله، قاده الروح القدس إلى مدينة قيصرية حيث كان قد أعد له اكليل الشهادة من أجل التقوى.

(٦) وإذ لبث معنا هناك، متناقشا معنا فى الأسفار الإلهية بكل اجتهاد فترة قصيرة، ومدربا نفسه بكل غيرة، ختم حياته خاتمة تدهش كل من يراها لو أنها رؤيت مرة أخرى.

---

(١) هى بيروت الحالية. وقد ازدهرت فيها مدرسة للادبيات والقانون أجيالا طويلة.

(٧) ومن ذا الذى أن سمع عنها لا يعجب بحق بشجاعته، وجرأته، وثباته، بل بالعمل الجرىء نفسه الذى برهن على غيرة متأججة نحو المسيحية وروح فوق الطبيعة البشرية.

(٨) لأنه فى الهجوم الثانى ضدنا فى عهد مكسيمينوس، فى السنة الثالثة من الاضطهاد، صدرت أوامر الطاغية للمرة الأولى، تأمر حكام المدن ببذل كل مجهود بأسرع ما يمكن ليدفعوا جميع الشعب على الذبح للاوثان. وفى كل أرجاء مدينة قيصرية كان السعاة يستدعون الرجال والنساء والأطفال - بأمر الوالى - إلى هياكل الأوثان. وعلاوة على هذا فقد كان رؤساء الألوف ينادون كل واحد باسمه من قوائم بأيديهم، وكان عدد وافر جدا من الأشرار يندفعون معا من كل الأحياء.

عندئذ تقدم هذا الشاب بلا خوف، ودون أن يعلم أحد بنواياه، وغافلنا نحن الذين نعيش معه فى البيت، كما غافل كل جماعة الجنود الذين كانوا يحيطون بالوالى، واندفع إلى أوربانوس وهو يقدم السكائب، وأمسكه بيمينه دون أقل خوف، ومنعه فى الحال من تقديم ذبيحته. وبمهارة وقوة اقناع وارشاد إلهى قدم إليه النصح للعدول عن ضلالته، لأنه ليس من اللائق أن يهجر الإله الواحد الوحيد، ويذبح للأوثان والشياطين.

(٩) والمرجح أن الشاب فعل هذا بقوة إلهية دفعته إلى الأمام، وجعلت الجميع يصيحون، عقب عمله، بأن المسيحيين الذين كهذا الشاب لن يتركوا عبادة إله الكون التى سبق أن اختاروها لأنفسهم، وأنهم ليسوا أرفع من التهديدات وما يتبعها من أهوال فحسب، بل هم فوق ذلك فى غاية الجرأة ليتكلموا بلسان لا يتلعثم، بل إن أمكن ليدعوا حتى مضطهديهم ليتحولوا عن جهالتهم، ويعترفوا بالإله الواحد الحقيقى.

(١٠) وعلى أثر هذا مزق الوالى فى الحال ومن كانوا معه - وهذا ما كان منتظرا بعد عمل جرىء كهذا - ذلك الشخص الذى نتحدث عنه، كأنه قد مزقته وحوش كاسرة. وإذ تحمل ببسالة ضربات إليمة لا حصر لها على كل جسده زج به فى السجن فى الحال.

(١١) وهناك شد المعذبون قدميه فى الدهق يوما وليلة، وفى اليوم التالى أحضر أمام القاضى. وعندما حاولوا أن يضطروه إلى التسليم أظهر كل ثبات تحت الآلام والتعذيبات المروعة. فقد مزق جنباه لا مرة ولا مرتين بل مرات كثيرة، حتى ظهرت العظام، بل الأحشاء نفسها. ولطم كثيرا جدا على وجهه وعنقه حتى لم يستطع من عرفوه طويلا أن يميزوا وجهه المنتفخ.

(١٢) ولكنه إذ لم يستسلم تحت هذا التعذيب، غطى المعذبون قدميه - حسب الأوامر الصادرة إليهم - بأقمشة كتانية مبللة بالزيت، وأشعلوا فيها النار. ولن تستطيع أية كلمات التعبير عن الالام التى كابدها المغبوط من جراء هذا. لأن النار التهمت لحمه ووصلت إلى العظام، حتى إن سوائل الجسد ذابت وتساقطت كالشمع.

(١٣) وإذ لم يستطع خصومه اخضاعه بهذا، ووجدوا أنفسهم بأنهم قد غلبوا على أمرهم، وعجزوا عن ادراك ثباته الذى فوق الطبيعة البشرية، طرحوه ثانية فى السجن. ثم أحضر أمام القاضى للمرة الثالثة فاعترف نفس الاعتراف. وإذ كان على وشك أن يموت إلقى أخيرا فى أعماق البحر.

(١٤) على أن ما حدث عقب هذا مباشرة يتعذر جدا على ما لم يروه تصديقه. ومع تأكدنا من هذا إلا أننا يجب أن ندون الحادث، سيما وقد شهده جميع سكان قيصرية. لأنه لم يكن هنالك أحد - من أى سن لم يشهد هذا المنظر العجيب.

(١٥) لأنه حالما طرحوا هذا الشاب المبارك، المثلث الغبطة، فى أعماق البحر حدث اضطراب غير عادى وأهاج البحر وكل الشاطىء، حتى تزعزعت منه الأرض وكل المدينة. وفى نفس الوقت ثار البحر ثورة عجيبة فجائية، وقذف أمام أبواب المدينة جسد الشهيد الطاهر كأنه لم يطق أن يحتويه.

وهكذا كان موت ابفيانيوس العجيب، الذى حدث فى اليوم الثانى من شهر زانثيكوس، وهو اليوم الرابع قبل التاسع من ابريل، فكان اليوم يوم الاستعداد. [٢]

الفصل الخامس

(١) وفى نفس الوقت تقريبا، فى مدينة صور، أحيط شاب اسمه أولبيانوس باوكسيد خام بعد أن عذب بقسوة وجلد بعنف، ثم ربط معه كلب وأحد الزحافات السامة، أفعوان، وألقى فى البحر. لذا رأيت من المناسب ذكره بمناسبة التحدث عن استشهاد ابفيانوس.

(٢) وبعد ذلك بوقت قصير عانى أديسيوس، وهو أخ ابفيانوس لا فى الرب فقط بل بالجسد أيضا، لأنهما ابنا أب أرضى واحد، عانى نفس الآلام بعد اعترافات كثيرة جدا، وبعد تعذيبات مبرحة فى قيود، وبعد أن حكم عليه الوالى بالشغل فى مناجم فلسطين. وقد تصرف فى هذه كلها بطريقة فلسفية حقيقية، لأنه كان أكثر علما من أخيه، فى الدراسات الفلسفية.

---

(٢) أى الجمعة. وهذا اصطلاح يهودى كان لا يزال مستعملا.

(٣) وأخيرا تصرف كأخيه عندما مثل فى مدينة الاسكندرية أمام القاضى الذى كان يحاكم المسيحيين، منكلا بهم فوق الحد، فأحيانا يهين الرجال المقدسين بطرق منوعة، وأحيانا أخرى يسلم النساء المحتشمات، بل العذارى الفضليات إلى القوادين لأغراض مخجلة. لأنه لما رأى أن هذه الأمور لا تحتمل تقدم إلى القاضى بكل جرأة وبكلماته وتصرفاته أغرق القاضى فى لجة من العار والفضيحة. وبعد أن نال أنواعا متنوعة من التعذيب نتيجة لهذا كابد موتا مشابها لموت أخيه، إذ طرح فى البحر. ولكن هذه حدثت له كما قلت، بهذه الكيفية بعد ذلك بوقت وجيز.

الفصل السادس

(١) وفى السنة الرابعة من الاضطهاد الذى وجه إلينا، فى اليوم الثانى عشر قبل أول ديسمبر، وهو اليوم العشرين من شهر ديوس، فى اليوم السابق للسبت، وكان الطاغية مكسيمينوس حاضرا يحتفل بعيد ميلاده بمظاهر غاية فى الترف، حدثت الحادثة التالية فى مدينة قيصرية، وهى حرية بالتدوين.

(٢) كانت العادة القديمة تقضى بأنه عند حضور الامبراطور تعرض للمتفرجين مناظر أكثر فخامة من أى وقت آخر، وكانت تعرض مناظر جديدة وغريبة بدلا من المسليات العادية، كعرض حيوانات أحضرت من الهند أو اثيوبيا أو أماكن أخرى، أو عرض تمرينات رياضية تدهش المتفرجين، فكان من الضرورى وقتئذ، نظرا لأن الامبراطور كان يقدم العرض بنفسه، اضافة أمور أكثر غرابة إلى المناظر. وماذا عساها تكون هذه الأمور؟

(٣) أتى بأحد المدافعين عن تعليمنا، وأقيم فى الوسط، وتحمل الكفاح من أجل الديانة الحقيقية الوحيدة. كان هذا هو أغابيوس الذى، كما قدمنا سابقا،[١] كان مع تكلا التى دفعت طعاما للوحوش. وهو أيضا سار ثلاث مرات أو أكثر مع المجرمين من السجن إلى المرسح. وفى كل مرة كان يستبقى لنضال آخر بعد أن يقدم له القاضى التهديدات المتنوعة، أما شفقة به، أو رجاء أن يغير رأيه. على أنه فى هذه المرة، إذ كان الامبراطور حاضرا. أخرج كأنه قد أبقى لهذه الفرصة إلى أن تتم فيه كلمة المخلص التى أعلنها لرسله بمعرفة إلهية إنهم يجب أن يساقوا أمام ملوك من أجل شهادتهم له.[٢]

(٤) وقد أخذ فى وسط المرسح مع أحد المجرمين الذى يقال إنه كان متهما بقتل سيده.

(١) ف ٣ : ١. (٢) مت ١٠: ١٨.

(٥) ولكن قاتل سيده هذا لما طرح للوحوش اعتبر مستحقا للشفقة والإنسانية مثل باراباس فى أيام مخلصنا · وامتلأ المرسح بأصوات الهتاف والإستحسان لأن القاتل أنقذه الامبراطور، واعتبر خليقا بالإكرام والحرية ·

(٦) أما بطل الإيمان فقد استدعاه الطاغية أولا، ووعده بالحرية إن أنكر الإيمان · ولكنه شهد بصوت مرتفع أنه مستعد لتحمل كل ما يوقع عليه بسرور، لا من أجل أى خطأ بل من أجل ديانة خالق الكون ·

(٧) وإذ قال هذا أقرن القول بالفعل، واندفع ليلتقى بدب أطلقوا سراحه عليه، مسلما نفسه باغتباط ليلتهمه · وبعد هذا، إذ كان لا يزال تتردد أنفاسه، طرح فى السجن · وإذ عاش يوما آخر ربطت حجارة فى قدميه وأغرق فى أعماق البحر ·

هذا ما كان من أمر استشهاد أغابيوس ·

الفصل السابع

(١) وفى قيصرية أيضا، عندما استمر الاضطهاد إلى السنة الخامسة، فى اليوم الثانى من شهر زانثيكوس، أى اليوم الرابع قبل التاسع من أبريل، فى نفس يوم الرب، يوم قيامة مخلصنا، صعدت فتاة عذراء تدعي ثيودوسيا من أهل صور، وهى فتاة رزينة مؤمنة لم تكتمل الثامنة عشرة من عمرها بعد - صعدت إلى بعض المسجونين الذين كانوا يشهدون لملكوت المسيح وجالسين أمام كرسى القضاء، وحيتهم، ورجتهم أن يذكروها عندما يمثلون أمام الرب ·

(٢) وللحال ألقى الجند القبض عليها وساقوها إلى الوالى كأنها قد ارتكبت فعلا شائنا أما هو فسرعان ما انقض عليها كمجنون، أو كوحش مفترس فى هيجانه، وعذبها تعذيبا مبرحا فى جنبيها وثدييها حتى وصل إلى العظام، وإذ كانت لا تزال تتردد فيها الأنفاس، واقفة بثغر باش بالرغم مما تكبدته، أمر بطرحها فى أمواج البحر · ولما فرغ منها انتقل إلى المعترفين الآخرين، وأمر بتشغيلهم جميعا بمناجم النحاس فى فينو بفلسطين ·

(٣) وبعد ذلك فى الخامس من شهر ديوس، التاسع من نوفمبر بحساب الرومانيين، وفى نفس المدينة، حكم على سلوانس،[١] الذى كان وقتئذ قسا ومعترفا، والذى أكرم بالأسقفية بعد ذلك بقليل، ثم مات شهيدا - حكم عليه ومن معه من الرجال الذين أظهروا منتهى الثبات دفاعا عن الإيمان، بالشغل فى نفس مناجم النحاس، بعد أن صدر الأمر بتعجيز مفصل القدم بكيه بالنار.

(٤) وفى نفس الوقت سلم إلى النار رجلا اشتهر باعترافات أخرى كثيرة. هذا هو دومنينوس، الذى كان مشهورا بين جميع من بفلسطين بسبب جرأته الزائدة. بعد ذلك دبر نفس القاضى، (وكان قاسيا فيما يدبره من تعذيب، ومخترعا للمؤامرات ضد تعاليم المسيح) ضد ذلك الرجل التقى أنواعا من القصاص لم يسمع بها قط. هذا حكم على ثلاثة بملاكمة الوحوش انفراديا. ثم سلم أوكسنتيوس للوحوش لالتهامه، وكان شيخا وقورا. وخصى أشخاصا آخرين فى مقتبل العمر، ثم حكم عليهم بالشغل فى نفس المناجم. وطرح آخرين فى السجن بعد تعذيبهم بقسوة.

بين هؤلاء صديقى الحميم جدا بمفيلوس[٢] الذى كان أشهر شهداء عصرنا بسبب تحليه بكل فضيلة.

(٥) وقد اختبره أوربانوس أولا فى الخطابة والفلسفة. وبعد ذلك حاول الزامه بالذبح للأوثان. وإذ رأى أنه رفض، ولم يبال بتهديده بأى حال من الأحوال، احتدم غضبه وأمر بتعذيبه بأقسى أنواع العذاب.

(٦) وبعد أن اشبع ذلك الوحش رغبته بهذه التعذيبات بكشط جنبيه بصفة مستمرة وغطاه الخزى أمام الجميع، دفعه فى السجن مع باقى المعترفين.

(٧) أما القصاص الذى سوف يناله من العدل الإلهى، ذلك الذى أساء إلى شهداء المسيح، من أجل قسوته على القديسين، فيمكن استنتاجه بسهولة من مقدماته التى بها حل عليه القصاص الإلهى فى الحال، بعد فترة قصيرة من قساوته الشنيعة ضد بمفيلوس، وكان لا يزال فى الحكم، لأن ذاك الذى كان بالأمس فقط يقضى في المحكمة العليا، تحرسه ثلة من الجند، ويحكم على كل أمة فلسطين، والذى كان نديما وصديقا حميما للطاغية نفسه، وجليسه على المائدة، جرد من رتبته فجأة فى ليلة واحدة، وغطاه الخزى والخجل أمام من كانوا سابقا معجبين به، كأنه هو الامبراطور. وأظهر منتهى الجبن والخنوثة، وصار يصيح كامرأة، ويقدم التوسلات لكل الشعب الذى كان يحكمه. أما مكسيمينوس نفسه، الذى كان

(١) بخصوص سلوانس الذى صار فيما بعد أسقفا لغزة انظر ك ٨ ف ١٣.

(٢) ك ٧ ف ٣٢.

أوربانوس يفتخر بوقاحة بمحبته له، كأنه قد أحبه بسبب إساءته لنا. فقد جلس في قيصرية نفسها قاضيا في منتهى القسوة، وحكم عليه بالموت من أجل الجرائم التي ثبتت ادانته بها.

(٨) ويكفى أن نمر علي هذه مر الكرام. وقد يأتى اليوم الذى يتسع فيه الوقت للتحدث عن نهاية ومصير أولئك الفجار الذين حاربونا،[٣] أى مكسيمينوس نفسه ومن معه.

الفصل الثامن

(١) وظلت العاصفة هائجة ضدنا بصفة مستمرة حتي السنة السادسة. وقبل هذا الوقت كان هنالك عدد وافر جدا من المعترفين بالإيمان في المحجر الذى يسمى بروفيرى بطيبة، والذى اشتق اسمه من الحجارة الموجودة هناك. من بين هؤلاء ارسل للوالى بفلسطين سبعة وتسعون رجلا مع النساء والأطفال. ولما اعترفوا بإله الكون وبالمسيح أمر فرمليانوس، الذى كان قد أرسل إلى هناك واليا مكان أوربانوس، بأن يتم تعجيزهم بحرق عضلات مفصل القدم الأيسر، وأن تقلع العين اليمنى ثم تحرق حتى القاع بقضبان حديدية محماة، وهذا بناء على تعليمات الامبراطور. وبعد ذلك أرسلهم إلى المناجم فى ذلك الإقليم، ليعانوا مشقة العمل القاسى، والالام العنيفة.

(٢) على أنه لم يكتف بأن يعانى هؤلاء فقط تلك الالام بحرمانهم من أعينهم، بل امتد طغيانه إلى أهل فلسطين أيضا، الذين سبق أن ذكرنا أنهم حكم عليهم بمصارعة الوحوش وقضى بعدم تقديم أى طعام إليهم من المخازن الملكية.

وإذ قدموا لهذا السبب، لا أمام الرؤساء فحسب بل أيضا أمام مكسيمينوس نفسه.

(٣) وأبدوا ثباتا عجيبا جدا في اعترافاتهم بتحمل الجوع والجلدات العنيفة، نالوا قصاصا مماثلا لأولئك السابق ذكرهم، واشترك معهم معترفون آخرون فى مدينة قيصرية.

(٤) وبعد ذلك مباشرة ألقى القبض فى غزة على آخرين كانوا مجتمعين ليسمعوا الكتاب المقدس، وعانى البعض نفس الالام فى أقدامهم وأعينهم، وقاسى آخرون أهوالا أشد وتعذيبات مبرحة فى جنبهم.

(٣) ورد الحديث عن موت مكسيمينوس فى ك ٩ : ١٠. وأما أوربانوس فلم يرد شيء آخر عن موته. أما مصير خلفه فرمليانوس فقد ذكر فى فصل ١١ فيما يلى.

(٥) من بين هؤلاء شخصية ممتازة، هى فى الجسم امرأة وفى قوة الإدراك رجل، لم تحتمل التهديد بالزنى، وهاجمت مباشرة ذلك الطاغية الذى سلم الحكم لقضاة قساة القلوب كأولئك. فجلدت أولا، ثم رفعت إلى فوق على خشبة، ومزق جنباها.

(٦) وإذ كان هؤلاء المعذبون يعذبونها بلا توقف وبقسوة كأمر القاضى برزت امرأة أخرى، وطدت العزم على أن تظل عذراء، وكانت وضيعة المظهر محتقرة الشكل، ولكنها من الناحية الأخرى قوية النفس، متحلية بقوة ادراك أقوى من جسمها. وإذ لم تحتمل أعمال القسوة والوحشية أظهرت بسالة دونها بسالة المحاربين اليونانيين، ثم صاحت إلى القاضى من وسط الازدحام «إلى متى يطول تعذيبكم القاسى لأختى؟» فاحتدم غضبه وأمر بالقاء القبض على المرأة فى الحال.

(٧) وعلى أثر ذلك قدمت، وإذ نادت بنفسها باسم المخلص السامى، طلب منها أولا بالكلام أن تذبح للاوثان. ولما رفضت جروها عنفا إلى المذبح. ولكن اختها استمرت فى غيرتها الأولى، فرفست المذبح بكل جرأة وشجاعة، وقلبته بما كان عليه من نيران.

(٨) وللحال زأر القاضى كوحش مفترس وعذبها بمنتهى القسوة فى جنبيها مما لم يرتكبه معه أحد آخر من قبل، محاولا أن يشبع نفسه بالتطلع إلى جسمها المسلخ. ولما أشبع جنونه أوثقهما معا، هذه المرأة وتلك التى دعتها أختها، وحكم عليهما بالحرق. ويقال إن الأولى من غزة والثانية، واسمها فالنتينا من قيصرية، وكانت معروفة لدى الكثيرين.

(٩) وكيف استطيع وصف الاستشهاد الذى أكرم به بولس المثلث الغبطة وصفا لائقا، فقد حكم عليه بالموت معهما في وقت واحد وبحكم واحد. وفى وقت استشهاده، وكان منفذ الحكم على وشك قطع رأسه طلب مهلة وجيزة.

(١٠) وإذ منحت له رفع صوتا واضحا أولا، متضرعا لله من أجل زملائه المسيحيين، طالبا لهم الصفح ورد الحرية إليهم سريعا. ثم طلب رجوع اليهود إلى الله بالمسيح. وطلب نفس الطلبة من أجل السامريين. وتضرع من أجل الأمميين العائشين فى الضلال دون معرفة الله، لكى يعرفوه ويقبلوا الديانة الحقة. كذلك لم يهمل الجماهير المختلطة الواقفة حوله.

(١١) بعد كل هذه -- يا لقوة الصبر وطول الاناة التى لا يعبر عنها - توسل إلى إله الكون من أجل القاضى الذى حكم عليه بالموت، ومن أجل أعاظم الحكام، وكذا من أجل الشخص الذى كان مزمعا أن يقطع رأسه، على مسمع منه وكل الحاضرين، طالبا أن لا تحسب عليهم خطيتهم من نحوه.

(١٢) وإذ صلى من أجل كل هؤلاء بصوت مرتفع، وحرك فى الجميع عاطفة الشفقة، وأسال عيونهم بالدموع كشخص يحكم عليه بالموت ظلما، استعد للأمر من تلقاء ذاته، ومد عنقة العارية للسيف، فكلل بأكليل الشهادة الإلهية. وقد تم هذا فى اليوم الخامس والعشرين من شهر بانيموس، وهو اليوم الثامن قبل بداية أغسطس.

(١٣) هكذا كان ختام حياة هؤلاء الأشخاص. ولكن، بعد ذلك بفترة وجيزة، عانى مائة وثلاثون بطلا من أبطال الاعتراف بالمسيح، وكانوا من أرض مصر، نفس الآلام فى أقدامهم وأعينهم مع الأشخاص السابقين، وذلك فى مصر نفسها، وبأمر مكسيمينوس، ثم أرسلوا إلى المناجم السابق ذكرها فى فلسطين. ولكن بعضا منهم حكم عليهم بالشغل فى مناجم كيليكية.

الفصل التاسع

(١) بعد أمثال هذه التصرفات النبيلة التى أظهرها شهداء المسيح البارزون، خفت وطأة نيران الاضطهاد، بل أطفأتها دماؤهم الطاهرة، ومنحت الراحة والحرية لمن كانوا يعملون فى محاجر طيبة من أجل المسيح، وبدأنا نتنسم هواء نقيا فرصة قصيرة. ولكن بسبب حافز جديد لا أعلمه هاج ثانية ضد المسيحيين ذاك الذى كانت له قوة الاضطهاد.

(٢) وللحال أذيعت فى كل مكان بكل مقاطعة رسائل[١] من مكسيمينوس ضدنا. وقد حث الولاة والقائد الحربى القضاة والموظفين فى كل المدن - بأوامر ورسائل ومنشورات عامة - لكى ينفذوا أمر الامبراطور القاضى بأن يعاد بناء مذابح الأوثان على جناح السرعة، وأن يقدم جميع الرجال والنساء والأولاد، حتى الأطفال الرضع، الذبائح والسكائب، وأنه يجب بذل كل جهد وعناية لدفعهم على أن يتذوقوا التقدمات الكريهة، وأن ما يباع فى السوق يجب أن يدنس بسكائب الذبائح، وأن يقف الحراس أمام الحمامات ليدنسوا بالذبائح الكريهة كل من يدخلون للاغتسال فيها.

(٣) ولما بدىء بتنفيذ هذه الأوامر تضايق شعبنا جدا فى بدء الأمر بطبيعة الحال. وحتى الوثنيون غير المؤمنين استاءوا جدا من قسوة وسخافة لتلك الاجراءات التى بدت فى أنظارهم متطرفة وعبثا ثقيلا.

وعندما اشتدت العاصفة على الجميع فى كل الأقطار بعثت قوة مخلصنا الإلهية ثانية جرأة واقداما وبسالة فى نفوس أبطاله حتى استخفوا بالتهديدات.

(١) هذا هو المنشور الخامس.

(٤) وقد انضم ثلاثة من المؤمنين معا واندفعوا نحو الحاكم وهو يذبح للأوثان وصرخوا إليه ليكف عن ضلالته، مبينين له أنه لا إله آخر سوى بارىء وخالق الكون. ولما سألهم عن شخصيتهم أجابوا بشجاعة بأنهم مسيحيون.

(٥) فاشتد غضب فرمليانوس وحكم عليهم فى الحال بالإعدام دون توقيع أى تعذيب. كان اسم الأكبر أنطونينوس، والثانى زبيناس وكان من أهل اليوثيروبوليس، والثالث جرمانوس. وقد حدث هذا فى اليوم الثالث عشر من شهر ديوس أى منتصف نوفمبر.

(٦) وكان مرافقا لهم فى نفس اليوم أناثاس، وهى امرأة من سيثوبوليس تحلت باكليل العذراوية. صحيح إنها لم تفعل ما فعلوه ولكنهم جروها عنفا وقدموها للقاضى.

(٧) فجلدت وأهينت بقسوة بمعرفة مكسيس والى الاقليم المجاور. وقد تجرأ على ارتكاب كل هذا دون علم السلطات العليا. وهذا كان رجلا أشهر من اسمه، سفاك دماء، فى منتهى القسوة، مذموما من كل معارفه، هذا الرجل جرد المرأة الفاضلة من كل ملابسها، حتى أنها لم تتغط إلا من حقويها حتى قدميها، أما باقى جسمها فكان عاريا. ثم قادها فى كل مدينة قيصرية، واعتبره أمرا عظيما أن يضربها بالكرابيج وهم يجرونها فى الأسواق.

(٨) وبعد هذه المعاملة أظهرت منتهى الثبات لما مثلت أمام كرسى الحاكم نفسه: وحكم عليها القاضى بالحرق حية. ثم إنه أيضا تمادى فى ثورة غضبه إلى أقسى حد، وتعدى نواميس الطبيعة، إذ لم يخجل من منعه دفن جثث القديسين المجردة من الحياة.

(٩) وهكذا أمر بترك الموتى فى العراء طعاما للوحوش وحراستهم نهارا وليلا. وظل عدد كبير من الرجال يحرصون على مراقبة تنفيذ هذه الأوامر الوحشية الهمجية أياما طويلة، وكانوا يتطلعون من أماكن مراقبتهم للتأكد من أن الأجساد لم تسرق، كأن هذا أمر حري بالإهتمام. وصارت الوحوش والكلاب والطيور الجارحة تنثر الأشلاء هنا وهنالك، وأصبحت المدينة كلها مليئة بالاحشاء والعظام البشرية.

(١٠) فلم يظهر شىء آخر قط أشد رعبا وهولا حتى فى أعين الذين أبغضونا سابقا. ولو أنهم لم يرثوا لحال الذين ارتكبت ضدهم هذه الأهوال بقدر ما تألموا للتنكيل بسبب الثورة ضدهم شخصيا وضد شركائهم فى الطبيعة البشرية.

(١١) فقد كانت ترى بجانب الأبواب مناظر يجل عنها كل وصف، لأن لحوم البشر لم تلتهم فى مكان واحد فحسب، بل كانت تتناثر فى كل مكان، حتى قال البعض إن الأشلاء وكتلا لحمية وبعض أجزاء من الأحشاء كانت ترى حتى داخل البوابات.

(١٢) وبعد أن استمرت هذه الأمور أياما عدة حدث حادث عجيب. كان الجو صافيا براقا، ومنظر السماء رائقا جدا. وإذ بنقط ماء كثيرة تسقط كالدموع فجأة من الأعمدة التى تستند عليها الأقبية العامة وذلك فى كل أرجاء المدينة. وابتلت الأسواق والشوارع، بالرغم من عدم وجود ضباب فى الجو، برذاذ من الماء لست أعلم من أين جاء. عندئذ قيل فى الحال فى كل مكان إن الأرض لم تحتمل هذه القبائح فسكبت الدموع بكيفية سرية، وإن الحجارة والأخشاب عديمة الحياة بكت بسبب ما حدث، وذلك توبيخا لطبيعة الناس عديمة الإحساس التى لم تعرف سبيلا للرحمة. وأنا أعلم جيدا أن هذه الرواية قد تبدو خرافية فى نظر من يأتى بعدنا، ولكنها ليست كذلك فى نظر الذين تأيد لهم الحق فى ذات الوقت.

الفصل العاشر

(١) وفى اليوم الرابع عشر من شهر أبلايوس التالى، أى التاسع عشر قبل أول يناير، ألقى القبض ثانية على بعض أشخاص من مصر بمعرفة من كانوا يفحصون كل من يجتاز الأبواب. وكانوا قد أرسلوا لخدمة المعترفين فى كيليكية. فحكم عليهم بنفس الحكم الصادر ضد من أرسلوا لخدمتهم، إذ شوهوا فى عيونهم وأقدامهم. وقد أظهر ثلاثة منهم فى أشقلون، حيث سجنوا، شجاعة عجيبة جدا فى تحمل أنواع الاستشهاد المختلفة. حكم على أحدهم، واسمه ارس، بالطرح فى النار، وقطعت رأسا الباقيين، واسمهما بروبس والياس.

(٢) وفى اليوم الحادى عشر من شهر أودينيوس، وهواليوم الثالث قبل منتصف يناير، وفى نفس مدينة قيصرية، قدم بطرس الناسك الملقب أبشالوم برهانا، بالنار، على إيمانه بمسيح الله، وكان بطرس هذا من قرية انيا على حدود اليوثيروبوليس، وكان كالذهب الخالص. وبالرغم من أن القاضى، ومن حوله رجوه مرارا أن يشفق على نفسه وينجى شبابه، فإنه لم يبال بهم، مفضلا الرجاء فى إله الكون على كل شىء، بل على الحياة نفسها. وفي نفس الوقت كان هنالك شخص اسمه اسكلبيوس، يزعم أنه أسقف من شيعة مركيون، ويعتقد أنه غيور على المسيحية، «ولكن ليس حسب المعرفة»[١] وهذا ختم حياته حرقا بنفس الطريقة. هذا ما كان من هذه الأمور التى تمت على هذا النحو.

---

(١) رو ١٠ : ٢.

الفصل الحادى عشر

(١) وقد حان الوقت الآن لوصف منظر بمفيلوس[١] الرائع، وهو رجل عزيز على جدا، ومنظر الذين كملوا جهادهم معه. كانوا كلهم أثنى عشر، إذ حسبوا خليقين بالنعمة الرسولية وعدد الرسل.

(٢) كان بمفيلوس قائدهم، والوحيد الذى أكرم برتبة القسوسية فى قيصرية. وقد اشتهر بكل فضيلة جميع أيام حياته، ونبذ العالم واحتقاره، واشراك المحتاجين فى ممتلكاته، والأزدراء بكل الأمجاد الأرضية، والحياة الفلسفية النسكية. وفاق الجميع فى عصرنا بصفة خاصة فى الانكباب على الأسفار الإلهية، والجهد الذى لا يكل فى كل ما يعهد إليه، ومساعدته لأقاربه ومعارفه.

(٣) وفى مؤلف خاص عن حياته، متضمن ثلاثة كتب، بينا سمو فضيلته، وإذ لفتنا الآن أنظار محبى الأطلاع إلى هذا المؤلف، لنتأمل فى الشهداء بالترتيب.

(٤) لقد نزل فالس إلى ساحة الكفاح، وهو الثانى بعد بمفيلوس. وكان مكرما من أجل شيبته الوقورة. وكان شماسا من اليا،[٢] متقدما فى السن، منظره فى غاية الوقار، واسع الاطلاع على الأسفار الإلهية أكثر من أى شخص آخر. حفظها على ظهر قلب حتى أنه لم يكن فى حاجة للرجوع إليها إن أراد استعادة أية فقرة من الكتاب المقدس.

(٥) والثالث بولس من مدينة يمنا، اشتهر بينهم بشدة غيرته وحرارة روحه. وقبل استشهاده عانى الأمرين بالكى بالنار.

وبعد أن ظل هؤلاء فى السجن سنتين كاملتين وصل بعض الاخوة من مصر وقت استشهادهم واشتركوا معهم فى آلامهم.

(٦) وكانوا قد رافقوا المعترفين فى كيليكية للعمل معهم فى مناجمها، ثم شرعوا فى العودة لأوطانهم. وفى مدخل أبواب قيصرية سألهم الحراس - وكانوا ذو أخلاق شرسة - عن شخصيتهم والمكان الذى قدموا منه. فقالوا الحق، وقبض عليهم كمجرمين متلبسين بجريمتهم. وكانوا خمسة.

(٧) ولدى مثولهم أمام الطاغية أظهروا أمامه منتهى الجرأة، فدفعوا إلى السجن فى الحال. وفى اليوم التالى، وكان موافقا التاسع عشر من شهر بيريتيوس، أو الرابع عشر قبل شهر مارس بحساب الرومانيين، قدموا إلى القاضى ومعهم بمفيلوس ورفقاؤه السابق ذكرهم. وفى بداية الأمر اختبر ثبات هؤلاء المصريين الذى لم يلن، وذلك بكل أنواع التعذيب، وباختراع آلات غريبة متنوعة.

---

(١) لو ٧ ف ٣٢ : ٢٥.

(٢) أى أورشليم.

(٨) وبعد توقيع هذه الأهوال على زعيمهم سأله أولا عن شخصيته. واجابة على هذا سمع اسم نبى معين بدلا من اسمه. لأنه جرت العادة تلقيب أنفسهم بأسماء أخرى بدل الأسماء الوثنية التى أطلقها عليهم آباؤهم إن كانت هنالك أسماء كهذه قد أطلقت عليهم. فكنت تسمعهم يلقبون أنفسهم ايليا أو ارميا أو اشعياء أو صموئيل أو دانيال، مظهرين بأنهم فى الحقيقة يهود لا غش فيهم واسرائيل الله الحقيقيون، لا بالأعمال فقط بل أيضا بالأسماء التى حملوها. ولما سمع فرمليانوس اسما كهذا من الشهيد ولم يكن يعرف قوة الكلمة سأل عن اسم مملكته.

(٩) غير أنه أعطى جوابا آخر مماثلا للأول قائلا إن أورشليم هى وطنه، معنيا بذلك قول بولس «وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعا فهى حرة».[٣] وأيضا «قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية».[٤]

(١٠) هذا ما قصده. ولكن القاضى إذ افتكر فى الأرضيات سعى بإجتهاد أن يعرف أية مدينة هى هذه، وموقعها فى العالم. ولذلك لجأ إلى التعذيب، ليعترف بالحقيقة. وأما الرجل، وكانت يداه مربوطتين خلف ظهره، وقدماه مضغوطتين بماكينة غريبة، فقد أكد أنه تكلم الحق.

(١١) وإذ سئل مرارا عن المدينة التى تحدث عنها وموقعها قال إنها وطن الأتقياء فقط، لأنه لا يدخلها آخرون، وإنها تقع فى الشرق البعيد فى مشرق الشمس.

(١٢) وقد تحدث عن هذه الأمور بفلسفته وفق ادراكه، ولم يستطيعوا أن يزحزحوه قيد شعرة بالتعذيبات التى أوقعوها على كل من جنبيه. ولم تظهر عليه علامات الشعور بالامه كأنه لم يكن له لحم أو جسم. وإذ تحير القاضى لم يطق صبرا، ظانا أن المسيحيين معتزمون تأسيس مدينة فى مكان ما معادية للرومانيين. فاستعلم كثيرا عن هذا، وسأل أين توجد تلك البلاد التى فى الشرق.

(١٣) وعندما مزق جسم الشاب بجلدات قاسية طويلا، وعذبه بكل أنواع التعذيب، وجد أنه لم يتزحزح عن اصراره على أقواله، وحكم عليه بالموت. هذا هو المنظر الذى مثلوه مع هذا الشخص. وبعد تعذيب الباقين تعذيبا مماثلا تصرف معهم بنفس الكيفية.

(١٤) ولما كلت قواه، وأدرك أن تعذيبه لهؤلاء الأشخاص غير مجد، وكان قد أشبع رغبته، تقدم إلى بمفيلوس ورفاقه، وعندما علم أنهم سبق أن أظهروا غيرة من نحو الإيمان لا تتزحزح رغم التعذيب الشديد، سألهم عما إذا كانوا مستعدين أن يطيعوا الإن. ولما تلقى من كل واحد هذه الإجابة الواحدة، كآخر كلمة يشهدون بها فى استشهادهم، حكم عليهم بنفس عقوبة الآخرين.

---

(٣) (غل ٤ : ٢٦).

(٤) (عب ١٢ : ٢٢).

(١٥) وإذ تم هذا كان هنالك شاب من خدم بمفليوس تربى فى الحياة الفضلى التى هذبه فيها سيده. هذا لما علم بالحكم الذى حكم به على سيده صرخ وسط الازدحام طالبا دفن أجسادهم.

(١٦) وللحال برهن القاضى على أنه لم يكن انسانا بل وحشا، أو أشد وحشية من الوحش، ولم يراع سن الشاب، وسأله نفس السؤال. ولما رأى أنه قد اعترف بأنه مسيحى ثار ثورة عنيفة كأنه قد جرح بسهم حاد، وأمر المعذبين باستعمال أقصى قوتهم معه.

(١٧) ولما رأى إنه رفض الذبح للأوثان كما أمر، أمرهم بكشط جلده بصفة مستمرة حتى يصلوا إلى العظم والأحشاء، كأنه لم يكن لحما بشريا، بل حجارة، أو خشبا، أو أى شىء عديم الحياة. وبعد ثبات طويل رأى أن كل ذلك عبث، لأن الرجل فقد النطق والشعور بعد أن أصبح جسده منهوك القوى بسبب التعذيب.

(١٨) وإذ كان القاضى عديم الشعور، لا يمتلك ذرة من الإنسانية، أمر بوضعه فى نار بطيئة، ففارقت روحه الجسد قبل موت سيده الأرضى، رغم أنه دخل المعمعة بعده. وكان الأشخاص الذين أظهروا غيره من أجل الآخرين ينتظرون دورهم.

(١٩) وهكذا كان المرء يستطيع أن يرى بروفيرى[٥] كرجل خرج ظافرا من كل موقعة، جسده مغطى بالتراب، أما طلعته فقد كانت باشة رغم كل تلك الآلام، متقدما للموت بشجاعة نادرة وثبات عجيب. وإذ كان ممتلئا بالروح القدس، مرتديا الثوب الفلسفى الذى تغطى به كعباءة، أومأ إلى أصدقائه برزانة عما أراد، محتفظا ببشاشة الوجه حتي وهو مشدود على الخشبة التى أعدت له. وعندما أشعلت النيران حوله فى شكل دائرة وعلى بعد قليل منه، وصار يستنشق اللهب فى فمه، ظل مستمرا فى صمته ببسالة نادرة منذ تلك اللحظة حتى مات بعد الكلمة الوحيدة التى نطق بها إذ مسته اللهب، صارخا وطالبا معونة يسوع ابن الله. هكذا كان نضال بروفيرى.

(٢٠) وقد نقل رسول اسمه سلوكس أنباء موته إلى بمفيلوس. وكان هذا الرسول أحد المعترفين فى الجيش. ولأنه حمل رسالة كهذه اعتبر فى الحال مستحقا لنفس المصير. لأنه حالما روى أنباء موت بروفيرى، وحيا أحد الشهداء بقلبه، ألقى بعض الجنود القبض عليه، وقادوه إلى الوالى، الذى أمر بموته فى الحال، كأنه أراده أن يعجل فى رفقة سابقه فى الطريق إلى السماء.

(٥) خدم بمفيلوس.

(٢١) كان هذا الرجل من كبادوكية، وكان من زمرة الجنود المختارة، ونال حظا وافرا فى النواحى المعتبرة بين الرومانيين. إذ كان يفوق أقرانه الجنود فى القامة والقوة البدنية والفخامة والشجاعة، حتى كان مظهره موضوع حديث الجميع، وشكله موضوع اعجابهم بسبب حجمه وتناسب أجزاء جسمه.

(٢٢) وفى بداية الاضطهاد برز جدا فى نضال الاعتراف، وذلك بصبره على الجلدات التى تحملها. وبعد ترك الجيش وضع نصب عينيه الاقتداء بالنساك، وظهر كأنه أسقف ونصير للايتام والأرامل اللواتى لا سند لهن، وللمتألمين بسبب الفقر أو المرض، كأنه أباهم وولى أمرهم. ولعله لهذا السبب اعتبر خليقا بدعوة خاصة للاستشهاد وجهت إليه من الله الذى يسر بهذه الأمور أكثر من دخان الذبائح ودمائها.

(٢٣) وكان هو العاشر بين الأبطال الذين سبق أن ذكرنا أنهم انهوا حياتهم فى يوم واحد. فى هذا اليوم لاق بأن يفتح الباب الرئيسى الموصل إلى ملكوت السماء لدخول الشهيد بمفيلوس ومن معه.

(٢٤) وعلى أثر سلوكس جاء ثيودولس، وهو شيخ تقى وقور، كان أحد خدم الوالى، احترمه فرمليانوس نفسه أكثر من كل من فى بيته بسبب تقدمه فى السن، ولأنه كان أبا للجيل الثالث، وأيضا بسبب الرقة واللطف والأمانة التى أظهرها نحوه. وإذ اقتفى آثار سلوكس لما قدم أمام سيده غضب عليه سيده أكثر مما غضب على من تقدموه، وحكم عليه بالاستشهاد على الصليب كالمخلص.

(٢٥) وإذ كان عدد الشهداء السابق التحدث عنهم ينقصه واحد ليكملوا اثنى عشر جاء يوليانوس لتكملته. وكان قد وصل مباشرة من الخارج، ولم يكد يدخل باب المدينة حتى سمع بالشهداء، وهو لا يزال فى الطريق، فاندفع فى الحال ليراهم. ولما رأى هياكل القديسين منبطحة على الأرض عانقهم وقبلهم جميعا ممتلئا فرحا.

(٢٦) أما سفاكو الدماء فقد ألقوا القبض عليه فى الحال وهو يفعل هذا، ثم ساقوه إلى فرمليانوس. وكعادته حكم عليه بالطرح فى نار بطيئة. وعلى أثر هذا قفز يوليانوس فرحا. وبصوت مرتفع شكر الرب الذى حسبه أهلا لمثل هذه الأمور، ونال اكليل الشهادة.

(٢٧) وقد كان كبادوكيا مولدا، وفى سلوكه حريصا، أمينا مخلصا، غيورا فى كل النواحى، مقودا بالروح القدس نفسه.

هكذا كانت الجماعة التى حسبت خليفة بالاستشهاد مع بمفيلوس.

(٢٨) وبأمر الحاكم الفاجر تركت أجسادهم الطاهرة المباركة طعاما للوحوش مدة أربعة أيام وأربع ليال. والغريب أنه بعناية خاصة من الله لم يقترب إليها شيء، لا وحوش ضارية، ولا طيور جارحة، ولا كلاب، ولذا رفعت سليمة، وبعد الاستعدادات المناسبة دفنت بالطريقة العادية.

(٢٩) ولما أذيعت في كل مكان أنباء ما تم لهؤلاء الأشخاص، أتى ادريانوس ويوبوليس من المملكة التي تدعى منجانيا إلى قيصرية لرؤية المعترفين الباقين. فسئلا أيضا في باب المدينة عن سبب مجيئهما، وإذ اعترفا بالحق قدما إلى فرمليانوس. أما هو فكعادته عذبهما من دون ابطاء بتعذيب شديد في أجنابهما، ثم حكم عليهما بالطرح للوحوش.

(٣٠) وبعد يومين، في اليوم الخامس من شهر ديستروس، أي الثالث قبل التاسع من مارس، وكان معتبرا يوم ميلاد الإله الحارس لقيصرية، طرح أدريانوس لأسد، ثم قتل بالسيف فيما بعد. أما يوبولس فقد قُدّم كزميله للوحوش، وذلك بعد يومين، أي في التاسع من مارس، أو السابع من شهر ديستروس، وبعد أن رجاه القاضي أن يتمتع بالحرية المزعومة وذلك بأن يذبح للأوثان، فضل الموت الشريف من أجل الإيمان عن الحياة الزائلة. فطُرح للوحوش كزميله. وكان آخر الشهداء في قيصرية، فختم قائمة الأبطال.

(٣١) ومن المناسب هنا أيضا أن نروى كيف أن غضب السماء حل في وقت وجيز على الولاة الفجار، وكذا على الطغاة أنفسهم. لأن فرمليانوس هذا نفسه الذي أساء إلى شهداء المسيح قتل بالسيف بعد أن عانى أقصى قصاص مع الآخرين.

هكذا كانت حالات الاستشهاد التي حدثت بقيصرية أثناء كل فترة الاضطهاد.



الفصل الثانى عشر

ولعله من الأفضل التجاوز عن جميع الحوادث الأخرى التى حدثت فى نفس الوقت كتلك التى حدثت لأساقفة الكنائس الذين عوضا عن رعاية قطيع المسيح العاقلين الذين ترأسوا عليهم بطريقة غير لائقة جعلهم العدل الإلهى حارسى جمال،[١] تلك الحيوانات غير العاقلة، المعوجة جدا فى هيئة جسمها، أو دفعهم للعناية بخيل الامبراطور. والتجاوز أيضا عن الأهانات والتعييرات والتعذيبات التى تحملوها من رؤساء وحكام الامبراطورية بسبب أوانى الكنيسة المقدسة وخزائنها. وعلاوة على هذه شهوة السلطة التى بدت من الكثيرين، والرسامة غير الشرعية، والانشقاقات بين المعترفين أنفسهم. وأيضا البدع التى اخترعت باحكام ضد البقية فى الكنيسة، التى ابتدعها الأعضاء الجدد المشاغبون، الذين أضافوا بدعة على بدعة، ودفعوها فى الكنيسة بين مصائب الاضطهاد، مكومين مصيبة فوق مصيبة. وأراه من اللائق تجنب وتحاشى وصف هذه الأمور كما قلت فى البداية[٢] والاقتصار على ذكر تلك الأمور النبيلة التى تستحق المدح، وفقا للكلمة المقدسة «إن كانت فضيلة وإن كان مدح».[٣] إننى أعتبره أكثر لياقة إن أروى وأكتب وأقدم للسامعين من المؤمنين أبناء الشهداء الأبطال. وبعد ذلك أرى أنه من الأفضل تتويج الكتاب كله بالتحدث عن السلام الذى ظهر لنا من السماء.

الفصل الثالث عشر

(١) ولما تمت السنة السابعة فى نضالنا بدأت تخف تدريجيا وطأة الاجراءات العدائية التى استمرت حتى السنة الثامنة. كان قد جمع عدد عظيم من المعترفين، وأتى بهم إلى مناجم النحاس فى فلسطين، وكانوا يتصرفون بجرأة عظيمة حتى إنهم بنوا أماكن للعبادة. أما حاكم الإقليم، وكان رجلا شريرا قاسيا، كما دل على ذلك تصرفه مع الشهداء، فإنه لما أتى هناك وعلم بالأمور التى تمت، نقلها إلى الامبراطور، وكتب ما راق له من اتهامات.

(٢) ولأنه كان قد عين مشرفا على المناجم قسم جماعة المعترفين، كما لو كان بأمر ملكى، وأرسل البعض للاقامة فى قبرص، وآخرين إلى لبنان، وشتت آخرين فى أنحاء مختلفة من فلسطين، وأمرهم بالعمل فى أعمال مختلفة.

---

(١) كان من ضمن القصاصات بين الرومانيين أن يحكم على الأحرار بالعناية بخيل الامبراطور وجماله والقيام بأعمال أخرى مماثلة.

(٢) ك ٨ ف ٢ : ٢ و ٣.

(٣) (فى ٤ : ٨).

(٣) واختار الأربعة الذين بدا له أنهم هم القادة، وأرسلهم إلى قائد الجيوش فى ذلك الاقليم. وهؤلاء هم بيليوس ونيليوس[١] وهما أسقفان مصريان، ثم قس؛ وشخص آخر يدعى بترموثيوس، كان معروفا بغيرته نحو الجميع. فأمرهم قائد الجيش بانكار الإيمان، ولما رفضوا حكم عليهم بالموت حرقا.

(٤) وكان هناك آخرون حكم عليهم بالاقامة فى مكان منعزل، وهؤلاء هم المعترفون الذين بسبب تقدمهم فى السن أو تشوه أجسادهم أو ضعفات بدنية أخرى أعفوا من الخدمة وقد ترأس عليهم سلوانس، وهو أسقف من غزة، وقدم مثالا حيا للمسيحية الحقة.

(٥) وإذ برز هذا الرجل بسبب اعترافاته فى كل أنواع الكفاح، من أول يوم فى الاضطهاد حتى نهايته، حافظت عليه العناية كل ذلك الوقت لكي يكون خاتمة كل الكفاح فى فلسطين.

(٦) وكان معه كثيرون من مصر، بينهم يوحنا الذى فاق أبناء عصرنا فى قوة الذاكرة. وكان قد فقد نظره من قبل؛ ومع هذا فإنه بسبب سموه فى الاعتراف أتلفت قدمه بالكى مع غيره، وبالرغم من فقد بصره فقد حكم عليه بنفس الحكم بالطرح فى النار، وكانت كل تصرفات المعذبين بلا رحمة ولا شفقة، بل فى منتهى القسوة والوحشية.

(٧) ولأنه هكذا كانت طبيعة هذا الشخص فإن المرء لا يدهش بسبب طباعه وحياته الفلسفية، أو بسبب قوة ذاكرته. لأنه نقش أسفارا برمتها من الكتاب المقدس «لا فى ألواح حجرية» كما يقول الرسول المبارك، ولا على جلود حيوانات، ولا على ورق يبليه السوس والزمن، بل فى ألواح قلب لحمية»،[٢] فى نفس نقية شفافة، وفى بصيرة القلب الطاهرة. حتى بذلك يتمكن من استعادة أية فقرة من الكتاب سواء من الناموس، أو الأنبياء، أو الأسفار التاريخية، أو الأناجيل، أو كتابات الرسل، فى أى وقت أراد، كما من كنز مليء بالكلمات.

(٨) واعترف بأننى قد ذهلت عندما رأيت الرجل لأول مرة، إذ كان واقفا وسط جماعة كبيرة يردد بعض فقرات من الكتاب المقدس. وعندما سمعت صوته فقط خيل إلى أنه كان يقرأ حسب العادة المتبعة فى الإجتماعات. ولكن لما اقتربت منه وأدركت ما كان يفعل، وشاهدت جميع الباقين وقوفا حوله بأعين سليمة بينما كان هو لا يستخدم سوى عينى قلبه، ومع ذلك فكان يتكلم طبيعيا كنبى، ويفوق جدا سليمى الأجساد، كان من المستحيل إن لا أمجد إله، وأدهش كل الدهشة. وبدا لى أننى أرى فى هذه الأمور تأييدا قويا لتلك الحقيقة وهى إن الرجولة الحقة لا تتضمن فى الهيئة الجسمية بل فى النفس والفهم وحدهما، لأنه بجسمه المشوه أظهر سمو وعظمة القوة التى كانت بداخله.

---

(١) بخصوص بيليوس ونيليوس انظر ك ٨ ف ١٣. وقد دعى بيليوس أيضا بولس.

(٢) (٢ كو ٣ : ٣).

(٩) أما الذين ذكرنا عنهم أنهم أقاموا فى مكان منعزل، متممين واجباتهم العادية نحو الصوم والصلاة والممارسات الأخرى، فقد رأى الله نفسه أنه من المناسب أن يكرمهم بأن يمد لهم يمينه استجابة لهم، فإن العدو اللدود، الذى تحصنوا ضده بقوة بصلواتهم لله، لم يعد يطيقهم وعزم على قتلهم وابادتهم عن وجه الأرض لأنهم أتعبوه·

(١٠) وقد سمح له الله باتمام هذا دون أن يصده عن الشر الذى أراده، لكى ينالوا جزاء كفاحهم الطويل· لذلك قطعت رؤوس تسعة وثلاثين فى يوم واحد بناء على أمر مكسيمينوس اللعين·

(١١) تمت حالات الاستشهاد هذه فى فلسطين فى ثمانية أعوام كاملة· وهذا هو وصف الاضطهاد الذى حدث فى أيامنا، وإذ بدأ بهدم الكنائس، ازداد جدا بقيام الحكام ضدنا من وقت لآخر· فى هذا الهجوم استشهد الكثيرون جدا ممن جاهدوا لأجل الإيمان فى الأقطار الممتدة من ليبيا، وكل أرجاء مصر وسوريا، ومن الشرق إلى الليريكون·

(١٢) أما الممالك الأبعد، كايطاليا وصقلية وبلاد الغال، والأقطار التى فى غروب الشمس كاسبانيا وموريتانيا وافريقيا، فقد عانت آلام الاضطهاد أقل من سنتين، واعتبرت خليقة بالسلام وافتقاد العناية الإلهية فى وقت أسرع· وأشفقت السماء على وحدة قصد هؤلاء الناس وايمانهم·

(١٣) لأن ما لم يدون قط من قبل فى تواريخ الحكومة الرومانية حيث أولا فى أيامنا بعكس كل انتظار، إذ انقسمت الامبراطورية إلى قسمين[٣] أثناء الاضطهاد الذى حدث فى أيامنا· وقد تمتع بالسلام الاخوة المقيمون فى الأقطار السابق التحدث عنها، أما المقيمون فى الأرجاء الأخرى فقد تحملوا المحن التى لا حصر لها·

(١٤) ولكن عندما تعطفت النعمة الإلهية وأظهرت رعايتها من نحونا أيضا غير حكامنا تفكيرهم بكيفية عجيبة ونشروا منشورا[٤] بالغاء الاجراءات السابقة، مع أنهم هم بعينهم الذين شنوا علينا الحرب من قبل· وبأوامر رقيقة، وقرارات حكيمة، أطفأوا النيران السابق اشعالها لالتهامنا· وكان لزاما علينا الاشارة إلى هذا·

انتهى كتاب يوسابيوس بمفيلى

عمن استشهدوا فى فلسطين

(٣) بخصوص نقسام الامبراطورية إلى قسمين انظر ك ٨ ف ١٣·

(٤) هو الذى أصدره غالريوس فى ربيع سنة ٣١١· انظر ك ٨ ف ١٧ ·

الكتاب التاسع

الفصل الأول

الهدنة المزعومة

(١) أما أمـر الالغاء الامبـراطورى[١] السابق الاشارة إليـه فقد علق فى جـميع أرجاء آسـياء، والأقطار المجاورة. وبعد هذا رأينا مكسيمينوس الطاغـية فى الشرق، وهو رجل لم يوجد أشر منه، عدو لدود لديانة إله الكون، لم يعجبه مطلقا محـتويات الأمر المذكور، ولذلك فإنه بدلا من ارساله إلى الولاة الخاضعين له أعطاهم أوامر شفوية لتخفيف وطأة الحرب ضدنا.

(٢) لأنه إذ لم يستطع بأى حال مقاومة قرار رؤسائه، وأخفى الأمر الصادر، وحرص على عدم اظهاره فى المنطقة الخاضعة له، أعطى أمرا شفويا لـلولاة الخاضعين له بتخفيف الاضطهاد ضدنا. أما هم فقد نقلوا الأمر إلى بعضهم البعض كتابة.

(٣) وقد نقل سابينوس على الأقل رغـبة الامبراطور إلى ولاة الأقاليم فى رسـالة لاتينية. وكان سابينوس هذا يحتل أرفع منصب بينهم. وهاك ترجمة الرسالة:

(٤) «لقد سـبق لأصحـاب الجلالة سادتنا المبـجلين الأباطرة إن وجهـوا تفكير كل الناس بصـفة مستمرة وغيرة متأججة للسلوك فى سبيل الحياة النقـية المستقيمة، حتي يقدم العبادة الواجبة للالهة الخالدة أولئك أيضا الذى يعيشون حياة لا تتـفق مع الرومانيين. على أن عناد البعض وعزمهم الذى لا يليق ذهبا إلى أبعد حد حتى إنهم لم يتـحولوا قيد شعرة عن قصدهم رغم مـا أعطى إليهم من أوامر، ولا خارت نفوسهم رغم ما هددوا به من قصاص.

(٥) «ونظرا لأن الكثيريـن عرضوا أنفسهم للخطر بمثل هـذه التصرفات، فإن أصـحاب الجلالة، سادتنا العظماء الأباطرة بسبب ما جبلوا عليه من نبل وتقـوى وجدوا أنه مما يتنافى مع مقاصد جلالتهم أن يعرضوا أناسا للخطر لسـبب كهذا، فأمروا خادمهم الأمين، أقصـد شخصى، لكى أكتب إلى فطنتك بأنه إن وجد أى مـسيحى منشغـلا فى العبادة التى يتمـسك بها شعـبه وجب عليك أن لا تزعجه أو تعـرضه للخطر، وإن لا تظنه ضروريا أن تعاقب أي واحـد لهذا السبب. فقد دل الاخـتبار الطويل على أنهم لن يتزحزحوا عن تصميمهم بأي حال.

(١) ك ٨ ف ١٧.

(٦) «لذلك أحرص على أن تكتب لأولـياء الأمور والقضـاة ورؤساء كل مدينة لكى يعـرفوا أنه ليس من الضرورى أن يهتموا فيما بعد بهذا الأمر».

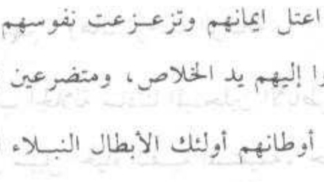
(٧) وبناء على هذا اعتقـد حكام المقاطعات أن القصـد من الكتابة قد أصبح معلـوما لهم يقينا، فنقلوا الرغبة الامبراطورية إلى الولاة والقضاء والرؤسـاء فى كل اقليم كتابة. على أنهم لم يقتصروا على الكتابة بل سعوا بأسرع مـا يمكن لإتمام رغبة الامبراطور المزعومة بالإفعال أيضا. فـوهبوا الحرية لمن سبقوا أن سجنوهم مـن أجل اعترافـهم بالله، وأطلقوا سـراح من كانوا قـد أرسلوهم إلى المناجم للاقتـصاص منهم، لأنهم ظنوا خطأ أن هذه هى ارادة الامبراطور الحقيقية.

(٨) ولما تمت هذه الأمور على هذا الوجه كان المرء يسـتطيع أن يرى فى كل مدينة - كنور أشرق فى ليلة مظلمة - الجماهير مجتمعة، والجماعات مكتظة، والاجتماعات تعقد حسب عادتهم. ودهش كل واحد من الوثنيـين غير المؤمنين دهشـة عظيمة، مـتعـجبين من هذا التحـول العجيب، ومـعلنين بأن إله المسيحيين إله عظيم، وأنه هو الإله الحق وحده.

(٩) وظهر ثانيـة بعض من شعـبنا ممن تحملوا نيـران الاضطهاد بشجـاعة وأمانة، مـظهرين كل صراحـة وبسالة الجمـيع. أما الذين اعتل ايمانهم وتزعـزعت نفوسهم أمـام العاصفة فـقد طلبوا الشـفاء بالحاح، متوسلين إلى الأقوياء أن يمدوا إليهم يد الخلاص، ومتضرعين إلى الله ليرحمهم.

(١٠) وعندئذ عاد أيضا إلى أوطانهم أولئك الأبطال النبـلاء الذين كانوا قد أرسلوا إلى المناجم، وذلك بعد منحهم الحرية. وكانوا يمرون فى كل مدينة معـبرين عن فرحهم، وممتلئين سرورا لا يعبر عنه، وجرأة لا تفصح عنها الكلمات.

(١١) وكان بينهم فى رحلتهم جمـاهير كثيرة فى الطرق العامة والأسواق، مـسبحين الله بترانيم ومزامير، وكنت ترى أولئك الذين كانوا قبل ذلك بقليل قـد طردوا من أوطانهم فى قيود بمنتهى القسوة، عائدين إلى بيوتهم بوجوه باشة، لدرجة أن هنأنا على ما حدث حتى أولئك الذين كانوا يتعطشون لدمائنا من قبل، وذلك عندما رأوا تلك الأمور العجيبة غير المنتظرة.



الفصل الثانى

رد الفعل الذى حدث عقب ذلك

(١) على أن الطاغية الذى حكم الأقطار الشرقية كما قلنا، مبغض الصلاح، وعدو كل رجل فاضل، لم يعد يحتمل هذا. والواقع أنه لم يسمح بأن تسير الأحوال على هذا المنوال سوى ستة أشهر.[١] فاخترع كل وسيلة ممكنة لتدمير السلام، وحاول فى بداية الأمر أن يصدنا عن الاجتماع فى المقابر متذرعا بحجة معينة.[٢]

(٢) وعندئذ أرسل - بتحريض من بعض الأشرار - سفارة إلى نفسه ضدنا، محرضا أهل انطاكية بأن يطلبوا منه منة عظمى هى أن لا يسمح للمسيحيين بأى حال من الأحوال بالاقامة فى بلادهم، وحرض غيرهم سرا ليفعلوا نفس الأمر. وكان ثيوتكنس[٣] هو مدبر كل هذا فى انطاكية. وهو رجل صارم وشرير ودجال، لا تتفق صفاته مع اسمه.[٤] ويبدو أنه كان والى المدينة.

الفصل الثالث

التمثال الذى أقيم حديثا فى أنطاكية

وبعد أن أشهر هذا الرجل كل أنواع الحرب ضدنا، وأمر بالحث عن شعبنا فى مخابئهم كأنهم لصوص أثمة، ولفق كل أنواع المذمة والتهم ضدنا، وقتل عددا وفيرا، أقام أخير تمثالا لجوبيتر فيليوس مع بعض الشعوذات والأعمال السحرية، وبعد أن أخترع للتمثال صورا دنسة من التعاليم والأسرار المنذرة بالشر، ووسائط بغيضة للتطهير، عرض شعوذته بأقوال ادعى أنه مستعد للنطق بها حتى للامبراطور. وبتملقات أرضت الحاكم هيج الشياطين ضد المسيحيين قائلا إن الإله أمر بطرد المسيحيين - كأعداء له - خارج حدود المدينة والأقاليم المجاورة .

---

(١) صدر قرار غالريوس فى ابريل سنة ٣١١ (ك ٨ ف ١٧) ولذا فيكون تغيير مكسيمين لخطته قد تم حوالى شهر اكتوبر.

(٢) لعل هذه الحجة أن الاجتماعات الليلة فى قبور الشهداء بما يتبعها من تحمس وغيرة غير مرغوب فيها.

(٣) قيل بأنه مرتد عن المسيحية.

(٤) كلمة ثيوتكنس معناها ابن الله.

الفصل الرابع

التذكارات التى أقيمت ضدنا

(١) والواقع إن نجاح الرجل الذى تزعم هذه الحركة أغرى كل الموظفين الاخرين فى المدن الواقعة فى نفس المنطقة لاقـامة تذكار مماثل. وإذ رأى حكام المقاطعـات أن هذا يرضى الامبراطور اقتـرحوا على رعاياهم أن يفعلوا نفس الأمر.

(٢) ولما أعلن الطاغيـة بأمر ملكى رضاءه عـلى تصرفاتهم اشـتعلت نيران الاضطهـاد ضدنا من جديد. وأقام مكسيـمينوس نفسه الكهنة للتماثيل فى المدن ورؤساء كهنـة أيضا. وهؤلاء الاخيرون أخذوا من أبرز الشخصيات فى الحياة العامـة، الذين أظهروا براعة فى كل المراكز التى احتلوها، والذين اشتعلوا غيرة لخدمة التماثيل التى عبدوها.

(٣) وبالايجاز إن خرافـات الامبراطور الشاذة دفـعت فى الواقع كل رعاياه - حكاما وشـعبا - لارتكاب كل شىء ضدنا ارضـاء له، ظانين أنهم يمكنهم اظهار شكرهم له من أجـل كل ما نالوه منه من امتيازات بتدبير القتل ضدنا واظهار أى علامات جديدة للحقد علينا.

الفصل الخامس

سفر الأعمال المزور

(١) وإذ زوروا سفرا عن أعـمال بيلاطس ومخلـصنا، مليئا بكل أنواع التجـديف على المسيح، أرسلوه بموافقـة الامبراطور، إلى كل أرجاء الامـبراطورية الخاضعـة له، مع أوامر كتابيـة تأمر بأنه يجب تعليقـه عـلنا أمـام أنظار الجـميع فى كـل مكان، فى الريف والمدن، وأن المدرسين يجـب أن يعلمـوه لتلاميذهم، بدلا من دروسهم العادية، وأنه يجب دراسته وحفظه عن ظهر قلب.

(٢) وإذ كانت هذه الأمور تحـدث تقدم قائد حربى آخـر يسميه الرومانيـون دكس وألقى القبض على بعض النسوة الساقطات فى سوق دمـشق بفينيقية، وبتهديدهم بالتعذيب ألـزمهن على كتابة تصريح بأنهن كن قبلا مسيحيات، وأنهن كن يرتكبن أعمالهن الفاضحة، وكن يرتكبن الرذيلة فى ذات كنائسهن، وصرحن بمثـالب أخرى كـثيـرة ضد ديانتنا كـما أرادهن أن يقلن. وأخـذ آخر أقوالهـم كتابة نقلـها إلى الإمپراطور الذى أمر بإذاعة هذه الوثائق أيضا فى كل مكان وفى كل مدينة.

الفصل السادس

أولئك الذين استشهدوا فى ذلك الوقت

(١) وبعد ذلك بقليل صار هذا القائد الحربى قاتل نفسه، ونال جزاء شره· ولكننا اضطررنا ثانية لتحمل النفى والاضطهاد العنيف، وثار الحكام ضدنا بقسوة مرة أخرى فى كل مقاطعة، حتى ألقى القبض على البعض ممن برزوا جدا فى فهم الكلمة الإلهية، وحكم عليهم بالموت بدون رأفة· وإذ اعترف ثلاثة منهم فى مدينة أميسا بفينيقية بأنهم مسيحيون ألقوا طعاما للوحوش· من بينهم الأسقف سلوانس،[١] وكان متقدما فى السن، قضى فى مركزه أربعين سنة كاملة·

(٢) وفى نفس الوقت تقريبا إذ ألقى القبض - بلا مبرر وعلى غير انتظار - على بطرس أيضا الذى ترأس على أبروشيات الاسكندرية بكيفية ممتازة جدا، وكان مثلا أعلى للاسقف، بسبب سمو حياته، ودراسته للكتب المقدسة، قطعت رأسه فى الحال ودون سؤاله، كأنما كان ذلك بأمر مكسيمينوس· ولقى معه أيضا نفس المصير أساقفة آخرون كثيرون من مصر·

(٣) أما لوسيان،[٢] وكان قسا فى أبروشية أنطاكية، ممتازا جدا فى كل ناحية، عائشا حياة نقية، واشتهر بسعة اطلاعه فى الروحيات، فقد أحضر إلى مدينة نيكوميديا، وتصادف أن كان الامبراطور مقيما بها وقتئذ· وبعد أن قدم أمام الحاكم دفاعا عن الإيمان الذى اعتنقه ألقى فى السجن وحكم عليه بالموت·

(٤) هذه هى المحن التى حلت بنا فى فترة قصيرة على يدى مكسيمينوس، عدو الفضيلة، وهكذا كان يبدو أن هذا الاضطهاد الذى وجه إلينا كان أشد قسوة من سابقه·

---

(١) ك ٨ ف ١٣ : ٣ و ٤·

(٢) ك ٨ ف ١٣ وكان لوسيان هذا من أكبر علماء الكنيسة الأولى· وقد أعد الترجمة السبعينية ترجمة منقحة· وكتب بعض الكتب عن الايمان وبعض الرسائل وتفسيرا لسفر أيوب·

الفصل السابع

الأمر الملكى الذى صدر ضدنا ونُقش على الأعمدة

(١) وقد نقشت على أعمدة نحاسية وسط المدن التذكارات[١] التى أقيمت ضدنا، وصور من الأوامر الملكية التى صدرت ردا عليها، وهذه طريقة لم تتبع قط فى أى مكان آخر. وكان يسمع من أفواه صبية المدارس كل يوم اسما يسوع وبيلاطس، وسفر الأعمال الذى زور بوقاحة وتهور.[٢]

(٢) ويبدو لى أنه من الضرورى أن نثبت هنا وثيقة مكسيمينوس التى علقت الأعمدة، لكى تضح فى نفس الوقت غطرسة الرجل مبغض الله، والانتقام الإلهى الذى لا ينعس، والمبغض الشر. والذى يحل بالفجار، الذى تعقبه وحل به، والذى تحت ضغطه سلك الطريق المعكوس ضدنا بعد ذلك بقليل، وأيد ذلك بقوانين مكتوبة.

أما الوثيقة فتراها فى الكلمات الآتية:

صورة ترجمة الأمر الملكى الذى أصدره

مكسيمينوس ردا على التذكارات التى

أقيمت ضدنا. وقد أخذ من عمود فى مدينة صور

(٣) «وأخيرا، استطاعت قوة العقل البشرى الضعيفة أن تزيح كل ضباب مظلم وكل ضلالة استأثرت قبل الآن حواس البشر، وأحاطتهم بظلمة الجهل المدمرة. واستطاعت كذلك أن تبين أنها تسترشد بالعناية الرحيمة التى للالهة الخالدة.

(٤) «ومما يفوق التصديق مقدار شكرنا وسرورنا ورضائنا بسبب ما قدمتموه من برهان على ثباتكم وتقواكم. لأن كل واحد كان يعرف حتى قبل الآن مقدار الولاء والاحترام اللذين كنتم تقدمونهما للالهة الخالدة، مظهرين لا ايمانا متضمنا فى مجرد الكلمات الجوفاء، بل أعمالا مجيدة مستمرة عجيبة.

(٥) «لذلك يليق أن تلقب مدينتكم بحق كرسيا ومقرا للالهة الخالدة. وهى على الأقل تبدو - من علامات كثيرة - أنها تزدهر وتنمو بفضل وجود الإلهة السماوية فيها.

---

(١) ف ٢ و ٤.

(٢) ف ٥.

(٦) «وهوذا مدينتكم عندما أدركت أن أصـحاب تلك الضلالة الممقوته قد بدأوا ينـتشرون ثانية، ويشعلون أعظم نيران مـلتهبة كثيران أطفـئت وبدأت جذوتها تشتعل ثانيـة - هوذا مدينتكم، بغض النظر عن كل الامتيازات الخاصة. وعن طلباتها السابقة لمصلحتها، لجأت فى الحال لقداستنا كما لمركز كل ديانه طالبة العلاج والمعونة.

(٧) «وواضح أن الإلهة قد وهبتكم هذا العقل الراجح بسبب ايمانكم وتقواكم.

«لذلك فـإن جوبيـتر، الإله العظـيم المقتـدر، الذى يرأس مدينتكـم المزدهرة ويحافظ على آلهـة أجـدادكم، وعلى زوجاتكم وأولادكـم، وعلى مسـاكنكم وبيـوتكم من كل وبأ مـهلك، قد غـرس فى نفوسكم تلك العزيمة السليمة مبينا ومبرهنا كيف هو مجـيد وسام وجميل ممارسة العبادة والشعائر المقدسة للإلهة الخالدة بالإحترام اللائق.

(٨) «لأنه من ذا الجاهل أو الخـالى من كل فهم الذى لا يدرك أنه بسبـب عناية الإلهة لا ترفض الأرض البذار التى تزرع فيها، ولا تخيب رجاء الزارع، وإن الحروب الأثيمة ليست محتمة على الأرض، وإن الإجسـاد البالية تنحدر إلى الموت تحـت تأثير الجو الفاسـد، وإن البحر لا ينتـفخ ويعلو بفعل الرياح العاتية، وأن الأعـاصير غير المنتظرة لا تتسـبب عنها العواصف المدمرة، وأن الأرض، مغـذية الجميع وأم الجميع، لا تتزعزع أعماقها بفعل الهزات العنيفـة، وإن الجبال التى عليها لا تغوص فى الثغرات المتسعة. لا يجهل أحد أن كل هذه الشرور، وغيرها مما هو أشر منها، كثيرا مما حدثت حتى الآن.

(٩) «وقد حـدثت كل هذه المصائـب بسبب الأخطاء المدمـرة المنبعـثة من غـرور هؤلاء الأشرار الباطل، عندما تملك على نفوسهم، ونكاد نقول إنه غطى كل الأرضى بالخزى والعار».

(١٠) وبعد هذه الكلمات أضاف قائلا:

«فلينظروا إلى المحاصيل القائمة المزدهرة تتمايل فى الحقـول الفسيحة، وإلى المراعى الزاهية بنباتها وأزهارها بسبب الأمطار الغزيرة وأعتدال الجو وجماله

(١١) «وأخيرا فليفرح الجميع لأن قوة مارس[٣] الجبـار المقتدر المهوب قد أرضتها تقوانا وذبائحنا وتبجيلنا. وليتمتعوا إذن بالسلام الكامل الثابت، وليردد غبطة كل الذين ابتعدوا عن تلك الضلالة وعادوا إلي التفكيـر السليم الصحيح، كمن قـد نجوا من عاصفـة فجائية أو من مـرض شديد، ليحصـدوا ثمار السعادة باقى أيام حياتهم.

(٣) إله الحرب عند الرومان.

(١٢) «أما إذا أصروا على ضلالـتهم اللعينة فليطردوا من مدينتك ومقاطعـتك كما أردت، لكى تستطيع مدينتك - إذ تتحرر من كل دنس وكفر - ممارسـة الشعائر المقدسة للإلهة الخالدة بالإكرام اللائق، وفقا لغيرتك الممدوحة فى هذا الأمر، ووفقا لميولها الوطنية.

(١٣) «ولكن لكى تعـرف كيف كانت طلبـتك فى هذا الأمر مقـبولة لدينا، ومـقدار استـعدادنا لاغداق البـركات طوعـا دون تذكارات أو طلبات، فـإننا نسمح لقـداستك، بأن تسأل أى هـبة - مهـما عظمت - مكافأة لك على ميولك الصالحة هذه.

(١٤) «اسأل الآن أن يتم هذا وأن تناله، لأنك لابد أن تحصل عليه دون ابطاء. وإذا ما منح هذا لمدينتك قدم دليلا مسـتمرا على تقواك نحو الإلهة الخالدة، وعلى أنك قـد حصلت، من جودنا وكرمنا، على مكافأة طيبة لاختيارك هذا، فيراها أولادك وأولاد أولادك».

(١٥) هذا ما نشـر ضدنا فى كل المقـاطعات وقطع عنـا كل رجاء فى أى خيـر، على الأقل من البشر، حتى يضل لو أمكن المختارون أيضا[٤] فى هذه الأمور، وفقا للقول الإلهى.

(١٦) والواقع إنه عندما كـاد ينقطع الرجاء عند الأغلبيـة بيننا، وعندما كاد منفـذو الأمر الملكى المشار إليه يكملون رحلتهم إلى بعـض الإماكن، أظهر الله، حامى كنيسته، بغتـة، تدخل السماء للدفاع عنا، وأوقف تجبر الطاغية علينا.

الفصل الثامن

النكبات التي حلّت في مجاعات وأوبئة وحروب، بمناسبة هذه الأمور

(١) ولقد كـفت أمطار فصل الشـتاء العـادية أن تهطل على الأرض بغزارتهـا المعتـادة، فظهرت مجاعة على غير انتظار، ثم حلت الأوبئة علاوة على هذا، ومـرض شنيع آخر عبارة عن قرحة قيل عنها بحق أنها جمرة بالنسـبة لمظهرها النارى. وإذ كانت هذه القرحة تنتشر فى كل الجـسم كانت تعرض الحياة للخطر. وعندما كانت تصيب العينين كانت تحرم جماهير من الرجال والنساء والأطفال من البصر.

(٢) وفضـلا عن هذا فقـد اضطر الطاغية إلى مـحاربة الأرمن الذين كـانوا منذ القديم أصـدقاء الرومانيين وحلفـاءهم. ولأنهم كانوا هم أيضـا مسيـحيين وغيوريـن فى عبادتهم لله حـاول عدو الله أن يلزمهم على الذبح للاصنام والشياطين، وبهذا جعل الأصدقاء أعداء، والحلفاء خصوما.

(٤) (مت ٢٤ : ٣٤).

(٣) كل هذه الأمور حدثت فجأة في وقت واحد فحطمت كبرياء الطاغية وتبجحه على الله. لأنه سبق أن افتخر بأنه بسبب غيرته للاصنام وعداوته لنا لم تحصل في عهده مجاعات أو أوبئة أو حروب. وإذ حلت عليه هذه الأمور كلها معا في وقت واحد في الحال بينت على أنها كانت مقدمة لخرافه.

(٤) وقد اندحر هو نفسه بقواته في الحرب مع الأرمن، أما بقية سكان المدن الخاضعة له فقد حلت بهم المجاعة والأوبئة بشكل مرعب، حتى بيع مكيال الحنطة الواحد بألفين وخمسمائة درهم يوناني.[١]

(٥) وكان عدد الذين ماتوا في المدن لا يحصى، أما عدد الذين ماتوا في الريف والقرى فكان أكثر، حتى كادت قوائم الضرائب التي كانت سابقا تتضمن عددا وفيرا جدا من سكان القري تصبح بيضاء، إذ قضت المجاعة والأوبئة على الجميع تقريبا بمنتهى السرعة.

(٦) وكان البعض يتمنون التخلص من أثمن ما يملكون لمن توفر لديهم الطعام في نظير أقل لقمة من الطعام، وباع الاخرون ممتلكاتهم قليلا قليلا حتى أصبحوا في أشد حالات الفاقة والعوز. كان البعض يمضغون القش ويأكلون الأعشاب الكريهة، فأتلفوا بذلك صحتهم.

(٧) وكانت بعض النساء من أشرف العائلات في المدن تتجولن في الأسواق للاستجداء، وكانت تتبين عليهن دلائل الثراء السابق من احتشامهن في مظهرهن ووقارهن في هيئتهن.

(٨) وإذ حل الضنك بالبعض وأصبحوا على حافة الموت تعثروا وتمايلوا هنا وهنالك، وكانوا أضعف من أن يستطيعوا الوقوف، فسقطوا في وسط الشوارع، وكانوا وهم منطرحين يتوسلون أن تعطى إليهم لقمة خبز صغيرة، وفي آخر نفس يصرخون قائلين: جائع. ولم تكن لهم قدرة إلا على أن يبعثوا هذه الصرخة الأليمة جدا.

(٩) أما الآخرون الذين كان يبدو أنهم توفر لديهم الطعام فقد اندهشوا من كثرة عدد الشحاذين، وبعد أن وزعوا كميات كبيرة تقست قلوبهم أخيرا متوقعين أنهم هم أنفسهم أيضا سوف يعانون سريعا نفس المصائب كهؤلاء الشحاذين.

وهكذا ظلت الجثث العارية منطرحة وسط الأسواق والأزقة أيام طويلة دون أن تدفن، فكانت منظرا أليما جدا لمن شاهدوها.

(١) الدرهم اليوناني عملة فضية كانت توازي قيمته نحو خمسة قروش.

(١٠) وأصبح البعض أيضــا طعاما للكلاب، الأمر الذى لأجله بدأ الأحيــاء يقتلون الكلاب لئلا تجن فتلتهم الناس.

(١١) والأسوأ من هذه تلك الأوبئة التى كانت تقضى على بيوت وعائلات برمتها سيما الذين لم تتمكن منهم المجاعة بسبب توفر الطعام لديهم. وكذا التهم الموت سريعا الأثرياء والحكام والولاة وكثيرين من ذوى المناصب الرفيعة، كأن المجــاعة قد تركتهم لتقضى عليهم الأوبئة. ولهذا امــتلأ كل مكان نحيبا، ولم يكن يرى أو يسمع فى كــل زقاق أو سوق أو شارع ســوى أصوات البكاء، المقتــرنة بالآلات العادية وأصوات النادبين.

(١٢) وبهذه الكيفية قضى الموت على عائلات برمتها فى وقت وجيز مستخدما فى حربه الشعواء هذين السلاحين: الأوبئة والمجاعة، حتى كان المرء يرى جثتين أو ثلاثة محمولة فى وقت واحد.

(١٣) هكذا كان جزاء افتخار مكسيــمينوس وجزاء الاجراءات التى اتخذتها المدن ضدنا. وعندئذ ظهرت لكل الوثنيين أدلة غيرة المسيحيين وتقواهم.

(١٤) لأنهم وحدهم وسط تلك المصــائب أظهروا عطفهم وإنســانيتهم بأعمــالهم. ففى كل يوم استمر البــعض فى اظهار عنايتهم نحو الموتى ودفنهم، إذ كان هنالك كثيــرون لا يجدون من يعنى بهم. والآخرون كانوا يجمعون فى مكان واحد من عضتهم المجاعة بأنيابها فى كل المدينة ويقدمون الطعام إليهم جميعا. وهكذا أذيعت بين الجميع هذه الأنباء فمجدوا إله المسيــحيين، وإذ اقتنعوا بالحقائق نفسها اعترفوا بأن المسيحيين هم الوحيدون الأتقياء والمتدينون.

(١٥) وبعد أن تمت هذه الأمــور هكذا أعاد إلينا الله، حــامى المسيحــيين العظيم، ضيــاء شمس عنايته من نحــونا، بعد أن أعلن عن الحوادث الســابق وصفهــا غضبــه على جميع الناس بســبب الشرور العظيمة التى جلبــوها علينا. وهكذا أضاء علينا بنور السلام بكيفــية عجيبة وسط الظلمــة المدلهمة، وبين للجمــيع أن الله نفســه كان هو الذى يدبر أمــورنا دواما. صــحيح أن الله يؤدب شــعبــه من وقت لآخر ويفتقدهم، ولكنه بعد التأديب الكافى يعود ويظهر الرحمة والشفقة لمن يرجونه.

الفصل التاسع

انتصار الأباطرة محبوبى الله

(١) وهكذا رأينا أن قسطنطين السابق ذكره[١] الامبراطور المولود من امبراطور، الابن البار لأب تقى حكيم، وليسينيوس ثانية،[٢] وهما امبراطوران محبوبان من الله، مكرمان على قدم المساواة من أجل ذكائهما وتقواهما، عندما حركهما الله مخلص الجميع وسيد الكل، وأهاجهما ضد الطاغيين الشريرين، واشتبكا فى الحرب معهما. وكان الله ظهيرا لهما، اندحر مكسنتيوس[٣] فى روما أمام قسطنطين بكيفية عجيبة. أما طاغية الشرق[٤] فلم يعمر طويلا بعده بل لقى حتفه بكيفية مخجلة على يدى ليسينيوس الذى لم يكن قد جن بعد.[٥]

(٢) أما قسطنطين الذى كان متقدما فى المقام وفى المركز الامبراطورى، فإنه فى بداية الأمر أشفق على من ظُلموا فى روما. وإذ لجأ بالصلاة إلى إله السماء، وكلمته يسوع المسيح نفسه مخلّص الجميع، كعون له، تقدم بكل جيشه، معتزما أن يرد إلى أهل روما حريتهم السابقة.

(٣) غير أن مكسنتيوس، إذ اتكل بالأحرى على أعمال الشعوذة أكثر من اتكاله على ولاء رعيته، لم يجسر على التقدم أبعد من أبواب المدينة، بل حصن كل مكان ومنطقة ومدينة، كانت قد استعبدت له، بجوار روما وفى كل ايطاليا، بفرق هائلة العدد وجنود لا عدد لهم. أما الامبراطور فقد اتكل على الله، وهجم على أول وثانى وثالث جيش للطاغية وقهرهم أجمعين. وإذ غزا الجزء الأكبر من ايطاليا اقترب جدا من روما.

(٤) ولكى لا يضطر لاشهار الحرب على أهل روما من أجل الطاغية جذبه الله نفسه، كما بسلاسل، وأبعده عن أبواب المدينة، وأيد تلك التهديدات السابق تدوينها فى الكتب المقدسة عن الأشرار، والتى لا يصدقها الأغلبية كأنها خرافة، ولكن المؤمنين يصدقونها - أيدها الله، بالإيجاز، بالعمل نفسه، أيدها للجميع، للمؤمنين ولغير المؤمنين، الذين رأوا الأعجوبة بأعينهم.

---

(١) ك ٨ ف ١٣.

(٢) كان كل من قسطنطين وليسينيوس يحمل لقب أوغسطس ولكن قسطنطين كان متقدما.

(٣) بخصوص مكسنتيوس انظر ك ٨ ف ١٤.

(٤) أى مكسيمينوس. انظر فصل ١٠ التالى.

(٥) اشارة إلى عداوة ليسينيوس للمسيحيين التى ظهرت بعد ذلك ببضع سنوات ونشأ عنها اضطهادهم.

(٥) وكمـا حدث فى أيام موسى نفسـه وأيام جنس العبرانيين أحـباء الله عندما «ألقى مركـبات فرعون وجـيشه فى البحـر. وأغرق أفضل جنوده المركـبية فى بحر سـوف وغطاهم باللحجج»[٦] هكذا حدث لمكسنتيوس وجنوده وحرسه، فأنهم «قد هبطوا فى الأعـماق كحجر»[٧] عندما هرب أمام قوة الله المرافقة لقسطنطين، وجاز النهر القائم فى طريقـه، الذى كان قد أنشأ فوقه قنطرة من السفن، وهكذا أعد بنفسه وسيلة هلاكه.

(٦) ويستطيع المرء أن يقول عنه إنه «حفر حفرة وفتـحها فسقط فى الهوة التى صنع. يرجع تعبه على رأسه. وعلى تاجه يهبط ظلمه».[٨]

(٧) فإن القنطـرة القائمة فـوق النهر إذ انكسـرت ولم يعد هناك مـجال للعبـور اختـفت السفن والرجال فى الأعماق فى الحال، وكان أول من اختفى ذاك الرجل الشرير نفسه، ثم حاملو الدروع، وكما تنبأت الأقوال الإلهية «غاصوا كالرصاص فى مياه غامرة».[٩]

(٨) وهكذا استطاع من نالوا النصرة من الله، أن يتغنوا، إن لم يكن بالقول فعلى الأقل بالفعل، كما تغنى موسى خادم الله العظيم ومن معه ضد ذلك العاتى القديم قائلين «لنرنم للرب فإنه بعظمة مجد ذاته. الفرس وراكبه طـرحهما فى البحر، قد صـار معينا وحاميا لخـلاصى،[١٠] «من مثلك بين الإلهة يارب. من مثلك معتزا فى القداسة، عجيبا فى المجد، صانعا عجائب».[١١]

(٩) ترنم قسطنطين بهذه التـسبحة وأمثالهـا، بأعماله نفسها، لله الملك المطلق ومـصدر نصرته، وذلك عندما دخل روما ظافرا. وللحال استقبله جميع أعضاء مجلس الأعيان وباقى الشخصيات البارزة، مع أهل روما، والأطفال والنساء، كمنقذهم ومخلصهم. والمحسن إليهم، بأعين براقة ونفوس مستبشرة، بهتافات الفرح العظيم والغبطة التى لا تحد.

(١٠) أما هو فإنه لم يغتبط بسبب الهتافات، ولم ينتفخ بسبب التسابيح، إذ كان قد تأصلت فيه تقوى الله. ولكنه، وقد رأى أن معونته كـانت من قبل الله، أمر فى الحال بأن يوضع فى يد تمثاله تذكار لآلام المخلص. ولما وضعه ووضع عـلامة الصليب المخلص فى يمين التمثـال، فى أظهر مكان فى روما، أمر بنقش الكتابة التالية عليه باللغة الرومانية:

---

(٦) (خر ١٥ : ٤ و ٥). (٧) (خر ١٥ : ٥).
(٨) (مز ٧ : ١٥ و ١٦). (٩) (خر ١٥ : ١٠).
(١٠) (خر ١٥ : ١ و ٢) حسب الترجمة السبعينية. (١١) (خر ١٥ : ١١).

(١١) «بهذه العلامة المقتدرة،[١٢] دليل الشجاعة الحقيقى، أنقذت مدينتكم وحررتها من نير الطاغية، وفضلا عن هذا فإننى إذ حررت مجلس الأعيان وشعب روما قد أعدتهم إلى مقامهم السامى السابق ومجدهم».

(١٢) وبعد هذا بارك الله قسطنطين نفسه والأمبراطور ليسينيوس، الذى لم يكن قد أصيب بعد بالجنون الذى تردى فيه فيما بعد، وسبحاه كمصدر لكل بركاتهما، وبنفس واحدة ورأى واحد أصدرا أمرا ملكيا كاملا[١٣] فى مصلحة المسيحيين، وأرسلا وصفا للعجائب التى صنعها الله لهم، والانتصار على الطاغية، مع صورة من الأمر نفسه، إلى مكسيمينوس الذى كان لا يزال يحكم على أمم الشرق مدعيا صداقتها.

(١٣) أما هو فإنه كطاغية تألم جدا مما علمه. ولكنه إذ لم يرد أن يظهر خضوعه لأحد آخر، ومن الناحية الأخرى لم يرد أن يبطل الأوامر الصادرة، خوفا من مصدريها، اضطر أن يوجه إلى الولاة الخاضعين له هذه الرسالة الأولى فى مصلحة المسيحيين، مزورا أمورا نسبها إلى نفسه لم يفعلها هو قط.

ترجمة رسالة الطاغية مكسيمينوس

«جيوفيوس مكسيمينوس أوغسطس إلى سابينوس.[١٤] إننى واثق من أن الأمر واضح لفطنتك ولجميع الناس أن سيدنا وأبوينا دقلديانوس ومكسيميانوس لما رأيا أن كل الناس تقريبا يهجرون عبادة الآلهة.

(١٤) «وينضمون إلى جماعة المسيحيين أمرا بحق أن جميع من تركوا عبادة تلك الإلهة الخالدة يجب أن يعادوا إلى عبادة الإلهة بالتأديب العلنى والقصاص.

(١٥) «ولكننى لما أتيت فى بداية الأمر إلى الشرق فى ظروف طيبة، وعلمت أن رجالا كثيرين جدا فى بعض الأماكن، ممن يستطيعون تأدية الكثير من الخدمات العامة قد نفاهم القضاة للسبب المتقدم ذكره، أصدرت أمرا لكل القضاة بعدم معاملة أي واحد من الأقاليم بالقسوة، بل بالأحرى يعيدونهم إلى عبادة الإلهة بالتملقات والنصائح.

---

(١٢) أثناء حربه ظهر له صليب من نور فى كبد السماء ظهرا وكتبت تحته هذه العبارة «بهذا تغلب».

(١٣) هذا هو الأمر المشهور الذى صدر فى ميلان سنة ٣١٢ ويرى نصه فى ك ١٠ ف ٥.

(١٤) ف ١ : ٣.

(١٦) «ولما أطاع القضاة هذه التعليمات بناء على أمرى حدث أنه لم ينف أو يوبخ أحد ممن كانوا يعيشون فى أقاليم الشرق، بل بالأحرى أعيدوا إلى عبادة الإلهة دون استخدام أية قسوة معهم.

(١٧) «غير أننى لما ذهبت فيما بعد إلى نيكوميديا السنة الماضية فى ظروف طيبة، وأقمت هناك، أتى إلى أهالى المدينة بتماثيل الإلهة متوسلين إلى بشدة إن لا يسمح لشعب كهذا بالإقامة فى بلادهم.

(١٨) ولكن لما علمت أن أشخاصا كثيرين من تلك الديانة يعيشون فى تلك الأقاليم أجبت بأننى أشكرهم من أجل طلبتهم، لكننى أرى بأنها لم تقدم من الجميع، ولذا فإن بقى أحد متمسكا بتلك الخرافات فلكل واحد الحق بأن يتصرف كما يشاء، حتى ولو أراد التمسك بعبادة الإلهة.

(١٩) ومع ذلك فقد رأيته من الضرورى اعطاء اجابة مرضية لسكان نيكوميديا والمدن الأخرى التى تقدمت إلى نفس الطلب بالحاح، أى أن لا يسمح لأحد من المسيحيين بالسكن فى مدنها (أولا لأن هذه الخطة اتبعها الاباطرة السابقون جميعهم، وثانيا لأنها ترضى الإلهة التى ترعى جميع البشر وحكومة الدولة نفسها) كما رأيته من الضرورى أيضا تأييد الطلبة التى قدموها بصدد عبادة الهتهم.

(٢٠) «وبالرغم من إنه قد أرسلت قبل الآن رسائل خاصة إلى فطنتكم، وأعطيت الأوامر أيضا بعدم اتخاذ اجراءات صارمة ضد أولئك المواطنين الذين يريدون سلوك ذلك الطريق، بل يجب معاملتهم باللطف والاعتدال، إلا أنه لكى لا يتحملوا أية اهانات أو اغتصاب على أيدى الجنود أو غيرهم، فقد رأيته من المناسب أن أذكر فطنتكم فى هذه الرسالة أيضا لاقناع المواطنين بالتملقات والنصائح لكى يدركوا عناية الإلهة.

(٢١) «ولذا فإن اعتزم أى واحد، بمحض اختياره، عبادة الإلهية فمن المناسب أن يرحب به. أما إن أراد أحد البقاء فى ديانته فاتركه لحريته.

(٢٢) «ومما يليق بفطنتك أن تلاحظ اتمام ما أوكل إليك، وتدرك أنه لم يعط لأحد السلطان لظلم مواطنينا بالاهانات والسلب والاغتصاب، لأنه من اللائق كما كتب سابقا استمالة مواطنينا إلى عبادة الإلهة بالنصائح والتملقات بالأحرى. ولكى يصل أمرنا هذا إلى علم جميع مواطنينا فمن المحتم عليك اذاعة الأوامر الصادرة بمنشور تصدره أنت».

---

(٢٣) ونظرا لأن الضرورة حتمت عليه أن يفعل هذا، ولم يصدر الأمر بارادته، فلم يعتبره أحد بأنه مخلص يمكن الوثوق فيه، لأنه سبق أن أظهر عدم ثباته وخداعه بعد اعتراف مماثل سابق.

(٢٤) فلم يجرؤ أحد من شعبنا على عقد اجتماعات أو حتى على الظهور علنا، لأن رسالته لم تتضمن شيئا عن هذا، إنما أمرت بملاحظة عدم ايذائنا، ولم تأمر بالسماح لنا بعد الاجتماعات أو بناء الكنائس أو ممارسة شيء من طقوسنا العادية.

(٢٥) مع أن قسطنطين ولسينيوس، المدافعين عن السلام والتقوى، كتبا له بالسماح بهذا، وصرحا به لكل رعاياهما بالأوامر الكتابية التى أصدراها. أما ذلك الرجل الفاجر فلم يخضع لهذا الأمر إلى أن اضطر أخيرا لاطاعته رغم ارادته عندما دفعه إلى ذلك العدل الإلهى.

الفصل العاشر

انقلاب الطغاة، والكلمات التى نطقوا بها قبل موتهم

(١) أما الظروف التى دفعته لسلوك هذه الطريق فكانت كالآتى: إنه إذ لم يعد قادرا بعد على ابقاء عظمة الحكم الذى أوكل إليه بغير استحقاق، نظرا لافتقاره للحكمة والفهم، أدار الشئون بطريقة منحطة، وافتخر بكل الأشياء وكبرياء وغطرسة دون أى مبرر. بل افتخر حتى على أقرانه فى الامبراطورية الذين كانوا أسمى منه من كل وجه، من ناحية الأصل والنسب والتعليم والثقافة والذكاء، وفوق الكل من ناحية الاعتدال والتقوى نحو الإله الحق. ولذا بدأ يتصرف بجرأة ووقاحة، وينتحل لنفسه أسمى رتبة.

(٢) وإذ جن فى حماقته نقض المعاهدات التى أبرمها مع ليسينيوس وشن حربا شعواء. وفى وقت وجيز سبب الفوضى والارتباك فى كل الأمور، وأهاج كل مدينة، وجمع كل قواته المتضمنة عددا وفيرا جدا من الجند، وذهب لمحاربته معتمدا على ثقته فى الشياطين التى ظنها الهة، وعلى عدد جنوده.

(٣) ولما دخل الحرب[١] حرم من بعد النظر الإلهى، وأعطيت النصرة إلى ليسينيوس الذى كان يحكم وقتئذ بمساعدة الله الواحد الوحيد إله الجميع.

(٤) فأولا أبيد الجيش الذى كان يعتمد عليه. وإذ تنحى عنه كل حرسه، وتركوه وحيدا، وهربوا للظاهر، نزع سرا وبأسرع مايمكن الملابس الملكية التى لم تكن فى الواقع خليقة به. واختلط بالجميع بمنتهى النذالة والجبن، ثم هرب واختبأ فى الحقول والقرى. وبالرغم من حرصه على انقاذ نفسه فإنه لم ينج من أيدى أعدائه إلا بشق النفس، وأعلن بأفعاله صدق وأمانة الأقوال الإلهية القائلة:

(١) نشبت هذه الحرب بين ليسينيوس ومكسيمين فى ٣٠ ابريل سنة ٣١٣ فى أدرنة.

(٥) «لن يخلص الملك بقوة الجيش. الجبار لا ينقذ بعظم القوة. باطل هو الفرس لاجل الخلاص وبشدة قوته لا ينجى. هوذا عينا الرب على خائفيه على الراجين رحمته لينجى من الموت أنفسهم». [٢]

(٦) وهكذا ذهب الطاغية إلى بلاده يغطيه الخزى. وفى ثورته الجنونية قتل أولا الكثيرين من كهنة وأنبياء الآلهة التى سبق أن أعجب بها، والتى أوحت إليه الاشتباك فى الحرب، فخدعته وضللته وفوق الكل خانته من جهة سلامته. وإذ أعطى المجد لاله المسيحيين، وسن قانونا كاملا فى سبيل حريتهم، أصيب فى الحال بمرض قاتل وفارق الحياة دون امهال. أما القانون الذى سنه فكان كالآتى:

صورة الأمر الملكى الذى أصدره الطاغية فى مصلحة المسيحيين مترجما عن اللغة الرومانية

(٧) «الامبراطور قيصر كايوس فالريوس مكسيمينوس، جرمانيكوس، سارماتيكوس، بيوس، فيلكس، انفكتس، أوغسطس. نعتقد أنه من الواضح أن لا أحد يجهل، بل بالأحرى كل من يتطلع إلى الماضى يعلم ويدرك أننا فى كل ناحية نعنى دواما بخير مواطنينا، ونتمنى أن نمدهم بكل ما يعود بالخير على الجميع، والنفع العام، وكل ما يؤدى إلى المصلحة العامة ويتفق مع آراء كل واحد.

(٨) «لذلك فإنه عندما اتضح لنا قبل الآن إنه تحت ستار أوامر أبوينا الجليلين دقلديانوس ومكسيميانوس، التى كانت تحرم عقد اجتماعات المسيحيين، ارتكب الموظفون حوادث كثيرة للسلب والنهب، وإن تلك الشرور كانت فى تزايد مستمر لخراب مواطنينا، الذين نود دواما أن نبذل معهم عناية كاملة، وإن ممتلكاتهم كانت تتبدد نتيجة لهذا، أرسلت رسائل فى العام الماضى إلى حاكم كل مقاطعة، أمرنا فيها أنه إن أراد أحد تأدية أى نوع من الشعائر الدينية يجب السماح له باتمام غايته من دون مناقضة، ويجب أن لا يعوقه أو يمنعه أى واحد، ويجب أن تمنح الحرية للجميع ليتصرفوا كما يريدون دون خوف أو شك.

(٩) «على أننا لا نطيق أن نرى بعض القضاة يحرفون أوامرنا، ويعطون شعبنا فرصة للشك فى معنى تدبيراتنا، ويجعلونهم يتلكأون فى تأدية الشعائر الدينية التى يستريحون لها.

(٢) (مز ٢٣ : ١٦ - ١٩).

(١٠) «فلا مكان انتزاع كل أثر للشك أو الخوف فى المستقبل، أمرنا بإذاعة هذا الأمر الملكى، لكى يتضح للجميع أن كل من أراد اعتناق هذا المذهب وهذه الديانة سمح له بناء على منحتنا هذه، وإن كل واحد مصرح له باعتناق الديانة التى يختارها، وفقا لعادته كما يريد، وكما يحلو له، ومصرح لهم كذلك ببناء بيوت الرب.

(١١) «ولكى تزداد منحتنا هذه عظمة رأينا انه من المناسب أن نأمر أيضا بأنه إن كانت هنالك بيوت أو أراض تملكها المسيحيون شرعا قبل الآن ولكنها صارت ملكا للحكومة بناءعلى أمر أبوينا، أو صودرت فى أية مدينة، سواء كانت قد بيعت أو قدمت هدية لأى واحد، وجب اعادتها إلى ملاكها الاصليين المسيحيين، لكى يعرف كل واحد فى هذه أيضا تقوانا وعنايتنا».

(١٢) هذه هى كلمات الطاغية التى أذاعها بعد سنة تقريبا من الأوامر التى سبق أن أصدرها ضد المسيحيين ونقشها على أعمدة.[٣] وذاك الذى كنا فى عينيه قبل ذلك بقليل فجارا وكفارا وقتلة، حتى لم يسمح لنا بالاقامة فى أية مدينة، أو حتى قرية أو صحراء، هو بنفسه أصدر الأوامر دفاعا عن المسيحيين الذين كانوا منذ فترة وجيزة يقتلون بالنيران والسيف، بالوحوش الكاسرة والطيور الجارحة، بحضور الطاغية نفسه، وعانوا كل أنواع التعذيب والقصاص، وأشر أنواع الموت كمخلوقات تعسة، وكفجار أثمة، ولكنه الان أصبح يعترف بهم كأصحاب ديانة، ويسمح لهم ببناء الكنائس، وقد اعترف الطاغية نفسه وشهد بأن لهم بعض الحقوق.

(١٣) وإذ اعترف هذه الاعترافات، كأنه قد نال شيئا من المنفعة بسببهم، تحمل آلاما لعلها أقل مما كان يستحق، وإذ ضربه الله ضربه مفاجئة هلك فى الحملة الثانية الحربية.

(١٤) على أن موته لم يكن موت أبطال الحرب الذين إذ يحاربون بشجاعة من أجل الفضيلة والاصدقاء كثيرا ما يموتون موتا مجيدا. لأنه إذ كان جيشه لا يزال فى ساحة القتال، ولبث هو فى البيت مختبئا، نال القصاص الذى استحقه كعدو لله. لأن الله ضربه ضربة مفاجئة فى كل جسمه، وحلت به آلام مبرحة. فسقط على الأرض منطرحا. وأضناه الجوع. وذاب كل جسمه بنار غير منظورة أرسلها الله، حتى تغير كل منظره ولم يترك سوى شبح تحول بمرور الزمن إلى هيكل من العظام الجافة، حتى كان الذين ينظرون إليه يعتقدون أن جسمه لم يكن إلا مقبرة لنفسه التى دفنت فى جسم مات فعلا وذاب وفنى عن آخره.

(١٥) وإذ أفنته الحرارة بعنف فى أعماق نخاعه. تفجرت عيناه وسقطتا من وقبيهما فصار أعمى. وعندما كانت أنفاسه لا تزال تتردد اعترف بالرب. ثم تمنى الموت، وأخيرا أسلم الروح، بعد اعترافه أنه كابد هذه الأمور بسبب اضطهاده للمسيح.

(٣) ف ٧.

الفصل الحادى عشر

الهلاك النهائى لأعداء المسيحية

(١) وعندما اكتسح من الطريق مكسيمينوس الباقى الوحيد من أعداء المسيحية،[١] وأشرهم أجمعين، بدأ تجديد الكنائس من أساسها بنعمة الله ملك الكل، وأضاءت كلمة المسيح لمجد إله الكون حاصلة على حرية أوفر من قبل، بينما غطى الخزى والعار أعداء المسيحية الفجار.

(٢) لأن مكسيمينوس نفسه إذ أعلن عنه الأباطرة أولا أنه عدو عام، أطلقت عنه نداءات عامة أنه شرير جدا وممقوت وطاغية مبغض لله. أما الصور التى علقت فى كل مدينة تكريما له أو لأولاده نزع بعضها من أماكنها وطرحت إلى الأرض ومزقت، ومحيت وجوه الأخرى بطمسها بطلاء أسود. وأما التماثيل التى كانت قد أقيمت تكريما له فقد طرحت إلى الأرض كذلك ثم حطمت، وعرضت لسخرية الذين أرادوا اهانتها، والاساءة إليها.

(٣) كذلك ألغيت كل الامتيازات التى كانت تقدم لباقى أعداء المسيحية، وقتل جميع من كانوا يناصرون مكسيمينوس، سيما الذين أكرمهم بالمناصب الرفيعة مكافأة لهم على تملقهم اياه، والذين تصرفوا تصرفات معيبة نحو تعاليمنا.

(٤) مثل بوسيتيوس أعز أصدقائه. الذى أكرمه وكافأه أكثر من الجميع، والذى عين واليا للمرة الثانية والثالثة، والذى أقامه رئيسا للوزراء. وكذلك كالسيانوس الذى رقى أيضا إلى كل رتبة، والذى اشتهر بكثرة حوادث القتل التى لا تحصى التى ارتكبها ضد المسيحيين فى مصر. وكثيرين آخرين، علاوة على هذين، امتد على أيديهم طغيان مكسيمينوس.

(٥) وكذلك ثيوتكنس[٢] الذى اقتص منه العدل الذى لم يتغافل قط عن جرائمه ضد المسيحيين. لأنه عندما أقام التمثال فى أنطاكية[٣] بدا كأنه فى أسعد حال، وكان مكسيمينوس قد أقامه واليا.

---

(١) مات مكسيميان عام ٣١٠، وغالريوس ٣١١، ومكسنتيوس عام ٣١٢، وديوكلديانوس عام ٣١٣.

(٢) فصل ٢.

(٣) أنظر ف ٣.

(٦) غيـر أن ليسينيوس لما نزل إلـى مدينة انطاكية بحث عن المحـتالين، وعذب الأنبـياء والكهنة الذين ينتمون إلى التمثال المقام حديثا، سائلا اياهم عن سبب التجائهم إلى الغش والخداع. وتحت ضغط التعـذيب لم يستطيعـوا فيما بعـد اخفاء الأمـر، وصرحوا بأن السـر فى كل هذا الخداع يرجع إلى دهاء ثيوتكنس. ولذلك فـإنه بعد اعطاء كل واحد منهم مـا يستحـقه من قصاص أمـر باعدام ثيوتكنس نفـسه أولا، ثم عذب المتآمرين معه فى الخداع بأشد أنواع التعذيب.

(٧) وأضـيف إلى هؤلاء جمـيـعهـم أيضا أبناء مكسـيـمينـوس، الذين أشركـهم فى العظمـة الامبراطورية بوضع أسمائهم على التماثيل واللوحات التذكارية. أما أقارب الطاغية، الذين انتفخوا، وفى كبريائهم اضطهدوا كل الناس، فقد حل بهم نفس قصاص أولئك السابق ذكرهم، كما عانوا أشد درجات الخزى والعار. لأنهم لم يستمعوا إلى التعليم، ولا عرفوا أو فهموا النصحية الواردة فى الكلمة المقدسة:

(٨) «لا تتكلوا علىُ الرؤساء ولا على ابن آدم حـيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فـيعود إلى ترابه. فى ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره».[٤]

(٩) وهكذا إذ أبعد الأشرار تثـبت الحكم وتوطد لقسطنطين وليسينيـوس اللذين كانا خليقين به. وهذان إذ طهرا العـالم أولا من العداوة لله، شاعرين بالبـركات التى أغدقهـا عليهما، أظهـرا محبتـهما للفضيلة ولله، وتقواهما وشكرهما لله، بتدبيرهما الصالح الذى أجرياه فى مصلحة المسيحيين.[٥]



(٤) (مز ١٤٦ : ٣ و ٤).

(٥) انظر ك ١٠ ف ٥.

الكتاب العاشر

الفصل الأول

السلام الذى منحنا الله إياه

(١) ينبغى تقديم الحمد لله، القـادر على كل شىء، مدبر وملك الكون، من أجل كل الأشياء، والشكر الأعظم ليسوع المسيح مخلص نفوسنا وفاديها، الذى به نتوسل أن يدوم لنا السـلام وطيدا لا تزعزعه الاضطرابات الخارجية أو اضطرابات العقل.

(٢) ونظرا لأننا بناء على رغبتك أيها العزيز بولينس[١] قـد أضفنا هذا الكتاب العاشر من تاريخ الكنيسة إلى الكتب السابقة فإننا سنوجهه إليك، معلنين أنك ختم المؤلف كله.

(٣) وخليق بنا أن نضيف التسبيح اللائق من أجل اعادة بناء الكنائس اطاعة للروح القدس الذى يقدم إلينا النصيحة في الكلمات التالية «رنموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب. خلصته يمينه وذراع قدسه. أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف بره»[٢]

(٤) وبناء على القـول الذى يأمرنا بـأن نرنم ترنيمـة جديدة لنبـدأ بأن نبين أنه بعـد تلك المناظر المرعبـة المظلمة التى وصفناها قـد سمح لنا الآن أن نرى ونمارس تلك الأمور التى اشـتهى أن يراها على الأرض الكثيرون ممن سبقونا من الأبرار وشهداء الله ولم يروا، وأن يسمعوها ولم يسمعوا.[٣]

(٥) على أنهم أسرعوا فحصلوا على أمور أفضل جدا[٤] إذ حملوا إلى السماء وفردوس السعادة الإلهيـة. ونحن نعترف أن هذه الأشـياء أعظم مما نسـتحق، ولذا فقـد دهشنا للنعمة التـى أعلنها باعث المواهب العظمى، وإننا بحق نعجب به، ونعـبده بكل قوة نفوسنا، شاهـدين لصدق الأقوال المدونة التى قيل فيها:

(٦) «هلموا انظروا أعـمال الرب. العجائب التى صنع على الأرض. ينقل الحـروب إلى أقاصى العـالم. يكسر القـوس ويقطع الرمح. الدروع يحـرقهـا بالنار»[٥] وإذ اغتـبطنا بهذه الأمـور التى تمت بوضوح فى أيامنا لنبدأ الآن بروايتنا.

(٧) ان جميع أعـداء الله هلكوا بالطريقة السابق ايضاحـها،[٦] وهكذا اكتسحـوا فجأة من نظر البشـر. فتمت أيضـا الأقوال الإلهيـة «قد رأيت الشرير عـاتيا وارفا مـثل أرز لبنان عبـرت فإذا هو ليس بموجود. طلبت مكانه فلم يوجد».[٧]

---

(١) Paulinus أسقف صور، وصار فيما بعد أسقفا لانطاكية. (٢) (مز ٩٨ : ١ و ٢). (٣) (مت ١٣ : ١٧).
(٤) (فى ١ : ٢٣). (٥) (مز ٤٦ : ٨ و ٩). (٦) انظر ك ٩ ف ١٠ و ١١. (٧) (مز ٣٧ : ٣٥ و ٣٦).

(٨) وأخيرا أشرق نهار صحو جميل لا تتخلله السحب وأضاء بأشعة نور سماوى كنائس المسيح فى كل العالم. وحتى الذين لم يكونوا من جماعتنا لم يُحـرَموا من الاشتراك فى نفس البركات، أو على الأقل من الانتفاع بمزاياها والتمتع بجزء من النعم التى أغدقها علينا الله.[٨]

الفصل الثانى

إعادة بناء الكنائس

(١) وهكذا تحرر كل الناس من ظلم الطغـاة، وإذ تخلصوا من المساوىء السابقة اعـترف الواحد بهذه الطريقة والآخر بطريقة أخرى بأن المحامى عن الإتقياء هو الإله الواحد الحقيقى. ونحن الذين ألقينا رجاءنا على مسيح الله كان لنا بصفة خاصة حبور لا ينطق به، وأشرق على جميعنا فـرح عظيم حينما رأينا إن كل مكان كان قبل ذلك بقليل قد أخـربه الطغاة، قد بدأ يستعيد الحيـاة كأنه قد قام من وبأ طويل الأمد محمل بالموت، وأن الهياكل قد بدأت تبنى ثانية من أساسها إلى ارتفاع شاهق، وتتخذ شكلا أفخم جدا من الهياكل القديمة التى هدمت.

(٢) على أن الحكام الرئيـسيين أيدوا لنا كرم الله وجـوده ورحمتـه بكيفيـة أعم، وذلك باصدار أوامر متكررة فى مصلحة المسيحيين. كذلك أرسل الامبراطور رسـائل شخصية إلى الأساقفة مع امتيازات وهدايا مالية. ولعلنا لا نكون مخـطئين إن أثبتنا هذه الوثائق مترجمة من اللغة الرومـانية إلى اليونانية فى المكان المناسب من هذا الكتـاب[١] كأنها قـــد نقـشت على لوحة مقـدسة، لكى تبـقى تذكارا لكل من يأتى بعدنا.

(٨) بمقتضى الأمر الذى أصدره قسطنطين وليسينيوس منحت الحرية الدينية كاملة لا للمسيحيين فحسب بل لكل انسان مهما اختلفت ديانته أو عقيدته.

(١) انظر ف ٥ - ٧ فيما يلى.

الفصل الثالث

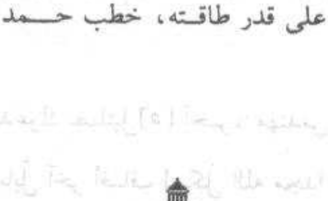
صلوات التكريس فى كل مكان

(١) بعد هذا رؤى المنظر الذى كنا أجمعين نتوق إليه ونصلى من أجله. فقد أقيمت فى المدن ولائم وأعياد لتكريس بيوت الصلاة الجديدة، واجتمع الأساقفة، وأتى الغرباء معا من الخارج، وتبودلت المحبة بين شعب وشعب، واتحد أعضاء جسد المسيح فى توافق تام.

(٢) عندئذ تم القول النبوى الذى تنبأ رمزيا عما كان سيحدث «فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه وكل مفصل إلى مفصله»،[١] وكمل ما سبق أن أعلن بحق بالتعبيرات الغامضة فى هذه العبارة الكريمة.

(٣) وسادت كل الأعضاء حركة نشاط واحدة للروح القدس، وكان الجميع بنفس واحدة، وغيرة وايمان واحد، وهتف الجميع بترنيمة واحدة مسبحين الله. ومارس رؤساء الكنائس خدمات كاملة، وتمموا الشعائر المقدسة، وأديت فرائض الكنائس المهيبة، هنا بانشاد المزامير وقراءة الكلمة التى ائتمننا عليها الله، وهنالك بتأدية الخدمات الإلهية الجليلة، وأجريت الرموز السرية لالام المخلص.

(٤) وفى نفس الوقت رأينا الناس من كل الأعمار، ذكورا واناثا، يقدمون من كل قلوبهم الأكرام لله مصدر كل بركاتهم وذلك بالصلوات والتشكرات بعقول فرحة ونفوس جزلة. وقدم كل واحد من الأساقفة الحاضرين، كل على قدر طاقته، خطب حمد وثناء، وهكذا أضافوا للاجتماع جلالا ومهابة.



(١) (حز ٣٧ : ٧).

الفصل الرابع

خطاب تهليلى من أجل عظمة وفخامة الأمور

(١) ومن بين ذوى المؤهلات المعتدلة ، كان هناك من كـتب بحثا،[١] وقد تقدم هذا الكاتب فى حضرة الكثيرين من الرعاة الذين كانوا قد اجتمـعوا كأنهم فى اجتماع كنسى. وإذ كانوا جالسين فى حالة هدوء وروعة، وجه الخطاب التـالى إلى أحدهم، وكان أسقفا محبوبا من الله، ممتازا فى كل شىء؛[٢] تم على يديه وبغيرته، هيكل صور الذى كان أفخم المبانى فى فينيقية.

خطاب تهليلى من أجل بناء الكنائس موجه إلى بولينس أسقف صور

(٢) «أيها الأحباء وكهنة الله، اللابسين الثياب المقدسة والمتوجين بأكاليل المجد السماوية، المسحة الإلهية وثوب الروح القدس الكهنوتى، وأنت[٣] يا فخـر هيكل الله المقدس الجديد، يا من وهبك حكمة الشيوخ، ومع ذلك فإنك تظهـر أعمالا ثمينة، وتصرفات الشبـاب فى فضيلة مزدهرة، يا من وهبك الله نفسك المهيـمن على كل العالم امتياز بناء وتجـديد هذا البيت الأرضى للمسيح كلمتـه الوحيد وابنه البكر ولعروسه المقدسة الإلهية.[٤]

(٣) «إن المرء يستطيع أن يدعوك بصلئيل[٥] آخـر، مهندس خيمة الاجتماع الإلهـية، أو سليمان ملك أورشليم جديد أفضل، أو زربابل آخر أضاف لهيكل الله مجدا أعظم من المجد الأول.[٦]

(٤) «وأنتم[٧] أيضا يا صغار قطيع المسيح المقدس، مـسكن الكلمات الصالحة، مدرسة الحكمة، محفل الإيمان رفيعى القدر.

---

(١) هو يوسابيوس نفسه. (٢) هو بولينس أسقف صور. انظر ف ١ : ٢. (٣) أى بولينس.

(٤) (رؤ ٢١ : ٢). (٥) (خر ٣٥ : ٣٠ الخ). (٦) (حج ٢ : ٩).

(٧) يوجه يوسابيوس الحديث أولا إلى الاكليروس المجتمعين بصفة عامة، ثم إلى بولينس بصفة خاصة، وأخيرا إلى الشعب داعيا أياهم صغار، مسكن، مدرسة، محل.

(٥) «لقـد سُمِحَ لنا منذ وقت طويل برفع التـرانيم والتسـابيح لله، عندمـا عـرفنا من الأسفـار الإلهية، التى تُقرأ على مسامعنا، علامات الله العجيبة والبركات التى أغدقها الرب على البشر بالأعمال المدهشـة، وتعلمنا أن نقول: اللهم بآذاننا قـد سمـعنا. آباؤنا أخبـرونا بعمل عـملته فى أيامـهم فى أيام القِدَم.[٨]

(٦) «أما الآن، ولم نعد ندرك الذراع الرفيعـة[٩] ويمين الله السماوية الجزيلة التحنن وملك الكل بمجرد الإشاعة أو الخبـر، بل أصبحنا نرى من نفس الأفعال، وبأعيننا، أن التصـريحات المدونة منذ عهود سحيقـة إنما هى أمينة وصادقة، فيليق بنا أن نرفع ترنيمـة انتصار ثانية، ونهتف بصوت عـال قائلين: كما سمعنا، هكذا رأينا فى مدينة رب الجنود، فى مدينة إلهنا.[١٠]

(٧) «وأية مدينة يقصـد المرنم سوى هذه المدينة المشيّدة حديثا التى شـيّدها الله، التى هى كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته،[١١] والتى يصرح عنها أيضـا قول إلهى آخر قائلا: قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله.[١٢] وبما أن الله الكلى التحنن قد جـمعنا معا إليها بنعمة ابنه الوحيـد، فليترنم بصوت عال كل من دُعِىَ وليقل: فرحت عندمـا قالوا لى إلى بيت الرب نذهب.[١٣] وأيضا: يا رب أحبـبت جمال بيتك وموضع مسكن مجدك.[١٤]

(٨) «ولنكرّمـه، لا واحدا فواحـدا فحـسب، بل كلنا معـا بروح واحدة ونفس واحـدة، ونرفع الصلوات عاليا قائـلين: عظيم هو الرب ويليق به التسبيح جدا فى مدينة إلهنـا فى جبل قدسه.[١٥] لأنه عظيم حقـا، وبيته عظيم، مـرتفع وفسيح. . . وأبرع جـمالا من بنى البـشر.[١٦]. . . عظيم هو الرب الصانع العـجائب العظام وحـده.[١٧] عظيم . . . عظيم هو ذاك. . . الفاعل عظائم وأمـورا لا تفحص وعجائب مـجيدة لا تعد.[١٨] عظـيم هو الذى. . . يغير الأوقات والأزمنة الذى يرفع ملوكـا ويخفض ملوكا.[١٩] الذى يقـيم. . . المسكين من التراب ويرفع الفقيـر من المزبلة.[٢٠] الذى . . . أنزل الأعزاء من عروشهم ورفع المتضعين من التراب أشبع الجياع خيرات وحطم أذرع المتكبرين.[٢١]

(٨) (مز ٤٤ : ١). (٩) (خر ٦ : ٦). (١٠) (مز ٤٨ : ٨). (١١) (١ تى ٣ : ١٥).
(١٢) (مز ٨٧ : ٣). (١٣) (مز ١٢٢ : ١). (١٤) (مز ٢٦ : ٨). (١٥) (مز ٤٨ : ١٥).
(١٦) (مز ٤٥ : ٢). (١٧) (مز ١٣٦ : ٤). (١٨) (أى ٩ : ١٠). (١٩) (دا ٢ : ٢١).
(٢٠) (١ صم ٢ : ٨ ، مز ١١٣ : ٧). (٢١) (لو ١ : ٥٢ و ٥٣).

(٩) «ليس فقط من أجل المؤمنين بل أيضا من أجل غير المؤمنين أيد ما دون من الحوادث القديمة، وذاك الصانع المعجزات، الفاعل العظائم، سيد الكل، خالق العالم كله، القادر على كل شيء، الكلى الرحمة، الإله الواحد الوحيد. فلنرنم له ترنيمة جديدة،[٢٢] لذلك الذى هو وحده. . . الصانع العجائب العظام، لأن إلى الأبد رحمته[٢٣] لذلك الذى. . . ضرب ملوكا عظماء وقتل ملوكا أعزاء لأن إلى الأبد رحمته،[٢٤] لان. . . الرب فى مذلتنا ذكرنا ونجانا من أعدائنا.[٢٥]

(١٠) «ولنرفع الصوت عاليا بلا انقطاع بهذه الكلمات لأب الكون، ولنكرم بشفاهنا ذاك الذى هو مصدر خيراتنا، معلم المعرفة الإلهية، معلم الديانة الحقة، مهلك الأشرار، وقاتل الفجار، مصلح الحياة، أى يسوع مخلصنا نحن الذين كنا فى حالة اليأس والقنوط.

(١١) «لأنه هو وحده، كابن كلى الرحمة لأب كلى الرحمة، قد ارتضى - وفق قصد صلاح أبيه - باتخاذ طبيعتنا نحن الذين كنا منطرحين فى الفساد، وكطبيب جليل القدر تنازل من أجل انقاذ المرضى ليفحص أوجاعهم، ويعالج قروحهم القذرة، وينقل لنفسه الألم من شقاء الاخرين. وهكذا نحن أيضا أنقذنا لنفسه من مخالب الموت، نحن الذين لم نكن مرضى فحسب ومصابين بقروح ردية وجروح مميتة وفى عداد الموتى، بل كنا منطرحين فعلا بين الموتى. لأنه لم يكن هنالك أحد آخر ممن فى السماء خال من العطب يستطيع أن يخدم لخلاص الكثيرين.

(١٢) «أما هو فإنه وحده إذ وصل إلى عمق فسادنا، وهو وحده حمل أوجاعنا، وتحمل وحده القصاص الذى كنا نستحقه من أجل آثامنا، وأعادنا إلى الحياة، نحن الذين لم نكن نصف أموات فحسب، بل كنا فى المدافن والقبور، وبالكلية دنسين وغارقين فى الشرور. قد خلصنا قديما، ويخلصنا الآن، بغيرته المباركة، على غير انتظار أى واحد، بل على غير انتظارنا نحن أنفسنا، ويغدق علينا من بركات الآب، ذاك الذى هو واهب الحياة والنور، طبيبنا العظيم وملكنا وربنا مسيح الله.

(١٣) لأنه عندما كان كل الجنس البشرى مدفونا فى ليل مظلم وفى أعماق الظلام بسبب خداع الشياطين الأثيمة، وقوة الأرواح المبغضة لله، فك قيود فجورنا المحكمة بمجرد ظهوره كذوبان الشمع، وذلك بأشعة نوره.

(٢٢) (مز ٩٦ : ١). (٢٣) (مز ١٣٦ : ٤).

(٢٤) (مز ١٣٦ : ١٧ و ١٨). (٢٥) (مز ١٣٦ : ٢٣ و ٢٤).

(١٤) «ولكن عندما انفجر مرجل غضب الشيطان الحسود الحقود محب الشر» بسبب هذه النعمة والرحمة، ووجه نحـونا كل قواته الجهنمية، وعندما وجـه جنونه الوحشى فى بداية الأمر - ككلب جن يعض بأسنانه الحجـارة التى تلقى عليه، ويصب جام غـضبة فوق الهـاجمين عليه بالإنتقـام من القذائف عديمة الحياة التى توجـه إليه - وجه جنونه نـحو حجـارة المقادس ومواد البيوت عـديمة الحياة، وأقـفر الكنائس، على الأقل كمـا توهم. وبعد ذلك انبعـثت منه أصوات مرعبـة، وأخرى كأصوات الشعابين، أحيانا بتهديدات الطغاة الفجار، وأحيانا أخرى بأوامر الحكام الأشرار التجديفية، وصار يتقيأ موتا، وينفث سمومه المهلكة فى النفوس التى ألقى القبض عليها، ويكاد يقـتلهم بذبائحه الميتة للأصنام الميتة، ومحرضا كل وحش فى شكل انسان، وكل همجى للهجوم علينا.

(١٥) «وبعد ذلك ظهر بغته من جـديد ملاك المشورة العظمى[٢٦] ورئيس جند الله[٢٧] بعد أن أظهر جنود ملكوته الأبطال تدريبا كـافيا بالصبر والاحتمال فى كل شيء، ومن ثم ظهـر من جديد فجأة واكتسح وأفنى أعداءه ومبـغضيه، حتى لم يبق أثر ولا لأسمائهم. أما أصدقاؤه وأقـاربه فقد رفعهم إلى أسمى مجد، ليس فقط أمام كل الناس بل أيضا أمام القوات السماوية، أمام الشمس والقمر والنجوم أمام كل السماء والأرض.

(١٦) «حتى رأينا الحكام الرئيسـيين الآن - الأمر الذى لم يحصل قط من قبل - يبـصقون على وجوه الأصنام الميـتة، لشـعورهم بما نالوه منه من كـرامة، ويطأون بأقـدامهم شعـائر الشيـاطين الدنسة، ويهزأون بالضلالة القديمة المسلمة إليهم من آبائهم، ويعترفون بالإله الواحد الوحيد المحسن للجميع بما فى ذلك أنفسهم. ويعـترفون بالمسيح ابن الله ملك الكل، وينقشـون فوق الاثار أنه هو المخلص، ويسجلون بحروف خالدة، وسط المدينة التى تحكم كل الأرض، أعماله العادلة وانتصاراته على الفجار. وهكذا نرى أن يسوع المسيح مخلصنا هو الواحد الوحيد منذ الأزل الذى اعترف به، حتى من أرفع من على الأرض، ليس فقط بأنه هو ملك الكل بين البـشر، بل أيضا بأنه هو الإبن الحقيـقى لأب الكل، والذى يعبد على أساس أنه هو الله ذاته، وهذا حق.

(١٧) «لأنه أى ملك عاش على الأرض حصل على هذا الإمتياز أن يملأ أسماع وألسنة كل البشر على الأرض باسمـه؟ أى ملك بعد أن وضع مثل هذا الشـرائع الصالحة الحكيـمة استطاع أن يذيعـها من أقصاء الأرض إلى أقصائها، حتى أصبحت تقرأ بصفة دائمة فى أسماع كل البشر؟

(٢٦) (اش ٩ : ٦) حسب الترجمة السبعينية.

(٢٧) (يش ٥ : ١٣).

(١٨) «من ذا الذى استطاع أن يبطل العوائد الوحشية الهمجية بين الأمم غير المتمدنة بنواميسه الرقيقة المليئة بمحبة البشر؟ من ذا الذى هوجم من الكل دهورا كاملة قد أظهر هذه القوة الفائقة الطبيعة البشرية بازدياده ازدهار كل يوم، واستمراره فتيا طول حياته؟

(١٩) «من ذا الذى أسس أمة لم يسمع بها فى القديم ومع ذلك فهى الإن ليست مختفية فى أحد أركان الأرض، بل هى منتشرة فى كل مكان تحت الشمس؟ من ذا الذى حصن جنوده بأسلحة التقوى حتى أصبحت نفوسهم، وهى أصلب من الماس، تتلألأ فى الصراع مع خصومها؟

(٢٠) «أى ملك يسود ملكه إلى مثل هذا المدى، ويقود جنوده حتى بعد موته، ويعلن ظفره بأعدائه، ويملأ كل مكان ومملكة ومدينة، يونانية أو بربرية، بمساكنه الملكية والهياكل الإلهية بقرابينها المقدسة، كهذا الهيكل بزيناته الفخمة وقرابينه المقدسة العظيمة والجليلة بالحقيقة، التى تستحق كل اعجاب وتقدير، والتى هى علامات واضحة عن عظمة مخلصنا؟ لأنه الآن أيضا قال فصنعت، هو أمر فخلقت[٢٨] وهل هنالك أية فائدة ترجى من مقاومة إشارة ملك الكل وكلمة الله نفسه.

(٢١) «إن الأمر ليتطلب بحثا خاصا لتوضيح كل هذا بدقة. وأيضا لوصف مقدار غيرة الفعلة فى عينى الله المعبود، الذى يتطلع إلى الهيكل الحى المكون منا جميعا. ويقيس البيت المكون من حجارة حية متحركة، المبنى بناء طيبا ووطيدا على أساس الرسل والأنبياء، وحجر الزاوية الرئيسى هو يسوع المسيح نفسه، الذى لم يرفض فقط من بنائى ذلك البناء القديم الذى لم يبق له أثر، بل أيضا من بنائى ذاك البناء المكون من معظم البشر، الذى لا يزال باقيا[٢٩] ويا لهم من مهندسين أشرار لأعمال شريرة. لكن الإب قد سر به وقتئذ، ولا يزال، وجعله رأس الزاوية لكنيستنا الحاضرة الجامعة.

(٢٢) «من ذا الذى يرى هذا الهيكل الحى لله المكون منا، هذا القدس الأعظم الإلهى بالحق، الذى لا يرى محرابه الداخلى للجماهير، وهو مقدس بل قدس أقداس، فيتجاسر على اعلانه؟ من ذا الذى يقوى حتى على التطلع داخل الحجاب المقدس إلا كاهن الجميع الأعظم، الذى لا وحده الحق بأن يسبرغور أسرار كل نفس عاقلة؟

---

(٢٨) (مز ٣٣ : ٩).

(٢٩) يشير يوسابيوس أولا إلى كنيسة المسيح عندما يتحدث عن «الهيكل الحى المكون منا جميعا» ثم إلى اليهود عن التحدث عن ذلك «البناء القديم الذى لم يبق له أثر»، وأخيرا إلى الوثنيين عندما يتحدث عن «ذلك البناء المكون من معظم البشر الذى لا يزال باقيا».

(٢٣) «ولكن هذا الحق أعطى لآخر، لواحد وحيدا، ليكون ثانيا له[٣٠] فى نفس العمل، أى لرئيس هذا الجيش الذى أكرمة الكاهن الاعظم الأول نفسه بأعطائه المكان الثانى فى هذا القدس، راعى قطيعهم الإلهى، الذى ربح شعبكم بتدبير الاب، كأنه قد أقامه عبده ونائبه، هرون آخر أو ملكيصادق آخر، مشبه بابن الله، باق معه دوما وفقا لصلواتكم أجمعين المتحدة.

(٢٤) «إذا فليعط له وحده هذا الحق أن يرعى ويشرف على حالة نفوسكم الداخلية، إن لم يكن فى المكان الأول فعلى الاقل فى المكان الثانى بعد الكاهن الإعظم الأول. فليعط له لأنه بالإختبار وبطول الزمن قد خبر كل واحد بدقة، وبغيرته ورعايته قد ثبتكم أجمعين فى التقوى والإيمان، وهو وحده دون سواه القادر أن يعطى حسابا - مطابقا للواقع - عن تلك الأمور التى أتمها هو بنفسه بالمعونة الإلهية.

(٢٥) «أما عن كاهننا الأعظم الأول فقد قيل: لا يقدر الإبن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الإب يعمل[٣١] هكذا أيضا كان الحال مع ذاك الشخص[٣٢] فإنه إذ تطلع إليه كأول معلم. ببصيرة الذهن صافية، متخذا كل ما رآه يصنعه كأنموذج أصلى، كان يصنع صورا له بمنتهى الدقة على قدر استطاعته، ولم يكن أقل من بصلئيل الذى ملأه الله نفسه من روح الحكمة والفهم،[٣٣] ومن معرفة أخرى فنية وعلمية، ودعاه لكى يصنع الهيكل المشيد حسب المثال السماوى فى رموز.

(٢٦) «وهذا الشخص أيضا إذ حمل فى نفسه صورة المسيح الكامل، الكلمة والحكمة والنور، صنع هذا الهيكل الفخم لله العلى، وفقا لأنموذج الهيكل الأعظم، كصورة منظورة لغير المنظور، ومن المستحيل تقديم وصف لعظمة النفس التى تجلت فى عمله، ورجاحة العقل، والمنافسة التى أبديتموها جميعكم والتى ظهرت فى عزة نفس المكتتبين الذين حاولوا أن لا يكونوا دونه فى اتمام نفس الغرض. ومما هو جدير بالذكر قبل كل شىء أنه لم يغض الطرف عن هذا المكان الذى غطته حيل أعدائنا بكل أنواع القاذورات، ولا استسلم لشر من سببوا هذه الأمور، مع أنه كان من الممكن أن يختار مكانا آخر، إذ كانت هنالك أمكنة أخرى كثيرة مناسبة فى المدينة، حيث كان من الممكن أن تقل الجهود ويتحرر من التعب.

(٢٧) «ولكنه إذ نهض أولا للعمل. ثم شدد عزائم جميع الشعب بالغيرة، وجعل من جميعهم كتلة واحدة، دخل معمعة النضال الأول. لأنه ظن أن هذه الكنيسة التى حاصرها العدو بصفة خاصة، والى كابدت معنا ولأجلنا نفس الاضطهاد فى أول الأمر كأم ثكلى، يجب أن تفرح معنا برحمة الله الكلى الرحمة.

---

(٣٠) انظر مقدمة الكتاب عن رأى يوسابيوس فى لاهوت المسيح.

(٣١) (يو ٥ : ١٩).

(٣٢) أى بولينس.

(٣٣) (خر ٣٥ : ٣١).

(٢٨) «وعندما طرد الراعى الأعظم الوحوش والذئاب وكل حيوان مفترس، وكما تصرح الأقوال الإلهية: هشم أضراس الأسود[٣٤] رآه من الخير أن يجمع بنيها ثانية فى نفس المكان وبطريقة عادلة جدا أقام قطيعها ليخزى العدو والمنتقم[٣٥] ويقضى على جرأة أعداء الله الوقحة.

(٢٩) «أما الآن فإن مبغضى الله ليس لهم وجود، لأنهم لم يكونوا قط من قبل. وبعد أن حل بهم الضيق، ولبث الضيق وقتا قصيرا، نزل بهم القصاص العادل، وجلبوا على أنفسهم وأصدقائهم وأقاربهم الخراب الكامل، وهكذا برهنت الوقائع على صدق التصريحات المدونة منذ القديم فى السجلات المقدسة. فى هذه التصريحات تقول الكلمة الإلهية - ضمن ما تقول - ما يأتى عنهم:

(٣٠) «الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لقتل مستقيمى القلب. سيفهم يدخل فى قلبهم وأقواسهم تتكسر.[٣٦] وأيضا: يبيد ذكرهم بصوت.[٣٧] وأيضا: محوت اسمهم إلى الدهر والأبد[٣٨] لأنهم أيضا عندما كانوا فى شدة صرخوا ولا مخلص، إلى الرب فلم يستجب لهم.[٣٩] أوثقت أقدامهم معا هم سقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا.[٤٠] وما سبق اعلانه فى هذه الكلمات: يارب فى مدينتك تحتقر خيالهم.[٤١] قد تبينت صحته فى أعين الجميع.

(٣١) ولكنهم إذ أشهروا الحرب على الله كالجبابرة ماتوا بهذه الطريقة. أما تلك التى أقفرت ورفضت من الناس فقد بلغت حد الكمال الذى نراه، وذلك نتيجة لصبرها نحو الله، حتى قيلت فيها نبوة أشعياء:

(٣٢) «افرحى أيتها البرية العطشة. ليبتهج القفر ويزهر كالنرجس. تزهر الأماكن المقفرة وتبتهج.[٤٢] . . . تشددى أيتها الأيادى المسترخية والركب المرتعشة، تشددوا يا خائفى القلوب. تقووا ولا تخافوا. هوذا الهنا ينتقم ويجازى. هو يأتى ويخصلنا[٤٣] لأنه كما يقول: قد انفجرت فى البرية مياه وبركة فى الأرض العطشة. وتصير الأرض الناشفة مراعي مروية والمعطشة ينابيع ماء.[٤٤]

(٣٣) «لقد دونت فى الأسفار المقدسة هذه الأمور التى تنبىء بها منذ أحقاب طويلة، ولكنها لم تعد تنقل إلينا بمجرد الخبر بل كحقائق. فهذه البرية، هذه الأرض الناشفة، هذه الأرملة المهجورة التى

---

(٣٤) (مز ٥٨ : ٦). (٣٥) (مز ٨ : ٢). (٣٦) (مز ٣٧ : ١٤ و ١٥).

(٣٧) (مز ٩ : ٦ حسب الترجمة السبعينية). (٣٨) (مز ٩ : ٥). (٣٩) (مز ١٨ : ٤١).

(٤٠) (مز ٢٠ : ٨). (٤١) (مز ٧٣ : ٢٠). (٤٢) (اش ٣٥ : ١ و ٢).

(٤٣) (اش ٣٥ : ٣ و ٤). (٤٤) (اش ٣٥ : ٦ و ٧).

قطعوا أبوابها بالفؤوس كأخشاب فى غابة، التى كسروها بالفؤوس والمعاول،[٤٥] والتى أبادوا كتبها أيضا، وأحرقوا بالنار مقدس الله ودنسوا للأرض مسكن اسمه،[٤٦] التى قلعها كل عابرى الطريق، وهدموا أسوارها، وأفسدها الخنزير من الوعر، ورعاها وحش البرية،[٤٧] قد أصبحت الآن كنرجس بقوة المسيح العجيبة عندما سرت مشيئته· لأنها فى ذلك الوقت أيضا قد أدبها كأب رحيم، لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله·[٤٨]

(٣٤) «وبعد أن نالت التأديب بقدر محدود حسبما اقتضته الحالة أمرت بأن تفرح من جديد، وهى الآن تزهر كالنرجس، ويفيح عبيرها الإلهى بين كل البشر· لأنه قيل: قد انفجرت فى البرية مياه،[٤٩] وهى ينبوع الحميم المخلص الذى يهب التجديد الإلهى·[٥٠] وتلك التى كانت برية قبل ذلك بقليل صارت الآن مراعى مروية، وتفجرت ينابيع مياه فى المعطشة[٥١] والأيادى التى كانت مسترخية تشددت بالحق،[٥٢] وهذه الأعمال براهين قوية ومقنعة عن الأيدى المتشددة· وأيضا الركب التى كانت مرتعشة وضعيفة استردت قوتها العادية وصارت تتحرك إلى الأمام فى طريق المعرفة الإلهية، مسرعة إلى قطيع الراعى الكلى الرحمة·

(٣٥) «وإن كان هنالك أشخاص قد روعت نفوسهم بسبب تهديدات الطغاة، فهؤلاء لا تغفل عنهم الكلمة المخلصة كعديمى الشفاء، بل يشفيهم أيضا ويحثهم على قبول التعزية الإلهية قائلا: تعزوا يا خائفى القلوب· تشددوا لا تخافوا·[٥٣]

(٣٦) «وهذا زربابلنا الجديد السامى، إذ سمع الكلمة التى سبق أن أعلنت بأن تلك التى جعلت برية من قبل الله يجب أن تتمتع بهذه الأمور بعد السبى المار، ورجسة الخراب، لم يتغاض عن الجسم الميت، بل بصلوات وتضرعات استعطف الآب بموافقتكم أجمعين، وتوسل إلى القادر وحده أن يهب حياة للموتى، كحليفه والعامل معه، فأقام الساقطة بعد أن طهرها وأنقذها من أمراضها· ولم يلبسها ثوبها القديم، بل الثوب الذى عرفه من الأقوال المقدسة القائلة بوضوح: مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول·[٥٤]

(٣٧) «وإذ شغلت مساحة أوسع جدا حصن الدار الخارجية بسور يحيط بكل المساحة ويصير كحصن للبناء كله·[٥٥]

---

(٤٥) (مز ٧٤ : ٥ و ٦)· (٤٦) (مز ٧٤ : ٧)· (٤٧) (مز ٨٠ : ١٢ و ١٣)·
(٤٨) (عب ١٢ : ١٦)· (٤٩) (اش ٣٥ : ٦)· (٥٠) (تى ٣ : ٥)·
(٥١) (اش ٣٥ : ٧)· (٥٢) (اش ٣٥ : ٣)· (٥٣) (اش ٣٥ : ٤)·
(٥٤) (حج ٢ : ٩)· (٥٥) هذا الوصف وما يليه هو عن كنيسة صور·

(٣٨) وأقام دهليزا فسيحا ومرتفعا يستقبل أشعة الشمس المشرقة. وقدم للواقفين خارج هذه الدائرة المقدسة منظرا كاملا عما فى الداخل، ليحول نظر غير المؤمنين إلى المداخل، حتى لا يمر أحد دون التأثير بذكريات الخراب السابق، والتحول الحاضر الذى لا يصدق. وكان قصده أن هذا الذى يمر إذا ما تأثر بما رآه انجذب وأغرى على الدخول بمجرد المنظر.

(٣٩) «وإذا ما عبر أحد الأبواب لا يسمح له بالدخول إلى المقدس مباشرة بأقدام دنسة غير مغسولة. ولكنه ترك مسافة كافية بين الهيكل والمدخل الخارجى، وأحاطها وزينها بأربعة أروقة مستعرضة، وبذلك جعل مسافة مربعة الجوانب، أقيمت فيها أعمدة على كل جانب، وصلها بأحجبة خشبية شبكية مرتفعة ارتفاعا معقولا، وترك مساحة مكشوفة فى الوسط حتى يرى الجو منها، ويدخل منها الهواء النقى وأشعة الشمس.

(٤٠) «وهنا وضع رموزا للتطهير المقدس، بإقامة أحواض مياه مقابل الهيكل، تستطيع تقديم مياه كافية يغتسل بها الداخلون إلى المقدس. هذا أول مكان لاستراحة الداخلين. وهو فى نفس الوت يقدم منظرا جميلا فخما لكل واحد، وموضعها مناسبا للمحتاجين إلى التعاليم الأولية.

(٤١) «وبعد اجتياز هذا المنظر جعل مداخل مكشوفة إلى الهيكل، داخلها دهاليز أخرى كثيرة، جاعلا ثلاثة أبواب على جانب واحد، تواجه أشعة الشمس أيضا. وقد زين الباب الأوسط بصفائح من البرونز والحديد المشغول، وكانت هذه الزينات البارزة آية فى الجمال. وجعله أعلى وأوسع من البابين الآخرين، كأنهما قد أقيما حارسين له، أو لاحدى الملكات.

(٤٢) «وبنفس الكيفية رتب عدد الدهاليز المتصلة بالممرات على كل جانب من جوانب الهيكل كله، وجعل فوقها فتحات مختلفة إلى المبنى لادخال نور كاف، وزينها بحفر دقيق على الخشب. أما البيت الملكى فقد جهز بمواد أجمل وأفخم، وانفق عليه بمنتهى السخاء.

(٤٣) «ويبدو لى أنه من الاسراف أن أصف هنا بالتفصيل طول وعرض البناء، وفخامته وعظمته التى تفوق كل وصف، ومنظر النقوش الرائع، ومنارتيه الشاهقتين المرتفعتين إلى السماء، وأخشاب لبنان الثمينة التى تعلوهما، التى لم تغفل عن ذكرها الأقوال الإلهية قائلة: تفرح أشجار الرب وأرز لبنان الذى غرسه.[٥٦]

---

(٥٦) (مز ١٠٤ : ١٦).

(٤٤) «وهل هناك حاجة لوصف المهارة الفنية فى فن البناء، والجمال المنقطع النظير فى كل جزء، إن كانت شهادة العين لا تدع مجالا لسمع الأذن؟ لأنه بعد أن أكمل الهيكل على هذا الوجه، وضع فيه كراسى مرتفعة اكراما للرؤساء، ومقاعد عادية رتبت فى تنسيق حسن بكل البناء، وأخيرا وضع فى الوسط قدس الأقداس، أى المذبح، ولكى يكون معزولا عن الجمهور أحاطه بسياج خشبى مشبكى، مشغول بمهارة فائقة، فكان منظرا جميلا للناظرين.

(٤٥) «ولم يهمل حتى الأرضية، لأنه زين هذه أيضا برخام بأشكال مختلفة. وأخيرا انتقل إلى خارج الهيكل، فعمل مصاطب فسيحة، وأبنية فخمة على كلا الجانبين، كانت متصلة بالكنيسة، ومتصلة كذلك بمداخل المبنى. وهذه هى التى أقامها ملكنا العظيم محب السلام سليمان، الذى بنى هيكل الله، وذلك للذين لا يزالون فى حاجة إلى التطهير ورش الماء والروح القدس. وهكذا لم تعد النبوة السابق ذكرها مجرد كلمات بل حقيقة. لأنه قد تم أيضا الأن حقا ما قيل.

(٤٦) «أن مجد هذا البيت الأخير أعظم من مجد الأول.[٥٧] فكان ضروريا ولائقا أنه كما ذاق راعيها وربها الموت مرة من أجلها، وبعد الامه غير ذلك الجسد المتواضع الذى اتخذه نيابة عنها إلى جسد مجيد سام، ناقلا ذلك الجسد من الفساد إلى عدم الفساد، هكذا كان يجب أنها هى أيضا تتمتع بتدبير المخلص. لأنها إذ قبلت منه وعدا بأمور أعظم من هذه تريد أن تشارك جوقه ملائكة النور بصفة خاصة إلى الأبد فى مجد التجديد[٥٨] الأعظم بقيامة أجساد غير فسادة فى فردوس الله الأعلى من السموات مع يسوع المسيح نفسه المحسن للجميع ومخلص الكل.

(٤٧) «أما فى الوقت الحاضر فإن تلك التى كانت فيما قبل أرملة ومقفرة قد التحفت بنعمة بهذه الزهور، وأصبحت حقا كنرجسة كما تقول النبوة.[٥٩] وإذ قبلت ثوب العرس واكليل الجمال تعلمت من اشعياء أن ترقص وتقدم تشكراتها إلى الله الملك فى كلمات التوقير والتبجيل.

(٤٨) «فلنستمع إليها وهى تقول: تبتهج نفسى بالرب لأنه ألبسنى ثوب الخلاص ورداء البهجة، زيننى كعريس باكليل زهور، وجملنى كعروس بحلى. وكأرض تخرج نباتها وكجنة تنبت مزروعاتها، هكذا الرب الإله ينبت برا وتسبيحا أمام كل الأمم.[٦٠]

---

(٥٧) (حج ٢ : ٩).

(٥٨) (مت ١٩ : ٢٨).

(٥٩) (اش ٣٥ : ١).

(٦٠) (اش ٦١ : ١٠ و ١١).

(٤٩) «بهذه الكلمات تهلل. وبكلمات مماثلة يرد عليها العريس السماوى يسوع المسيح الكلمة نفسه. استمع إلى الرب وهو يقول: لا تخافى إن كنت قد خزيت، ولا تخجلى إن كنت قد وبخت، لأنك تنسين الخزى السابق، وعار ترملك لا تذكرينه بعده.[٦١] ليس[٦٢] كامرأة مهجورة وخائرة النفس دعاك الرب، ليس كامرأة رذلت منذ صباها قال الهك. لحيظة تركتك ولكن بمراحم عظيمة سأرحمك. بغضب ضئيل حجبت وجهى عنك ولكن بمراحم أبدية أرحمك قال الرب الذى فداك.[٦٣]

(٥٠) «استيقظى استيقظى يا من شربت من يد الرب كأس غضبه. لأنك شربت كأس الخراب. آنية غضبى ومصصتها. ولم يكن لك من يعزيك من جميع بنيك الذين ولدتهم. ولم يكن من يمسك بيديك.[٦٤] هأنذا قد أخذت من يدك كأس الخراب. آنية غضبى. لا تعودين تشربينها فيما بعد. وأضعها فى يد معذبيك الذين أذلوك.[٦٥]

(٥١) «استيقظى البسى قوتك. البسى مجدك. انتفضى من التراب وقومى. اجلسى وأنحلى من ربط عنقك.[٦٦] ارفعى عينيك حواليك وانظرى بنيك قد اجتمعوا معا. هوذا قد اجتمعوا معا وأتوا إليك. حى أنا يقول الرب إنك تلبسينهم كلهم كحلى تتنطقين بهم كحلى عروس. لأن خربك وبراريك وأرض خرابك تكون الأن ضيقة جدا بسبب الساكنين فيك. ويتباعد عنك مبتلعوك.

(٥٢) «ويقول أيضا بنو ثكلك فى أذنيك. ضيق على المكان وسعى لى لأسكن. فتقولين فى قلبك من ولد لى هؤلاء؟ أنا ثكلى وأرملة وهؤلاء من رباهم لى؟ أنا متروكة وحدى وهؤلاء أين كانوا لى.[٦٧]

(٥٣) «هذه هى الأمور التى تنبأ بها اشعياء، والتى سجلت عنا فى الأسفار المقدسة منذ القديم. وكان من الضرورى فى وقت ما أن نتبين صدقها من اتمامها.

(٥٤) «لأنه عندما تحدث العريس، الكلمة، بهذه اللهجة مع العروس، الكنيسة المقدسة الطاهرة، وكانت (العروس) خربة، ومنطرحة كجثة هامدة، وانقطع عنها كل رجاء فى أعين البشر، قال اشبين العريس،[٦٨] وفقا لصلواتكم المتحدة أجمعين، كما كان لائقا. مد أيديكم وأقامها وأيقظها بأمر الله ملك الكل، وباعلان قوة يسوع المسيح. وإذ أقامها أسسها كما تعلم من الوصف المعطى فى الأقوال المقدسة.

---

(٦١) (اش ٥٤ : ٤).

(٦٢) كلمة «ليس» غير موجودة إلا فى الترجمة السبعينية.

(٦٣) (اش ٥٤ : ٦ - ٨).

(٦٤) (اش ٥١ : ١٧ و ١٨).

(٦٥) (اش ٥١ : ٢٢ و ٢٣).

(٦٦) (اش ٥٢ : ١ و٢).

(٦٧) (اش ٤٩ : ١٨ - ٢١).

(٦٨) يقصد بولينس.

(٥٥) «والواقع إن هذا أمر عجيب جدا، ويفوق كل عقل، سيما الذين لا يهتمون إلا بالمظاهر الخارجية. والأعجب من العجب هو النماذج الأصلية وصورها العقلية ونماذجها الإلهية، أعنى صور البناء الروحى فى نفوسنا.

(٥٦) «هذا ما خلقه ابن الله نفسه على صورته، جاعلا فيه فى كل مكان ومن جميع الوجوه مثال الله، طبيعة غير فاسدة، غير جسدية، عاقلة، خالية من كل مادة أرضية، خليقة وهبت ذكاءها الخاص. وعندما دعاها من عدم الوجود إلى الوجود جعلها عروسا طاهرة، هيكلا مقدسا بالتمام لنفسه وللآب. هذا أيضا ما يصرح به بكل وضوح ويعترف به فى الكلمات التالية «إنى سأسكن فيهم وأسير فيهم. وأكون إلههم وهو يكونون شعبى.[٦٩] هذه هى النفس الكاملة المطهرة التى خلقت من البدء لتحمل صورة الكلمة السماوى.

(٥٧) «ولكنها عندما صارت باختيارها شهوانية ومحبة للشر، وذلك بحسد وغيرة ابليس الخبيث، تركها الله، وصارت فريسة سهلة، وسريعة الوصول إليها ممن سبقوا أن حسدوها طويلا، كأنها قد حرمت ممن يحميها. وإذ هجمت عليها قوات وآلات الأعداء غير المنظورين والخصماء الروحيين، سقطت سقوطا مروعا، حتى لم يبق فيها حجر من أحجار الفضيلة على حجر، بل انطرحت على الأرض ميتة بالكلية، مجردة تجريدا كاملا من أفكارها الطبيعية عن الله.

(٥٨) «وإذ كانت منطرحة هكذا، تلك التى خلقت على صورة الله، فلم يكن خنزير برى مما تراه فى الغاية، هو الذى سطا عليها، بل أضلها شيطان مخرب ووحوش روحية بشهواتها كما بسهام نارية من شرورها، وأحرقت بالنار مقدس الله المقدس بالحق، ودنست إلى الأرض مسكن اسمه. وإذ دفنت تلك المسكينة التعسة وسط أكوام من التراب أبادت كل رجاء فى الخلاص.

(٥٩) «على أن الكلمة الإلهى المخلص حاميا أعاد إليها الحياة مرة أخرى، فنالت الرحمة من الآب كلى الرحمة، بعد أن تحملت القصاص الذى استحقه من أجل خطاياها.

٦٠) «وبعد أن حطم أولا نفوس أكبر الحكام استخدم الرؤساء الأتقياء محبوبى الله، فطهر الأرض كلها من جميع الظالمين الأشرار، ومن الطغاة أنفسهم مبغضى الله. وإذ أبرز وأظهر جليا أحباءه، الذين كانوا مكرسين لله مدى الحياة، وكانوا مختبأين تحت حماه وسط عاصفة الشرور، أكرمهم بمواهب الروح القدس العظمى التى كانوا يستحقونها. وبواسطتهم أيضا طهر ونقى بالفؤوس والمعاول (أى كلمات التعنيف) النفوس التى كانت قبل ذلك بقليل مغطاة بالقاذورات ومثقلة بكل أنوا ع الأدران والأوساخ.

---

(٦٩) (٢ كو ٦ : ١٦).

(٦١) وبعد أن طهر تربة عقولكم، ونقاها استودعها نهائيا لهذا القائد الكلى الحكمة محبوب الله، الذى وهب الحكمة وبعد النظر، ومواهب أخرى، والذى لم يكف عن البناء لقدرته على فحص وتمييز عقول الذين سلموا إليه منذ أول يوم إلى الإن. وهوذا الإن قد أعد الذهب الصافى والفضة النقية والحجارة الثمينة فى جميعكم، وهكذا تمت من أجلكم مرة أخرى - فعلا لا قولا - النبوة المقدسة الرمزية القائلة:

(٦٢) «هانذا أجعل حجارتكم اثمدا، وأساساتك ياقوتا أزرق، وشرفك ياقوتا، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل أسوارك حجارة كريمة. وكل بنيك يكونون متعلمين من الله، ويتمتع بنوك بسلام كامل. وبالبر تبنين.[٧٠]

(٦٣) «ولكى يبنى بالبر قسم جميع الشعب حسب قوتهم. فالبعض حصنهم فقط بسياج خارجى إذ سيج حولهم بايمان لا يتداعى، وهؤلاء هم أغلبية الشعب الذين لم يكونوا يستطيعون أن يحتملوا بناء أعظم. والأخرون سمح لهم بدخول البناء، آمرا اياهم بالوقوف على الباب ليكونوا كمرشدين لمن يجب أن يدخلوا، وهؤلاء يصح تشبيههم بحق بأروقة الهيكل. والآخرون دعمهم بالأعمدة الأولى القائمة فى الخارج بجوار الصالة المربعة الجوانب، معلما اياهم المبادىء الأولية فى الإناجيل الإربعة. وآخرون اتحدهم معا بجوار الكنيسة ذاتها على الجانبين، وهؤلاء هم الموعوظون الذين لا يزالون فى حالة نمو وتقدم، وليسوا مبعدين عن منظر الإلهيات الداخلى المعطى للمؤمنين.

(٦٤) «وحينما يأخذ من بين هؤلاء تلك النفوس التى تطهرت كالذهب بالغسل الإلهى[٧١] يدعمها بأعمدة أفضل بكثير من الأعمدة الخارجية، مصنوعة من تعاليم الكتاب المقدس الداخلية الرمزية، ويضيئها بشبابيك.

(٦٥) «وبعد أن يزين كل الهيكل برواق عظيم من مجد ملك الكل الإله الواحد، ويضع على كلا الجانبين سلطان الآب والمسيح والروح القدس كأنوار أخرى، يبين بكل وضوح وجلاء فى البناء بأكمله جمال وجلال الحق بكل تفاصيله. وبعد أن يختار من كل الأرجاء أحجار النفوس الحية المتحركة المعدة اعدادا حسنا يبنى منها كل البيت الملكى العظيم المجيد الممتلىء نورا من الداخل ومن الخارج، لأن جسمهم - علاوة على النفس والذهن - قد صار مجيدا بزينة الطهارة والعفة.

(٦٦) «وفى هذا الهيكل توجد أيضا عروش وعدد وفير من الكراسى والمقاعد، وفى كل تلك النفوس تستقر مواهب الروح القدس، كما رأى الرسل القديسون فى القديم ومن كان معهم حينما ظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم.[٧٢]

(٦٧) «أما قائد كل الجماعة فمن المعقول أن نعتقد بأن المسيح نفسه يحل فيه بملئه، وكذا فى من

---

(٧٠) (اش ٥٤ : ١١ -١٤).

(٧١) أى المعمودية.

(٧٢) (اع ٢ : ٣).

يحتلون المرتبة الثانية بعده على قدر ما يستطيع كل واحد أن يقبل قوة المسيح والروح القدس. وتجعل نفوس البعض مقاعد للملائكة، وهؤلاء هم الذين توكل إلى كل واحد مهمة التعليم والرعاية.

(٦٨) «أما الهيكل العظيم الجليل الفريد فماذا يمكن أن يكون سوى قدس أقداس نفس الكاهن الذى على الكل؟ وإذ يقف عن يمينه المسيح نفسه رئيس كهنة المسكونة الأعظم، ابن الله الوحيد، فإنه يتقبل بثغر باسم ويد ممتدة البخور العطر من الجميع، والذبائح غير الدموية غير المادية المقدمة فى صلواتهم، ويحملها للآب السماوى وإله الكون، وهو نفسه يعبده أولا، ويقدم وحده للاب الاكرام اللائق به، متوسلا إليه أيضا أن يستمر على الدوام رحيما بنا ومتعطفا علينا.

(٦٩) «هذا هو الهيكل العظيم الذى بناه خالق الكون العظيم، الكلمة، فى كل أرجاء العالم، جاعلا اياه صورة مدركة على الأرض لتلك الأمور الأعلى من قبة السماء لكى يكرم أبوه ويعبد فى كل الخليقة بما فيها الكائنات العاقلة على الأرض.

(٧٠) «أما المنطقة التى فوق السماوات وأشباه الأرضيات التى فيها، وأورشليم العليا،[٧٣] وجبل صهيون السماوى، ومدينة الله الحى السماوية، التى فيها أجواق ملائكة لا تعد وكنيسة الإبكار المكتوبة أسماؤهم فى السماء - هذه تسبح الخالق وضابط الكون بترانيم التسبيح التى لا ينطق بها ولا نستطيع أن ندركها، ومن من البشر الفانين يستطيع تأدية هذا؟ لأنه: ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه[٧٤]

(٧١) «وإن كنا نحن، رجالا وأطفالا ونساء، صغارا وكبارا، قد أصبحنا فعلا شركاء - جزئيا - فى هذه الأمور، فعلينا جميعا بروح واحد ونفس واحدة أن لا نكف عن الاعتراف بمن أغدق علينا بمثل هذه الخيرات، وعن تسبيحه، ذاك الذى يغفر جميع ذنوبنا. الذى يشفى كل أمراضنا، الذى يفدى من الهلاك حياتنا، الذى يكللنا بالرحمة والرأفة الذى يشبع بالخير رغباتنا.[٧٥] لأنه لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا[٧٦] كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا. كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفية.[٧٧]

(٧٢) «وإذ نستعيد هذه الذكريات فى مخيلتنا، الآن وكل الأوقات القادمة، ونفكر بعقولنا ليلا ونهارا، كل ساعة وكل لحظة فى منشىء هذا العيد العظيم الحالى، وهذا اليوم الرائع الجليل، فلنحبه ونعبده بكل قوى النفس. وإذ نقوم الإن لنتوسل إليه بصوت عال أن يظللنا فى حظيرته ويحفظنا فيها إلى النهاية، مانحا ايانا إلى الأبد سلامه الدائم الذى لا يتزعزع، بالمسيح يسوع مخلصنا، الذى به يليق له المجد إلى أبد الآبدين، آمين».

---

(٧٣) (عب ١٢ : ٢٢ و ٢٣). (٧٤) (١ كو ٢ : ٩). (٧٥) (مز ١٠٣ : ٣ - ٥).
(٧٦) (مز ١٠٣ : ١٠). (٧٧) (مز ١٠٣ : ١٢ و ١٣).

الفصل الخامس

صور القوانين الإمپراطورية

(١) ولنضف أخيرا صور الأوامر الامبراطورية التى أصدرها قسطنطين ولسينيوس مترجمة من اللغة الرومانية.

صور الأوامر الإمپراطورية مترجمة من اللغة الرومانية

(٢) «إننا إذ أدركنا منذ عهد طويل أن الحرية الدينية يجب أن لا يحرم منها أحد، بل يجب أن يترك لحكم ورغبة كل فرد أن يتمم واجباته الدينية وفق اختياره، أصدرنا الأوامر بأن كل انسان، من المسيحيين وغيرهم، يجب أن يحتفظ بعقيدته وديانته.

(٣) «ولكن نظرا لأن فى تلك الأوامر، التى منحت بمقتضاها الحرية لهم، قد أضيفت حالات مختلفة كثيرة على ما يظهر، فبعضهم ربما يكونون، قد امتنعوا عن مراعاتها بعد قليل.

(٤) «وعندما حضرنا إلى ميلان فى ظروف طيبة، أنا قسطنطين أوغسطس وأنا ليسينيوس أوغسطس، وتأملنا فى كل ما يؤول إلى الخير العام ورفاهية الشعب، اعتزمنا فيما أعتزمناه، أو على الأصح اعتزمنا أول كل شىء، أن نصدر الأوامر التى تعود بالخير على كل واحد من وجوه كثيرة، أى تلك التى تحفظ الإكرام لله وتقواه. أى أننا اعتزمنا منح المسيحيين، وكذا كل الناس الحرية لاتباع الديانة التى يختارونها، أى أية ديانة سماوية توافقنا وتوافق كل من يعيش تحت حكمنا.

(٥) «لذلك قررنا، بقصد سليم مستقيم، أن لا يحرم أى واحد من الحرية لاختيار واتباع ديانة المسيحيين، وأن تعطى الحرية لكل واحد لاعتناق الديانة التى يراها ملائمة لنفسه، لكى يظهر لنا الله فى كل شىء لطفه المعهود وعنايته المعتادة.

(٦) «وقد رأيناه مناسبا أن نكتب بأنه قد تركت نهائيا تلك الحالات، التى تضمنتها رسالتنا السابقة عن المسيحيين، السابق ارسالها إلى فطنتكم، فيسرنا الغاء كل ما يبدو قاسيا جدا وغير متفق مع لطفنا، وكل من يريد اتباع ديانة المسيحيين فليسمح له بهذا دون ازعاج.

(٧) «واعتزمنا أن نوكل هذا كلية إلى رعايتكم، لكى تعرف أننا منحنا لهؤلاء المسيحيين كامل الحرية لممارسة فرائض ديانتهم.

(٨) «وطالما كنا قد منحناهم هذا الحق باختيارنا، فمن ذلك تدرك فطنتكم أن الحرية ممنوحة أيضا للآخرين الذين يريدون ممارسة فرائض ديانتهم. ومما يتفق مع الهدوء الشامل فى أيامنا أن يكون لكل واحد حرية اختيار وعبادة أى إله يريد. وقد فعلنا هذا لكى لا يُظَنّ بأى شكل من الأشكال أننا متحاملون على أية طبقة أو ديانة.

(٩) «وعلاوة على ذلك، نأمر من جهة أماكن المسيحيين التى اعتادوا الاجتماع فيها سابقا، والتى سبق أن صدر عنها أمر مخالف لهذا فى رسالتنا السابق إرسالها إلى فطنتكم، إذا ظهر أن أحدا اشتراها إما من خزانتنا أو من أى شخص آخر، وجب ردها لهؤلاء المسيحيين من غير إبطاء أو تردد، دون مطالبتهم بثمن عوضا، وإن كان أحد قد قبل تلك الأماكن كهبة، وَجَبَ عليه ردها لهؤلاء المسيحيين بأسرع ما يمكن.

(١٠) «وليكن معلوما بأنه إن كان الذين اشتروا هذه الأماكن، أو الذين قبلوها كهدية، يطلبون شيئا من هباتنا، فليذهبوا إلى قاضى الناحية لكى يُعْطَوْا شيئا من قِبَلِ رأفتنا. ولتُمنح كل هذه برعايتكم لجماعة المسيحيين فى الحال وبدون إبطاء.

(١١) «ونظرا لأنه معروف بأن هؤلاء المسيحيين لم يتملكوا فقط هذه الأماكن التى اعتادوا الاجتماع فيها، بل أماكن أخرى أيضا، لم تكن ملكا للأفراد بل للجماعة كمجموعة، أى لجماعة المسيحيين، فأصدروا الأوامر برد هذه أيضا من دون إبطاء، وفقا للأمر السابق ذكره، إلى هؤلاء المسيحيين، أى إلى جماعتهم وهيئتهم، مع مراعاة الاحتياط السابق ذكره بطبيعة الحال، أى أن الذين يردونها بدون ثمن، كما قدمنا، يصح أن يطالبوا بتعويض من هباتنا.

(١٢) «وفى كل هذه الأمور، ومراعاة لمصلحة جماعة المسيحيين السابق ذكرهم، ابذلوا أقصى جهدكم لإتمام أوامرنا بسرعة، ولكى يتوفر الهدوء والسلام فى هذا أيضا.

(١٣) «لأنه بهذه الطريقة، كما قدمنا، تستمر رحمة الله معنا دواما، الأمر الذى اختبرناه فى كثير من الأمور.

---

(١٤) «ولكى يعرف الجميع تفاصيل أوامرنا الرحيمة هذه، أرجو أن تنشروا مكتوبنا هذا فى كل مكان، وتعلنوه للجميع، حتى لا تبقى أوامرنا الرحيمة هذه مجهولة عند أى امرىء.

صورة أمر إمبراطورى آخر أصدراه معلنا بأن هذه المنحة أعطيت للكنيسة الجامعة فقط

(١٥) «تحية لك يا عزيزى أنولينس. من عادة محبتنا أيها العزيز أنولينس أننا نريد ليس فقط أن تبقى حقوق الآخرين دون مساس، بل أيضا أن ترد إليهم.[١]

(١٦) «لذلك نريد بأنه حالما تصلك هذه الرسالة إن كانت هناك أشياء كهذه ملك لكنيسة المسيحيين الجامعة فى أية مدينة أو مكان آخر، ولكنها الآ فى حوزة المواطنين أو غيرهم وجب أن تأمر بردها حالا إلى الكنائس المذكورة. لأننا قررنا فعلا بأنه يجب أن ترد لهذه الكنائس تلك الأشياء التى كانت تملكها سابقا.

(١٧) «ونظرا لأن فطنتك تدرك أن أمرنا هذا واضح كل الوضوح، فعجل بأن ترد إلى تلك الكنائس، بأسرع ما يمكن، كل ما كانت تملكه سابقا، سواء كانت حدائق أو مبان أو أى شىء آخر، حتى نعلم أنك قد أطعت أمرنا هذا بكل حرص. السلام لك يا عزيزى أنولينس المحبوب جدا».

صورة الرسالة التى يأمر فيها الإمبراطور بعقد مجمع للأساقفة فى روما من أجل وحدة الكنائس وائتلافها

(١٨) «من قسطنطين أوغسطس إلى ملتيادس[٢] أسقف روما وإلى مرقس.[٣] نظرا لأن أنولينس والى أفريقيا العظيم قد أرسل إلى عدة رسائل قيل فيها إن سيسيليانوس أسقف مدينة قرطاجنة وجهت إليه تهم كثيرة من بعض زملائى فى افريقيا، ونظرا لانه يبدو لى أنه لأمر خطير جدا أن يسلك الشعب - فى تلك الأقطار التى عهدت إلى العناية الإلهية رعايتها، والتى يقطنها عدد وافر من السكان - طريقا خاطئا، وأن يكونوا منقسمين إلى حزبين، وأن يكون الأساقفة مختلفين:

(١٩) «فأراه من المناسب أن يبحر سيسيليانوس نفسه إلى روما ومعه عشرة من الأساقفة الذين يتهمونه وعشرة آخرون ممن يراهم لازمين للدفاع عنه، لكى تسمع أقواله هناك بوجودكما ووجود

---

(١) أن ترد إليهم أن كانت قد سلبت منهم.

(٢) كان اسقفا لروما من ٢ يولية سنة ٣١٠ إلى ١٠ يناير سنة ٣١٤.

(٣) لعله كان قسا فى روما، ولعله هو الذى أقيم أسقفا عليها مدة ثمانية شهور سنة ٣٣٦.

رتسيوس[٤] ومـاترنوس[٥] ومارينوس[٦] زملائكما الذين طلبت منهم الإسراع إلى رومـا لهذا الغرض. وبذلك تعرف أن الحقيقة وفق للشرائع المقدسة.

(٢٠) «ولكى تكون لديكما معرفة كاملة عن هذه الأمور ارفقت برسالتى صور كل المستندات إلى أرسلها إلى أنولينس، كمـا أرسلتها أيضا إلى زملائكمـا المشار إليهم. وإذا ما اطلعتـما عليها استطعـتما بحث هذه القضية بدقـة وحكمتما فيها بعـدل. لأنه لا يغيب على فطنتكما أننى أحترم الكنيسـة الجامعة القانونيـة احترامـا تاما، حتى إننى لا أريدكـما أن تدعا أى مجـال للانشقاق أو الإنقسام فى أى مكان. ليحفظكما لاهوت الله العظيم سنينا عديدة يا سيدى الموقرين».

صورة رسالة يأمر فيها الإمپراطور بعقد مجمع آخر لإزالة كل المنازعات من بين الأساقفة

(٢١) «قسطنطين أوغسطس إلى كرسـتوس[٧] أسقف سيراكوزا، لما بدأ البعض يختـلفون فيما بينهما بخبث فيمـا يتعلق بالعبادة الطاهرة، والقوة السماوية، والعقيـدة الجامعة، رأيت أن أضع حدا لهذه المنازعات التى بينهم، فأصدرت الأوامر بأن يقوم بعض الأساقفة من بلاد الغال، وأن يستدعى من افريقيا الطرفان المتخاصمان، الـلذان كانا يتنازعان مع بعضهما البعض بعناد وبصفة مـستمرة، لكى يفحص بكل دقة موضوع النزاع بحضورهم وحضور أسقف روما.

(٢٢) «ولكن نظرا لأن البعض إذ تناسوا خلاصهم، والتوقـير الخليق بديانتنا المقدسة، لم يضعوا حدا للعداوة، ولم يخضعوا للحكم السـابق صدوره، مدعين بأن الذين أعطوا رأيهم وقرارهم كانوا قليلى العـدد، أو أنهم تعجلوا وتـهوروا فى اعطاء حكمـهم قـبل فحص كل الأمـور التى كـان يتطلب الموقف فحـصها بدقـة - من أجل كل هذه حدث أن الذين كان يجب أن يحـتفظوا بعلاقـات الاخوة والمودة بين بعضهم البعض انقسموا فيمـا بينهم، الأمر الذى يدعو إلى الخزى والعار، وأعطوا فرصة للغرباء عن هذه الديانة الطاهرة للاستهزاء. لذلك رأيته ضروريـا أن يوضع الآن حد، إن أمكن، وبوجود الكثيرين، لهذه المنازعات التى كان يجب أن تتلاشى بعد الحكم الصادر بموافقتهم.

(٤) كان أسقفا فى بلاد الغال.

(٥) كان أسقفا فى كولون.

(٦) كان أسقفا فى ارلس.

(٧) Chrestus.

(٢٣) «ونظرا لأننا من أجل هذا قد أمرنا بأن يجتمع عدد وافر من الأساقفة من أماكن مختلفة فى مدينة أرل[٨] قبل أول شهر أوغسطس فقد رأينا أنه من المناسب أن نكتب لك أيضا لكى تحصل من لاكترونيانوس العظيم وإلى صقلية عربة عامة، وتأخذ معك اثنين آخرين من الرتبة الكهنوتية الثانية[٩] تختارهما أنت، وثلاثة خذم لخدمتك فى الطريق، وترتب أن تكون فى المكان المذكور قبل الموعد المحدد.

(٢٤) «لكى بحكمتك واتفاق ووحدة الباقين الموجودين يحسم هذا الانقسام الذى استمر حتى الآن بكيفية مخجلة بسبب بعض المنازعات المخزية، بعد أن يسمع كل ما يدلى به الطرفان المتنازعان، وبعد أن يسمع كل من أمرناهم أيضا بالحضور، فيستقر كل شىء وفق الإيمان السليم، وتعود الوحدة الأخوية ولو تدريجيا. ليحفظك الله القدير فى صحة كاملة سنين عديدة».

الفصل السادس

صورة رسالة إمبراطورية أُرسِلَت بمقتضاها أموال إلى الكنائس

(١) قسطنطين أوغسطس إلى سيسيليانوس أسقف قرطاجنة. يسرنا أن تمنح بعض المنح فى كل أقطار افريقيا ونوميديا وموريتانيا لبعض خدام الديانة الطاهرة الجامعة لتغطية نفقاتهم، لذا كتبت إلى أورسوس وزير مالية افريقيا العظيم، وأمرته بأن يدفع إلى فطنتكم ثلاثة آلاف فولى[١]:

(٢) «ومتى استلمت المبلغ المشار إليه آمر بأن يوزع على جميع المذكورين أعلاه وفقا للمختصر المرسل إليك من هوسيوس.

(٣) «وإن وجدت أنه ينقصك أى شىء لاتمام غرضنا نحو الجميع فاطلب بدون أى تردد من هراكيلدس أمين خزانتنا كل ما تراه ضروريا. لأننى أمرته لما كان هنا بأن يدفع إليك فى الحال كل ما تطلبه منه.

---

(٨) Arles مدينة فى جنوب فرنسا بقرب مصب نهر الرون.

(٩) أى قسيسين.

---

(١) عملة غير معروفة قيمتها بالضبط.

(٤) «ونظرا لأننى علمت أن بعض ذوى العقول السليمة يريدون أن يحولوا الشعب عن الكنيسة المقدسة الجامعة بطريقة دنسة مخزية، فاعلم بأننى أمرت أنولينس الوالى، وباتريشس نائب المقاطعة، لما كانا هنا، بأن يبذلا عناية فائقة ليس فقط نحو الشئون الأخرى بل أيضا نحو هذا الأمر قبل كل شيء، وأن لا يغضا الطرف عنه أن حصل.

(٥) «وإن رأيت أشخاصا كهؤلاء مستمرين فى هذا الجنون فاذهب فى الحال إلى القاضيين المذكورين واشرح لهما الأمر لكى يؤدباهم كما أمرتهما لما كانا هنا. ليحفظك لاهوت الله العظيم سنينا طويلة».

الفصل السابع

إعفاء الإكليروس

صورة الرسالة التي يأمر فيها الإمبراطور بإعفاء رؤساء الكنائس من الواجبات السياسية

(١) «السلام لك يا عزيزنا أنولينس. نظرا لما اتضح من ظروف كثيرة بأنه عندما تحتقر تلك الديانة الى توفر الإكرام العظيم للقوة السماوية المقدسة تتعرض المصالح العامة لأخطار شديد، ولكن عندما تتبع وتمارس حسنا فإنها تعود بالخير العميم والتقدم العظيم على الإسم الرومانى والسعادة لكل مصالح البشر برحمة الله - فقد رأيته من المناسب أيها العزيز أنولينس بأن الذين يقدمون خدماتهم، بالقداسة الواجبة وبمراعاة هذا القانون، متبعين هذه الديانة الإلهية، يجب أن ينالوا تعويضا عن أتعابهم.

(٢) «فيسرنى أن المقيمين فى المقاطعة التى أوكل إليك أمرها، أعضاء الكنيسة الجامعة، التى يرأسها سيسيليانوس، الذين يقدمون خدماتهم لهذه الديانة الطاهرة، والذين يدعون اكليروسا يجب أن يعفوا اعفاء تاما من الواجبات العامة لكى لا يتحولوا - بسبب أى خطأ أو تدنيس الأشياء المقدسة أو اهمال - عن الخدمة الواجبة لله، بل يكرسوا أنفسهم لشرائعهم دون أى عائق. فالأمر ظاهر أنهم عندما يقدمون الإكرام العظيم لله يشمل الدولة الخير العظيم. دم فى سلام أيها العزيز أنولينوس المحبوب».

الفصل الثامن

شر ليسينيوس الثانى ، وموته

(١) هذه هى البركات التى أغدقتها علينا النعمة الإلهية السماوية بظهور مخلصنا، وهكذا كانت الخيرات العميقة التى شملت كل الناس نتيجة للسلام الذى تمتعنا به. وهكذا توجت شئوننا بالأفراح والولائم.

(٢) على أن الحسد الخبيث والشيطان محب الشر لم يطيقا رؤية هذه الأمور. وفضلا عن ذلك فإن الحوادث التى حلت بالطغاة السابق ذكرهم لم تكن بكافية لرد ليسينيوس إلى صوابه.

(٣) «لأن هذا الأخير، بالرغم من تقدم حكومته وتشرفه باحتلال الرتبة الثانية بعد الإمبراطور قسطنطين العظيم، وارتباطه معه بأوثق ربط المصاهرة، قد ترك الاقتداء بالأعمال الصالحة، واقتدى بشرور الطغاة الظالمين الذين رأى نهايتهم بعينيه، وفضل اتباع مبادئهم عن الاستمرار فى علاقة الصداقة مع من هو أفضل منهم. وإذ حسد ذلك الرجل الصالح العظيم أشهر عليه حربا شنيعة، دون مراعاة للنواميس الطبيعية، ولا المعاهدات، ولا القرابة الجسدية، دون مبالاة بالعهود.

(٤) فإن قسطنطين، كامبراطور كلى الصلاح، إذ قدم إليه أدلة المحبة الصادقة، لم يرفض التحالف معه، ولم يرفض أن يزوجه بأخته، بل أكرمه بجعله شريكا فى الأجداد والدم الإمبراطورى القديم، ومنحه حق الاشتراك فى الحكم على الكل كأخ وزميل، مانحا إياه حق حكم وادارة جزء من الأقطار الرومانية لا يقل عن نصيبه.

(٥) أما ليسينيوس فإنه بالعكس سلك طريقا ضد هذا على خط مستقيم. ففى كل يوم كان يحيك كل أنواع المؤامرات ضد رئيسه، ويفكر فى كل أنواع الشرور. لكى يكافىء المحسن إليه بالشر. وقد حاول فى بداية الأمر اخفاء تدابيره، وادعى الصداقة، ولكنه طالما كان يرتكب الكثير من الغدر والخيانة، مؤملا أنه سوف يستطيع بسهولة اتمام غايته المرجوة.

(٦) على أن الله كان حبيب قسطنطين وحاميه وحارسه. وإذ كشف المؤامرات التى كان يدبرها فى السر والظلام أحبطها. وهكذا يستطيع سلاح التقوى العظيم أن يصد الأعداء ويضمن لنا السلامة. وإذ تسلح امبراطورنا العظيم المحبوب بهذا السلاح نجا من المؤامرات العديدة التى دبرها ذلك الرجل الخائن.

(٧) ولكن لما رأى ليسينيوس أن ترابيره السرية لم تنجح مطلقا كما أراد (لأن الله كشف للإمبراطور محبوب الله كل مؤامرة وكل خبث) ولما لم يستطع اخفاء نفسه بعد، أشهر الحرب علانية.

(٨) وفى نفس الوقت الذى عزم فيه على اشهار الحرب ضد قسطنطين عزم أيضا على محاربة إله الكون الذى كان يعرف أن قسطنطين يعبده، وبدأ يهاجم رعايه الأتقياء الذين لم يسببوا أى ضرر لحكومته، وكان هجومه فى بداية الأمر خفيفا. وقد فعل هذا تحت ضغط خبثه الغريزى الذى دفعه إلى عمى مروع.

(٩) لذلك لم يضع نصب عينيه ذكريات الذين اضطهدوا المسيحيين قبله، ولا ذكريات الذين أقيم هو نفسه لابادتهم بسبب الشرور التى ارتكبوها. ولكنه إذ فقد صوابه، بسبب ما تملك عليه من جنون، عزم على اشهار الحرب ضد الله نفسه حليف قسطنطين بدلا من اشهار الحرب على من كان يساعده.

(١٠) وفى بداية الأمر طرد من بيته كل مسيحى، وهكذا حرم ذلك التعس نفسه من الصلوات التى كانوا يرفعونها إلى الله من أجله، والتى اعتادوا رفعها من أجل جميع الناس حسب تعاليم آبائهم. ثم أمر بطرد الجند الذين فى المدن من مناصبهم وتجريدهم من رتبهم إن لم يذبحوا للشياطين. ومع ذلك فهذه أمور بسيطة بالنسبة للامور الأخطر التى تلتها.

(١١) وهل هنالك ضرورة لوصف كل ما فعله بالتفصيل ذلك الرجل المبغض لله، وكيف اخترع الرجل الشرير قوانين شريرة؟ فقد أصدر أمرا بأنه لا يجوز لأى واحد اظهار الشفقة نحو المسجونين باعطائهم طعاما، ولا يجوز لأى واحد اظهار الرحمة نحو الذين يتضورون جوعا فى القيود، ولا يجوز لأى واحد اظهار الرحمة بأي حال من الأحوال أو فعل أى عمل من أعمال الخير حتي ولو حركته الطبيعة نفسها للعطف على قريبه. وهذا كان فى الواقع قانونا مخزيا وقاسيا، إذ كان يتنافى مع كل عطف طبيعى. وعلاوة على هذا فقد صدر أمر آخر بمعاقبة من يظهرون العطف وذلك باشراكهم فى آلام من يعطفون عليهم، وأن الذين خدموا المتألمين يجب وضعهم فى القيود، وطرحهم فى السجون، واشراكهم فى نفس قصاص المتألمين. هكذا كانت أوامر ليسينيوس.

(١٢) ولماذا نعدد بدعه نحو الزواج أو نحو الموتى - تلك البدع التى بمقتضاها تجاسر على الغاء القوانين الرومانية القديمة التى رتبت بحكمة، وادخال قوانين وحشية قاسية كانت فى الواقع فاجرة

وماجنة. ومن باب العبث بمصالح الأقطار التى كانت خاضعة له اخترع تدابير لا حصر لها، وكل أنواع الوسائل لابتزاز الذهب والفضة ومقاييس جديدة للارض، واغتصابات مجحفة من أهل البلاد الذين لم يكونوا بعد أحياء بل ماتوا منذ وفت طويل.

(١٣) وهل هنالك ضرورة للتحدث بتوسع عن حالات النفى التى أجراها - علاوة على هذه - هذا الرجل عدو البشرية بمن لم يرتكبوا أى خطأ، لابعاد الرجال ذوى المحتد الطيب والسمعة الحسنة، الذين خطف زوجاتهم الشابات من أحضانهم وسلمهن إلى بعض رجاله المنحطين للاساءة إليهن بكيفية مخجلة، والنساء المتزوجات والعذارى الكثيرات اللاتى أشبع شهوته معهن بالرغم من تقدمه فى السن - أقول هل هنالك ضرورة للتحدث بتوسع عن هذه الأمور مع أن شروره الأخيرة تبين أن الأولى أمور تافهة وقليلة الاهمية؟

(١٤) وأخيرا وصل إلى هوة من الجنون حتى هاجم الأساقفة، مفترضا بأنهم سوف ينقمون على اجراءاته، على أساس أنهم خدام إله الكل. على أنه لم يبدأ بمهاجمتهم علنا خوفا من رئيسه، بل سرا وبمكر كما فعل أولا، مستخدما خيانة الحكام لاهلاك البارزين منهم (أى من الأساقفة). وقد كانت طريقة قتلهم غريبة لم يسمع عنها قط من قبل.

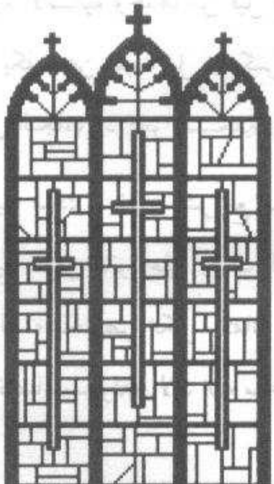
(١٥) أما الأعمال التى علمها فى أماسيا، وباقى مدن بنطس، فقد فاقت كل حدود القسوة. إذ هدمت ثانية بعض كنائس الله حتى الأساس، وأغلقت الأخرى، حتى لم يعد أحد ممن اعتادوا التردد عليها قادرا على دخولها وتقديم العبادة لله.

(١٦) لأن ضميره الشرير أوحى إليه بأن الصلوات لا تقدم عنه، واقتنع بأننا نفعل كل شىء لمصلحة الامبراطور محبوب الله، وأننا نتضرع إلى الله من أجله. لذلك أسرع يصب جامات غضبه علينا.

(١٧) وإذ أدرك الولاة الذين أرادوا أن يتملقوا ذلك الطاغية أنهم بهذه الأمور يرضونه وقعوا على الأساقفة تلك العقوبات المعتاد توقيعها على المجرمين، وعاقبوا الذين لم يرتكبوا أى خطأ كأنهم قتلة، دون اعطائهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم. والبعض قتلوا بنوع جديد من الموت بتقطيع أجسامهم بالسيف قطعا صغيرة وطرحها فى أعماق البحر طعما للسمك، بعده التمثيل بها بهذه الكيفية الوحشية البالغة فى القسوة.

(١٨) ونتيجة لهذا هرب متقو الله مرة أخرى، وغصت الحقول والصحارى والغابات والجبال بخدام المسيح. وعندما لقى الطاغية الفاجر هذا النجاح فى اجراءاته هذه، دبر أخيرا تجديد الاضطهاد نحو الجميع.

(١٩) وكان من الممكن أن ينجح فى تدبيره، وأن لا يجد أى عاتق له فى عمله، لو لم يتدارك الأمر الله المدافع عن حياة شعبه، ويدرك مقدما وبسرعة ما كان على وشك الحصول، ويبرق بنور عظيم وسط الليل الحالك الظلام، ويقم منفذا للكل، وهو عبده قسطنطين الذى قاد تلك الأقطار بذراع رفيعة.



الفصل التاسع

انتصار قسطنطين
والبركات التى أُغدقَت على يديه على رعايا الإمپراطورية الرومانية

(١) لذلك منح الله قسطنطين، من السماء من فوق، ثمار التقوى الخليقة به، وعلامات الانتصار على ذلك الفاجر، وأخضعه تحت قدميه مع كل مستشاريه وأصدقائه.

(٢) لأنه عندما بلغ الجنون بليسينيوس إلى أقصى حدوده رأى الامبراطور حبيب الله أنه لا يليق التسامح معه بعد، فتصرف فى الأمر تصرفا سليما، ومزج مبادىء العدل بالانسانية، وقرر أن يخرج لحماية أولئك الذين اضطهدهم ذلك الطاغية، وتعهد بانقاذ أغلبيه البشر، وذلك بتطهير الطريق من بعض الظالمين.

(٣) لأنه عندما طبق مبادىء الانسانية وجدها من قبل وأظهر الرحمة نحو من لا يستحق الرحمة لم يتم شيء، إذ أن ليسينيوس لم يكف عن شره، بل بالعكس ازداد حنقه على الشعوب الخاضعة له، ولم يعد أمام المضطهدين أى أمل فى النجاة، إذ كانوا منسحقين أمام وحش ضار.

(٤) وإذ مزج حامى الأتقياء مبادىء بغض الشر مع محبة الخير خرج مع ابنه كريسبس، وهو أمير رحيم، ومد يمين الانقاذ لجميع الذين كانوا على وشك الفناء. وهكذا رأينا كليهما، الأب وابنه، تحت رعاية الله ملك الكل، وابن الله مخلص الكل، كقائد وحليف لهما، يجردان قواتها فى كل جانب ضد أعداء الله، ويحرزان الانتصار بسهولة. لأن الله ساعدهما فى القتال من جميع الوجوه حسب رغبتهما.

(٥) وهكذا رأينا بغتة، وبأسرع مما كان يظن، إن الذين كانوا بالأمس ينفثون تهددا وقتلا لم يبق لهم وجود، ولم تعد حتى أسماؤهم تذكر، ونالت ذكرياتهم كل خزى تستحقه، وحلت بليسينيوس نفس تلك البلايا التى حلت بالطغاة الفجار السابقين والتى رآها بعينيه، لأنه لم يتعظ ولا تعلم الحكمة من التأديبات التى حلت بغيره بل اتبع نفس طريق الشر الذى سلكوه، وانحدر إلى نفس الهاوية التى استحقها بعدل.

(٦) وهكذا انكفأ على وجهه.

على أن قسطنطين، البطل الظافر، المتحلى بكل فضيلة التقوى، وابنه كريسبس الأمير محبوب الله، والمماثل لأبيه من كل الوجوه، واستردا الشرق الذى كان تابعا لهما، وأسسا امبراطورية رومانية واحدة موحدة كما كان الحال فى القديم، مخضعين لحكمهما الرحيم كل العالم من شروق الشمس إلى مغربها، شمالا وجنوبا، حتى أطراف كل الأرض.

(٧) وهكذا انتزع من البشر كل خوف سبق أن تملكهم، وأولموا الولائم الفاخرة واحتفلوا بالأعياد العظيمة. وامتلأ كل شيء بالنور. وأولئك الذين كانوا أذلاء تطلعوا كل واحد إلى أخيه بثغور باسمة وعيون لامعة. وفى المدن والقرى مجدوا أولا الله ملك الكل بالرقص والتسابيح، لأنهم هكذا تعلموا، ثم مجدوا الامبراطور التقى مع أبنائه محبوبى الله.

(٨) واسدل الستار على الشرور الماضية، وتنوسيت كل الأعمال الشريرة، وصار فرح بالخيرات الحاضرة ورجاء بالعتيدة. وأصدر الامبراطور الظافر منشورات فى كل مكان مليئة بالرحمة، وقوانين تحمل علامات المحبة والتقوى الحقيقية.

(٩) وإذ تطهرت الامبراطورية من كل مظاهر الظلم تثبتت لقسطنطين وأنجاله وحدهم من دون أن منازع. وبعد أن أزالا كل شرور سابقيهما أظهروا حبهما للفضيلة، ومحبتهما لله، وتقواهما نحوه، واعترافهما بجميله، وذلك بالأعمال التى تمماها أمام أعين جميع الناس، إذ كانا شاعرين بالخير العميم الذى أغدقه الله عليهما.

انتهى بمعونة الله الكتاب العاشر من تاريخ الكنيسة

ليوسابيوس بمفيلى

فهرست

فصل | صفحة

فهرس

فصل | صفحة

الكتاب الثانى

الكتاب الثالث

فصل　　　　صفحة

الكتاب الرابع

الكتاب الخامس

الكتاب السادس

فصل		صفحة

الكتاب السابع

فصل		صفحة

فصل صفحة

الكتاب الثامن

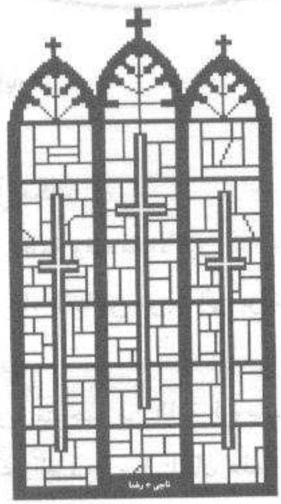
فصل — صفحة

شهداء فلسطين

الكتاب التاسع

الكتاب العاشر

فصل | صفحة



طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٦٧٣ / ٩٩

الترقيم الدولى 3 - 0403 - 12 - 977

مكتبة المحبة

٣٠ شارع شبرا - القاهرة ت وفاكس : ٧٧٧٤٤٨ / ٥٧٥٩٢٤٤
ت: ٥٧٥٨٩٣٢